

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

الدُّرُ الثَّمِينِيَا

في ترجمة فقيه الأمة
العلامة ابن عثيمين

رحمه الله تعالى
ترجمة شاملة لحياة الشيخ من النشأة إلى الوفاة

جمع وإعداد
تلميذه
عصام بن عبد المنعم المري

دار البصيرة
الإسكندرية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الحدو الثمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الصنف محفوظة
لدار البصيرة
لصاحبها / مصطفى أمين

رقم الايداع : ٢٠٠٣ / ٣٣١٥

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية

الإسكندرية - ٢٤ ش كانوب - كامب شيزار - ت : ٥٩٠١٥٨٠



رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رَفَعُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّجْدِيُّ
أَسْلَمَةُ الْبَيْتِ الْبُرُوكِيِّ

الدَّرُ الثَّمِينِ

فِي تَرْجَمَةِ فَقِيهِ الْأُمَّةِ

الْعَلَّامَةِ ابْنِ عَثِيمِينَ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

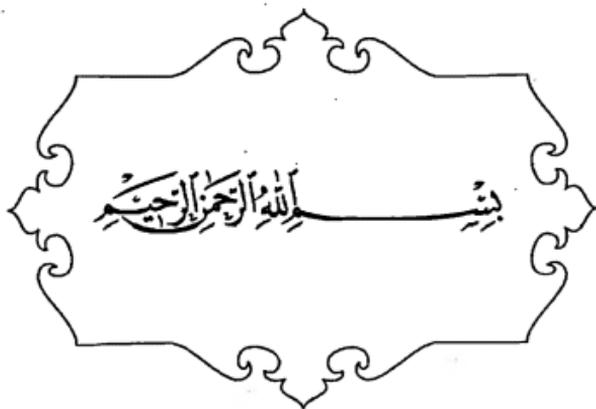
ترجمة شاملة لحياة الشيخ من النشأة إلى الوفاة

جمع وإعداد

تلميذه

عصام بن عبد المنعم المطري

حارر البصرة
الإسكندرية



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله حمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهذه الله فهو المهتد ومن يضل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً مزيداً.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠، ٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وبعد :

لعلّ من أصعب الأمور كتابة المقدمات للأمور العظام والأحداث الجسام، فإن هول الحدث وفضاعته وعظمه وتصوّره وعظم الخسارة التي تخسرها الأمة كافٍ في انعقاد اللسان واضطراب البنان.

أقول هذا وأنا أحاول كتابة مدخلٍ لترجمة شيخي وأستاذي الجليل العلامة المحقّق المدقّق بقية السلف الصالحين وحامي حمى الدين والدّاب عن شريعة سيد المرسلين ومفيد الطالبين ومفتي الحائرين الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن صالح بن عثيمين والذي رُزيت الأمة بوفاته يوم الأربعاء الخامس عشر من شوال لسنة إحدى وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة، قبيل غروب شمس ذلك اليوم، ومع غروبها غربت شمس الفقه التي طالما أنارت الدنيا بنورها، وأزاحت عن الكثير غياهب ظلماتها، وأزاحت عن العميان غشاوة أبصارها.

فقد كان ابن عثيمين رحمه الله للناس كالنسيم في رفته، وكالمزن في عذوبته، وكالبلسم للعليل في إزالة سقمه، وكالعافية للبدن.

كم هدى الله به من ضالٍّ ! وكم علّم به من جاهل ! وكم حفظ به من أعراض ! وكم حقن به من دماء !.

عُمرت المجالس بفتاويه، وذخرت المكتبات بتأليفه، وشفقت الأذان بدروسه، وابتهجت الأبصار بطلعته، وسعدت القلوب بابتسامته.

فرحمة الله عليك من إمام هدى، وهادي أمة.

هذا وقد كنت ترجمت للعديد من مشايخي الذين تتلمذت عليهم وتلقيت العلم عنهم، وكان شيخي ابن عثيمين رحمه الله من أولهم، ولكنني أخترت الترجمة

له نظراً لطولها، ولأنني كنت أودُّ أن تكون ترجمة وافية أذكر فيها كل ما عرفته عن الشيخ طوال فترة ملازمتي له، ويحتاج ذلك إلى ترتيب وتصنيف وجهدٍ يعلمه من يكتب التراجم.

ثم قدّر الله عز وجل ومرض الشيخ بالداء العضال، فزرت في المستشفى التخصصي في الرياض في أواخر شعبان قبل انتقاله إلى مكة المكرمة، فرأيت على سرير المرض، وقد أثر فيه تأثيراً عظيماً يراه القاصي والداني، فرأيت أنّ الأمر لا يحتمل التأخير، فبدأت والشيخ ما زال حيّاً أكتب كلّ ما عنّي لي وأنا أتقطّع من الحزن والأسى.

ثم جاء الخبر المفجع والمصاب الأفعع والأمر الذي كتبه الله جل وعلا على كلّ نفس، وقيل : مات الشيخ، وتذكرت قول الإمام البخاري رحمه الله تعالى لما علم بموت الإمام الدرامي رحمه الله تعالى، فقال :

إِنْ عَشِنْتَ تَفْجَعِ بِالْأَحِبَّةِ كُلَّهُمْ

وَبَقَاءُ نَفْسِكَ لِأَهْلِكَ أَفْجَعُ (طبقات السبكي ١٥/٢)

وقد تردّدت كثيراً في إكمال الترجمة وعانيت فيها أشدّ المعاناة حرصاً مني على أن تكون ترجمة شاملة لدقائق حياة المترجم.

وقد كانت هناك نقاط شبه مجهولة لم يقف عليها إلا القليل من الناس، وهي حلقات تكاد تكون مفقودة يحتاج إليها المترجم لربط الأحداث بعضها ببعض، فبدأت أتلمّسها ويسّر الله لي الكثير منها كما ستراه في هذا الكتاب الذي بين يديك.

وكانت هناك العديد من المعوقات التي كادت أن توقف هذا العمل إلا أن تذكري لمكانة الشيخ وعظم حقه عليّ يوم أحسن استقبالي في عتيزة عام ١٤٠٣هـ، وأحسن ضيافتي وأحسن تعليمي، وكان يخصّني بعطفه ومعونته، ولم يكن يبخل عليّ بوقته وصحبته في ذهابه وإيابه في الفترة التي قضيتها عنده.

كل ذلك جعلني أمشي قُدماً في إكمال الترجمة، لعلّي بذلك أن أكون وفيته شيئاً يسيراً من حقه عليّ. رحمه الله وغفر له.

وقد جمعت في هذه الترجمة بين التأريخ القصصي، والتأصيل العلمي، والأسلوب التربوي.

فليس القصد منها مجرد سرد حدث أو ذكر قصة، فقد قام بهذا بعض الناس، ولكنني رتب هذه الترجمة ترتيباً زمنياً من النشأة حتى الوفاة وما بعدها.

وقد أطلت في بعض المباحث كعقيدته وفقهه نظراً لأهميتها وتمييز الشيخ فيها.

وقد استفدت من كل ما كُتب عن الشيخ مما وقفت عليه وعزوته لأهله في مواضعه؛ إلا أن بعض الكتابات كان فيها من الغلوّ والإطراء الشيء الكبير، وخاصة في الشعر، فأعرضت عن ذلك، وانتخبت منه ما وافق الشرع مما لا غلوّ فيه.

فقد عاش الشيخ يدعو إلى التوحيد الخالص، ويذّب عن جناب التوحيد طيلة حياته حتى أيامه الأخيرة في دروسه في المسجد الحرام. رحمه الله تعالى وغفر له.

هذا وإنني ختاماً أشكر كلّ من أفادني في هذا البحث، وخاصة شيعي العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك، والذي لم يبخل عليّ بما يحضره عن دراسة الشيخ في المعهد العلمي في الرياض. فجزاه الله خيراً.

كما أشكر ابني عبد الرحمن الذي يدرس بالمعهد العلمي والذي كتبَ هذه الترجمة كاملة على جهاز الحاسب الآلي، وعانى في ذلك طوال أحد عشر شهراً هي المدة التي قضيتها في كتابتها.

فأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء ويلحقه بركب العلماء العاملين.

وختاماً أسأل الله جل وعلا أن يجعل هذا العمل متقبلاً في السماء وفي الأرض، وأن لا يجعل لأحدٍ من خلقه فيه شيئاً، وأن ينقل به ميزان حسناتي يوم العرض عليه، وأن يجمعنا بشيخنا ابن عثيمين مع نبينا ﷺ وآله وصحبه في الفردوس الأعلى في جنات النعيم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

عصام بن عبد المنعم المري

الرياض- ١٤ من رمضان ١٤٢٢هـ

صندوق بريد: ٤١٧٢٤

الرمز البريدي: ١١٥٣١



صورة من مراسلة الشيخ رحمه الله للمؤلف بخطه، وفيها يظهر تواضعه حيث
إنه يباشر أعماله بنفسه رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم من فضيلة في ١١/٤/١٤٠٣ هـ
من ملة الصالحين إلى الأخر المكي : خصام بن عبد المنعم المر حفظه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

- كتابكم وصل وما تغفتم من الأسئلة فإياكم ما تيسر من جوابها :
- ١- رشتط لخل الذبحة أهلية الذابح بأن يكون مسلماً أو كتابياً . وأهل الكتاب لا يجوزون
الآن إن ارتدوا عن دينهم وأنكروا لم تحل ذبحتهم لحرم صوم عن الوصف المبني لذبحهم
لا يجوز إسبال البنطلون ولا غيره من الثياب والنحو عام لمن صنعته خيلا أو فخذلان
لكن تختلف العقوبة فمن صنعته خيلا ومن لم يصنعته خيلا : فالأول : لا يكلم الله يوم
القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكاه وله عذاب أليم والثاني : يعذب بالنار مطراً ما نزل
من الكعبين ويدك لذلك حديث أبي سعيد عاين صلوات الله عليهم أنه قال : أزوج المؤمن
إلى نصف الساق ولا عرج عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من ذلك
فيؤذي من ربه ومن جازاه بطرا لم ينظر إلى الله . رواه مالك وغيره .
 - ٢- لا يشتد دخول شهر رمضان وذات الحجة (لا يشترط) مسلم موقفاً به ولا يشترط
أن يراه كل واحد بنفسه بل متى شئت دخول وجبت على الناس العمل بمقتضاها
 - ٣- إذا كان السائل واقعاً بفتوى العالم لم يلزمه طلب الدليل منه لأن استعانة يقول
فاسألوا أهل الذكر (إن كنتم لاتعلمون) والأمر بسؤالهم يقتضي قبول ما أجابوا به وهكذا
كان محل الصحابة فيما تعلم . أما إذا كان غير واقعاً من جوابه فليسأل من الدليل المظنون
بالحجاب .
 - ٤- لا يجوز بدد الكافر بالسلام ولا يحجب بتيبة أخرى لكن إن بدأ هو بذلك وعليه
بالمثل إلا بالسلام فتقال : وعليكم فقط .
 - ٥- الأصل في العبادات المشخ فلا يتجزأ الصلاة إلى الله إلا بما شرع الله ولذا إن أنكر الله
تعالى على من اتبعوا من اتبعوا ما انتدعوا فقال : (ألم نشرركم) وشرعوا لهم من الدين ما لم يؤذن
به الله) وحذر الأئمة صلوات الله عليهم من البدع وقال : كل بدعة ضلالة . وقال : من عمل
علا ليد الله أمرنا قهوره .
 - ٦- وأما ما سوى العبادات من الرعيان والأعمال والمنافع فالأصل فيه المثل لقوله

(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) وقول (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فاستوفوا نصابها
 وكلموا من رزقه وإليه النشور). وعلى هذا فلا يحرم من الأعيان والأعمال غير التبعية والبيع
 إلا ما دل الشريعة على تحريمه.

٧٦- يجب على المسلم (عفا وقيته) كل أمر يدركه رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأن يكره على من حمله فيقول
 أحلتها ولا يفعلنا بل يفعلنا ذلك أما مجرد الأيداء لمن أعفاهما فالواجب الصبر على هذه
 البلوى والصبر ما دامه قال سفيان (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
 ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن أن الله لا يهدي القوم الظالمين) .

٨- الصواب منه أقوال أهل العلم أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء سواء كانت حية أم ميتة
 لكن إن كان لشهوة فالأفضل الوضوء ولا يجب أيضا عدم الدليل على وجوب الوضوء
 منه والأصل بقاء الطهارة وبراءة الأمة .

٩- إذا ارتكب المسلم مجازاة أعمال الشرك من حول فإنه يعرض به لمنه يستعمل ولكن إذا
 فعله شخص وقرن له التصحيف بدلها فقد قامت عليه الحجة فلا يكون له من منتهى ما
 عذر والمعتاد أن هذا الشخص مستدر لا يبرر له ابتداء على عمل الشرك لأن الواجب
 عليه إذا كان في شك مما قال أن يبحث عن صحته .

١٠- إذا كان أئمة هذا المسجد الوعيد في القرية فسما قائلهم يصلوا إلى هذا الكفر فصلوا معهم
 لأن صلاة الناس مقبولة صحيحة فالإلتصاف بهم صحيح . وأما أن وصلوا بأعمالهم إلى
 هذا الكفر فلا يصلوا خلفهم واختطوا لهم مسجدا يفتنون فيه لأن أمكنه ولا يصلوا
 جماعة في بيوتكم أو شراى إن لم تتمكنوا من البهاة .

١١- شجر الخنيزير محرم لا أعلم فيه خلافا ودليله قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم حلال
 الثمنير) وقوله (قل لا آيد رديا أبوي) التي يحرم ما على طاهم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما
 مسفوها أو لحم خنزير فإنه (حرام) وتعليله بالرجس يدل على تحريم جميع أجزاءه .
 واستيفاء حكمه من الأدلة عليه ووجهه الصدوق عليه السلام

صورة من إجابات الشيخ لعدد من الأسئلة التي وجهها إليه

المؤلف في عام ١٤٠٣ هـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طابكم الإسلام ورحمة الله وبركاته

- ١- لا بأس أن يتخصص في أمر النساء إذا وثق من نفسه لاسيما إذا لم يوجد نساء يتخصصن به . وفي حال العلاج ينظر من النوع كل ما تفرغوا حاجة إليه .
- ٢- تقليد المذاهب للضرورة جائز والضرورة أن لا يمكن المروءة معرفة الحكم بنفسه من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (فأما لأهل الذكركم فكنتم لا تعلمون) ولم بأس من تعلم بسؤالهم إلا للأخذ بقولهم . وأما إن كان المراد يمكن معرفة الحكم من الكتاب والسنة فإنه لا يقبل دينه الرجال .
- ٣- الجواز في سبيل الله تعالى واجب ما من الزيادة التامة ولكن يستعمل عند العجز عن كفاية من الرجوع إلى لقوله تعالى (فألقوا أسلحتهم)

٤- طلبكم العلم عندنا ممكن إن شاء الله بحضور (أو غير) صلاة الأذان للعلم صلاة تركية فيمكن أن تنزلوا مع الإذن في شقة عندنا جامع . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 ١٤٠٣/٦/٨

صورة بخط الشيخ رحمه الله فيها إجابة على عدد من الأسئلة التي وجهها إليه المؤلف ، ويظهر في الدائرة موافقة الشيخ على طلب المؤلف الرحلة إليه والتلمذ على يديه ، كتبها الشيخ خلف الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدم (المصاحف من بعد التغم) معروف لمندى وأرجوه التوفيق والسداد
 وأن تدرؤوا همته . كتبه له الصالح العتيبي في ١١/٥/١٤١٤ هـ
 محمد الشيباني

صورة من تعريف الشيخ رحمه الله للمؤلف ، ودعائه له ، كتبها بجوار الكعبة المشرفة في مكة المكرمة .

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الباب الأول
النشأة وطلب العلم
والبناء العلمي
وفيه فصول

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الأول

اسمه ونسبه وكنيته وأسرته

أولاً : اسمه ونسبه :

هو الشيخ العالم العلامة المدقق المحقق الحبر البحر المفسر الفقيه الأصولي المتمكن الزاهد الورع الإمام :

«محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن مقبل؛ من آل مُقبل من آل ريس من الروبة من قبيلة بني تميم. جده عثمان اشتهر بعثمين فصارت الأسرة تنسب لهذا الجد، وهو الجد الرابع»^(١)

وقد تَطَرَّقَ الشيخ عبد الله البسام لنسب آل عثيمين أثناء كلامه على نسب الشيخ السعدي شيخ المترجم فقال : «أما نسبه من قبل والدته (يعني السعدي رحمه الله)، فأخواله آل عثيمين المقيمين في عنيزة، وأجدادهم ثلاثة : عبد الله وسليمان ومحمد أبناء عبد الرحمن بن عثمان، الملقب (عثيمين)، فولدة الشيخ المترجم (يعني السعدي) هي فاطمة بنت عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان، ولم يعقب عبد الله سوى والدته (يعني السعدي). وأما سليمان ومحمد فذُرِّيَّتُهُمَا في عنيزة، وقد قَدِمَ هؤلاء الإخوة الثلاثة من أشيقر إلى عنيزة، والموجود الآن في عنيزة هم أحفادهم، عدا عبد الله فليس له عقب إلا من ابنته، ونسبة الموجودين إلى القدامى، ومنهم الشيخ

(١) ذكر هذا النسب شيخنا محدث المدينة النبوية العلامة عبد المحسن بن حمد العباد في محاضرة له بعنوان : «الشيخ محمد بن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته».

محمد بن صالح بن محمد بن سليمان إمام وخطيب جامع عنيزة (يعني شيخنا المترجم ابن عثيمين). فسلیمان جد أبيه». (١)

وقال في موضع آخر :

«وآل عثيمين هم من آل مقبل، من آل زاخر، - البطن الثاني من الوهبة - نسبة إلى (محمد بن علوي بن وهيب) ومحمد هذا هو الجد الجامع لبطن الوهبة جميعاً، وآل عثيمين كانوا في بلدة أشبقر، الوطن الأول لجميع الوهبة، ونزحوا منها إلى شقراء، فحاء جد آل عثيمين الموجودين في عنيزة من شقراء إلى عنيزة، وسكنها». (٢)

وبسياق هذا النسب يظهر مدى القرابة بين الشيخ ابن عثيمين وشيخه السعدي، مما كان له الأثر البالغ في المزيد من التقارب بين الشيخ وتلميذه، كما سيظهر بعد ذلك. إن شاء الله تعالى.

وقال الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل :

«لكن الشيخان : ابن سعدي وتلميذه ابن عثيمين من جذمين كبيرين مختلفين من هذه القبيلة (يعني : بني تميم)، فابن سعدي ينحدر من جذم بني سعد، وابن عثيمين ينحدر من جذم بني حنظلة.

وفيهم البيتان المشهوران :

يعدُّ النَّاسِبُونَ إلى تَمِيمٍ بَطُونُ المَجْدِ أَرْبَعَةٌ كَيَارَا
يعدونَ الرَّبَابَ وآلَ عمروٍ وسعداً ثمَّ حنظلةَ الحَيَارَا». (٣)

(١) علماء نجد (٢١٩/٣) ط دار العاصمة ١٣٩٨هـ.

(٢) علماء نجد (٤٢٢/٢) بواسطة فقه ابن سعدي (١٩/١) ولم أنف على نصه.

(٣) الدعوة، ١٧٧٩، وأشار إلى أن آل عثيمين قدموا عنيزة في محرة الوهب من بني حنظلة في القرن الحادي عشر تقديراً.

كنيته :

يكنى بأبي عبد الله، أكبر أولاده.

تاريخ ولادته :

ولد ليلة الجمعة في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك - فكان قدومه مباركاً على الأمة جمعاء - لسنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة.^(١)
(٢٧ / ٩ / ١٣٤٧هـ).

مكان الولادة :

مدينة عنيزة، إحدى مدن القصيم في عالية نجد وسط الجزيرة العربية، والتي عمرت بالعديد من العلماء، والقضاة، والمصلحين، عبر سنوات عديدة، فكان المترجم رحمه الله تعالى من آخر هذه النخبة المباركة.

أسرته :

الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى متزوج من زوجة واحدة، وهي : كريمة محمد إبراهيم منصور التركي، وله منها ثمانية أولاد.

خمسة من الذكور، وهم :

عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم.

(١) لقاء مع الشيخ في مجلة الإمامة، العدد ٩٥٣، سنة ١٤٠٧هـ. وتحديد الليلة ذكره إبراهيم ابن حمد الجليلي، انظر الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

وثلاث من الإناث.

وذكر شيخنا عبد المحسن العباد أنه سمع الشيخ يقول : إنه سمى أبناءه بعبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم، حسب الترتيب المذكور في البسملة.^(١)

أشقاؤه :

الدكتور عبد الله : رئيس قسم التاريخ في جامعة الملك سعود بالرياض، والأمين العام لجائزة الملك فيصل، وعضو مجلس الشورى.

الأستاذ عبد الرحمن : مدير عام الإدارة المالية والإدارية بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.^(٢)

وله شقيقة واحدة، وهي زوجة ابن عمّ الشيخ محمد السلیمان العثيمين.^(٣)

أحفاده :

للشيخ واحد وعشرون حفيداً من أبنائه وبناته.^(٤)

(١) محاضرة الشيخ العباد (سبقت).

(٢)، (٣) المسالية، العدد ٥٧١٦.

(٤) المسالية، العدد ٥٧١٦.

الفصل الثاني

أحوال البلاد والنشأة وطلبه للعلم

المرحلة الأولى

الحالة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية التي صاحبت نشأته.

نشأ الشيخ رحمه الله تعالى في بداية استقرار الأوضاع في الجزيرة، واستتباب الأمن فيها، حيث صدر المرسوم الملكي الذي يتضمن اسم المملكة العربية السعودية، واسم مليكتها.

وذلك بعد خضوع البلاد للملك عبد العزيز رحمه الله تعالى، وكان ذلك عام ١٣٥١هـ^(١) وعمر المترجم يقارب الخمس سنوات.

ثم أخذت أوضاع البلاد الاقتصادية في النمو التدريجي، وذلك بعد اكتشاف البترول عام ١٣٥٧هـ وبداية الانتعاش الاقتصادي الذي كان له الأثر الكبير على الأوضاع الاجتماعية والتعليمية.

وكان عمر الشيخ وقتئذٍ حوالي عشر سنوات، وفي هذا الوقت كان الشيخ قد بدأ في طلب العلم فعلاً، حيث قال عن نفسه :

«بدأت في تلقي العلم من السنة التاسعة من عمري تقريباً»^(٢).

(١) انظر : جوانب من تاريخ المسلمين للدكتور عبد الله الصالح العثيمين.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

من هذا يتبين أن الأوضاع العامة كانت مطمئنة ومبشرة بمستقبل أفضل يسوده الأمن والاستقرار وتيسر سبل العيش، مما يُيسّر لطالب العلم المضي قدماً، بعيداً عن المتعصبات وقلقل الفتن، التي كثيراً ما أزاحت الأفذاذ من طلاب العلم عن مسيرتهم. وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : (عجبت من أقوام أكلت الدنيا أكبادهم، وقد وعت قلوبهم القرآن). نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

ومع أن الشيخ رحمه الله تعالى عاش في بداية الطفرة - كما يطلق عليها - إلا أنه نشأ في أسرة متوسطة الحال، فقد كان والده يعمل في التجارة بين الرياض وعنيزة، ثم استقر في عنيزة وعمل قبل وفاته بدار الأيتام بعنيزة، كما حدّثت بذلك شقيقة الشيخ رحمه الله تعالى.

وقد سُئل الشيخ رحمه الله تعالى : هل اشتغلت بالتجارة إلى جانب طلبك للعلم؟ فقال : لا، لأن الوالد رحمه الله كان في الرياض، وكان ميسور الحال.^(١) فلم تيسّر له سبل الرفاهية في الطلب، حيث يصف الشيخ المكان الذي يقرأ فيه بأنه (غرفة من طين، تطل على زريبة بقر).^(٢) فله درّه، ورحمة الله عليه.

فليس هناك : مباني شاهقة، ومكاتب فارهة، وكراسي دائرة، ومكتبة عامرة، وسيارة فاخرة، والتي يظن العديد من طلاب العلم أنها كلها من لوازم الطلب، بل من ضرورياته، فليت طلاب العلم يعتبرون.

وكان من توفيق الله جل وعلا أن نشأ الشيخ في أسرة معروفة بالدين والاستقامة، فال عثيمين هم أحوال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى - كما سبق بيانه - وجد

(١) مجلة اليمامة، العدد ٩٥٣.

(٢) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

الشيخ محمد - لأمه - هو الشيخ عبد الرحمن ابن سليمان آل دامغ الإمام والمدرس في مسجد الخريزة^(١) بعنيزة، والذي كان الأستاذ الأول للمترجم، وقد بدأ في قراءة القرآن عليه حتى أمّه نظراً، كما قال عن نفسه.

ولاشك أنه صاحب هذه البداية المبكرة في الطلب (تسع سنوات) - بعد توفيق الله تعالى - عدة أمور كانت عاملاً مهماً في إنجازها المرحلة الأولى.

ومن تلك الأمور : ذكاؤه، وفطنته، وهي أمانة بادية للناظر في وجه الشيخ لأول وهلة، وكذا حفظه وقوة ذاكرته، وهذه يعرفها جيداً من خالطه وصاحبه، وكذا صبره على عناء الطلب وتكرار الحفظ، ومكابدة الليالي في ذلك، وعمارته النهار بالمراجعة والتكرار.

وبعد هذه المرحلة أو صاحبها بدأ الشيخ في تعلم مبادئ الكتابة في «الكتائب» كما يقول رفيقه العلامة الشيخ عبد الله البسام.^(٢)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى :

«ثم تعلمت في مدرسة أخرى الكتابة، وشيئاً من الحساب والأدب، ثم انتقلت إلى مدرسة ثالثة لحفظ القرآن عن ظهر قلب، وتم ذلك والحمد لله».^(٣)

وقد جاء ما يفيد أن الشيخ حفظ القرآن في وقت يسير جداً على شيخ آخر غير جده ؛ حيث قال الشيخ إبراهيم بن حمد الخطلي، وهو ممن عاصر الشيخ أكثر من خمس وأربعين سنة، ودرس عليه أكثر من عشرين سنة، قال عن الشيخ : «إنه حفظ

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٣) برنامج (في موكب الدعوة) بإذاعة القرآن الكريم بالرياض.

القرآن في ستة أشهر عند المعلم الكفيف علي بن عبد الله الشحيتان^(١)، وبهذا النقل يتبين أنه لم يحفظ القرآن على جده، بل قرأه عليه نظراً، ثم حفظه على غيره كما سبق. وقد كان لحفظه القرآن الكريم في هذه السن المبكرة أثر بالغ في رسوخه في صدره، وقوة استحضاره له، زادت مع مرور السنين والأعوام، والذي سمع الشيخ وحضر دروسه ومناقشاته واستدلالاته يرى هذا جلياً واضحاً. فالشيخ سريع الاستحضار للأدلة من القرآن الكريم، فمضى أراد الاستدلال أسعفته الذاكرة، وقوة الحافظة، ويظهر هذا أيضاً في تلاوته في الصلاة سواء الصلوات المفروضة أو صلاة التراويح، فالشيخ الإمام يرتل القرآن في سهولة ويسر، لا يتعنع ولا يتردد بل يقرأ في تدبر وتأمل، ويتوقف عند مواطن العبر في الآيات الكرمات، ولو أن بعض التسجيلات قاموا بجمع تلاوات الشيخ المنتثرة في العديد من الأشرطة، لكان عملاً مفيداً يؤخذ منه الكثير من الفقه.

ويبدو أن الشيخ في هذه الفترة كان لديه فهم في الاطلاع والمطالعة والقراءة، لكن نظراً لعدم توفر الكثير من الكتب لديه فإنه كان يستفيد من مكنتات الشيوخ، والقضاة.

من ذلك : ما رواه الشيخ أحمد القاضي قال :

(كان من أخص خصائصه التي عُرف بها واشتهر؛ حرصه على العلم، وقد حدثني بعض ذوي الشيخ عبد الله بن محمد المانع رحمه الله، الذي كان قاضياً في عنيزة حتى سنة ١٣٦٠ هـ حدثني بعض ذويه أنّ الشيخ في صباه كان يأتي إلى منزلهم في الصباح الباكر، وعلى رأسه قفّة يحمل فيها كتبه وأوراقه، فيطرق

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥. وهذا الموضوع لم يحرره الكثير ممن تكلم على الشيخ. والله أعلم.

الباب، ويسلم ويستأذن فيصعد إلى المكتبة، فيبقى فيها إلى قريب الظهر، ثم بعد ذلك ينزل ويسلم وينصرف، وكان ذلك بعد ولم يبلغ الحلم^(١).

المرحلة الثانية

بداية الطلب على الشيوخ

[وعمر الشيخ حوالي ١٧ عاماً]^(١)

بعد مرحلة التأسيس السابقة في حفظ القرآن وأوليات العلوم، بدأت مرحلة التلمذ على الشيوخ بطريقة تدريجية ناجحة، ويبدو أنها كانت من وضع الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - فالطالب قبل أن يبدأ بالسماع منه فإنه يمر بعدد من طلاب الشيخ القدامى الذين خصصهم لتدريس صغار الطلبة، فإذا قضوا في الطلب مدة معقولة، وتلقوا على أيديهم من مبادئ العلوم الشرعية ما يؤهلهم للدراسة على علامة القصيم فإنهم عندئذ يرشحون للقراءة على السعدي رحمه الله تعالى، وهذا ما حدث مع المترجم.

فقد عين الشيخ السعدي شيخين من كبار طلابه لتدريس صغار الطلاب..

هما:

الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع رحمه الله تعالى.

والشيخ علي بن حمد الصالحي رحمه الله تعالى.

(١) المجلة الإسلامية، إذاعة القرآن الكريم.

(٢) مجلة البسامة، العدد ٩٥٣.

ترجمة الشيخين

١- الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع.

ولد في عنيزة عام ١٣١٧هـ وقد تلمذ على علمائها، وكان شغوفاً بكتب ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى.

وقد تلمذ على الشيخ السعدي، ولازمه ملازمة تامة. فقرأ عليه في التوحيد، والحديث، والتفسير، والفقه، والنحو. وبرع في ذلك وأجاد، مما جعل الشيخ السعدي رحمه الله تعالى يكلفه بالجلوس لصغار الطلبة لتعليمهم مبادئ العلوم الشرعية، وقد أدى ما أسند إليه بنجاح، ووفق في ذلك.

وقد تولى قضاء الجمعة، ثم عنيزة، ثم الخرج، حتى أصيب بمرض ضغط الدم، وسافر إلى لندن للعلاج، وتوفي بها، ودُفن فيها سنة ١٣٨٣هـ رحمه الله تعالى وغفر له.^(١)

وكان تدريس الشيخ المطوع بالجامع الكبير بعنيزة من عام ١٣٦٠هـ إلى عام ١٣٦٤هـ.^(٢) أي أن عمر ابن عثيمين في هذه الفترة يقارب في أولها ثلاثة عشر عاماً، وفي نهايتها يقارب سبعة عشر عاماً، وقد تلمذ على يد شيخه المطوع خلال هذه الفترة، وأنهى دراسته عليه وعمره حوالي سبعة عشر عاماً، هذا على القول بأن تدريس المطوع في الجامع^(٣) توقف في السنة المذكورة، وإلا فقد سئل الشيخ ابن عثيمين عن عمره وهو يدرس على الشيخ المطوع؟ فقال: ما بين ١٧ إلى ٢٠ سنة.^(٤)

(١) انظر فقه ابن سعدي (١/٦٤).

(٢)، (٣) الدعوة، ١٧٧٨.

(٤) اليمامة العدد ٩٥٣ سنة ١٤٠٧هـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين «كنت من نصيب الذين يقرؤون على الشيخ المطوع»^(١).

الكتب التي درسها عليه :

وقد قرأ ابن عثيمين رحمه الله تعالى على الشيخ المطوع الكتب التالية :

- ١- (مختصر العقيدة الواسطية) اختصار الشيخ السعودي.
- ٢- (منهاج السالكين في الفقه)^(٢) وهو كتاب لطيف جمع فيه الشيخ السعودي مسائل الفقه بطريقة مبسطة جداً ولطيفة، مشتملاً على الفوائد المنتقاه من بطون كتب الفقه، يصلح للمبتدئين.
- ٣- (الأجرومية)^(٣) في النحو للعلامة ابن آجروم.
- ٤- (الألفية)^(٤) في النحو للعلامة ابن مالك، وهو من الكتب المتقدمة.

وقت الدرس :

وكانت دروس الشيخ المطوع بعد صلاة العشاء الآخرة وفي الصباح من طلوع الشمس حتى يحين ابتداء تدريس الشيخ السعودي.^(٥)

والشيخ المطوع هو الذي طلب منه بعد وفاة شيخه السعودي مع أمير عزيمة أن يكون خلفاً للشيخ في الجامع والمكتبة، فوافق عن ذلك.^(٦)

(١) برنامج (في موكب الدعوة) إذاعة القرآن الكريم بالرياض.

(٢)، (٣)، (٤) الحكمة، العدد الثاني، ص ٢٢، ولم يذكر الشيخ في الحوار معه في (في موكب الدعوة) الألفية.

(٥) شريط ابن عثيمين (علم وعمل)، «مؤسسة الاستقامة» ضمنه عدد من تلاميذ الشيخ وأقرانه.

(٦) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

٢- الشيخ علي بن حمد الصالحي.

قال عنه صاحب (فقه ابن سعدي) :

«له نشاط واسع في نشر رسائل شيخه، وهو صاحب مطبعة النور، وكل إليه الشيخ رحمه الله تدريس صغار الطلبة، قدم الكثير من رسائل شيخه، وأبرزها إلى الوجود، فانتفع بها علائق كثيرون»^(١).

توفي رحمه الله تعالى في أواخر عام ١٤١٤ هـ^(٢)، ويقال ١٤١٥ هـ^(٣).

والشيخ الصالحي هو الذي أشار على ابن عثيمين بالالتحاق بالمعهد العلمي بالرياض، بعد استئذان الشيخ من ابن سعدي كما أخبر الشيخ بذلك عن نفسه^(٤).

وللشيخ الصالحي كتاب نافع جمع فيه تفسير ابن القيم رحمه الله تعالى من كتبه، سماه : السراج المنير^(٥).

الشيخ عبد الرحمن بن عودان :

يشير الترتيب الزمني الذي ذكره الشيخ في طلبه للعلم، أن الشيخ ابن عثيمين في هذه الحقبة الزمنية قرأ على أحد مشايخ عزيزة الفضلاء، وأحد قضائهما المشهورين، ألا وهو الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان، وهذه نبذة مختصرة عن حياته :

(١) فقه ابن سعدي (٦٢/١).

(٢) عندما ذكره الأخ وليد الحسين في جملة الحكمة ذكر أنه كان علي قيد الحياة، وقد صدرت المجلة بتاريخ ١٤١٤/٩/١٤م فيظهر أن وفاته بعد هذا التاريخ، حيث ذكر غير واحد أن وفاته في ١٤١٤م، فعين أن تكون بعد هذا التاريخ والله أعلم.

(٣) انظر شريط ابن عثيمين (علم وعمل) تسجيلات مؤسسة التقوى بعينزة.

(٤) عكاظ، حديث الذكريات، العدد ١٢٥٥٦.

(٥) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز ص ٦٣٣، للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة.

ولد في شقراء عام ١٣١٥هـ، وتلقى علومه الأولية، وحفظ القرآن الكريم في بلدته، ثم انتقل إلى الرياض لطلب العلم على علمائها، وعين قاضياً لبلدة العسيلة حتى عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)، ثم انتقل إلى شقراء ليعمل قاضياً لها وللقرى المجاورة، ولجميع مناطق الوشم، ثم تولى في الفترة من عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) إلى عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) قضاء عنيزة، ومنها انتقل إلى الرياض حيث عمل مدرساً بالمعهد العلمي، وإماماً لجامعها الكبير، ثم عيّن قاضياً بمحكمة الرياض، وتوفي رحمه الله بشقراء عام ١٣٧٤هـ.^(١)

والشيخ ابن عودان هو الذي عيّن الشيخ السعودي إماماً وخطيباً للجامع الكبير بعنيزة في رمضان، عام ١٣٦١هـ وهي حسنة من حسنات الشيخ ابن عودان حفظها له أهل عنيزة لما حصل لهم من خير عظيم.^(٢) وقد قرأ عليه المترجم في عِلْمِي: الفرائض، والفقه، كما أخبر بذلك عن نفسه.^(٣) وكانت جلسات الشيخ العودان رحمه الله تعالى بعد صلاة الظهر، وبعد صلاة الفجر.^(٤)

قال الشيخ ابن عثيمين: «ثم تتلمذت على يد شيخي وأستاذي الشيخ السعودي».^(٥) وهي المرحلة القادمة، وهي دخول شيخنا المترجم إلى المدرسة السعودية أو الجامعة السعودية، كما أطلق عليها بعضهم، وهي مرحلة التأسيس والبناء العلمي للشيخ ابن عثيمين. فإلى هذه المرحلة.

(١) معجم الأدباء والكتاب، ص ٢٥٧، ط: ١، ١٤١٠هـ.

(٢) فقه ابن سعدي (٢٤/١).

(٣) عكاظ، حديث الذكريات، العدد ١٢٥٥٦.

(٤) الإمام ابن عثيمين علم وعمل - مؤسسة الاستقامة - عنيزة.

(٥) عكاظ، العدد ١٢٥٥٦.

المرحلة الثالثة

التتلمذ على علامة القصيم

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى

(١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ)

بعدها انتهى شيخنا من الدراسة على الشيخ المطوع، كان عمره حوالي ثمانية عشر عاماً.

وقد صار شاباً يافعاً، واعياً، مُدركاً، نبيهياً، ذكياً، قد سار في درب العلم بالتدرج الذي وضعه له شيخه السعدي، وقد حصل مبادئ العلوم، وفي مقدمة ذلك حفظه كتاب الله عز وجل.

فاستحق عندئذ أن يترع بين يدي علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، والذي يربطه بتلميذه المترجم علاقة نسب، سبق بيانها في أول الكتاب، مما كان له الأثر الكبير في قوة العلاقة بينهما، وعناية الشيخ به مع ما رزقه الله تعالى من ذكاء وفطنة فاق بهما أقرانه من طلاب ابن سعدي.

وقد ابتدأ شيخنا في الدراسة على علامة القصيم عام ١٣٦٥هـ تقريباً، ولازم شيخه حتى عام ١٣٧٦هـ، أي ما يقارب «أحد عشر عاماً»^(١).

وقد حاول التلميذ النجيب جاهداً أن يستفيد من شيخه في أي وقت يتيح له ذلك، حتى في أثناء سير السعدي في الطريق.

(١) المحكمة، العدد الثاني ص ٢١.

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

«حدّثني ولد الشيخ عبد الرحمن - يعني السعدي - أنّ الشيخ محمد بن عثيمين كان يمشي مع أبيه إلى مكان الدعوة التي يدعى إليها الشيخ عبد الرحمن السعدي فيسأله طيلة الطريق حتى يصل إلى بيت المدعو؛ ثم يعود الشيخ محمد، ويدخل مع الشيخ عبد الرحمن - أحياناً -...»^(١)

وقد تأثر شيخنا المترجم بشيخه السعدي تأثراً كبيراً، ظهر ذلك في علمه، وأخلاقه، ودعوته، وتدرّسه، ومؤلفاته، ومنهجه مع الآخرين. وذلك بشهادة المترجم نفسه حيث قال يصف شيخه :

«إن الرجل قل أن يوجد مثله في عصره، في عبادته، وعلمه، وأخلاقه. حيث كان يعامل كلاً من الكبير والصغير بحسب ما يليق بحاله.

ويتفقد الفقراء فيوصل إليهم ما يسد حاجتهم بنفسه، وكان صبوراً على ما يلم به من أذى الناس، وكان يحب العذر ممن حصلت منه هفوة، حيث يوجهها توجيهاً يحصل به عذر من هفا...»^(٢)

لذلك فإنني لن أتعرّض هنا لترجمة ابن سعدي، لأن ذلك سيأخذ قسماً كبيراً من الكتاب، وأيضاً فقد كُتبت في الشيخ كتابات موسعة، ودراسات مستفيضة.^(٣)

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) فقه ابن سعدي (١/ ٧٦).

(٣) انظر على سبيل المثال : (الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة) للشيخ عبد الرزاق العباد، و(حياة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في سطور) لأحمد القرعاوي، (صفحات من حياة علامة القصيم) للطيار، و(مجلة الجامعة الإسلامية السنة ١١ العدد ٤ ص ٢٠٧، و(علماء نجد) للبهاس، المجلد الثالث، و(روضة الناظرين) للقاضي ٢٢٢/١.

ولكنني سأقتصر على بعض مواطن التأثير في ابن عثيمين، والتي أشار الشيخ إليها، أما تطبيقها في حياة الشيخ العلمية، والعملية، فهذا سيأتي تفصيلاً في الكلام على حياة الشيخ نفسه. رحم الله الجميع.

١- سلفية ابن سعدي :

قال عنه الشيخ محمد حامد الفقي الداعية والعالم السلفي المصري المشهور:

«... لقد عرفت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي أكثر من عشرين سنة، فعرفت فيه العالم السلفي المدقق المحقق، الذي يبحث عن الدليل الصادق، وينقب عن البرهان الوثيق، فيمشي وراءه، لا يلوي على شيء...»^(١)

وقال : «.. عرفت فيه العالم السلفي الذي فهم الإسلام الفهم الصادق، وعرف فيه دعوته القوية الصادقة إلى الأخذ بكل أسباب الحياة العريضة، القوية الكريمة النقية...»^(٢)

والناظر في كتب الشيخ في العقيدة يرى ذلك جلياً.

ومن أبرز تلك المؤلفات :

- ١- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية.
- ٢- توضيح الكافية الشافية.
- ٣- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان.
- ٤- الدر البهية شرح القصيدة الثابتة في حل المشكلة القدرية.
- ٥- القول السديد في مقاصد التوحيد.
- ٦- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحددين.

(١)، (٢) فقه ابن سعدي (١/٧٦).

٢- تواضع ابن سعدي، وسمو أخلاقه، ولين جانبه :

لقد أثر ابن سعدي كثيراً في تلميذه النجيب ابن عثيمين بحسن خلقه وتواضعه، وبذله نفسه للناس، مما جعل ابن عثيمين يبين مدى تأثره بشيخه حيث يقول :

«وكذلك أيضاً تأثرت به من ناحية الأخلاق الفاضلة، وكان رحمه الله على قدر في العلم والعبادة، بما يمازح الصغير، ويضحك إلى الكبير، وهو ما شاء الله من أحسن من رأيت أخلاقاً»^(١).

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«سمعت عن رؤيا له (أي لابن عثيمين) في شيخه (أي : السعدي) فسألته عنها في أحد مواسم الحج.

قلت : ذكر أنكم رأيتم شيخكم عبد الرحمن السعدي في المنام، فسألته: ما أكثر ما نفعك عند الله ؟ فقال : حسن الخلق.

فهل هذه الرؤيا صحيحة ؟ فقال : «نعم، غير أنني لا أذكر الآن، هل قال لي تقوى الله، أو حسن الخلق». ثم عقب الشيخ المنجد قائلاً : لكن الرواية التي سمعتها جزءاً من بعض طلاب الشيخ أنه قال له : أكثر ما نفعه عند الله حسن الخلق.^(٢)

وقال عنه تلميذه الشيخ عبد الله البسام واصفاً شيخه السعدي :

«له أخلاق أرق من النسيم.

وأعذب من السلسيل.

(١) حوار مع الشيخ في مجلة اليمامة، العدد ٩٥٣.

(٢) سمعت هذا من الشيخ المنجد في محاضرة ألقاها في مسجد الحرس الوطني بالرياض، بعنوان ١٠٠

فائدة من العلامة ابن عثيمين.

لا يعاتب على الهفوة.
 ولا يؤاخذ بالجفوة.
 يتودد ويتحجب إلى البعيد والقريب.
 يقابل بالبشاشة.
 ويحيى بالطلاقة.
 ويعاشر بالحسنى.
 ويجالس بالمنادمة.
 ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والوُدِّ.
 ويعطف على الفقير والصغير.
 ويذل طاقاته ووسعه.
 ويساعد بماله، وجاهه، وعلمه، ورأيه، ومشورته، ونصحه، بلسان صادق،
 وقلب خالص، وسرٍّ مكتوم...»^(١)
 وقال عنه تلميذه القاضي :
 «وكان رحمه الله تعالى ذا دعابة.
 يتحَبَّب إلى الخَلْقِ بحسن خَلْقِهِ.
 مرحاً للجلس.

لا يُرى الغضب في وجهه.

(١) علماء نجد (١/٤٢٩)، بواسطة فقه ابن سعدي (١/٣٥).

طَلَقَ الوجه.

كريم الخيا..

يتكلم مع كل فرد بما يناسب حاله.

ويدفع للفقراء من الطلبة الأموال ليتجردوا عن الانشغال في وسائل المعيشة.
وكان متواضعاً يسلم على الصغير والكبير، ويحيب الدعوة، ويزور المرضى،
ويشيع الجنائز...»^(١)

٣- طريقة تدريس ابن سعدي :

أمّا من ناحية تأثر الشيخ ابن عثيمين بابن سعدي في التعليم والدرس، فيقول
شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى :

«إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس، وعرض العلم، وتقريبه للطلبة
بالأمثلة والمعاني»^(٢)

ويذكر عنه أيضاً الشيخ عبد الله الطيار أنه قال له ذات مرة في أحد اللقاءات
الخاصة : «كان شيخنا العلامة ابن سعدي - رحمه الله تعالى - يدرّبنا على الإلقاء
والمناقشة، وفهم المسائل بدقة، وذلك بوضع مناقشة بيننا.

يجعل طالباً يتبنّى قولاً لأهل العلم، وآخر يتبنّى القول الآخر، ثم يناقش كلُّ
منهما صاحبه بحضور بقية الطلاب ليتبين القول الراجح من عنده، مع الاستفادة

(١) روضة الناظرين (١/ ٢٢٤) بواسطة فقه ابن سعدي.

(٢) صفحات من حياة الفقيه العالم الزاهد، للدكتور عبد الله الطيار (المجلة العربية، عدد ٤٨ سنة

وقدرة بعض الطلاب على إيراد الاعتراضات والمناقشة، وحصر الأدلة، وذلك تحت توجيه شيخنا وقد استفدت من ذلك كثيراً»^(١).

وقد قام أحد طلبة ابن عثيمين بسؤاله عن طريقة الشيخ السعدي في الدرس، فأجابهُ قائلاً: «انظر ما أقوم به أنا في الدرس، فهو ما كان يصنعه السعدي رحمه الله تعالى»^(٢).

وقال الشيخ أيضاً يصف منهج شيخه:

«المنهج الذي كان الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى يسلكه ليس له نظير في وقته، إذ كان عادة الناس فيما سبق، أن الطالب يقرأ الكتاب، ثم يعلق عليه الشيخ بما شاء الله.

أما شيخنا فإنه كان يشرح الكتاب شرحاً وافياً، ويربط المسائل بعضها ببعض حتى يفهم منه الطلاب كثيراً، وكان يلقي أحياناً على الطلبة ألغازاً يشحد بها أذهانهم.

وأحياناً يلقي على الطلبة أسئلة مكتوبة بيده، ويعطيهم إياها، ويعملهم يومين أو ثلاثاً حسب ما يرى في الجواب عن هذا السؤال، وكان طريقته قبل أن ألحق به أحسن بكثير، لأن الناس كانوا كثيرين عنده، وعندهم نشاط، واطلعت على كتاب مخطوط، جعل رحمه الله تعالى طلبته قسمين في المسائل الخلافية، فمثلاً إذا كانت مسألة خلافية يكون فيها رأي لشيخ الإسلام ابن تيمية، والمشهور من المذهب الحنبلي، قسمهم قسمين.

(١) المصدر السابق ص ١٤.

(٢) شريط الإمام ابن عثيمين - بعد الوفاة - (تسجيلات صدى القوى بالرياض).

وقال لقسم انتصروا للمذهب واذكروا ما تستطيعون من الأدلة والتعليلات، وقال للآخرين انتصروا لشيخ الإسلام ابن تيمية واذكروا ما يقوي قوله من الأدلة والتعليلات، وكان هذا الكتاب جيداً والطلاب يكتبونه، وكل واحد يكتب ما عنده، لأنهما كأنهما يتناظران.

ومسلكه مع تلاميذه : مسلك الأب المربي لهم بمقاله وفعاله رحمه الله، وكان كثيراً ما يلقي في نفس الدرس شيئاً يروح عن النفس، وربما تبسم.

وكان رحمه الله في منهجه مع عامة الناس مضرب المثل في التواضع، والخلق، والسرية التامة فيما يخرج من الصدقات للفقراء، وكان الناس في ذلك الوقت أشد حاجة من اليوم، فكان يذهب إلى الرجل ذي العائلة الكبيرة في وقت يقل فيه المشي في الأسواق، ويدق عليه الباب ويعطيه ما عنده، وربما لا يدري من هو»^(١).

هذا ما ذكره ابن عثيمين عن شيخه.

يوضح ذلك ما كتبه السعدي رحمه الله تعالى عن الطريقة التي ينبغي أن يسلكها المعلم مع طلابه، فيقول رحمه الله تعالى :

«وينبغي سلوك الطريق النافع عند البحث تعلماً وتعلماً، فإذا شرع المعلم في مسألة وضّحها وأوصلها إلى أفهام المتعلمين بكل ما يقدر عليه من :

التعبير، وضرب الأمثال، والتصوير والتحرير، ثم لا ينتقل عنها إلى غيرها قبل تفهيمها للمتعلمين.

(١) برنامج (في موكب الدعوة) إناعة القرآن الكريم في الرياض.

ويقول أيضاً :

وينبغي تعاهد محفوظات المتعلمين ومعلوماتهم :

بالإعادة، والامتحان، والحث على المذاكرة، والمراجعة، وتكرار الدرس.

فإن التعليم بمنزلة الغرس للأشجار. والدرس والمذاكرة والإعادة بمنزلة السقي لها، وإزالة الأشياء الضارة عنها لتنمو، وتزداد على الدوام.^(١)

وقد استفاد شيخنا ابن عثيمين من هذه التوجيهات العظيمة فكان يتعاهد محفوظاته مع زملائه من الطلاب النابغين الملازمين للحلقات السعدي والذين برزوا بعد ذلك ونفع الله بهم ومن هؤلاء فضيلة الشيخ القاضي، والعلامة عبد الله البسام صاحب المصنفات المشهورة حيث يحدثننا عن تلك الفترة الزمنية في الدراسة وطلب العلم والمذاكرة مع ابن عثيمين.

ويحدد طريقته مع الشيخ في مراجعة القرآن وحفظ المتون فيقول : «كُنَّا نقرأ في الكتابيب في مدينة عنيزة، ثم شرعنا بالقراءة على شيخنا العلامة عبد الرحمن بن سعدي، تزاملت أنا والفقيه نحو عشر سنوات قرأنا فيها الكثير من العلوم الشرعية والعربية على يد شيخنا السعدي، وكان لي مع الفقيه زمالة خاصة، فكنت أنا وإياه نحفظ المتون العلمية من الحديث كـ «بلوغ المرام» و«عمدة الأحكام».

ومن كتب الفقه «مختصر المنقح».

ومن كتب اللغة «ألفية ابن مالك في النحو» و«القطر يعني - قطر الندى - لابن هشام» حيث كنا نندرس المتون في الفترات التي لا يكون فيها درس شيخنا ابن سعدي - رحمه الله تعالى - في العصر والساعات الأولى من الليل..

(١) الفتاوى السعدية ص ٦٥٢، ط : المؤسسة السعدية بالرياض.

وكل منا يحفظ القرآن وتنتدarseه، يقرأ هو حزباً، وأنا بعده حزباً، واستمررتنا على ذلك نحو عشر سنوات.. حتى التحقت أنا بدار التوحيد بالطائف، والتحق هو بالمعهد العلمي بالرياض»^(١).

ولذا فقد كان شيخنا المترجم يوصي بالحفظ جدّاً، ويقول :

(قرأنا كثيراً فلم يبق معنا إلا ما حفظنا).^(٢)

فله درها من نصيحة تذكرونا بقول الرحي رحمة الله تعالى :

وَالثَّلَاثَانِ وَهُمَا التَّمَامُ فَاحْفَظْ فَكُلُّ حَافِظٍ إِمَامٌ

وقال الشيخ القاضي عن ابن سعدي :

«ولقد أكّـب على المطالعة في كتب الفقه والحديث طيلة حياته، خصوصاً على

كتب الشيخين - ابن تيمية وابن القيم - فقد كانت له صبوراً وغبوقاً»^(٣).

ومن أراد أن يرى كيف استفاد السعدي من كتب الشيخين، فليقرأ الكتاب

الغذ المسّمى «طريق الوصول إلى العلم المأمول» الذي جمع فيه السعدي من كتب

ابن تيمية (٨٢٧) قاعدة وأصلاً، لخصها من (٣٩) كتاباً غير الفتاوى المتفرقة.

وجمع فيه أيضاً من كتب ابن القيم حوالي (١٨٩) قاعدة وفائدة، من حوالي

عشرين كتاباً.

وقد بدا هذا التأثير جلياً في منهج ابن عثيمين العلمي، حيث كان كثير

التعرججات على ترجيحات الشيخين، والتعويل عليها، خاصة إذا لم يجد دليلاً واضحاً

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) فائدة من العلامة ابن عثيمين، محاضرة للمتحّد (سبقت).

(٣) روضة الناظرين ٢٢١/١ بواسطة فقه ابن سعدي (٩٣/١).

في المسألة، فإنه لا يكاد يعدو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، كما قال بعض المقربين منه من أهل العلم.^(١)

٤- عموم دعوته :

قال ابن عثيمين عن شيخه : «أذكر أنه كانت ترد عليه رسائل من دول الخليج والهند وغير ذلك، رغم أن وسائل الإعلام ليست كما هي الآن». ^(٢) وقد ظهر ذلك جلياً في حياة ابن عثيمين، فقد كان الشيخ يحرر الرسائل بنفسه، مجيباً على أسئلة المستفتين من مشارق الأرض ومغاربها.

وقد سبق ذكر صورة من كتابات الشيخ بخطه وإجاباته على الأسئلة.

٥- براعته في التفسير وقواعده، والفقه وأصوله :

قال عنه تلميذه ابن عثيمين :

«شيخنا عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله تعالى - كانت حياته حياة علم وعمل. وكان رحمه الله بارزاً في علم التفسير وعلم الفقه، وحكم وأسرار الشريعة، متأثراً فيه بشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم». ^(٣)

والناظر في كتب ابن سعدي في التفسير سواء «تيسير الكريم الرحمن» أو مختصره، يرى براعة الشيخ في استنباط الحكم والأحكام، وبعده عن الإسرائيليات واقتصاره على ما دلّ عليه الدليل، ولو بالإيماء والإشارة، ويفوق ذلك كله عنايته

(١) شريط الإمام ابن عثيمين (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٢) علماؤنا، ص ٨.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

بأمر العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه في الحقيقة غاية الفوائد من هذا الكتاب العظيم، خاصة للطالب المبتدئ المتبني للهدى، والذي يخشى عليه من اغتراره بالمذاهب المضلة، والتي حشيت بما عدد من التفاسير التي بأيدي الناس.

أما في الفقه فيمتاز أسلوب الشيخ السعدي بالبساطة والقرب، وسهولة الفهم، مع اعتصامه بالدليل.

ومن أوضح ما يدل على ذلك من كنه :

«كتاب الاختيارات الفقهية، ومنهاج السالكين وكتاب إرشاد أولي الأبصار والألباب، لنيل الفقه بأحسن الطرق وأيسر الأسباب...».

أما في القواعد ففي التفسير يأتي كتابه «القواعد الحسان» في مقدمة كتب القواعد، وهو اسم على مسماه، فهي قواعد حسان بديعة جليلة القدر، عظيمة النفع، كما قال عنها مؤلفها.

ضمناها سبعين قاعدة في التفسير.

وفي قواعد الفقه وأصوله :

تأتي منظومته المشهورة في القواعد الفقهية، والتي يقول فيها :

وَهَذِهِ قَوَاعِدُ نَظْمُهَا
مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ حَصَلَتْهَا
جَزَاهُمْ الْمَوْلَى عَظِيمَ الْأَجْرِ
وَالْعَفْوِ مَعَ غُفْرَانِهِ وَالْبِرِّ

وقد وضع عليها الشيخ تعليقا لطيفا بين معانيها ويسر فهمها.

وقد كتبها وعمره حوالي أربعة وعشرين عاماً، عام ١٣٣١ هـ، أي قبل ولادة شيخنا ابن عثيمين بستة عشر عاماً، والظاهر أنها من أقدم ما كتب، وبساطتها تدل على ذلك.

ولعله اختصر بعدها قواعد ابن رجب والذي أسماه «تحفة أهل الطلب بتجريد قواعد ابن رجب»^(١)، ثم تأتي بعد ذلك رسالته في أصول الفقه والتي قال في أولها:

«أما بعد : فهذه رسالة لطيفة في أصول الفقه، سهلة الألفاظ واضحة المعاني، معينة على تأمل الأحكام لكل متأمل معاني...»^(٢).

وللشيخ في القواعد والأصول كتاب حاز قصب السبق، وسارت به الركبان، وعكف طلاب العلم على دراسته في حلق العلم، ألا وهو كتاب «القواعد والأصول الجامعة، والفروق والتقسيم البديعة النافعة» ذكر في القسم الأول عدداً من جوامع الأحكام، وأصولها وقواعدها، وجمع في القسم الثاني الفروق بين المسائل المشتبهة، والأحكام المتقاربة، والتقسيم الصحيحة، وهو من أنفع العلم للمبتدئ والمنتهي، وقد يسر الله لنا قراءته على عدد من مشايخنا غفر الله لهم.

وبعد فهذه نبذة يسيرة عن تميز ابن سعدي في هذين الأمرين اللذين امتدحه بما تلميذه ابن عثيمين.

فكيف تأثر التلميذ بشيخه فيهما، في الأسلوب والمنهج، والقواعد والأصول.. الخ.

وهل نستطيع أن نقول إن التلميذ فاق شيخه فيهما ؟ لعل الجواب عن هذا يتضح عند دراسة هذين الجانبين عند شيخنا - إن شاء الله تعالى - رحم الله الشيخين وغفر لهما.

(١) أشار إلى ذلك الدكتور خالد المشيقح، وذكر أنه كتبه في سنة ١٣٣٦ هـ، البيان العدد ١٦٠.

(٢) نقلًا عن فقه ابن سعدي (١٣٨/١) وقد استندت كثيراً من هذا الكتاب، فجزى الله مؤلفه خير الجزاء.

٦- عناية السعدية بطلابه وتفقد أحوالهم :

وفي فترة تلمذة ابن عثيمين على العلامة ابن سعدي، كان ابن سعدي رحمه الله تعالى يشمل تلاميذه بالعناية، والرعاية، والمتابعة، ويسأل عنهم إذا غابوا، ويهتم جداً لحضورهم، وهذا منه الغاية في نصح الخلق، وخاصة طلابه. غفر الله له.

وإليك هاتين الحادتين لتعلم مدى حرص الشيخ على تلميذه النجيب ابن عثيمين. رحم الله الجميع.

قال الشيخ علي الشبل :

«الأولى : لما اشتغل الناس في عنيزة بفلاحة الوادي - وادي الرمة - وغرس النخيل فيه، وتوجهوا لذلك توجهاً عاماً، كان منهم والد ابن عثيمين وأعمامه، واستصبحوا معهم أبناءهم، ومنهم الشيخ محمد، حيث اشتغل شيخنا محمد ابن عثيمين في الزراعة في الوادي مع أهله نحواً من ثلاث سنين، فافتقده شيخه ابن سعدي وسأل عنه والده، كما سأله هو عن سبب تخلفه عن الدروس، فلما أعلمه الخبر، طلب الشيخ ابن سعدي ملحقاً على ابن خاله صالح بن سليمان ابن عثيمين إرجاع ابنه محمداً إلى عنيزة لمواصلة الدراسة، وحضور حلقات العلم المعقودة من ابن سعدي في الجامع الكبير.

الثانية : وكانت بعد تلك، حيث رحل العم صالح بن عثيمين، وإخوانه سليمان إلى الرياض للبحث عن سبل العيش بالتجارة، واستصبحوا معهم أبناءهم، وأكبرهم شيخنا محمد بن عثيمين، فافتقده الشيخ ابن سعدي، فطلب من والد الشيخ محمد بن عثيمين إبقاء ابنه محمداً في عنيزة لطلب العلم.

وقال له فيما قال :

«نريداً محمداً يبقى عندنا في عنيزة ليوصل الدراسة والطلب» فاستجاب أبوه لهذا مرة ثانية لما رأى من رغبة ابن عمه الشيخ السعدي الملحة، واستعداد ابنه - الشيخ محمد - العلمي، وتوجهه نحو الطلب.^(١)

وهذا يستفاد منه فائدة عظيمة وهي أهمية تتبع المعلم والشيخ الداعية لطلابه ومدعويته وسؤاله عنهم، وتفقدته أحوالهم، وقد كان هذا من ابن سعدي تطبيقاً لسنة النبي ﷺ وهديه مع أصحابه.

كما في حديث المرأة التي كانت تقم المسجد، وسؤاله عنها، وذهابه ﷺ للصلاة على قبرها.^(٢)

وكما في حديث سهل بن سعد في الصحيح^(٣) في قصة غزوة خيبر لما سأل عن علي رضي الله عنه حين افتقده فدعاه ليعطيه الراية.. الحديث. ولهذا نظائر كثيرة.

لهذا ينبغي لأهل العلم العناية بهذا الباب لما له من الأثر العظيم على الطلاب.

وقد عني شيخنا المترجم ابن عثيمين بهذا عناية عظيمة.

وسأذكر مما ذكر عنه صوراً عديدة :

منها ما حصل معي عندما كنت أحياناً لا أصلي التراويح في الجامع مع الشيخ، بل كنت أؤخرها إلى منتصف الليل أو آخره، فعندما افتقدني الشيخ دعاني، وسألني

(١) مجلة الدعوة، ١٧٧٩.

(٢) أخرجه البخاري حديث ٤٥٨، ومسلم حديث ٩٥٦.

(٣) أخرجه البخاري حديث ٤٢١٠، ومسلم حديث ٢٤٠٦.

عن سبب تخلفي عن الصلاة معه، فأخبرته بما رأيت، واستدللت على ذلك بأن عمر رضي الله عنه عندما جمع الناس، قال: (والذي ينام عنها خير) يعني إلى آخر الليل. فرضي الشيخ وترك العتاب عليّ - رحمه الله و غفر له -.

وكذلك الحادثة التي حصلت للأخ وليد الحسين عندما جاء مهاجراً إلى عنيزة لطلب العلم، ولم يكن عنده ما يتعاش منه، فاضطر إلى الانتقال إلى الدمام للعمل هناك، فانتقده الشيخ واتصل به طالباً منه الرجوع فوراً إلى عنيزة، وقام رحمه الله بشوونه وكفايته.^(١)

وغير ذلك كثير، كما سنذكر ذلك فيما بعد. إن شاء الله تعالى.

الكتب والفنون التي درّسها ابن عثيمين

على ابن سعدي رحمه الله تعالى:

قال الشيخ ابن عثيمين عن نفسه :

«ثم تتلمذت على يد شيخي وأستاذي الشيخ السعدي فقرأت عليه في :

التفسير، والفقه وأصوله، والفرائض، ومصطلح الحديث، والتوحيد، وشيئاً من النحو والصرف».^(٢)

فهذه ستة فنون تقريباً ذكرها الشيخ إجمالاً، ولم يذكر الكتب التي قرأها على شيخه، ولكن أشار الشيخ في موضع آخر إلى بعض ما قرأه، فقال :

«ثم لما كبرنا بدأنا في القراءة على شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي في :

(١) مجلة الحكمة، العدد الثاني، ص ٤٧.

(٢) عكاظ حديث الذكريات، ١٢٥٥٦.

قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، وفي زاد المستنقع في اختصار المنقح، وفي العقيدة الواسطية، وفي المنتقى في الحديث، وكتب أخرى»^(١). ولما كان الشيخ يقرأ على السعدي كتاب العقيدة الواسطية، قال رحمه الله تعالى:

«وما شجعتني على التأليف : أنه في حياة شيخنا عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله تعالى - كنا نقرأ عليه في العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكنت كطالب أكتب عليه شرحاً للآيات والأحاديث، ولكلام الشيخ ابن تيمية، وأظني كتبت أربعة دفاتر، ولكني ما كملتها، إلا أنني إذا كتبت شيئاً عرضته على الشيخ عبد الرحمن رحمه الله، وكان يشجعتني على ذلك كثيراً»^(٢).

زمن حلقات التدريس :

كانت دروس السعدي تبدأ بعد طلوع الشمس بساعة، وتستمر ساعتين، ثم يذهب إلى بيته للغداء في الضحى، ثم يرجع للتدريس للكبار في المنتهى أو المنتقى. وله درس قبل صلاة العصر في الحديث، ودرس بين العشاءين في النحو، وربما في تفسير القرآن الكريم، يتراوح ما بين النحو والتفسير.^(٣)

مدة الدراسة :

أما عن مدة الدراسة فكانت طيلة الأسبوع، ما عدا يومي الثلاثاء والجمعة.^(٤)

(١) برنامج (في موكب الدعوة) لإذاعة القرآن الكريم بالرياض.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٣) ذكره أحد تلاميذ السعدي القدامى. راجع شريط ابن عثيمين علم وعمل من تسجيلات مؤسسة الاستقامة بعنيزة.

(٤) ذكر هذا الأستاذ علي بن عبد الله السلطان، في ضمن كلامه عن الشيخ ابن عثيمين، انظر البيان، العدد ١٦٠.

وسياتي في تفصيل دروس شيخنا ابن عثيمين أن هناك فوارق في الأيام والمواعيد عن شيخه السعدي، ولا شك أن ذلك مما اقتضته حاجة الطلاب المقيمين عند الشيخ، أو المترددين عليه. رحمه الله تعالى وغفر له.

وبعد سبع سنوات من هذه الرحلة العلمية المباركة، والملازمة التامة للشيخ السعدي، وثني الركب في حلقته وملاحظته في جلوسه وسيره في الجامع وخارجه، مع ما وهبه الله تعالى للمترجم - أعني شيخنا ابن عثيمين من الذكاء والفطنة والجد والاجتهاد.

بعد هذه المدة تأهل ابن عثيمين لأن يجلس، ليقوم بالتدريس سنة ١٣٧١هـ في حلقات المبتدئين في حياة شيخه وتحت إشرافه.

وقد سبق بيان أن هذا المنهج هو الذي سلكه السعدي مع طلابه، فبعد أن كان التلميذ ابن عثيمين يدرس في حلقات المبتدئين على الشيخ المطوع أصبح الآن مدرساً في حلقات المبتدئين، تحت توجيه شيخه السعدي. رحمهما الله تعالى.

ولكن ذلك لم يَدُم طويلاً؛ فقد فتحت في تلك السنة المعاهد العلمية بالرياض، وأصبحت فكرة الالتحاق بالمعهد تراود الطالب المجتهد ابن عثيمين، ويستشير فيها من حوله، ومنهم الشيخ الصالح، فيشير عليه باستحسان الفكرة، أي الالتحاق بالمعهد العلمي بالرياض، وذلك بعد استئذان علامة القصيم وشيخها السعدي.

وهنا تبدأ مرحلة جديدة وهامة في حياة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى، وهي ترده بين الرياض وعينزة، وجمعه بين مدرسة الحديث والفقهاء.

المرحلة الرابعة

أبف عثيمين في المعهد العلمي بالرياض
وبيّن يدي علمائه ومشايخه

لا شك أن هذه مرحلة انتقالية هامة جدًّا في حياة الشيخ، فتحت له آفاقًا جديدة في العلم والمعرفة.

ففي سنة ١٣٧٢هـ وبعد افتتاح المعهد العلمي بسنة، التحق الشيخ بالمعهد. وكان المعهد يعمل في ذلك الوقت بما يسمى (نظام القفز) والذي يقول الشيخ عنه: «دخلت المعهد العلمي من السنة الثانية، والتحقّت به بمشورة من الشيخ علي الصالح، وبعد أن استأذنت من الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت، ينقسم إلى قسمين: خاص وعام، فكنت في القسم الخاص، وكان في ذلك الوقت من شاء أن يقفز، بمعنى أنه يدرس في السنة المستقبلية له في أثناء الإجازة، ثم يختبرها في أول العام الثاني، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها، وبهذا اختصرت الزمن»^(١).

وبهذا يتبين أن الشيخ دخل المعهد العلمي وعمره حوالي خمسة وعشرين عاماً. وقد بلغ فيها من النضوج العقلي والجسمي مبلغاً، أما نضوجه العلمي فواضح من مراحل التلمذة السابقة على علماء عنيزة، وبالأخص العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى.

(١) الإمامة، العدد ٩٥٣، لقاء صحفي مع الشيخ رحمه الله تعالى.

وهذا فقد كان ابن عثيمين متأهلاً للاستفادة من مشايخ المعهد؛ ويتضلع من علومهم، ويحسن الاستفادة منهم، ولا يضيع فرصة تسنح له؛ ليروي ظمأه من مناهل العلوم. وقد كان المعهد في ذلك الوقت، ومع بداية افتتاحه يضم نخبة من أهل العلم، قلما تجتمع في مكان واحد في وقت واحد.

منهم العلامة المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

ومنهم الإمام المحدث عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

ومنهم أستاذ الجيل العلامة الفقيه عبد الرزاق عفيفي. وغيرهم..

وعلى رأس هؤلاء صاحب فكرة إنشاء المعاهد العلمية، والذي أشار على الملك بها، وأسندت إليه رئاستها عالم عصره وعلامة مصره، الإمام المحقق المدقق الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. رحم الله الجميع وغفر لهم. وأسكنهم الفردوس الأعلى.

في ذلك الجو العلمي المبارك بدأ الطالب المجتهد النجيب ابن عثيمين يخطو خطواته الأولى في المعهد ويقعد في مقاعد الدراسة، وكان متميزاً بين أترابه.

يقول الشيخ عبد العزيز الداوود (عضو في دار الإفتاء) :

«إن الشيخ لما قدم الرياض كان مميزاً بالعلم والفهم، وكان يشير إليه الطلاب بالتميز»^(١).

وسنعرض في الصفحات القادمة لتراجم مختصرة لمشايخه في المعهد العلمي، مع نبذ من مواقفهم. رحم الله الجميع.

فصل

ابن عثيمين بين يدي العالم المفسر الأصولي البارع
محمد الأمين الشنقيطي في المعهد العلمي
(١٣٢٥هـ - ١٣٩٣هـ)

ترجمة موجزة للشنقيطي رحمه الله تعالى :

هو العالم العلامة الفقيه المفسر المحقق البارع الأصولي :

محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن نوح بن محمد
بن سيدي أحمد بن المختار من أولاد الطالب أوبك.. يرجع نسبه إلى قبيلة حمير.

ولد بـشـنـقـيـط عام ١٣٢٥هـ وتوفي والده وهو ما يزال صغيراً يقرأ جزء عم،
وترك له ثروة، فسكن عند أخواله، وحفظ القرآن على يد خاله، ولم يجاوز العاشرة
من عمره، فنشأ نشأةً صالحة حتى شبّ وطلب العلم على عدد من المشايخ.

منهم : الشيخ أحمد بن أفرم بن محمد المختار، والشيخ أحمد بن عمر، والشيخ
محمد بن صالح، والشيخ محمد النعمة بن زيدان، والشيخ أحمد ابن فال بن آده،
والشيخ أحمد بن مود. وغيرهم..

وبعد انتهائه من الدراسة جلس في داره للتدريس والقضاء، وصار إليه المرجع
في القضاء في بلاده، وفي عام ١٣٦٧هـ بعد فراغه من الحج، اختير للتدريس في
المسجد النبوي، وفي عام ١٣٧١هـ طلبه الشيخ محمد بن إبراهيم للتدريس في المعهد
العلمي بالرياض والكليات هناك، فانتقل إليها.

وفيهما سمع منه شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى صاحب هذه الترجمة، ثم انتقل في سنة ١٣٨١هـ إلى المدينة النبوية للتدريس في الجامعة الإسلامية، واستمرّ بها طيلة حياته. وقد عين عضواً في هيئة كبار العلماء، والمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي. وله مؤلفات، من أبرزها وأشهرها :

كتابه العظيم في تفسير القرآن بالقرآن، ومنها شرحه على مراقي السعود، وكتاب منع جواز إيجاز في كلام الله تعالى المنزل للتعب والإعجاز، ومذكرة في أصول الفقه، ورسالة في دفع إيهام الاضطراب في آي الكتاب، وأدب البحث والمناظرة، وغيرها..

توفي رحمه الله تعالى بمكة المكرمة في يوم الخميس السابع عشر من ذي الحجة لعام ١٣٩٣هـ.

وصلى عليه الإمام العلامة عبد العزيز بن باز بالمسجد الحرام، ودفن بمقابر المعلاة بمكة المكرمة. غفر الله له وأسكنه الفردوس الأعلى.^(١)

وقد حدّد شيخنا ابن عثيمين أبرز الأمور التي استفادها من شيخه محمد الأمين الشنقيطي في قصة طريفة حدثت بين مقاعد الدراسة في المعهد. فاستمع إليه وهو يقول: «كنا طلاباً في المعهد العلمي في الرياض، وكنا جالسين في الفصل، فإذا بشيخ يدخل علينا، إذا رأيته قلت :

هذا بدوي من الأعراب، ليس عنده بضاعة من علم، رث الثياب، ليس عليه آثار الهيبة، لا يهتم بمظهره، فسقط من أعيننا.

(١) انظر في ترجمته إنحاف النبلاء لراشد الزهراني، وعلماؤنا، لفهد البراك وفهد البدراني.

فتذكرت الشيخ عبد الرحمن السعدي، وقلت في نفسي : أترك الشيخ عبد الرحمن السعدي، وأجلس أمام هذا البدوي ؟.

فلمّا ابتدأ الشنقيطي درسه، أمّالت علينا الدرر من الفوائد العلمية، من بحر علمه الزاخر، فعلمنا أننا أمام جهيد من العلماء وفحل من فحولها. فاستفدنا من علمه، وخلقه، وزهده، وورعه»^(١).

فقد حدد ابن عثيمين هنا بعض الجوانب التي تأثر بها من الشنقيطي وهي :

(١) العلم. (٢) الخلق.

(٣) الزهد. (٤) الورع.

وقد بلغ الشنقيطي رحمه الله تعالى مبلغاً عظيماً في هذه الأمور.

وسأذكر نماذج مختصرة لها ليظهر كيف تأثر شيخنا بها :

علمه :

قال تلميذه فضيلة الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى :

«كان اهتمامه بالعلم، وبالعلم وحده، وكل العلوم عنده آلة ووسيلة، وعلم الكتاب وحده غاية».

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى عن نفسه : «لا توجد آية في القرآن إلا درستها على حدة».

وقال أيضاً : «كل آية قال فيها الأقدمون شيئاً فهو عندي»^(٢).

(١) مجلة الحكمة، العدد الثاني ص ٢٢.

(٢) انحاف النبلاء بسير العلماء ١٣٦/١-١٤٧، لراشد الزهراني.

ويقول الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى -
(من حيث جمعه لكثير من العلوم مارأيت مثله).^(١)

خلقه :

قال الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى :

«لو أن للفضائل والمكرامات والشيم وصفات الكمال في الرجال عنوان يجمعها
لكان هو أحق بما».

وقال أيضاً :

«وإذا كان علماء الأخلاق يعنون لأصول الأخلاق والفضائل بالمروءة، فإن
المروءة كانت شعاره ودينه، وكانت هي التي تحكمه في جميع تصرفاته، سواء في
نفسه أو مع إخوانه وطلابه، أو مع غيرهم ممن عرفهم أو لم يعرفهم».^(٢)

زهده وورعه :

قال فضيلة الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله تعالى :

«وقد كان شيخنا - هو محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله تعالى متقللاً من
الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية».^(٣)

وأهدى له الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود شقيق الملك عبد العزيز بيتاً
في الطائف، فردّه، ولم يقبله، فسئل عن ذلك ؟

(١) انخاف النبلاء بسير العلماء ١٣٦/١-١٤٧، لراشد الزهراني.

(٢)، (٣) المصدر السابق ١/١٤١.

فقال : «الذي بناه يحتاجه لنفسه، أما أنا فلم أبته ولا أحتاجه، وعندى بيتي في المدينة يكفيني»^(١).

وكان يقول : «الريال الواحد والألف سواء، المهم أن يكون صرفها سليماً».

وكان يقول : «الذي يفرحنا أنه لو كانت الدنيا مئة لأباح الله منها سد الحاجة»^(٢).

وبعد فهذه قطرة من بحر زاخر بالدرر والجواهر، التقط منه التلميذ النجيب ابن عثيمين أطيب الخلال، وتشيع بأحسن الخصال، كما سترى هذا في ترجمة الشيخ. رحمة الله على الجميع.

(١)، (٢) المصدر السابق ١/١٣٩.

فصل

ابن عثيمين مع شيخه الثاني العلامة المحدث
الفقيه الورع أبي عبد الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز
(١٣٣٠هـ - ١٤٢١هـ)

هذه نبذة مختصرة عن شيخنا العلامة الإمام البحر عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز، ولد بمدينة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة لعام ١٣٣٠هـ، وآل باز يقال هم من تامة، أو من اليمن، وقد توقف الشيخ في أصل هذه النسبة، ولم يجزم بشيء.

وقد كان مبصراً في أول حياته، وأصابه المرض في عينيه عام ١٣٤٦هـ فضعف بصره، إلى أن كف في مستهل محرم عام ١٣٥٠هـ.

وتلقى الشيخ العلوم الشرعية على عدد من علماء الرياض.

منهم :

الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ قاضي الرياض، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ سعد بن وقاص البخاري قرأ عليه القرآن والتجويد، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وهو يعتبر أكثر شيوخه تأثيراً به وملازمة له، وما ذكره إلا وأثنى عليه تحييراً. رحمة الله على الجميع.

وقد جاهد واجتهد في طلب العلم حتى استحق أن يقلد عدة مناصب، منها أنه

عمل في الخرج قاضياً، في عام ١٣٥٧هـ، إلى نهاية عام ١٣٧١هـ.

ثم انتقل للتدريس في المعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧٢هـ لمدة سنة واحدة، انتقل بعدها عام ١٣٧٣هـ للتدريس في كلية الشريعة، وأمضى بها سبع سنوات أي حتى عام ١٣٨٠هـ، انتقل بعدها نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية عام ١٣٨١هـ وحتى عام ١٣٩٠هـ ثم عمل رئيساً للجامعة حتى عام ١٣٩٥هـ ثم انتقل إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في ١٤ / ١٠ / ١٣٩٥هـ.

ثم عين مفتياً عاماً للمملكة عام ١٤١٤هـ ورئيساً لهيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء حتى وفاته رحمه الله تعالى.

وقد تقلد رحمه الله تعالى عدة مناصب، منها : رئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ورئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد، ورئاسة الجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، وعضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وعضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية. وغيرها..

وأما جهود الشيخ في الدعوة إلى الله تعالى تعليماً، وتدریساً، وإفتاءً، وتأليفاً، ونصحاً، فهذا شيء كثير يرجع إليه في مظانه، وقد وفقنا الله تعالى، وجثونا على الركب في خلق العلم التي كان الشيخ يعقدها في الرياض في الجامع الكبير، ومسجد سارة بالبدية، والمسجد الحرام بمكة المكرمة، دراسةً في الصحيحين وكتب السنن الأربعة، ومروراً بتفسير ابن كثير وزاد المعاد، وتأصيلاً للتوحيد في كتبه مثل كتاب التوحيد لابن خزيمة وكتاب التوحيد وشرحه ففتح المجيد لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحفيده المجدد الثاني، وغيرها.. مما يطول ذكرها.

وكان الشيخ في تدريسه آية من آيات الله في صبره، وجلده، وأدبه، ونصحته، ووعظه، فرحمة الله عليه من إمام سنة وهادي أمة.

أما مؤلفاته فهي كثيرة :

أعظمها حاشيته على فتح الباري، وأكثرها انتشاراً كتاب التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة، والفوائد الجليلة في المباحث الفرضية، وغيرها الكثير..

وله مشاركة رائدة في برنامج نور على الدرب الذي انتفع به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

وله برنامج حديثي جيد، هو شرحه لكتاب المنتقى لأبي البركات ابن تيمية رحمه الله تعالى، ولكنه لم يكمله رحمه الله تعالى.

أما دعوته في الجامع والمحافل وعقب الصلوات، فحدث ولا حرج، فقد كان مهتماً بالدعوة إلى العقيدة الصافية الخالية من البدع والخرافات، محذراً من الإحداث في الدين ناصحاً للولاة وللرعية ولعموم الأمة، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، كل ذلك وغيره جعله مرشحاً لنيل جائزة مؤسسة الملك فيصل الخيرية لعام ١٤٠٢ هـ لخدمة الإسلام لجهوده في هذا المجال.

وقد كان شكره لله تعالى على هذه الجائزة أن منحها بدوره لدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة لحاجتها للعون ولحاجة طلابها المغتربين والمتفرغين للعلم.

وقد زاده هذا في أعين الناس إكباراً واحتراماً.

فاستحق لكل هذا بأن يوصف بأنه أحد المجددين، واستحق أن يتقلد وسام الإمامة.

وأن يقال عنه إنه أمة في رجل رحمه الله تعالى وغفر له، وقد قيل في رثائه الكثير.

ومما قيل في وصفه : ما قاله الزهراني :

يَا ذُرَّةَ الْعَصْرِ يَا بَحْرَ الْعُلُومِ فَمَا رَأَتْ لَكَ الْعَيْنُ مِنْ نَدٍّ وَأَمْثَالِ
حَقًّا فَقَدْ عَرَفَ الثَّارِيخُ كَوَكْبَةً مَضِيئَةً مِنْ صَوَادِيدِ وَأَبْطَالِ
مِثْلَ ابْنِ حَتْبَلٍ أَوْ مِثْلَ ابْنِ تَيْمِيَّةِ أَوْ الْبَخَّارِيِّ فِي إِسْتِنَادِهِ الْعَالِي
لِكُنْتْنَا يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ لُبُّصِرُهُمْ كَأَلْمَا مُثَلُّوَا فِي شَخْصِكَ الْعَالِي

(إمام العصر ٢٢٢).

وقد توفي رحمه الله تعالى في يوم الخميس ٢٧ من محرم لعام ١٤٢٠هـ، وصلى عليه بالمسجد الحرام ما يقارب مليوني نسمة عقب صلاة الجمعة ودفن بمقابر العدل بمكة المكرمة. غفر الله له.

بيان كيف تأثر ابن عثيمين بشيخه ابن باز :

قال ابن عثيمين واصفاً شيخه الثاني :

«أما شيخنا عبد العزيز - رحمه الله تعالى - فإني قرأت عليه يسيراً، لكنني استفدت منه في الحديث فائدة عظيمة»^(١).

وقد كان الشيخ ابن باز مكلفاً في المعهد العلمي بتدريس العقيدة والحديث والفقہ.^(٢)

ويبين ما قرأه عليه في موضع آخر حيث قال :

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز ص ٢٠١.

«ثم قرأت على شيخي الثاني سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فابتدأت قراءة صحيح البخاري، ثم بعضاً من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية»^(١).

ثم يبين نواحي تأثره بالشيخ العلامة الإمام ابن باز، فيقول :
«كان تأثري بالشيخ عبد العزيز - رحمه الله - :

لعنايته بالحديث، وأخلاقه الفاضلة، وبسط نفسه للناس»^(٢).

ويذكر في موطن آخر أمراً تأثر به هو في غاية الأهمية فيقول :

«إني انتفعت بقراءتي عليه من حيث التوجيه والانتقال من العكوف على الكتب الفقهية، وتمحيص الأقوال وتلخيصها، انتقلت من هذه المرحلة إلى مرحلة الحديث، ولست من الذين يصح أن ينسبوا إلى علم الحديث، ولكنني اتجهت إلى علم الحديث»^(٣).

وبين الشيخ أنه تأثر بمنهج شيخه ابن باز، فقال :

«كما أن لشيخنا الثاني عبد العزيز رحمه الله تعالى منهجاً نتفع به حتى الآن»^(٤).

فهذه خمسة أمور تدرج في أربعة، ملخصها :

(١) في الخلق.

(٢) في المنهج.

(٣) في المعاملة.

(٤) في الاعتناء بالكتاب والسنة، دراسة، واستدلالاً، وعملاً.

(١)، (٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٦.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦، وجاء فيها نسبة هذا للسعدي، ولا يصح لمعارضته للمصادر الأخرى، وهو غريب.

(٤) برنامج (في موكب الدعوة) إذاعة القرآن الكريم بالرياض.

والناظر المتأمل في سيرة ابن باز رحمه الله تعالى يجدها طائفة بهذه الأمور وعلى الرغم من أن الشيخ كتب في سيرته مؤلفات، إلا أنها لا تروي الغليل ولا تشفي الغليل لعدم تركيزها على نواحي التميز العلمية والعملية تأصيلاً وتقعيداً ثم تمثيلاً واستشهاداً، وسأذكر هنا لمحات سريعة لهذه الأمور التي خصها ابن عثيمين بالذكر سراً على المنهج السابق والله المستعان فقد أثمرت هذه التلمذة والتي لم تمتد أكثر من سنة داخل المعهد العلمي، وإن كانت استمرت بعد ذلك عن طريقة السؤال والزيارة، والمشورة، وغير ذلك..

أثمرت محبة متبادلة بين الشيخ وتلميذه النجيب، استمرت حتى الممات، وكانت هذه المحبة بادية للعيان يبصرها القريب والبعيد.

ومن ذلك ما قاله الشيخ المنجد: «كان الشيخ محمد يعني ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - يحب شيخه عبد العزيز بن باز جداً، وقد اتصلت به مرة في مرض الشيخ عبد العزيز وحادثته في هذا، فقال عبارة: لا أرانا الله يوم فقده...»

ولما مات الشيخ عبد العزيز اتصلت صباح اليوم التالي بالشيخ محمد، فقلت له: بلغك الخبر؟ فقال نعم، نعم الرجل..»

وقال أيضاً: «خلوت بالشيخ محمد مرة بعد وفاة الشيخ عبد العزيز أحادثه في موضوع الفتوى بعد الشيخ ابن باز، قال لي بمراحة: بعد الشيخ ابن باز؛ ما عاد لنا راس»^(١).

قلت: ولقد رأيت يوم الجمعة الموافق ٢٨/١/٤٢١ هـ اليوم الذي دفن فيه ابن باز بمكة، رأيت شيخنا ابن عثيمين قبل صلاة الجمعة يتطوع بالصلاة النافلة،

(١) محاضرة للشيخ المنجد بعنوان (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين) بالرياض.

والشيخ ابن باز مسحى في عباته بينه وبين الكعبة، وهو يتلو آيات الكتاب، وهمل عيناه بالدمع حزناً على شيخه، وحزناً على ما أصاب الأمة من فقده. غفر الله لهما وأسكنهما الفردوس الأعلى.

أما ثناء الشيخ على تلميذه ومحبه له، فهي كذلك بلغت مبلغاً عظيماً :

من ذلك : ما ذكره الشيخ المنجد : « كنت في مجلس الشيخ عبد العزيز في الطائف، فكان الناس يأتون ويسلمون على الشيخ عبد العزيز، وهو جالس على كرسيه، فلما أخير بقدم الشيخ محمد بن عثيمين قام إليه، ولم أره قام لأحد غيره. فاعتقه، ورأيت وجه الشيخ عبد العزيز يتهلل بالبشر والسرور للقاء الشيخ ابن عثيمين»^(١) وكان الشيخ ابن باز يقرظ له بعض كتبه كما في تقديمه لـ (عقيدة أهل السنة والجماعة) حيث يقول رحمه الله تعالى :

«أما بعد.. فقد اطلعت على العقيدة القيمة الموجزة التي جمعها أئمتنا العلامة فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين، وسمعتها كلها، فألفتها مشتملة على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة...».

فانظر إلى هذا الوصف من الشيخ لتلميذه، ما أروعه ! وما أصدقه ! أعني قوله (العلامة) وإن كان شيخنا المترجم لا يجب ذلك، ويكرهه، ويزجر من يصفه به. غفر الله له.

بعض أوصاف الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى :

بذله نفسه للناس ومساعدته للمحايير :

(١) محاضرة (١٠٠) فائدة من العلامة ابن عثيمين للمنجد، ألقاها بالرياض.

يقول مدير مكتبه الدكتور عبد الله الحكمي :

«هو أبو المساكين؛ سعى في رفع معاناتهم، وفك كربتهم، وقضاء ديونهم، وعلاج مريضهم، رحمهم وألان لهم الجانب، فامتألت دواوين مكتبه بطلابهم، يخصص لها الوقت الطويل، يدرسها ويذل الجهد في نفعهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

فكم من مدين كان سبباً في قضاء دينه، وكم من فقير رفع عنه ألم الحاجة، وكم من مسكين فرج كربته، بسط لهم مائدته، وأوسع لهم في مجلسه، حتى قال إفريقي فقير رث الثياب، جاء يسأل عنه في موسم الحج الأخير، يسأل : أين الشيخ؟ فقيل له : لم استطع الحج، ماذا تريد؟ فقال : أنا لا أريد منكم شيئاً ولكنني مسكين، والشيخ أبو المساكين»^(١).

وقال الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد :

«وتتجلى عبقرية هذا الإمام في الحياة التي عاشها في منزله بين المساكين والغرباء، والتي لم تعهد لأحد مثله في هذا العصر، يستقبلهم، ويحتفي بهم، ويدتيهم، ويفهم مشكلاتهم ثم يسعى في حلها، مهما كان نوعها، ثم يلتف كل من حضر حول مائدة الشيخ ليلتقي على هذه المائدة المستديرة، الغني والفقير، والوجيه والوضيع، والكبير والصغير»^(٢).

ويقول الدكتور محمد بن سعد الشويعر مستشار سماحته رحمه الله تعالى :
«إن الشيخ عبد العزيز بن باز أسكنه الله فسيح جناته، قد عرفه الناس منذ توليه القضاء عام ١٣٥٧هـ، في الدلم بالخرج، وحتى مساء الليلة التي توفي فيها، حيث

(١) إمام العصر ص ١٩٠.

(٢) المدينة، العدد ١٣١٩١.

لم يقعه المرض عن الاحتجاب عن الناس والسعي في مصالحهم : إجابة وإفتاء، ومساعدة وتشفعاً.

وقد عُرف رحمه الله بذلك الخلق لم يتزحزح عنه، ولم يتبدل ساعة من نهار، مواعيد جلوسه ثابتة، وبجلسه مفتوح في المكتب والبيت، ومائدته ممدودة، وهواتفه لا تسكت ليلاً ولا نهاراً، بالإجابات والتفاعل مع الناس في قضاياهم، وتبسيط الأمور أمامهم، لأنه يطبق حديث رسول الله ﷺ : «يسرروا ولا تعسروا». وسحاياه الحميدة العديدة مستمرة ودائمة....

ولذا فإن الشيخ عبد العزيز أب رحيم، وعُطوف على اليتامى والمساكين، وعلى الأرامل والفقراء، وعلى المحتاجين، ومن لا تصل كلمتهم إلى المسؤولين، فيوصلها بشفاعته، ودعوات للمشفوع تجعل قلبه يرق.^(١)

أما عنايته بالسنة دراسة ودعوة فيكفي أن تطلع على جدول محاضرات الشيخ بمدينة الرياض، ليتضح لك مدى اهتمامه بما :

١- في جامع الإمام تركي بن عبد الله بـ (الديرة) :

دروس الفجر ليوم :

الأحد : تفسير ابن كثير، صحيح البخاري، نخبة الفكر، موطأ مالك بشرح الزرقاني، مسند الإمام أحمد، الروض المربع.

الاثنين : صحيح البخاري، نيل الأوطار، فتح المجيد، مسند الإمام أحمد، سنن

أبي داود..

الأربعاء : تفسير ابن كثير، صحيح البخاري، سنن ابن ماجه، الروض المربع.
 الخميس : صحيح البخاري، صحيح مسلم، كتاب السنة للبغوي، مسند الإمام
 أحمد، سنن ابن ماجه، الدرر السنية، تفسير ابن كثير، فتح المجيد، إغاثة اللفهان.
 ٢- في جامع الأميرة سارة بـ (البديعة) :
 بعد المغرب :

الأحد والأربعاء : تفسير ابن كثير، صحيح البخاري، زاد المعاد، سنن
 النسائي، صحيح مسلم.

٣- في جامع يحيى :

يوم السبت والاثين والثلاثاء والجمعة بين الأذان والإقامة : شرح بلوغ المرام.
 وإليك قصة طريفة في اختبار الشيخ للحاسب الآلي في أحد برامج الحديث الشريف:
 يقول الشيخ فهد البكران :

«قدم مندوب أحد المؤسسات الالكترونية، وبرفقتهم جهاز حاسب آلي
 شخصي، وقد تم تخزين كتب الحديث داخل هذا الجهاز، وأرادوا من سماحة الإطلاع
 عليه والاستئناس برأيه قبل نزوله للأسواق، فقال سماحته : فلنختبر جهازكم، واختار
 رحمه الله أحد الأحاديث كعينة عشوائية لاختبار قدرة هذا الجهاز العجيب، فقام
 المسؤول عن تشغيل الجهاز بإدخال مفردات هذا الحديث للبحث عنه وتخرجه، إلا أن
 الجهاز لم يستطع الوصول إلى المطلوب، وإن كان قد وصل إلى بعض الأحاديث التي
 تعطي نفس المعنى، فقال سماحته : «إذن بحثوا عن راوي الحديث» فتم إدخال
 البيانات المعطاة باسم الراوي للبحث عن الحديث، ولكن لا نتيجة.

فقال الشيخ : إن ابن حجر لم يخطئ [يعني في تخريجه للحديث في بلوغ المرام] فعليكم البحث مرة أخرى، وبعد بحث ومحاولات استغرقت أكثر من ١٥ دقيقة، بعدها توصل الإخوة مشغلو الجهاز إلى الحديث المطلوب وبالراوي نفسه، حيث تبين أن خطأ في إدخال بيانات الراوي وتصحيحاً تعرض له اسمه، جعل من الصعوبة الوصول إلى المطلوب»^(١).

أما حسن خلقه وعشرته :

فيروي أحد تلاميذه وهو الشيخ عبد الله العتيبي واصفاً أحد دروس الشيخ، فيقول : «إن الشيخ سئل عن حكم سجود التلاوة، فقال : سنة مؤكدة، وسأل آخر عن السؤال نفسه فقال : سنة مؤكدة، - بل سأله ثالث - ولعله لم يسمع الإجابة كالذي قبله - فأعاد الشيخ الإجابة بطيب نفس، ولم يكتب السائلين»^(٢).

ويقول أحد تلاميذه وهو الشيخ عمر أحمد بافضل : «لقد شغلني مرة أمرٌ وأقلقني، وعند خروج الشيخ من المسجد بعد الدرس، وكعادة طلبة العلم والسائلين ينكبون عليه حتى يركب السيارة، بل حتى وهو في السيارة، وعند تأهب السيارة للإنتلاق اقتربت منه، قلت له : لذي استفسار، هل أذهب معك إلى البيت ؟ وهل أجد فرصة ؟ فقال : نعم، الآن، وأوقف السيارة وأدخلني جنبه، وأعطاني جواب استفساري فوراً، والسيارة واقفة، ثم خرجت مسروراً مقدرًا له الأريحية، ورحابة الصدر...»^(٣).

قلت : وقد حصل معي مثل هذا الموقف مع الشيخ في مكة، في حدود سنة ١٤٠٦ هـ عندما كنت جاراً للشيخ في سكنه بالعزيرية، حين صليت معه العصر

(١) مجلة الدعوة، العدد (١٦٩٣).

(٢)، (٣) الدعوة، العدد ١٦٣٨ (ابن باز في عيون طلابه).

ورغبت في سؤاله، وكان قد ركب سيارته، وكادت أن تتحرك، فركبت مع الشيخ بجواره، وسألته سؤالي، وأجابني بلطف، ثم نزلت، فسررت جداً لهذا الخلق الرفيع الذي لم أره لغيره.

رحم الله الشيخ ورفع درجته.

أما منهج الشيخ :

فإنه رحمه الله تعالى لا يجيد عما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ولا يدعهما لقول أحد من الناس.

يروى أحد تلاميذه وهو الشيخ عبد الله العتيبي قائلاً :

قيل للشيخ حديث (إن أبي وأباك في النار) أخرجه مسلم.

قيل له في شرحه من بعض الطلاب: إن الرسول ﷺ إنما قال ذلك لتطيب نفسه، لا غير، فالتفت الشيخ مغضباً وقال : يطيب نفسه بعذاب أبيه.

ولما قرر شيخنا في التفسير جواز نكاح الكتايبات بشرطه، قال بعض الطلاب : يا شيخ بعض الصحابة كان ينهى عن ذلك.

فالتفت الشيخ إليه وقد احمر وجهه وقال : هل قول الصحابي يضاد به الكتاب والسنة ؟ !^(١)

وأخيراً ونتيجة لهذا التأثير الكبير في التلميذ النجيب، فقد أورت ذلك ثقة متبادلة، مما كان يجعل الشيخ ابن باز يكلف تلميذه بإعداد الأبحاث.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٦٣٨.

واستمع إلى الشيخ محمد الصالح المنصور (أحد قرناء ابن عثيمين) وهو يقول :
«كان الشيخ محمد بن عثيمين قد قدم للدراسة في الرياض بعد تتلمذه على يد
الشيخ السعدي، لهذا كان متميزاً على غيره من الذين لم يكن لهم قبل الدراسة في
المعهد العلمي تجربة في الطلب على العلماء في المساجد لذلك كان الشيخ عبد العزيز
بن باز يعول عليه كثيراً في البحوث، ويرجع إليه»^(١).

(١) جريدة الوطن، العدد ١٠٦، نقله عنه تلميذه الشيخ / ديبان بن محمد الديان.

فصل

ابن عثمان بن عیسیٰ

عدد من مشایخ وعلماء المعهد العلمی

[غیر ما ذکر]

١- فضیلة الشیخ العلامة المحقق الاصولی : أبی أحمد عبد الرزاق بن عقیفی بن عطیة بن عبد البر بن شرف الدین النوبی.

والنوبی أسرة من الأسر العریقة فی محافظة المنوفیة فی مصر.

ولد فی شهر رجب من عام ١٣٢٣هـ فی شنشور إحدى قرى محافظة المنوفیة فی مصر. (١)

حفظ القرآن الکریم فی الکتاتیب قبل دخوله الأزهر، وأتم الدراسة الثانویة، ثم درس فی القسم العالی، ومنح العالیة سنة ١٣٥١هـ، ثم منح شهادة التخصّص فی الفقه وأصوله من الأزهر بالقاهرة.

عین مدرساً بالمعاهد العلمیة التابعة للأزهر فدرس بها سنوات، وتولى رئاسة جماعه أنصار السنة المحمدیة بالإسکندریة، ثم اختیر فی فترة لاحقة رئيساً عاماً لجماعه أنصار السنة المحمدیة.

ثم انتقل إلى المملكة العربیة السعودیة، للعمل بالمعارف سنة ١٣٦٨هـ، ثم عمل مدرساً بدار التوحید بالطائف، ثم نقل منها بعد سنتین إلى معهد عنيزة العلمی فی شهر

(١) کتاب (من أعلامنا) لعبد العزیز العسکر (٣٧/٢).

محرم عام ١٣٧٠هـ، ثم نقل إلى الرياض في آخر شهر شوال، عام ١٣٧٠هـ للتدريس بالمعاهد العلمية التابعة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم نقل للتدريس بكلية الشريعة، وقد أنشئت سنة ١٣٧٣هـ، ثم عُيِّنَ مديراً للمعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥هـ، ثم نقل إلى الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عام ١٣٩١هـ، وعين بها نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، مع كونه عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

وقد رزقه الله مواهب من قوة الحافظة وفقه النفس، وكرّس جهوده لطلب العلم خارج أروقة الأزهر، وعني بعلوم اللغة والتفسير والأصول والعقائد والسنة والفقه، حتى إذا تحدث في علم من هذه العلوم ظن السامع أنه تخصصه الذي شغل فيه كامل وقته. وانتفع بعلمه خلقٌ كثيرون.

وكان يشرف على رسائل بعض الدارسين في الدراسات العليا، ويشترك مع لجان مناقشة بعض الرسائل، ويلقي بعض الدروس في المسجد لطلبة العلم حسبما يتيسر، ويلقي المحاضرات، ويشارك في أعمال التوعية في موسم الحج^(١).

أما بالنسبة للتأليف فقد كان الشيخ لا يجبذ التأليف، بل يرى الاكتفاء بكتابات الأولين، إلا فيما يستجد من أمور الناس، ومع ذلك فله إشراف على عدد من الرسائل الجامعية وله بعض المؤلفات، منها:

١- مذكرة التوحيد.

٢- تعليقه على كتاب الإحكام من أصول الأحكام.

(١) انظر مقدمة (فتاوى اللجنة الدائمة)، التراجم، (١/٣-٤).

- ٣- تعليقه على الجزء المقرر في التفسير من الجلالين لطلاب المعاهد العلمية.
- ٤- شرحه للعقيدة الواسطية مع الشيخ محمد خليل هراس.
- ٥- تعليقه على كتاب الاعتقاد لليهقي، بتكليف من سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.
- ٦- تعليقه على المستصفي للغزالي.
- وغيرها من التعاليق..
- وقد أصيب رحمه الله تعالى بعدة أمراض كان من آخرها ما أصيب به في يوم الثلاثاء الموافق ١٦/٣/١٤١٥هـ من ألم شديد في الكبد، وضعف في الكلى، ووجود سوائل في الرئتين، وهبوط في ضربات القلب.
- ودخل المستشفى العسكري بالرياض وظل به حتى وافاه الأجل يوم الخميس ٢٥/٣/١٤١٥هـ، ثم صلي على جنازته عقب صلاة الجمعة ٢٦/٣/١٤١٥هـ في الجامع الكبير بالرياض.
- وقد صلي عليه خلق كثير، ودفن في مقبرة العود بالرياض، وأمّ الناس في الصلاة عليه تلميذه وزميله الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ. وقد قيل فيه عدة مراتي. رحمه الله تعالى وغفر له.

علاقة ابن عثيمين بالشيخ عبد الرزاق عفيفي :

لم أجد في كثير من المصادر التي ترجمت للشيخ، والتي وقفت عليها إشارة لتلمذة ابن عثيمين على العفيفي إلا مصدراً واحداً أشار لهذه التلمذة. وهو الشيخ عبد العزيز العسكر في كتابه (من أعلامنا) حيث قال في موضعين من كتابه :

«قدم الشيخ الطائف - أي العفيفي - عام ١٣٦٨هـ بلباسه الأزهري، ومعه والده الذي قام ببره وخدمته حتى وفاته، وبقي عبد الرزاق في دار التوحيد سنتين، ثم فتح المعهد العلمي في الرياض عام ١٣٧٠هـ (كذا) فنقل إليه، ودرس فيه، ثم نقل للتدريس في معهد عنيزة العلمي.

وفي عنيزة تتلمذ عليه تلاميذ الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ومنهم :

الشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ علي محمد الزامل، حمد محمد البسام، والشيخ عبد الله النعيم، وغيرهم..

وصار له محبة ومودة كبيرة لدى المواطنين في عنيزة، لما رأوا فيه من الصلاح والاستقامة، وحسن العقيدة، وسعة العلم.

ثم عاد إلى الرياض فدرّس في المعهد العلمي، وفي كليتي الشريعة، واللغة العربية، وصار له عدد كبير من التلاميذ من هذا التدريس»^(١).

وقال في موضع آخر تحت عنوان (تلاميذه) أي العفيفي :

«كان لعمل شيخنا في التعليم فترة طويلة من حياته، أثر في كثرة طلابه وتلاميذه، ثم إن بعضاً منهم حافظوا على صلّتهم به، وأخذ العلم والفقّه عنه إلى أن توفي - رحمه الله تعالى -.

ومن أشهر تلاميذه :

أصحاب الفضيلة : راشد بن خنين، ومحمد بن عثيمين، وعبد العزيز آل الشيخ، ومحمد بن جبير، وعبد الله البسام، وصالح الفوزان، وعبد الله بن

(١) من اعلامنا (٣٩/٢).

منيع، وصالح السدلان، وعبد الله بن جرير، وعبد الله بن غديان، وعبد الله التركي.....»^(١).

يتبين من هذا النقل أن المترجم - أي شيخنا ابن عثيمين - معدود من تلاميذ شيخنا عبد الرزاق العفيفي، أما في عنيزة فقد جزم به المؤلف، ومن المستبعد أن يكون الشيخ عفيفي في عنيزة، ويُدرّس فيها من المحرم لعام ١٣٧٠هـ إلى شوال من العام نفسه، وهو معروف بسعة علمه، وتبحره، ودعوته لمذهب السلف.

من المستبعد أن يسمع به شيخنا ابن عثيمين ولا يستفيد منه، ولا يرغب في التلمذ عليه، وقد علم حرص شيخنا على الطلب والجد في التعلم.

أما في الرياض فإن الفترة التي درس فيها ابن عثيمين في المعهد العلمي، أي من عام ١٣٧٢هـ إلى ١٣٧٣هـ ثمانية.

كان الشيخ العفيفي موجوداً في المعهد العلمي، ويدرس فيه مع كبار علماء ومشايخ المعهد.

ويؤكد ذلك ما قاله الشيخ علي الرومي :

«كان الشيخ - أي العفيفي - أول من باشر في المعهد العلمي بالرياض منذ أول يوم لافتتاحه في عام ١٣٧١هـ.

وله اطلاع واسع يرحمه الله في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ.. وبرغم كبر سنه فقد بقي في وعيه وذكائه وعلمه»^(٢).

(١) من أعلامنا (٤١/٢).

(٢) مجلة التوحيد المصرية، العدد الخامس، للسنة الثالثة والعشرين.

ثم وجدت أحد تلاميذ الشيخ ابن عثيمين القدامى وهو الشيخ محمد عثمان القاضي، عدّ في شيوخ ابن عثيمين فضيلة الشيخ عبد الرزاق العفيفي، وهذه فائدة عزيزة، والحمد لله على توفيقه.^(١)

٢- فضيلة الشيخ المحدث عبد الرحمن الإفريقي رحمه الله تعالى.

المتوفي سنة ١٣٧٧هـ.

من الذين تزامن وجودهم في المعهد العلمي في فترة دراسة شيخنا ابن عثيمين فيه، فضيلة الشيخ المحدث الإفريقي كما أخبرني بذلك مشافهة شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله تعالى، حيث كان يدرس مادة الحديث بالمعهد، فيغلب على الظن عدّه في شيوخه والله تعالى أعلم.

وقد قال شيخنا محدث الحجاز الشيخ عبد المحسن العباد عن تلك الفترة :

«وأنا درست على الشيخ عبد الرحمن الإفريقي في الرياض في عام ١٣٧٢هـ و عام ١٣٧٣هـ في الحديث والمصطلح، وكان مدرساً ناصحاً، وعالمًا كبيراً وموجهاً، ومرشداً وقدوة في الخير رحمه الله تعالى».^(٢)

ومن المشايخ الذين تتلمذ عليهم المترجم وكانوا يدرسون في المعهد في تلك الفترة، كما أخبرني بذلك شيخنا البراك حفظه الله تعالى.

٣- الشيخ محمد السرحان المصري الأزهري.

وكان يدرس علم البلاغة.

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٢) رسالة الشيخ عمر بن محمد فلاته - رحمه الله - وكيف عرفته؟ للشيخ العباد حفظه الله تعالى. وانظر : (علماء ومفكرون عرفتهم) للمحذوب (١/٦٣-٧٦).

٤- الشيخ عبد اللطيف السرحان المصري الأزهري.

وكان يدرس علم النحو.^(١)

٥- الشيخ عبد السلام السرحان الأزهري.

وكان يدرس علم الأدب.

٦- الشيخ محمد المختار الشنقيطي

شارح سنن النسائي، - وليس هو محمد الأمين صاحب أضواء البيان -، نزيل المدينة. وقد أبحرني الشيخ ابن عثيمين نفسه أنه كان يدرس لهم في مادة التاريخ بالمعهد العلمي.

فهؤلاء أربعة عشر شيخاً للمترجم مابين عنيزة والرياض، تلمذ على بعضهم زمناً طويلاً وعلى آخرين أياماً يسيرة.

ولكن بقي سؤال : هل سمع ابن عثيمين من شيخ الجزيرة في وقته ؟ وعلامة عصره الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ؟ وقد كانت دروسه لا تكاد تتوقف في مسجد عمه العلامة عبد الله بن عبد اللطيف بحي دخنة بالرياض، واستمر فيها قرابة نصف قرن، من عام ١٣٣٩هـ إلى ١٣٨٠هـ إلى أن حبسه المرض.

فهل تلمذ شيخنا عليه ؟ وسمع منه ؟ ولازم حلقاته في فترة وجوده في المعهد العلمي بالرياض إلى أن تخرج ؟.

مع كثرة بحثي وتنقيي عن هذه الجزئية من حياة شيخنا، وبحثي في ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم، لم أجد ما يشير إلى تلمذة شيخنا عليه، وقد ذكر مؤلفا كتاب

(١) وانظر الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز ص ٢٠١.

حياة الشيخ محمد بن إبراهيم وآثاره، وهما الشيخان : صالح الأطرم، وعبد الله بن موسى العمار.

أقول : ذكرا (٣٠٣) تلميذاً من تلاميذ الشيخ ابن إبراهيم، ومنهم من يقارب شيخنا المترجم في السن أو يصغره، ولم أجدما ذكرا شيئاً عن تلمذة شيخنا ابن عثيمين لابن إبراهيم. رحم الله الجميع.

وهذا العدد هو أكبر عدد وقفت عليه حتى الآن.

ومع علمنا بحرص المترجم على الطلب ومكانة الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله تعالى، فقلنا نتلمس في ذلك بعض الأجوبة عن هذا السؤال. منها :

١- أن عدم الذكر لا يدل على العدم.

٢- قد يكون من ذكروا تلاميذ ابن إبراهيم اهتموا بمن لازموا ملازمة طويلة، ومعروف أن تلاميذ الشيخ أكثر بكثير جداً من العدد المذكور.

٣- قد يكون المترجم في فترة دراسته في المعهد مشغولاً بتحصيل دروس المعهد ومذاكرتها في خارج أوقات الدراسة - أعني الفترة المسائية خاصة - والعديد من الكتب التي تدرس في حلقة الشيخ نقلت للمعهد كمناهج ثابتة ؛ حيث كان الشيخ ابن إبراهيم هو المشرف عليها، والمتابع لسير المناهج فيها.

هذا ما بدا لي في الإجابة عن هذا السؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

ثم بعد كتابة ما سبق وقفت على نص يقوي ترجيح تلمذته على العلامة ابن إبراهيم رحمه الله تعالى.

حيث يقول أحد أقرانه وهو الشيخ محمد الصالح المنصور رحمه الله تعالى - وهو من علماء بريدة - فيما نقله الشيخ ديبان محمد الديبان :

«لقد كان الشيخ محمد بن عثيمين هو الوحيد الذي يصلي تحية المسجد في وقت النهي، في مسجد ابن إبراهيم بحضوره، وأثناء إلقاء الدرس، خلافاً لابن إبراهيم الذي كان يذهب إلى عدم جواز صلاة ذوات الأسباب في أوقات النهي، وقد اشتهر عن الشيخ ابن عثيمين أنه كان يفتي بالطلاق الثلاث على مذهب ابن تيمية في حياة ابن إبراهيم، وقد كان ابن إبراهيم يفتي بهذه المسألة على المشهور في المذهب الحنبلي وأخذاً بالمعمول به منذ قيام الدولة السعودية الأولى، وقد تضمنت فتاوى ابن إبراهيم ورسائله إنكاره على الشيخين ابن عثيمين وابن باز؛ لقولهما بهذا القول، وهما من تلاميذه...»^(١).

وهذا الكلام من الشيخ المنصور رحمه الله تعالى لا يشترط أن يعني به فترة الدراسة بالمعهد العلمي بل الظاهر خلافه، لأن ابن عثيمين رحمه الله تعالى لم يكن ليتكوّن له رأي يخالف به المفتي الأكبر وهو في سن مبكرة؛ سواء في مسألة صلاة ذوات الأسباب في وقت النهي، أو في الطلاق الثلاث.

(١) جريدة الوطن، العدد ١٠٦.

قلت : والشيخ محمد المنصور، هو محمد بن صالح بن منصور المنصور من قبيلة ثمر، من مواليد بريدة سنة ١٣٥٠هـ وقد كف بصره بسبب الجدري، وهو في السنة الثامنة من عمره، ولم يكن ذلك عائقاً له عن طلب العلم، وقد رحل للرياض في سن السادسة عشرة، وطلب العلم على الشيخ ابن إبراهيم لمدة سبع سنوات، وأكمل دراسته الجامعية، وتخرج من كلية الشريعة، وهو صاحب عبادة وعلم، وله دروس في مسجده في : العقيدة والحديث والفقه واللغة والفرائض. توفي رحمه الله تعالى في يوم السبت ١٢/٢٦/١٤٢٠هـ بمدينة بريدة. (انظر مجلة شباب، العدد ١٥).

ولكن الذي يهمنا من كلامه الصريح قوله (وهما من تلاميذه)، فهذا يقوي جانب التلمذة. والله تعالى أعلم.

وبعد.. فقد ظل شيخنا المترجم في جناب هذا المعهد المبارك الذي خرّج كبار العلماء لمدة سنتين، عاملاً بنظام القفز الذي بيناه في أول هذا الفصل.

ومما نذكره هنا عن حياة الشيخ في المعهد ما أخبرني به شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك أن ابن عثيمين رحمه الله تعالى كان يجلس مع الطلاب الأكفأ [غير المبصرين] ليساعدهم في استذكار دروسهم ويقرأ لهم ما يحتاجونه. فله دره من طالب علم كان في عون إخوانه فكان الله في عونه، ورفع قدره. نسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته.

واستمر الشيخ في الرياض حتى نهاية عام ١٣٧٣هـ بعد أن انتهى من دراسة السنة الثالثة في المعهد العلمي.

وفي هذه السنة افتتح المعهد العلمي بعنيزة وكانت بداية الدراسة فيه في شهر ربيع الثاني عام ١٣٧٣هـ^(١)، وكان المشرف عليه هو شيخه، أعني الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي والذي رفض أن يتقاضى أجراً على عمله هذا.

واحتاج المعهد في عنيزة إلى معلمين، فاضطر الشيخ أن يرجع إلى مسقط رأسه، لينتفع به أبناء بلده، وتعيّن مدرساً في المعهد سنة ١٣٧٤هـ، وأخذ السنة الرابعة من المعهد بالاتساق، ثم انتسب لكلية الشريعة حتى أتمها.

كل ذلك وهو يدرس في معهد عنيزة العلمي.

(١) فقه ابن سعدي (٢٥/١).

وهذه المسألة لم يحررها الكثير ممن كتب في ترجمة الشيخ.
واستمع إلى الشيخ نفسه وهو يروي مسيرته في المعهد والكلية، مؤرخة بالسنين
في اللقاء الذي نشر في مجلة الدعوة العدد ١٧٧٦.
قال رحمه الله تعالى :

«أتممت دراسة المعهد لأننا بدأنا من السنة الثانية، وفي ذلك الوقت كان نظام
الفقر معمولاً به، أي أن الطالب يدرس في الفترة الصيفية دروس السنة المستقبلية، ثم
يتمحن فيها في الدور الثاني، ويرتقي للسنة الثالثة.

فأنا قفرت، يعني: قرأت ثانية، وتخرجت منها طليعياً، ثم قفرت وأدركت
الثالثة، ثم أخذت الرابعة في سنة ١٧٤هـ بالانتساب؛ لأن المعهد العلمي كان قد
فتح، وكان يحتاج لمدرسين، فرجعت في العام ١٧٤هـ إلى عنيزة، وبدأت التدريس في
معهد عنيزة من عام ١٣٧٤هـ، وأخذت السنة الرابعة بعد ذلك بالانتساب، وبقيت
منتسباً حتى أتممت - والله الحمد - كلية الشريعة..» أ هـ.

ولكن مع هذا فقد بقي إشكال آخر: هل انتظم الشيخ في الدراسة في كلية
الشريعة؟ وهل ترك عمله في المعهد للدراسة في الكلية؟ ثم رجع إلى المعهد مرة أخرى؟.
قال الشيخ رحمه الله تعالى في أول حديث صحفي معه بمجلة اليمامة العدد
٩٥٣ لسنة ١٤٠٧هـ :

«بعد أن تخرجت التحقت بكلية الشريعة، ودرست فيها أول سنة، ثم فتح
المعهد العلمي في عنيزة، وبعد مضي سنة من افتتاحه صرت أدرس في المعهد،
ومنتسباً في الكلية..».

وعلق بجري الحوار وهو فهد راشد العبد الكريم بعد انتهاء الحوار بعنوان كتب تحتها : لقطات : « خلال السنة الدراسية الأولى التي قضاها منتظماً بكلية الشريعة بالرياض درس على سماحة الشيخ ابن باز في أول صحيح البخاري.. » أ ه بحروفه.

فيظهر من هذا النقل أن الشيخ رحمه الله تعالى درس في كلية الشريعة منتظماً لمدة سنة، ثم أتم باقي السنوات بالانتساب.

ومن النقل السابق يظهر أنه درسها انتساباً لحاجة المعهد في عنيزة إلى معلمين. فهذا موضع يحتاج إلى تحرير، وسؤال لقراءة الشيخ في الدراسة، وبالطبع فقد كان الشيخ يتردد على الكلية بين الحين والآخر بصفته منتسباً.

يقول الشيخ عبد العزيز المسند : « فالرجل - رحمه الله تعالى - أعرفه عن كتب، لأنه عندما كان منتسباً للكلية كنت مديراً لها، وكان يأتي لماماً إلى الرياض ليأخذ بعض الدروس، ويقابل بعض الأساتذة بالكليات، فقد كان لديه استعداد جيد، ونشر العلم، فهذا من حسن حظهم ». (١) أ ه

وعلى كل فقد أتم الشيخ كلية الشريعة عام ١٣٧٧هـ، وتخرج في دفعتها الثانية وعمره حوالي ثلاثين عاماً، وإذا ثبت أن الشيخ درس منتظماً في كلية الشريعة فإنه سيكون قد استفاد وتأثر بكبار العلماء الذين انتدبوا للتدريس في هذه الكلية، والتي افتتحت سنة ١٣٧٣هـ.

ومنهم مشايخه الكبار الذين درس عليهم في المعهد وغيرهم.. وستختلف عدة مشايخه ويضاف إليهم آخرون. والله تعالى أعلم بالصواب.

ويرجع الشيخ إلى عنيزة العامرة بخلق العلم لشيخه العلامة السعدي رحمه الله تعالى، استمر الشيخ في ملازمة شيخه.

وبهذا أصبح الشيخ متعلماً معلماً، وأخذاً معطياً، وطالباً ومطلوباً.
وهذه صفة العلماء الربانيين.

فصل

ابن عثيمين في المعهد العلمي في عنيزة معلماً (صور ومواقف)

هذا الفصل قدمته هنا لمناسبته الزمنية للمراحل السابقة، مع أن حقه يؤخر في الباب الثاني الخاص بعطاء الشيخ وبثه للعلم وصفاته وأخلاقه.

فمنذ سنوات قليلة كان ابن عثيمين طالباً يتربع على مقاعد الدراسة في معهد الرياض العلمي، والآن وبعد أن تأهل وفاق أقرانه اختير ليبدل ما عنده من العلم والفقہ مما وعاه صدره عن أهل العلم الكبار طوال رحلته المباركة.

وليتشرف طلاب المعهد في عنيزة للحلوس في مقاعد الدراسة بين يديه، وليشاركهم في أنشطتهم المتنوعة، بل وليشارك إدارة المعهد في وضع المناهج التي تناسب هذه المرحلة.

ومما وضعه الشيخ من المناهج للمعهد العلمي - بعد ذلك - مقرر أصول الفقہ؛ حيث ألف كتابه: (الأصول من علم الأصول)، قال الشيخ في مقدمته: «أما بعد.. فهذه رسالة مختصرة في أصول الفقہ، كتبناها وفق المنهج المقرر للجنة الخامسة الثانوية في المعاهد العلمية..».

وكذلك كتب مقرر المصطلح في كتابه: (مصطلح الحديث) حيث قال في آخر المقدمة: «وقد وضعنا فيه كتاباً وسطاً يشمل على المهم من هذا الفن حسب

المنهج المقرر للمستين الأولى والثانية من القسم الثانوي في المعاهد العلمية. وسميها (مصطلح الحديث).

وقال في آخر الكتاب مورخاً له: «وإلى هنا انتهى القسم الثاني من كتاب (مصطلح الحديث) ويحتوي على مقرر السنة الثانية الثانوية في المعاهد العلمية، وبه تم الكتاب على يد مؤلفه: محمد صالح العثيمين في يوم الخميس الموافق للسادس عشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٩٦هـ، ست وتسعين وثلاثمائة وألف.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان مدى الأوقات.. آمين.» أ هـ.

ومن المواد التي درّسها الشيخ في المعهد كتاب (زاد المستنقع).

يقول تلميذه الشيخ ديبان بن محمد الديان: «قد درس الشيخ زاد المستنقع فترة طويلة جداً في المعهد العلمي في عنيزة، والذي كان يبدأ تدريسه للطلاب من السنة الأولى متوسط، وينتهي بالسنة الثانية ثانوي، وكثيراً ما يبلغ الطلاب هذه المرحلة ويتجاوزونها قبل استكمال النصاب، ولكن الشيخ ابن عثيمين كان ينهي تدريس الزاد للطلاب في سنة واحدة»^(١).

وستعرض لشيء من المواقف السيئة لشيخنا في المعهد بين طلابه في الأسطر التالية لعلها تكون تسلياً للمعلمين الذين ينهرون السبيل لغيرهم،

ولا أقول يحترقون لينهروا لغيرهم في عصر لا يوقر فيه المعلم ولا يؤبه له، بل يواخذ بالسيئة، ولا يجازى بالحسنة. وإلى الله المشتكى.

(١) جريدة الوطن، العدد ١٠٦.

قال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهائي إمام وخطيب جامع الصالحية بعنيزة، واصفاً شيخه ابن عثيمين :

«كنت طالباً في المرحلة الثانوية في المعهد العلمي في عنيزة، فكان مثلاً للأب الحنون، والمعلم المتفهم غير المنون، والتربوي الواعي، تجرئ من جنباته يتابع العلم، فكان مثلاً للسلف الصالح والعالم الرباني.

يتسبط مع المتعلم، ولا يرهقه حتى يتألم، كان مريباً تتمثل فيه الصفات التربوية بكامل معانيها.

أتذكّر :

أنا اتفقتنا مع طلاب الفصل في الثانية ثانوي، أن نخرج برحلة برية ليوم كامل، فطلبنا الشيخ أن يخرج معنا، فوافق مبدياً تمام استعداده للخروج ورعاية هذه الرحلة.

فكان في هذه الرحلة العجيب والعجاب، والأدب والآداب.

وانظر إلى هذه الرحلة، والرعاية التربوية، والتوجيهات الأبوية.

وانظر إلى هذا التقسيم والتنظيم الذي تم في هذه الرحلة، والفائدة الجملة التي خرج بها الطلاب من خلال هذه النزهة، ولعلي أتذكر أن فضيلته بعد التوجيهات، والتعليم، والترتيب.

ابتدأنا بالسباق على الأقدام، فكان والدنا الشيخ هو الأول مع أحد الطلاب، فكانت النتيجة أن سبق الشيخ الطالب لقوة جريه.

ثم تتابع السباق.

ثم انتقل بنا إلى برنامج آخر، وهو السباحة.

وكانت منطقة المتسزّه الزغبية، وفيها عيون جارية موضوع عليها براك على هيئة مسابح، وفيها المياه الصافية، فكان الشيخ يضع قطعة من النقود الحديد داخل البركة، ويقول: أيكم يأتي به؟ فيتنافس الطلاب في ذلك.

فكانت مباريات ورياضات فيها الفائدة والخير، حتى استمتع الطلاب بالسباحة والسباق للوصول إلى الغرض.

ثم:

انتقل بنا إلى برنامج آخر، وهو: الرماية.

وقد أخرج فضيلته (بندقية أم حبة) أتى بها ليطرن الطلاب عليها.

ثم اصطففنا للرماية، ووضع غرضاً لإصابته حيث بدأ كل طالب يتقصد الهدف ليصبيه، فكانت النتيجة أن أصابه البعض وأخفق آخرون فانظر الهدف العظيم الذي وصل إليه الشيخ من خلال هذه الرحلة الطلابية من تعليم السباحة، والرماية، والمسابقة على الأقدام، يتمثل في حسن اختيار الشيخ ومدى إدراكه للفائدة التي تحصل للطلاب، لو أن كثيراً من المربين اقتدوا بمثل هذه المناقب؛ لحصلوا خيراً لأفادوا كثيراً... أ هـ.^(١)

قلت: فانظر - رحمك الله - إلى المعلم عندما يكون جامعاً بين الفقه الشرعي وبين البصيرة بحاجة طلابه.

كيف استغل وقت تنزههم فيما ينفع ويعود عليهم بالخير في دينهم ودنياهم؟
كيف وضع لهم برنامجاً موافقاً لما كان عليه الصحابة والسلف الصالح في
لهم وسباقهم؟

(١) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

وهذه لفظة هامة للذين يربون طلابهم على التمثيليات، والمسارح والأناشيد والنكات، وما يسمى بالكذب البيضاء، والمشاهد والمهرجانات، وغيرها..

مما لا يُخْرِجُ عالماً ولا داعية ولا مجاهداً، ولن تحرر أراضي المسلمين المسلوبة شرقاً وغرباً بجماعة من المنشدين تقف على أبواب القدس فتشند نشيداً حماسياً بأصوات جميلة فائقة تشبه أصوات النساء.

ولن تحرر الشيشان بفرقة من الممثلين تقف على أبوابها، فتمثل مشهداً لمحمد الفاتح أو لخالد بن الوليد.

لماذا !!؟

لأننا لم نرب هؤلاء الشباب على ما تربى عليه الرعيل الأول حتى في لوهم وترتهم. رمي، سباحة، عدو على الأقدام، شحذ للعقول، مباريات فقهية، مسابقة في أصل الدين - في العقيدة - في معنى كلمة التوحيد - في شروطها وأركانها، مسابقة في حفظ القرآن - سورة - آيات، مسابقة في حفظ السنة - أحاديث مختارة، مسابقة في سمت الرعيل الأول في جهادهم - في دعوتهم.

رحم الله الشيخ وأعلى درجته في عليين، كم كان نافذ البصيرة، فقيه القلب والعقل، نصّح لطلابه وأعذر إليهم، وسلك بهم سبل الهدى.

اللهم فاجزه عنا خير الجزاء.

وليت المعتنين بالدراسات والأبحاث التربوية يعكفون على دراسة فترة وجود الشيخ في المعهد، ويجمعون من سجلات المعهد وملفاته، ومن الطلاب القدامى ما يقدم صورة واضحة مشرفة تمهد السبيل لخطط في الأنشطة التربوية لتلك المرحلة والله الموفق.

فصل

وفاة علامة القصيم وتعيين شيخنا ابن عثيمين خلفاً له في الإمامة والتدريس

لم تمض سوى سنتين وأشهر بعد رجوع شيخنا إلى عنيزة، وتدرسه في معهدنا، ولزومه لشيخه السعودي؛ إلا وقد أصابت عنيزة مصيبة المصائب، وكارثة الكوارث، فقد اندم لوائها، وتلمت فيها ثلمة، وأظلم نهارها.

ففي يوم ١٣٧٦/٦/٢٣ هـ نادى منادها بوفاة عالمها، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعودي الذي أضاعت به، وعمرت بدروسه، وسعدت بحلقاته، وامتألت بطلابيه.

وقد كان السعودي أصيب عام ١٣٧٢ هـ بمرض ضغط الدم، وتصلب الشرايين، فكان يعتره مرة بعد مرة وهو صابر محتسب.

وفي ليلة الأربعاء ٢٢ من شهر جمادى الآخرة لسنة ١٣٧٦ هـ، وبعد فراغه من الدرس اليومي المعتاد، وبعد فراغه من صلاة العشاء، «وكانت آخر صلاة صلاحها في الجامع إماماً، وقد قرأ في الركعة الأولى: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾، وفي الثانية: ﴿إِنَّا نُرْتَدِّئُكَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾»^(١).

أحسَّ بثقل وضعف في الحركة، فأشار إلى أحد تلاميذه بأن يمسه ويذهب معه إلى البيت، ففعل، ولم يصل إلى البيت إلا وقد أعغم عليه، ثم أفاق بعد ذلك، فحمد

الله وأثنى عليه وتكلم مع أهله والحاضرين بكلام حسن طيب، ثم عاوده الإغماء مرة أخرى، فلم يتكلم بعد ذلك.

فلما أصبحوا صباح الأربعاء دعوا الطبيب، فقرر أن معه نزيفاً في المخ، فأبرقوا لابنه وللملك فيصل - رحمه الله تعالى - لما كان ولياً للعهد، فأصدر أمره الكريم عاجلاً بكل ما يلزم، فقامت طائرة خاصة وفيها طبيب مخ، ومهرة من الأطباء والعلاجات إلى مدينة عنيزة، وكان فيها ابنه عبد الله ولكن الجو كان مليداً بالغيوم والرعد والبرق والعواصف الشديدة وفيها أمطار قد تابعت أكثر من شهر، تقدمت منها البيوت، ونزلت أخشاب سطوح المساجد، فلم يساعد الجو على هبوط الطائرة، ورجعت من حيث أتت، ثم رجعت من الغد صباح الخميس لمحاولة الهبوط، فنقلت مكاملة وهي في الجو بوفاته فرجعت من حيث أتت، وقد توفى رحمه الله تعالى قبل طلوع فجر يوم الخميس الموافق ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ هـ عن تسع وستين سنة، وصلى عليه الشيخ عبد العزيز بن محمد البسام بعد صلاة الظهر في الجامع الكبير في حشد كبير لم يشهد له مثيل.

ولقد تأثر الناس بوفاته وفقدت عنيزة أغلى وأعز رجالها.

يقول الشيخ محمد بن عثمان القاضي في روضة الناظرين (١/٢٤٧):

«ولقد حدثني من أثق به بأن الشيخ سليمان المشعلي، وكان عالماً جليلاً وقاضياً مسدداً لما علم بوفاته قال :

مات اليوم عالم نجد وقد طاب الموت بعد هذه الشخصية الفذة، فانصدع ومات في ١٢ من رجب بعد وفاة شيخنا السعدي بتسعة عشر يوماً، وكان من خواصه»^(١)

(١) اتحاف النبلاء، للزهراني (١/٧٠).

الموتُ أفتانهُمُ واستَبَقَاكَ بَعْدَهُمُ حَتَّىٰ فَمَا أَقْرَبَ الْقَاصِي مِنَ الدَّائِي

وبوفاة هذا العلم النحرير انتمت ثلثة عظيمة وأحس أهل عنيزة وطلاهما بفراغ هائل، كان لا بد من القرار السريع لسده، والبحث عن من يقوم مقام هذا العالم الفذ، وأولى من يسد هذه الثغرة هم تلامذته، وبخاصة، وأخصهم في ذلك هو التلميذ النجيب المحب إلى السعدي؛ والذي حظي بعناية خاصة، ألا وهو شيخنا ابن عثيمين، لذا رأى أولياء الأمر في عنيزة المسارعة بتعيينه خلفاً لشيخه.

وفي ذلك يقول شيخنا ابن عثيمين :

«لما توفي شيخنا السعدي عام ١٣٧٦هـ كان شيخنا الأول محمد بن عبد العزيز المطوع قاضياً في عنيزة، فرأى هو وأميرها في ذلك الوقت خالد بن عبد العزيز السليم أن أكون خلفاً للشيخ في الجامع والمكتبة التي كان شيخنا يدرس فيها، فوافقت على ذلك»^(١).

وكانت أول صلاة فريضة صلاها الشيخ في الجامع إماماً، يوم الأحد ١٣٧٦/٦/٢٦هـ صلاة الظهر.

وأول جمعة صلاها في يوم الجمعة ١٣٧٦/٧/٢هـ.

وبعد هذا التاريخ بنحو سنة أتم الشيخ كلية الشريعة انتساباً أي عام ١٣٧٧هـ.

واستأنف الشيخ عطاءه بين الجامع الكبير ببلقه وخطبه والمعهد، ثم الكلية بفصولها وقاعاتها، ومناهجها.

وبهذا يكون الباب الأول من هذا الكتاب قد أوشك على التمام.

(١) برنامج (في موكب الدعوة) بإذاعة القرآن الكريم بالرياض.

وفیه إتمام البناء العلمی للشیخ، والإعداد التربوی للمرحلة القادمة، والتي سیمتھر فیها الشیخ حتی الوفاة.

ألا وهي مرحلة البذل والعطاء والتعليم والدعوة.
وهي مادة الباب الثاني.

وقبل أن نتقل من هنا لابد من إلقاء النظر حول أهم أسباب النجاح، وحصول المراد للشیخ في طلب العلم بعد توفیق الله تعالی.

وإذا أحببنا أن نتلمسها سنجدها - والله أعلم - تتلخص في النقاط الآتية :

١- رغبة ابن عثيمين الجازمة في الطلب، وتوفر النية الصادقة، والهمة العالية.

٢- حب الأسرة له على سلوك سبيل العلم.

وفي هذين يقول الشیخ جواباً على سؤال هذا نصه :

س : اندفاعك نحو العلم وتلقيه ودراسته على أيدي المشائخ، هل كان

بتوجيه من الوالد والأسرة.. أم كان بدافع ذاتي محض ؟

ج : كان بتوجيه من الوالد، وعندني رغبة نحو هذا الشيء.^(١)

٣- عدم وجود العوائق الدنيوية أو الاجتماعية.

وهذا عامل مهم في حياة الطالب فكم صرفت العوائق والعوارض الكثير

والكثير من طلاب العلم الذين لديهم الكفاءة والذكاء والقدرة.

وقد كاد يحصل للشیخ شيء من هذا، ولكن الله يسر وأعان على تلافي هذه

العوارض وذلك في موضعين سبق ذكرهما حين عمل الشیخ في فلاحه الوادي، وترك

(١) مجلة اليمامة، العدد ٩٥٣، لقاء صحفي مع الشیخ.

دروس ابن سعدي، وحين أراد والده أن يذهب معه إلى الرياض، فقال له ابن سعدي: «إن هذا لا يمكن. نريد محمداً أن يمكث هنا حتى يستفيد»^(١)

٤- وجود شيخ مربٍ وحنون، رعى تلميذه، وحرص عليه، وتلطف في تعليمه العلم بالتدرج، فبدأ معه بصغار العلم قبل كباره.

حيث وكل به ابن سعدي أحد تلاميذه الكبار وهو الشيخ المطوع حتى تأهل حلقات علامة القصيم.

٥- تتلمذه وسماعه من كبار العلماء الراسخين في العلم في عصره ممن تتلمذ عليهم، واستفادته من كبار علماء عصره ممن لم يلقيهم فيما نعلم.

فقد اجتمع في عصر الشيخ كبار علماء الدنيا، من أمثال: السعدي، وابن إبراهيم، والشقيطي، وابن باز، والعفيفي، ثم بعد ذلك الألباني في المدينة المنورة.

فهؤلاء جبال الدنيا في التوحيد والفقهاء والحديث وعلوم الآلة ممن كان لهم الدور البارز في توجيه المسيرة العلمية والدعوة بعد ذلك في العالم أجمع.

فقد استفاد الشيخ كما سبق من التقى بهم، ونظر في كتابات وأبحاث من لم يجلس إليهم كالشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله تعالى -.

٦- اهتمام الشيخ بالتأسيس في البناء العلمي.

فها هو يبدأ بحفظ القرآن وبتمه، ثم يضبط عدداً من المتون الفقهية والحديثية كـ (الزاد، والبلوغ).

وله محفوظات في العربية، من أمثال: الأجرومية، والألفية، يستحضرها سريعاً، ويلزم طلابه بحفظها.

وقد قال الشيخ : «قرأنا كثيراً فلم يبق معنا إلا ما حفظنا».

٧- أخذه العلم من نبعه الصافي الذي لم تكدره الدلاء.

فشيخه السعدي يدرس التفسير على الطريقة السلفية الصحيحة، فلا صوفية، ولا إسرائيليات، ولا أقوال ساقطة متهاككة، بل استنباط موفق وتفسير مسدد.

وكذا شيخه الشنقيطي فتفسره للقرآن بالقرآن ثم بالسنة، ثم شيخه في الحديث ابن باز، فمن صحيح البخاري إلى مسلم، فالسنن، وقراءات لرسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذا بقية دروسه.

رحمة الله على الجميع.

٨- حرصه الشديد على وقته، فقد حصّل في الزمن اليسير ما يحصله كبار الطلاب في الزمن الطويل، وسيرته شاهده بذلك.

٩- تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى، وخاصة طريقة الاستدلال والاستنباط والتعليل، وربط الأحكام بأدلتها، وتنوع الأدلة.

وقد قال عن ذلك :

«الإنسان يقرأ ويتأثر، وأحياناً يقرأ ولا يتأثر، فالذي أرى أنه يتأثر القارئ بكتبه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فإن له تأثيراً قوياً بالنسبة لقوة الحجّة، والافتاع، والدفاع.

ولذا أنا أنصح كل من يريد الوصول إلى الحق من منبعه الصافي؛ أن يقرأ في كتب هذا الإمام؛ لأنه حقاً إمام - جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً - وكذلك أيضاً تلميذه ابن القيم : أسلوبه وإقناعه يأخذان بألباب قارئه، لكنني أتأثر بكلام الشيخ أكثر من تأثري بكلام ابن القيم؛ مما يدفع الإنسان إلى الافتناع الكامل الكافي.

كذا تأثرت بتلميذه ابن مفلح صاحب كتاب (الفروع) في مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ لأن له توجيهات طيبة جداً في الفقه تدل على عمق معرفته بالشريعة.

وتأثرت أيضاً بمنهاج الشيخ محمد رشيد رضا، لأنه جيد في عرض المسائل، وإن كان عليه بعض الأخطاء، وجل من لا يخطئ فهو على كل

حال له أثر في منهجي في تحقيقه المسائل، وما أشبه ذلك. «إ.ه. (١)

١٠- جمع الشيخ همه على العلم وتحصيله، والاكتفاء من الدنيا بما يسد حاجته، وعدم توزيع الأوقات في ملاحقة حطامها الفاني، وإشباع الرغبات التي لا تنتهي.

وهذه خصلة تحلى بها عدد من مشايخه منهم العلامة الشنقيطي الذي كان لا يعرف فئات العملة الورقية، وهو الذي كان يتمثل بأبيات الأديب محمد ابن حنبل الشنقيطي :

لَا تُسِي بِالْعِلْمِ ظَنًّا يَا فَيَّ إِنَّ سُوءَ الظَّنِّ بِالْعِلْمِ عَطَبٌ
لَا يَزْهَدُكَ أَحِي فِي الْعِلْمِ أَنْ غَمَرَ الْجَهَالُ أَرْتَابَ الْأَدَبِ
إِنْ تَرِ الْعَالِمِ نَضْواً مُرْمَلاً صَفَرَ كَفِّ نَمِّ يَسَاعِدُهُ سَبَبٌ
وَتَرِ الْجَاهِلِ قَدْ حَازَ الْغِنَى مَخْرَزَ الْمَأْمُولِ مِنْ كُلِّ أَرْبِ
قَدْ تَجَمَّعَ الْأَسْدُ فِي آجَامِهَا وَالذَّنَابُ الْغُبْسُ تَعْتَامُ الْقَتَبِ (٢)

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) إنحاف النبلاء بسير العلماء (١٣٦/١).

رَفَع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس

الباب الثاني (بذله وعطاؤه) وفيه فصلان:

الفصل الأول : علمه وعمله وصفاته وأخلاقه

الفصل الثاني : سبل دعوته وتعليمه، وجهوده في نشر العلم

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الأول

علمه وعمله وصفاته وأخلاقه

(١) عقيدته :

المتبع لحياة الشيخ العلمية والعملية، يجد أنه يعتقد اعتقاد السلف الصالح؛ أهل السنة والجماعة؛ في أصول الدين جملةً وتفصيلاً.

وقد بين الشيخ رحمه الله تعالى عقيدته السلفية في تأليفه وشروحه ودروسه ومحاضراته وخطبه وفتاواه.

وقد عاش يدعو إلى هذه العقيدة المباركة حتى آخر أيام عمره، في دروسه التي كان يلقيها في المسجد الحرام من غرفته، وهو على سرير المرض.

ومن المناسب هنا أن أذكر نبذة من عقيدة الشيخ التي كتبها بنفسه، وسماها :
«عقيدة أهل السنة والجماعة».

وسأختصر ذكر الأدلة فيها، ومن شاء المزيد فليراجع الأصل.

قال رحمه الله تعالى :

عقيدتنا

عقيدتنا: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

فنؤمن بربوبية الله تعالى؛ أي : بأنه الرب الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

ونؤمن بالوهمية الله تعالى؛ أي : بأنه الإله الحق، وكل معبود سواه باطل.

وتؤمن بأسمائه وصفاته؛ أي : بأنه له الأسماء الحسنی والصفات الكاملة العلیا.
وتؤمن بوحديته في ذلك : أي بأنه لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته،
ولا في أسمائه وصفاته.

قال الله تعالى : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ
هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾. [مریم : ٦٥].

وتؤمن بأنه : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾. [البقرة : ٢٥٥].

وتؤمن بأنه : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ
لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾.
[الحشر ٢٢-٢٤].

وتؤمن بأنه : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ
عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾. [الشورى : ٤٩-٥٠].

وتؤمن بأنه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَنسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)﴾.
[الشورى ١١-١٢].

ونؤمن بأنه : ﴿مَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْذَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. [هود : ٦].

ونؤمن بأنه : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ
وَلَا يَابِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. [الأنعام : ٥٩].

ونؤمن بأن الله : ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا
تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ﴾. [لقمان : ٣٤].

ونؤمن بأن الله يتكلم بما شاء، متى شاء، كيف شاء : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.
[النساء : ١٦٤]. ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾. [الأعراف : ١٤٣].
﴿وَتَادِبْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾. [مريم : ٥٢].

ونؤمن بأنه : ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ
كَلِمَاتُ رَبِّي﴾. [الكهف : ١٠٩]. ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ
يُمْدُودُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. [لقمان : ٢٧].

ونؤمن بأن كلماته الله أم الكلمات صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام،
وحسناً في الحديث، قال الله تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾.
[الأنعام : ١١٥]. وقال : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾. [النساء : ٨٧].

ونؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى تكلم به حقاً، وألقاه إلى جبريل
فنزل به جبريل على قلب النبي ﷺ، ﴿فَلِئَلَّا نُرْزِلَهُ رُوحَ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ
لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ هُدًى وَيُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَأَقْنَدَ نَعْلَهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ

إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ. [النحل : ١٠٢ - ١٠٣].

ونؤمن بأن الله عز وجل عليٌّ على خلقه بذاته وصفاته؛ لقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾. [البقرة : ٢٥٥]. وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَبِيبُ﴾. [الأنعام : ١٨].

ونؤمن بأنه : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ﴾. [يونس : ٣].

واستواؤه على العرش : علوه عليه بذاته علواً خاصاً يليق بجلاله وعظمته لا يعلم كيفيته إلا هو.

ونؤمن بأنه تعالى مع خلقه، وهو على عرشه، يعلم أحوالهم ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر أمورهم.

يرزق الفقير، ويجبر الكسير، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. [الشورى : ١١].

ولا نقول كما تقول الحلولية من الجهمية وغيرهم : إنه مع خلقه في الأرض. ونرى أن من قال ذلك فهو كافر أو ضال؛ لأنه وصف الله بما لا يليق من النقص.

ونؤمن بما أخرج به عنه رسوله ﷺ أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول :

«من يدعوني فاستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له».

ونؤمن بأنه سبحانه وتعالى يأتي يوم المعاد للفصل بين العباد؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَلَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾. [الفجر : ٢١-٢٣].

ونؤمن بأنه تعالى: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾. [البروج : ١٦].

ونؤمن بأن إرادته تعالى نوعان :

كونية : يقع بها مراده، ولا يلزم أن يكون محبوباً له، وهي التي بمعنى المشيئة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾. [البقرة : ٢٥٣]، ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. [هود : ٣٤].

وشرعية : لا يلزم بها وقوع المراد، ولا يكون المراد فيها إلا محبوباً له، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾. [النساء : ٢٧].

ونؤمن بأن مراده الكوني والشرعي تابع لحكمته، فكل ما قضاه كوناً أو تعبد به خلقه شرعاً فإنه لحكمة وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم أو تقاصرت عقولنا عن ذلك: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾. [التين : ٨]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. [المائدة : ٥٠].

ونؤمن بأن الله تعالى يحب أوليائه، وهم محبوبونه.....

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال ويكره ما نهى عنه منها.

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات.....

ونؤمن بأن الله تعالى يفضب على من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم...

ونؤمن بأن الله تعالى وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام : ﴿وَيَقْفَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. [الرحمن : ٢٧].

ونؤمن بأن الله تعالى يدين كريمين عظيمين : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة : ٦٤]، ونؤمن بأن الله تعالى عينين اثنتين حقيقيتين، لقوله تعالى : ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾. [هود : ٣٧].
وقال : [ﷺ] «ما انتهى إليه بصره من خلقه».

ونؤمن بأن الله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. [الأنعام : ١٠٣].

ونؤمن بأن المؤمنين يرون رهم يوم القيامة : ﴿وَجُودَةٌ يُؤْمِلُ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾. [القيامة : ٢٢-٢٣].

ونؤمن بأنه : ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾. [البقرة : ٢٥٥]. لكمال حياته وقيوميته.
ونؤمن بأنه لا يظلم أحداً؛ لكمال عدله.

وبأنه ليس بغافل عن أعمال عباده؛ لكمال رقبته وإحاطته.

ونؤمن بأنه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض؛ لكمال علمه وقدرته : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. [يس : ٨٢].

وبأنه لا يلحقه تعب ولا إعياء؛ لكمال قوته : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾. [ق : ٣٨].
أي من تعب ولا إعياء.

ونؤمن بثبوت كل ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

لكننا نتبرأ من محظورين عظيمين، هما : التمثيل؛ أن يقول بقلبه أو لسانه : صفات الله تعالى كصفات المخلوقين. والتكليف؛ أن يقول بقلبه أو لسانه كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا.

ونؤمن بانفءاء كل ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، وأن ذلك النفي يتضمن إثباتاً لكمال ضده، ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله.

ونرى أن السير على هذا الطريق فرض لا بد منه؛ وذلك لأن ما أثبتته الله لنفسه أو نفاه عنها سبحانه فهو خير أخير الله به عن نفسه، وهو سبحانه أعلم بنفسه وأصدق قبلاً، وأحسن حديثاً، والعباد لا يحيطون به علماً.

وما أثبتته له رسوله أو نفاه عنه فهو خير أخير به عنه، وهو أعلم الناس بربه، وأنصح الخلق، وأصدقهم، وأفصحهم.

ففي كلام الله تعالى ورسوله ﷺ كمال العلم والصدق والبيان، فلا عذر في رده أو التردد في قبوله.

فصل

وكل ما ذكرناه من صفات الله تعالى تفصيلاً أو إجمالاً، إثباتاً أو نفيًا، فإننا في ذلك على كتاب ربنا وسنة نبينا معتمدون، وعلى ما سار عليه سلف الأمة وأئمة الهدى من بعدهم سائرون..... إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى من هذه العقيدة المباركة من بقية أمور الاعتقاد.

وإنني أقترح أن تشرح هذه العقيدة المباركة شرحاً موسعاً، وتُدْرَس في حلوق العلم لطلاب العلم، وتدرس كذلك في المعاهد والكليات والجامعات، كما تدرس الواسطية والطحاوية.

ونقول كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى لما ألف الموطأ وقيل له في ذلك، فقال: «ما كان لله أبقي». وقد كان ما تفرسه رحمه الله تعالى. وقد كتب الشيخ هذه العقيدة المباركة، وكذا كتابه الفذّ: (القواعد المثلى) في حدود سنة ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ، بعدما تكلم بعض الناس على ما ذكره في أحد المجالس من تقرير أن معية الله معية حقيقية ذاتية تليق به، فرموه بما لم يقله، وتوهموا ما لم يردده، فكان من حكمة الشيخ وتواضعه للحق أن ترك هذه الكلمة (ذاتية) لدرء هذه الفتنة.

وأنقل للقارئ هنا ما كتبه الشيخ وسجّله بقلمه حول هذا الموضوع حيث قال في كتابه: «القواعد المثلى».^(١)

تنبیه ثالث

اعلم أيها القارئ الكريم أنه صدر مني كتابة لبعض الطلبة تتضمن ما قلته في بعض المجالس في معية الله تعالى لخلقهم، ذكرت فيها:

أن عقيدتنا لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به، وتقتضي إحاطته بكل شيء، علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتديراً، وأنه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق، أو حالاً في أمكنتهم، بل هو العلي بذاته وصفاته.

وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها.

وأنه مسترٍ على عرشه كما يليق بجلاله.

وأن ذلك لا يناه معيته؛ لأنه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وأردت بقولي (ذاتية) توكيد حقيقة معيته تبارك وتعالى.

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض، كيف ! وقد قلت في نفس هذه الكتابة - كما ترى - إنه سبحانه منزّه أن يكون مختلطاً بالخلق، أو حالاً في أمكنتهم، وأنه العليُّ بذاته وصفاته، وأن علوه من صفاته (الذاتية) التي لا ينفك عنها. وقلت فيها أيضاً ما نصه بالحرف الواحد: «ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كل مكان، فهو كافر أو ضال إن اعتقده، وكاذب إن نسه إلى غيره من سلف الأمة أو أممتها» أ.هـ.

ولا يمكن لعقل عرف الله وقدره حق قدره أن يقول إن الله مع خلقه في الأرض. وما زلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالس جرى فيه ذكره. وأسأل الله تعالى أن يشيخي وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة الدعوة، التي تصدر في الرياض، نشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم سنة ١٤٠٤هـ برقم ٩١١، قررت فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من أن معية الله لخلقه حق على حقيقتها، وأن ذلك لا يقتضي الخلول والاختلاط بالخلق؛ فضلاً عن أن يستلزمه، ورأيت من الواجب استبعاد كلمة (ذاتية)، وبينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى، وحقيقة المعية.

واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض، أو اختلاطه بمخلوقاته، أو نفي علوه، أو نفي استوائه على عرشه، أو غير ذلك.

مما لا يليق به تعالى، فإنها كلمة باطلة يجب إنكارها على قائلها كأننا من كان، وبأي لفظ كانت.

وكل كلام يوهم - ولو عند بعض الناس - مالا يليق بالله تعالى فإن الواجب تحنبه لئلا يظن بالله تعالى ظن السوء.

لكن ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ؛ فالواجب إثباته وبيان بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله عز وجل. أ.ه. (١)

وقد ذكر الشيخ في آخر الكتاب نص المقال المنشور في مجلة الدعوة السعودية بتاريخ ١/٤/١٤٠٤هـ، وعليه تحرير الشيخ له بتاريخ ٢٧/١١/١٤٠٣هـ.

وقد نبه الشيخ في آخر كتابه على المسألة العظيمة التي يحتاج التذكير بها كل عالم، وكل طالب علم.

ألا وهي الرجوع إلى الحق متى تبين له، فقال :

«فعلى المؤمن أن يبني معتقده وعمله على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ فيجعلهما إماماً له، يستضيء بنورهما، ويسير على منهاجهما، فإن ذلك هو الصراط المستقيم الذي أمر الله به تعالى في قوله : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمُ صِرَاطِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. ويحذر ما يسلكه بعض الناس من كونه يبني معتقده أو عمله على مذهب معين؛ فإذا رأى نصوص الكتاب والسنة على خلافه حاول هذه النصوص إلى ما يوافق ذلك المذهب على وجوه متعسفة، فيجعل الكتاب والسنة تابعين لا متبوعين، وما سواهما إماماً لا تابعاً.

وهذه طريق من طرق أصحاب الهوى، لا أتباع الهدى.

وقد ذمَّ الله هذه الطريق في قوله : ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

(١) من ص ٦٣، إلى ص ٦٤.

والناظر في مسالك الناس في هذا الباب يرى العجب والعجاب، ويعرف شدة افتقاره إلى اللجوء إلى ربه في سؤال الهداية والثبات على الحق، والاستعاذة من الضلال والانحراف.

ومن سأل الله تعالى بصدق وافتقار إليه عالماً بغنى ربه عنه، وافتقاره هو إلى ربه، فهو حري أن يستجيب الله تعالى له سؤله.

يقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أ.هـ.

وهذا الكتاب أي القواعد المثلى أثنى عليه شيخ المترجم العلامة ابن باز، - رحم الله الجميع - ثناءً عاطراً؛ حيث قال :

«فقد اطلعت على المؤلف القيم الذي كتبه صاحب الفضيلة أخونا الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وسمعت من أوله إلى آخره، فألفيته كتاباً جليلاً قد اشتمل على بيان عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، كما اشتمل على قواعد عظيمة، وفوائد جمة، في باب الأسماء والصفات... إلى أن قال : فجزاه الله خيراً وضاعف مثوبته، وزادنا وإياه علماً وهدياً وتوفيقاً، ونفع بكتابه القراء وسائر المسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه» أ.هـ. أملاه في ١١/٥ / ١٤٠٤ هـ.

هذا وقد أطلت هنا لأمرين :

أولاً : التسجيل التاريخي لرجوع الشيخ وإثباته للصواب الذي لا إشكال فيه؛ حتى لا يأت متقول في زمن من الأزمان يفترى على الشيخ، وكم في التاريخ من عبرة وعظة. ثانياً : لتذكرة أولي النهى من العلماء وطلاب العلم بأهمية التجرد من الهوى، ووجوب الرجوع إلى الحق مهما كان قدر القائل، أو قدر المقالة.

حتى إن الشيخ ابن باز وابن عثيمين قرظا كتاب الشيخ حمود التويجري رحمه الله تعالى في رده على المترجم.

وهذا نموذج في التواضع والخلق الرفيع، ينبغي أن يقتدي به، ويحذو طلاب العلم حذوه. رحم الله الجميع وأسكنهم الفردوس الأعلى.

وهذه العقيدة التي أسلفنا نبذاً منها ظل الشيخ طيلة حياته يدعو إليها بلسانه وبينانه تأصيلاً وتفصيلاً من منبره ومن درسه، ومن خلال هاتفه، وفي الشارع والجامع، والمعهد والجامعة، في مجالسه الخاصة والعامة، ولا يكاد يجد فرصة سانحة إلا وينشر فيها هذه العقيدة الصافية النقية بأسلوبه السهل المتدرج الذي يجذب انتباه العامي، ويستفيد منه الطالب، مؤكداً على أهمية علم التوحيد وشرفه، واستمع إليه وهو يقول :

«أما بعد.. فإن علم التوحيد أشرف العلوم وأجلها قدراً، وأوجبها مطلباً، لأنه العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى وأساس شرائعه، ولذا أجمعت الرسل على الدعوة إليه، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾. وشهد لنفسه تعالى بالوحدانية، وشهد بما له ملائكته، وأهل العلم، قال الله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

ولما كان هذا شأن التوحيد كان لزاماً على كل مسلم أن يعتني به تعليماً وتعليماً، وتدبراً واعتقاداً، ليبني دينه على أساس سليم واطمئنان وتسليم، يسعد بشراته ونتائجه. أ هـ.

وقد هجج الشيخ بيان أهداف العقيدة الإسلامية على الفرد والمجتمع، بما يحقق السعادة للتمسك بها في الدارين، فقال رحمه الله تعالى :

أهداف العقيدة الإسلامية :

مقاصدها وغايتها النبيلة المترتبة على التمسك بها، وهي كثيرة متنوعة، فمنها :
 أولاً : إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده؛ لأنه الخالق لا شريك له، فوجب أن يكون القصد والعبادة له وحده.

ثانياً : تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة؛ لأن من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة، وعابد للمادة الحسية فقط، وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات.

ثالثاً : الراحة النفسية والفكرية، فلا قلق في النفس ولا اضطراب في الفكر، لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالفه، فيرضى به رباً مديراً، وحاكماً مشرعاً، فيطمئن قلبه بقدرة، وينشرح صدره للإسلام، فلا يبغى عنه بديلاً.

رابعاً : سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى، أو معاملة المخلوقين؛ لأن من أسسها الإيمان بالرسول المتضمن لإتياع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل.

خامساً : الحزم والجد في الأمور، بحيث لا يفوت فرصة للعمل الصالح إلا استغلها فيه رجاء للنواب، ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفاً من العقاب؛ لأن من أسسه الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ بَعَاقِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، وقد حث النبي ﷺ على هذه الغاية في قوله : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...» الحديث.

سادساً : تكوين أمة قوية تبذل كل غالٍ ورخيص في تثبيت وتوطيد دعائمه غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك، وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْقُبُوا وِجَاهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١﴾

سابعاً : الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات ونيل الثواب والمكرمات، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

هذه بعض أهداف العقيدة الإسلامية، نرجو الله تعالى أن يحققها لنا، ولجميع المسلمين». (١)

وعن أثر العقيدة الصحيحة على صلاح الأمة، يقول رحمه الله تعالى :

«وهذه الثمرات التي ذكرناها لهذه الأسس وما لم نذكره تجعل من الأمة أمة إسلامية طاهرة نقية تدين لله دين الحق، وتعامل الخلق بالعدل والصدق، لأن ما سواها من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه الأسس، وتصلح أحوال الأمة بصلاح أمر دينها، ويفوقها من صلاح أحوالها بقدر ما فاقها من صلاح أمور دينها. أه...» (٢)

وهذه الثمرات العقديّة التي أشار إليها الشيخ رحمه الله قد ساهم في بيانها والتنبية عليها في عدد من كتبه؛ ليقربها لطلاب العلم والعمل، وقد أكثر من ذكرها في شرحه على العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، بما لم أجده له في مكان آخر من شروحه المطولة أو المختصرة، فلا تكاد تجد آية أو آيات أو حديثاً أو أكثر إلا ويتبعه بقوله الفائدة المسلّكية من هذه الآية أو هذا الحديث. وهذه طريقة بدیعة جداً في التعليم والتربية، لم أجدها بمذة الكثرة لغیره.

(١) نبذة في العقيدة الإسلامية ص ٤٣ ط: مكتبة المعارف - الطبعة الثانية - سنة ١٤٠٤ هـ.

(٢) نبذة في العقيدة الإسلامية، ص ١٠.

ويا حبذا لو تكون درياً يسلكه أهل العلم في كتاباتهم، ودرسهم وحلقاتهم، إذا
 لكان فيه فائدة عظيمة نحو تربية أجيال على ضوء الآثار العظيمة للكتاب والسنة.
 وسأذكر من شرحه على الواسطية مثلاً واحداً لفائدة مسلكية فيها سعادة العبد
 في الدراين.

يقول رحمه الله تعالى في مسألة الرؤية :

«أما في مسألة الرؤية؛ فما أعظم أثرها على الاتجاه المسلكي؛ لأن الإنسان إذا
 وجد أن غاية ما يصل إليه من الثواب هو النظر إلى وجه الله تعالى كانت الدنيا
 كلها رخيصة عنده؛ وكل شيء يرخص عنده في جانب الوصول إلى رؤية الله عز
 وجل؛ لأنها غاية كل طالب ومنتهى المطالب.

فإذا علمت أنك سوف ترى ربك عياناً بالبصر؛ فوالله لا تساوي الدنيا عندك
 شيئاً، فكل الدنيا ليست بشيء؛ لأن النظر إلى وجه الله تعالى هو الثمرة التي يتسابق
 فيها المتسابقون، ويسعى إليها الساعون، وهي غاية المرام من كل شيء...»^(١)

وهذه العقيدة التي عقد عليها قلبه قد بذل الشيخ في تقريرها غاية وسعه، ولا
 أدل على ذلك من أن تنظر إلى كتب العقيدة التي اقترن اسمه بها شرحاً أو تعليقاً أو
 اختصاراً أو تقريباً، وسأسرد هنا ما علمته من ذلك :

- ١- كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (شرح).
- ٢- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (شرح مطول) و(تعليق مختصر).
- ٣- الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (اختصار) وهو أول مؤلف للشيخ كتبه.

سنة ١٣٨٠هـ.

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/٤٥٨-٤٥٩)، ط: دار ابن الجوزي - ط: ٣.

- ٤- الرسالة التدمرية لابن تيمية (تقريب).
- ٥- لمعة الاعتقاد لابن قدامة (شرح وتعليق).
- ٦- الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (شرح).
- ٧- الأصول الستة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (شرح).
- ٨- نبذة في العقيدة الإسلامية (تأليف).
- ٩- عقيدة أهل السنة والجماعة (تأليف).
- ١٠- القواعد المثلى (تأليف).
- ١١- العقيدة السفارينية (شرح مسجل).
- ١٢- النونية لابن القيم (شرح مسجل).
- ١٣- الميمية لابن القيم (شرح مسجل).
- ١٤- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (تعليق مسجل) و(انتقاء).
- ١٥- القضاء والقدر (تأليف).
- ١٦- كتاب التوحيد من صحيح البخاري (شرح مختصر مكتوب على الآلة).
- ١٧- تفسير آية الكرسي.
- ١٨- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع (تأليف لطيف).
- ١٩- العقيدة الطحاوية (شرح لطلاب الجامعة).
- ٢٠- كشف الشبهات (شرح).
- ٢١- شرح أصول الإيمان.
- ٢٢- فتاوى العقيدة التي جمعها غير واحد، منهم الشيخ فهد السليمان. وغير ذلك من الفتاوى العقيدية في الإذاعة والحرم، وغيرها..

وهذه الشروح والتأليف منها ما هو رسالة لطيفة، ومنها ما هو عدة مجلدات. وبنظرة أخرى إلى الأشرطة المسموعة التي شرح الشيخ فيها كتب العقيدة يبين لك الزمن الطويل الذي استغرقه الشيخ في خدمة هذه العقيدة المباركة بحسب الجدول الوارد في تسجيلات مؤسسة الاستقامة الإسلامية بعنيزة.

- ١- الفتوى الحموية الكبرى سنة ١٤٠٥هـ.
- ٢- كتاب التوحيد سنة ١٤٠٧هـ.
- ٣- القواعد المثلى سنة ١٤٠٧هـ.
- ٤- الرسالة التدمرية سنة ١٤٠٧هـ.
- ٥- العقيدة الواسطية سنة ١٤٠٨هـ / ١٤١٩هـ.
- ٦- السفارينية سنة ١٤٠٨هـ.
- ٧- الميمنية سنة ١٤٠٨هـ.
- ٨- النونية سنة ١٤١٢هـ.
- ٩- عقيدة أهل السنة والجماعة سنة ١٤١٧هـ.
- ١٠- اقتضاء الصراط المستقيم سنة ١٤١٧هـ.
- ١١- توحيد الأنبياء والمرسلين سنة ١٤١٩هـ.
- ١٢- كتاب التوحيد والرد على الجهمية من صحيح البخاري سنة ١٤١٥هـ.

ولا شك أن القدر الذي شرحه الشيخ أكثر بكثير من الذي قامت مؤسسة الاستقامة بتسجيله حيث كان الطلاب يسجلون - قبل ذلك - بطريقة اجتهادية، كل يسجل لنفسه، وقد يحتفظ بما ولا ينشرها عبر مؤسسة معينة.

ومن أوضح الأدلة على ذلك أن أول كتاب قرأته على شيعي رحمه الله تعالى هو فتح رب الربة بتلخيص الحموية، وكان في حدود سنة ١٤٠٤هـ، وكذا سمعت منه الواسطية في حدود هذا التاريخ القدم نسبياً، ولعل من يلتمس هذا يجده. والله الموفق.

تعليق على طريقة الشيخ في اختصار الكتب وتقريبها :

الذي يظهر من اختصارات الشيخ أو تلخيصاته أن له طريقة متميزة في ذلك. فحين يظن القارئ أنه سيجد تلخيصاً لكلام المؤلف يجمع له شتات عدة عناصر، أو يقرب عدة أمثالات في عبارات موجزة مختصرة؛ يجد في تقريب الشيخ أو تلخيصه أمراً آخر، فهو أقرب لشرح الحموية وترتيبها من كونه تلخيصاً. ويكتفي لييان هذا أن الحموية الأصل فتوى وقعت في حوالي ثمانين صفحة تقريباً. والناظر في تلخيص الشيخ يلاحظ فيه الآتي :

— أن هذه الفتوى مع صغر حجمها قسمت في التلخيص إلى ستة وعشرين باباً يتضمن بعضها عدة فصول.

— أن الشيخ في التلخيص صدّرها بتعريف عدد من المصطلحات التي ستكثر الحاجة إليها كالتكييف والتمثيل والتحرير والتشبيه في اللغة والاصطلاح بما لا يوجد في الأصل.

— حذف الشيخ في التلخيص كثيراً من النقول التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في آخر رسالته للاستشهاد بها على صحة ما ذهب إليه في إثبات الصفات وخاصة في العلو.

— رد الشيخ على كثير من شبهات النفاة المعطلة في عدد من الصفات بطريقة تفصيلية تأصيلية مقسمة إلى عناصر وأوجه.

– نقل الشيخ إلى التلخيص عدداً من النقول عن شيخ الإسلام في بعض كتبه مستشهداً بها على ما يريد، وهاك أمثلة على ذلك :

١- نقله من كتاب : (الرد على المنطقيين) ص ١١٠.

٢- نقله من كتاب العقل والنقل في ص ١٠٣.

٣- نقله أيضاً من الكتاب نفسه قاعدة عند التعارض ص ٧٧.

٤- نقله عن المؤلف من الرسالة العرشية ص ٧٤.

٥- نقله عن ابن كثير ص ٧٤.

كما زين الشيخ تلخيصه ببعض الشواهد الشعرية بعضها متقدم قائله عن شيخ الإسلام، وبعضه متأخر أو معاصر كما في نقله من النونية لابن القيم رحمه الله تعالى ص ٩٠ قصة قتل خالد القسري للجعد بن درهم.

كل ما ذكرت هنا وغيره يؤيد أن تلخيص الشيخ للحموية إنما هو شرح لها، وليس المراد منه التلخيص الذي هو الاختصار كما أسلفت.

ويقال في التدمرية ما قيل هنا.

وإنما أسهبت في هذا الموضوع؛ لأن هذا قد يكون لبنة لدراسة منهج الشيخ ابن عثيمين العلمي في الكتابة، والتأليف، ومن ذلك الاختصار والتلخيص، ولعله يأتي مستقبلاً من يقوم بهذا العمل. والله الموفق.

منهج الشيخ في تقرير العقيدة ونشرها وتعليمها :

قد كان للشيخ رحمه الله تعالى منهج متميز في عقيدته علماً وعملاً، دراسة وتدریساً.

فقد اتخذ نصوص الوحي وجهته، وجعل سبيل السلف الصالح دربه ومسلكه.

فينظر ما جاء به النص أو الإجماع؛ فلا يجيد عنه مهما كلفه من تشنيع لمشنعين، أو توهين المعاندين، ولا يزال يلهج بهذا المنهج دوماً.

واستمع إليه وهو يقول :

«ونرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة في ذلك على ظاهرها، وحملها على حقيقتها اللاتقة بالله عز وجل، وتنبأ من طريق المحرفين لها، والذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله ﷺ.

ومن طريق المعطلين لها الذين عطلوها عن مدلولها الذي أراده الله ورسوله ﷺ.

ومن طريق الغالين فيها الذين حملوها على التمثيل أو تكلفوا لمدلولها التكيف.

ونعلم علم اليقين أن ما جاء في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ؛ فهو حق لا يناقض بعضه بعضاً؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾. [النساء : ٨٢]». ^(١)

واقرا هذه الرسالة التي أرسلها إلى أحد المشايخ الفضلاء حول الحديث القدسي «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» ويقرر الشيخ في الرسالة إثبات صفة الهرولة على الوجه اللائق بالله تعالى.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : «فيا محب تعلم أن هذا الحديث أخصر الله تعالى به عن نفسه ونقله عنه أمينه على وحيه ورسوله إلى عباده ومبلغ رسالته على الوجه الأتم، ونقله عن هذا الرسول أمناء أمته من الصحابة، والتابعين وأئمة الأمة من أهل الحديث والفقه، وتلقته الأمة بالقبول.

وتعلم يا محب : أن الله تبارك وتعالى أعلم بنفسه وبغيره ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿قُلْ أَلَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾.

وتعلم يا محب أن الله تعالى لم يطلع خلقه على ما علمه إياهم من أسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه إلا ليبين لهم الحق حتى لا يضلوا ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وتعلم يا محب :

أنه لا أحد أحسن من الله حديثاً، ولا أصدق منه قياً، وأن كلامه - جل وعلا - في أعلى غاية الفصاحة والبيان، وقد قال سبحانه عن نفسه : «من أتاني بمشي آتيته هرولة».

فلا تستوحش يا أخي من شيء أثبتته الله - تعالى - لنفسه بعد أن علمت ما سبق، واعلم أنك إذا نفيت أن الله تعالى يأتي هرولة، فسيكون مضمون هذا النفي صحة أن يقال : إن الله لا يأتي هرولة. وفي هذا ما فيه.....

ثم يقول : «وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأن الله تعالى يأتي هرولة، وقد أخبر الله تعالى به عن نفسه، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وليس في إثبات الله تعالى هرولة على الوجه اللائق به بدون تكليف ولا تمثيل شيء من النقص، حتى يقال : إنه ليس ظاهر الكلام، بل هو فعل من أفعاله يفعلها كيف يشاء...».

ثم يقول :

«وان الإنسان ليجد في نفسه الخوف من أن يلقي الله عز وجل وهو يقول : (إن الله تعالى لا يأتي هرولة) بعد أن أثبت ذلك لنفسه، وسبحان من قال عن نفسه : ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾».

ولقد تأملت هذه المسألة، وكلما همت أن أقول بما ذهب إليه بعض الناس في هذا الحديث، وجدته خائفاً من أن أقول في كلام الله عز وجل - ما لا أعلم - وأن بقائي على ما يدل عليه ظاهر الحديث مع تنزيه الله عز وجل عما لا يليق به من مماثلة الخلق، ومع الكف عن تكييف صفاته، أسلم في عقيدتي، وأبعد لي عن التكلف، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها..» أه.^(١)

طريقته في الاستدلال :

أما طريقة الشيخ في الاستدلال لهذه العقيدة؛ فقد كان يستدل على ذلك بالفطرة والعقل الصحيح، والنقل الصحيح والحسن، والإجماع، بحسب ما يقتضيه المقام. وقد كان يحرص كثيراً على تنوع الأدلة، ويقول : إن كثرة الأدلة وتنوعها مهم جداً لطالب العلم.

قال رحمه الله تعالى في الاستدلال على وجود الرب تعالى وتقدس :

«قد دل على وجوده تعالى الفطرة والعقل والشرع والحس».^(٢)

وأخذ يفصل في كل واحدة. وقال أيضاً : «وأما علو الذات فمعناه : أن الله بذاته فوق جميع خلقه، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة..»، ثم قال: «فهذه الأدلة الخمسة كلها تطابقت على إثبات علو الله بذاته فوق خلقه..».^(٣)

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، لفهد السليمان (١٨٣/١ - ١٨٨).

(٢) نبذة في العقيدة الإسلامية ص ١١.

(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص ٦٥-٦٦.

ومثل هذا قاله في شرح الواسطية.^(١)

وكان رحمه الله تعالى لا يفغل أقوال أهل العلم في فهم الدليل، ودائماً يقول :
«أهل العلم يُستدلُّ لهم ولا يُستدلُّ بهم». ولكن يوردها مسترشداً بما في فهم الدليل.
مثل قوله رحمه الله تعالى :

«والحاصل أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفراً، كما يكون معذوراً بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقاً، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، والاعتبار، وأقوال أهل العلم». ^(٢) وأيضاً يعتبر الشيخ بمقتضى حكمة الرب تعالى.
قال رحمه الله تعالى :

«وإذا كان هذا مقتضى نصوص الكتاب والسنة وكلام أهل العلم؛ فهو مقتضى حكمة الله تعالى، ولطفه، ورافته، فلن يعذب أحداً حتى يعذر إليه...».^(٣)

طول نفس الشيخ في ردوده :

وكما كان الشيخ رحمه الله تعالى قوياً في الاستدلال لعقيدة أهل السنة بكافة أنواع الاستدلال.

فإننا نجده كذلك يرد على أهل الزيغ والانحراف بمنتهى القوة فينوع الأدلة، ويفصل في الرد، ويطيّل النفس جداً في ذلك؛ فيورد الشبهة ويفصلها ثم يرد عليها من عدة أوجه، ثم يورد اعتراض الخصم فيقول (فإن قيل كذا) فالجواب كذا.

(١) شرح الواسطية (١/١٧٨).

(٢) شرح كشف الشبهات ص ٤٦، ط : دار التريب ١٤١٦هـ.

(٣) المصدر السابق ص ٤١.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك كتابه «تقريب التدمرية» حيث عقد فصلاً في القسم الثاني من المعطلة، وقسمهم إلى أربع طوائف.

الطائفة الأولى : الأشاعرة والماتوريدية ممن أثبت بعضاً ونفى البعض، فرد عليهم من خمسة أوجه.

ثم قال : فإن قالوا ما أثبتناه؛ فقد دل العقل على ثبوته فلم إثباته.

قلنا عن هذا ثلاثة أجوبة.. وذكرها.

ثم ذكر **الطائفة الثانية :** وهم المعتزلة، وذكر شبهتهم ثم رد عليهم من تسعة أوجه.

ثم ذكر **الطائفة الثالثة :** وهم غلاة الجهمية، والقرامطة، والباطنية؛ ممن لا يصفون الله إلا بالنفي المجرد عن الإثبات.

ورد عليهم من سبعة أوجه.

ثم ذكر **الطائفة الرابعة :** وهم غلاة الغلاة من الفلاسفة، والجهمية، والقرامطة، والباطنية، وغيرهم..

ورد عليهم من ثلاثة أوجه، ثم أورد لهم شبهة ورد عليهم من أربعة أوجه.

وفي رده على المحتجين بالقدر على مخالفة الشرع.

قال رحمه الله تعالى :

«فإن قال قائل: أفلا يصح على هذا التقرير أن يحتج بالقدر من مخالف الشرع؟

فالجواب : أن الاحتجاج بالقدر على مخالفة الشرع لا يصح كما دل على ذلك

الكتاب والسنة والنظر..».

فذكر دليلين من القرآن وآخر من السنة وثلاثة أدلة من النظر الصحيح.

ثم أورد شبهة لهم وأجاب عنها، ثم أورد شبهة أخرى، ورد عليها من وجهين. وفي شرحه للواسطية^(١) ناقش المؤلفين للاستواء على العرش بأنه الاستيلاء فذكر شبههم على هذا التحريف، ورد عليهم من أربعة أوجه، ألزمهم في الوجه الثالث بثلاثة لوازم باطلة على قولهم هذا، وفي الوجه الرابع أجاب بأربعة أوجه استرسل في الوجه الرابع في ذكر سؤال يوجهه إليهم، ثم يجيب عنه بالتفصيل في جمل كلامهم وإطلاقهم لفظ الجسم والحيز مما لم يرد في الشرع نفيه ولا إثباته.

ثم بعدما انتهى يلخص بمجل رده عليهم - رحمه الله تعالى وغفر له - .

فهو بهذه الطريقة المتينة يستدل بالأدلة العقلية والنقلية، ويتدرج مع المخالف في استعراض شبهته، والجواب عنها بما لا يدع بعد ذلك لقائل مقالاً، ولا لصاحب شبهة مجالاً، إلا أن يسلم ويستسلم.

وهذه طريقة مفيدة جداً لطالب العلم في مناقشة الشبه والجواب عنها.

وقد عُرف الشيخ بما في دروسه وكلماته، وقد سلكها قبله شيخه ابن سعدي فيما ذكرنا من طريقته مع طلابه، وكذا في بعض كتاباته، كما مضى في أول الترجمة - رحمه الله تعالى - .

موقف الشيخ من القضايا العقيدية المعاصرة، وكيف واجهها.

لم يأل ابن عثيمين جهداً في مواجهة المخالفات العقيدية المعاصرة على اختلاف أنواعها، سواء كانت من ميراث الفرق والمذاهب السالفة، أو من نتاج الحاضر، فكان بالمرصاد لكل دعوة دخيلة على العقيدة السلفية الخالصة، رداً لها وتفنيداً لشبهاتها وشبهات أصحابها، واستدلالاً على الحق بالكتاب والسنة والإجماع ونحوها..

(١) شرح الواسطية (١/٣٧٥-٣٨١).

وقد بين الشيخ موقفه من الخلاف في المسائل العقدية.

فقال رحمه الله تعالى :

«وأما ما لا يسوغ فيه الخلاف فهو ما كان مخالفاً لما كان عليه الصحابة والتابعون، كمسائل العقائد التي ضل فيها من ضل من الناس، ولم يحصل فيها الخلاف إلا بعد القرون المفضلة - أي لم ينتشر الخلاف إلا بعد القرون المفضلة - وإن كان بعض الخلاف فيها موجوداً في عهد الصحابة؛ ولكن ليعلم إننا إذا قلنا قرن الصحابة، ليس المعنى أنه لا بد أن يموت كل الصحابة، بل القرن ما وجد فيه معظم أهله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (إن القرن يحكم بانقضائه إذا انقضى أكثر أهله).

فالقرون المفضلة انقضت ولم يوجد فيها هذا الخلاف الذي انتشر بعدهم في العقائد، فمن خالف ما كان عليه الصحابة والتابعون فإنه يُرد عليه، ولا يقبل خلافه»^(١).

وقال أيضاً :

«وأما الخطأ في العقيدة؛ فإن كان خطأ مخالفاً لطريق السلف فهو ضلال بلا شك، ولكن لا يحكم على صاحبه بالضللال حتى تقوم عليه الحجة، فإذا قامت عليه الحجة؛ وأصر على خطئه وضلاله كان مبتدعاً، كان مبتدعاً فيما خالف فيه الحق، وإن كان سلفياً فيما سواه، فلا يوصف بأنه مبتدع على وجه الإطلاق، ولا بأنه سلفي على وجه الإطلاق، بل يوصف بأنه سلفي فيما وافق السلف، مبتدع فيما خالفهم، كما قال أهل السنة في الفاسق إنه مؤمن بما معه من الإيمان، فاسق بما معه من العصيان، فلا يُعطى الوصف المطلق، ولا يُنفي عنه مطلق الوصف، وهذا هو

(١) شرح الأصول الستة ص ١٥٦، مع شرح كشف الشبهات، ط : دار التريباء، ط : ٢.

العدل الذي أمر الله به، إلا أن يصل المبتدع إلى حد يخرج منه الملة فإنه لا كرامة له في هذه الحال»^(١).

وسأذكر صوراً من منافحات الشيخ عن العقيدة، سواء كان ذلك في مسائل كلية أو جزئية :

١- رده على شبهات المؤولة المعاصرين كالأشاعرة ونحوهم..

فقد امتلأت رسائل الشيخ ودروسه بالرد عليهم، والجواب عن شبههم إجمالاً وتفصيلاً.

ومن أجمل ما كتب الشيخ في ذلك الجواب التفصيلي عن عدد من شبه التي أوردوها على أهل السنة، وادعوا أن أهل السنة قد أولوها، فالزموهم بطرد التأويل في غيرها. وقد انرى الشيخ في ذكر شبههم إجمالاً وتفصيلاً.

فقال رحمه الله تعالى في كتابه «القواعد المثلى» بعد ذكر الشبهة السابقة: ونحن نجيب بعون الله تعالى عن هذه الشبهة بجوابين: بحمل ومفصل.

وذكر الجواب المحمل، ثم ذكر المفصل، وأورد فيه خمسة عشر مثلاً مما ادعوا فيه التأويل، وأجاب عن كل واحد جواباً علمياً مفصلاً جمع فيه بين علم العقيدة والحديث واللغة والأصول، وجمّله بنقول رائعة عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ثم ختم ذلك بخاتمة مهمة في الجواب عمن يدعي أن نسبة الأشاعرة في هذا العصر حوالي ٩٥٪ من المسلمين، يعني أنهم أغلبية، فكيف نضلّهم فيما ذهبوا إليه؟ ونخرجهم فيما خالفوا فيه من مسمى أهل السنة؟.

(١) كتاب العلم ص ١٩٩ - ٢٠٠، ط: دار الثريا.

فأجاب عن هذه الشبهة بجواب جاء فيه :

- ١- إننا لا نسلم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين، فإن هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق.
- ٢- ثم إننا لو سلمنا أهم هذا القدر، أو أكثر فإنه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ لأن العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر.
- ٣- ثم إن إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل... إلخ» أ.هـ.^(١)

٢- تفصيله في مسألة التكفير وخاصة تكفير الحكام.

فقد بين الشيخ خطورة الكلام في هذه المسألة خاصة ممن لا علم عنده، أو ممن يجري وراء العواطف والحماس المتوقد، وحذر أشد التحذير من الولوج في هذه الباب بغير علم وبصيرة، فقال رحمه الله تعالى :

«وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان، فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه؛ حتى يتبين له الحق؛ لأن المسألة خطيرة، نسأل الله تعالى أن يُصَلِّحَ للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم، كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام، لتقوم الحجة عليهم، وتبين المحجة، فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه، ولا يهَابَنَّ أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. والله ولي التوفيق».^(٢)

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين لفهد السليمان (٣/٣٣٥) ط: ٢.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، لفهد السليمان (١٤٧/٢).

ولما ذكر الشيخ الأصل الثالث من الأصول الستة التي ذكرها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وهو السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبداً حبشياً، وأن هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به.
قال رحمه الله تعالى معلقاً :

«ولما أحدثت الأمة الإسلامية ما أحدثت، وفرقوا دينهم، وتمردوا على أئمتهم، وخرجوا عليهم، وكانوا شيعاً نزعت المهابة من قلوب أعدائهم وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم، وتداعت عليهم الأمم، وصاروا غنأً كغنأ السيل.
وصار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم، والغيرة على دين الله تعالى، وترك العمل به، ورأى كل فرد من أفراد الرعية نفسه أميراً أو بمنزلة الأمير المناهض للأمير.
فالواجب علينا جميعاً - رعاة ورعية - أن نقوم بما أوجب الله علينا من التحاب والتعاون على البر والتقوى، والاجتماع على المصالح لنكون من الفائزين.. ثم قال :
(إن الكلمة إذا تفرقت، والرعية إذا تمردت، دخلت الأهواء والضغائن، وصار كل واحد يسعى لتنفيذ كلمته، وإن تبين أن الحق والعدل في خلافها، وخرجنا عن توجيهات الله تعالى حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ». [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

فيذا عرف كل واحد ماله وما عليه، وقام به على وفق الحكمة فإن الأمور العامة والخاصة تسير على أحسن نظام وأكملها»^(١).

(١) شرح الأصول الستة ص ١٦٢، مع كشف الشبهات، ط : دار التريا.

٣- رده على زنادقة الفلكيين.

وقال رحمه الله تعالى في تقرير أن السماوات أجرام محسوسة في خطبة له :

«وإنما قررنا هذا ونبهنا عليه لأنه يوجد من زنادقة الفلكيين وملحديهم من ينكر أن تكون السماوات أجراماً محسوسة، فيخشى أن يروج هذا الباطل على من لا علم له بالكتاب والسنة، وجميع الأقاويل التي يتكلم بها الفلكيون في هذه الأمور لا تعتقد حتى تُعْرَضَ على كتاب وسنة رسوله ﷺ؛ فإن وُجِدَ فيها ما يدل عليها فهي مقبولة، وإن وُجِدَ في الكتاب والسنة ما يكذبها فهي باطل مردودة، وإن كان الكتاب والسنة ليس فيهما ما يدل على تلك الأقاويل لا نفيًا ولا إثباتًا وجب التوقف فيها حتى يقوم دليل علمي أو عقلي على صحتها...»^(١)

وقال أيضاً في بيان جريان الشمس وسيرها :

«وهكذا تسير الشمس والقمر في فلكيهما بانتظام باهر وسير محكم، كل يجري إلى أجل مسمى إلى أن يأذن الله بحراب هذا العالم، فتخرج الشمس من مغربها؛ كما في صحيح البخاري عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ حين غربت الشمس : «أتدري أين تذهب؟»، قلت : الله ورسوله أعلم، قال : «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فستأذن فيؤذن لها، وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها : ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها».

وفي هذا الحديث دليل ظاهر على أن الشمس تسير بنفسها، كما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

وقوله : ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ص ٣٤.

وقوله: «وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ».

وهذه الأدلة تكذب ما يقال من أن الشمس ثابتة ولا تدور، وتدلل على أنه قول باطل يجب رده وتكذيبه «أ هـ»^(١)

٤- رده على الروافض.

ومن ذلك ما ذكره في شرح الواسطية تقريراً لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان عقيدة أهل السنة أنهم (يرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء؛ أبراراً كانوا أم فجاراً).

قال رحمه الله تعالى: .. خلافاً للروافض الذين يقولون: إنه لا إمام إلا المعصوم، وإن الأمة الإسلامية منذ غاب من يزعمون أنه الإمام المنتظر، ليست على إمام، ولا تبعاً لإمام، بل هي تموت ميتة جاهلية من ذلك الوقت إلى اليوم، ويقولون: إنه لا إمام إلا الإمام المعصوم ولا حج ولا جهاد مع أي أمير كان؛ لأن الإمام لم يأت بعد.

لكن أهل السنة والجماعة يقولون: «نحن نرى إقامة الحج مع الأمراء سواء كانوا أبراراً أم فجاراً، وكذلك إقامة الجهاد مع الأمير، ولو كان فاسقاً، ويقىمون الجهاد مع أمير لا يصلي معهم الجماعة، بل يصلي في رحله، فأهل السنة لذئهم بعد نظر؛ لأن المخالفات في هذه الأمور معصية لله ورسوله، وتجبر إلى فتن عظيمة، فما الذي فتح باب الفتن والقتال بين المسلمين، والاختلاف في الآراء إلا الخروج على الأمة...»^(٢)

وقال أيضاً: (ومن قرأ التاريخ علم أن للرافضة يداً في سقوط بغداد وانتهاء الخلافة الإسلامية فيها؛ حيث سهلوا للتتار دخولها، وقَتَلَ التتار من العامة والعلماء

(١) الضياء اللامع ص ٣٢.

(٢) شرح الواسطية ٣٣٨/٢، ط: دار ابن الجوزي ط: ٣.

أما كثيرة، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب (منهاج السنة) أنهم هم الذين سَعَوْا في مجيء التتر إلى بغداد دار الخلافة، حتى قتل الكفار - يعني التتر - من المسلمين ما لا يحصيه إلا الله تعالى من بني هاشم وغيرهم، وقتلوا بجهات بغداد ألف ألف وثمانمائة ألف وثيِّفًا، وسبعين ألفًا، وقتلوا الخليفة العباسي، وسبوا النساء الهاشميات، وصبيان الهاشميين. أ ه ٥٩٢/٤ - تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

ومن عقيدة الرافضة: («التَّقِيَّة» وهي: أن يظهر خلاف ما يطن، ولا شك أن هذا نوع من أنواع النفاق يفتخر به من يفتخر من الناس، والمنافقون أضمر على الإسلام من ذوي الكفر الصريح...»^(١) وقال:

(الروافض طائفة غلاة في علي بن أبي طالب وآل البيت وهم من أضلّ أهل البدع، وأشدّهم كرها للصحابة رضي الله عنهم). وقال:

(نحن نتبرأ من طريقة هؤلاء الروافض الذين يسبون الصحابة ويغضونهم، ونعتقد أن محبتهم فرض، وأن الكف عن مساوئهم فرض، وقلوبنا - والله الحمد - مملوءة من محبتهم لما كانوا عليه من الإيمان، والتقوى، ونشر العلم، ونصرة النبي رضي الله عنه).^(٢)

٥- رده على المحتجين بالقدر على فعل المعصية.

قال رحمه الله تعالى:

«وهنا مسألة يحتج بها كثير من العصاة: إذا أنكرت عليه المنكر؛ قال: هذا هو ما قدره الله عليه؛ أتعرض على الله؟ فيحتج بالقدر على معاصي الله، ويقول: أنا عبد مسير...» إلى آخر الشبهة.

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين لفهد السليمان (٣/٥٦-٥٧).

(٢) شرح الواسطية (٢/٢٨٢ - ٢٨٤).

وأجاب عنها بجواب طويل جاء فيه: فنقول له: إن احتجارك بالقدر على معاصي الله يبطئه السمع والعقل والواقع...»^(١)
إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى...

٦- بيان الشيخ للكثير من الأخطاء التي تقع في كلام بعض الناس.

وله رحمه الله تعالى كتاب مخصص لهذا الموضوع.

ومن تلك الأخطاء :

- عبارة (لا حول الله) الواجب أن تعدل، فيقال: لا حول ولا قوة إلا بالله
- (لا سمح الله) تكره؛ لأنها توهم أن أحداً يجير الله على فعل الشيء.
- (لا قَدَّرَ الله) لا بأس بما إذا قصد بما الدعاء.
- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٣٩/٣).
- وعبرة : (شاءت قدرة الله) لا تصح. المصدر السابق (١٣٢/٣).
- (فلان كان المثل الأعلى) وأما لا تجوز على سبيل الإطلاق، فإذا قيدت فلا بأس. المصدر السابق (١٣٢/٣).
- (فلان دفن في مثواه الأخير) وأما حرام لا تجوز. المصدر السابق (١٣٣/٣).
- (إطلاق المسيحي على النصراني، والمسيحية على النصرانية) لا يجوز. المصدر السابق (١٣٣/٣).
- (فلان المغفور له، أو المرحوم) فيه تفصيل : إذا قصد الخير لا يجوز، وإذا قصد الدعاء فلا بأس. المصدر السابق (١٣٠/٣).

(١) شرح الواسطة (٢/٢٢٥-٢٢٨).

- إبطاله لعدد من الأيمان الحادثة، مثل: (والشرف، والذمة، حد الله بيني وبينك، أنا نصراني إن فعلت كذا). المصدر السابق (٢/٢١٩).
- بيانه لتحريم تهنئة الكفار بعيد الكريسمس. المصدر السابق (٣/٤٧).
- قول بعض الطبيعيين: (المادة لا تفنى ولا تزول ولا تخلق من عدم) وأن هذا كفر لا يقوله مؤمن. المصدر السابق (٣/١٣٠).
- قول البعض (فال الله ولا فالك) قال: لا يجوز أن يقال فال الله، لأن هذا يوهم أن يكون الفال صفة لله، لكن إن أراد الفال الذي يجعله الله في (ولا فالك) فهذا لا بأس به، فالكلمة موهمة ينبغي تجنبها.
- ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة (٢/٤١).
- قول البعض عند حصول شيء عظيم (يا وجه الله، يا دين الله) قال: لا يجوز. المصدر السابق (٢/٣٩).
- قول البعض (يا رحمة الله، يا عزة الله) قال: الواجب أن يقول يارب العالمين، يا أرحم الراحمين، وما أشبه ذلك مما جاءت به السنة ولا يدعون الصفة، فالصفة لا تدعى، إنما الذي يُدعى هو الموصوف وهو الله تعالى.
- المصدر السابق (٢/٣٤).
- قول البعض (العبد مسير، ما هو مخير) قال: هذا غير صحيح، بل الإنسان له إرادة واختيار يختار ما شاء. المصدر السابق (٢/٢٣).
- قول بعض الناس في وصف بعض الآيات (الإيقاع الموسيقي لهذه الآية) قال: لا يجل، الموسيقى من آلات العزف، وهي حرام، ولا يوصف القرآن بوصف محرم.
- المصدر السابق (٢/٤٤).

- دعاء البعض (اللهم لا نسألك رد القضاء، ولكن نسألك اللطف فيه) قال: هذا محرم لا يجوز؛ لأن الدعاء يرد القضاء، كما جاء في الحديث «لا يرد القضاء إلا الدعاء».
- قول (شاءت قدرة الله، أو شاء القدر) لا يصح، لأن القدر والقدرة أمران معنويان، ولا مشيئة لهما، وإنما المشيئة لمن هو قادر ومقدر.
- المصدر السابق (٤٥/٢).
- المصدر السابق (٤٨/٢).

٧- بيان الحكم الشرعي لعدد من المكتشفات الحديثة، من ناحية تعلقها بالعقيدة الإسلامية.

من ذلك :

أ - علم الأطباء الآن بذكورة الجنين وأنوثته، هل هذا يخالف ما جاء في قوله تعالى:

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان : ٣٤].

فأجاب رحمه الله تعالى بجواب جاء فيه :

«إذا تبين ذلك فقد قيل : إنهم الآن توصلوا بواسطة الآلات الدقيقة للكشف عما في الأرحام، والعلم بكونه أنثى أو ذكراً، فإن كان ما قيل باطلاً فلا كلام، وإن كان صادقاً فإنه لا يعارض الآية؛ حيث إن الآية تدل على أمر غيبي، وهو متعلق علم الله تعالى في هذه الأمور الخمسة، والأمور الغيبية في حال الجنسين، هي : مقدار مدته في بطن أمه، وحياته وعمله، ووزقه، وشقاوته أو سعادته، وكونه ذكراً أم أنثى، قبل أن يخلق، أما بعد أن يخلق فليس العلم بذكوره أو أنوثته من علم الغيب؛ لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة، إلا أنه مستتر في الظلمات الثلاثة، التي لو أزيلت

لتبين أمره، ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله تعالى من الأشعة أشعة قوية تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكراً أم أنثى، وليس في الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة، وكذلك لم تأت السنة بذلك...» أ هـ.^(١)

ب- حكم لباس السوار لعلاج (الروماتيزم).

وهل هذا يعارض ما جاء في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْرٍ، فقال: «ما هذه؟» قال: من الواهنة، فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مُتَ وهي عليك ما أفلحت أبداً». رواه أحمد^(٢) بسند لا بأس به، كما في كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى. قال رحمه الله تعالى:

«ظهر في الأسواق منذ سنتين حلقة من النحاس، يقولون: إنها تنفع من (الروماتيزم)، ولها اسم لا أذكره، يزعمون أن الإنسان إذا وضعه على عضده، وفيه (روماتيزم) نفعته، ولا ندري هل هذا صحيح أم لا؟ لكن الأصل أنه ليس بصحيح؛ لأنه ليس عندنا دليل شرعي ولا دليل حسي يدل على ذلك.

وهي لا تؤثر على الجسم، فليس فيها مادة دهنية حتى نقول: إن الجسم يشرب هذه المادة ويتنفع بها، فالأصل أنها ممنوعة، حتى يثبت لنا دليل صحيح صريح واضح أن لها اتصالاً مباشراً بهذا (الروماتيزم) حتى يتنفع بها» أ هـ.^(٣)

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٦٨/١).

(٢) مستند أحمد (٤٤٥/٤).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٨٩/١) ط: دار العاصمة، وانظر أيضاً مجموع فتاوى

ورسائل ابن عثيمين (١١١/١).

ج- دوران الأرض، ودوران الشمس حول الأرض.

قال رحمه الله تعالى :

«خلاصة رأينا حول دوران الأرض أنه من الأمور التي لم يرد فيها نفي ولا إثبات، لا في الكتاب ولا في السنة.

أما رأيتنا حول دوران الشمس على الأرض، الذي يحصل به تعاقب الليل والنهار، فإننا مستمسكون بظاهر الكتاب والسنة من أن الشمس تدور على الأرض دوراً يحصل به تعاقب الليل والنهار، حتى يقوم دليل قطعي يكون لنا حجة بصرف ظاهر الكتاب والسنة إليه - وآتى ذلك - فالواجب على المؤمن أن يستمسك بظاهر القرآن الكريم والسنة النبوية في هذه الأمور وغيرها..»^(١)

د- الصعود إلى القمر :

أشكل على كثير من الناس ما يُدعى من صعود بعض الناس إلى سطح القمر، وهل هذا يتعارض مع قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ لِيَهْنُ نُوراً﴾ وكان الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ينفي صعود أحد إلى القمر، وأن هذا لا يمكن للدلالة الآيات على أن القمر في السماء.

ويقول إن صح هذا يقيناً فانا لم أفهم القرآن، أو كما قال رحمه الله تعالى :

«فكتب شيخنا ابن عثيمين في ذلك رسالة سماها (رسالة في الوصول إلى القمر).

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٧٠/١). ولشيخ الإسلام في عصره العلامة عبد العزيز ابن باز رسالة يقرر فيها ثبوت الأرض، وعدم دورانها، وكذلك للعلامة الشيخ حمود التويجري كتاب حافل بالأدلة على إبطال قول من يقول بالدوران، أسماء (الصواعق الشديدة في الرد على علماء الهيئة الجديدة) رحمهم الله تعالى وغفر لهم.

قال في أولها بعد المقدمة :

أما بعد : فقد تواترت الأخبار بإنزال مركبة فضائية على سطح القمر بعد المحاولات العديدة التي استنفدت فيها الطاقات الفكرية والمادية والصناعية عدة سنوات، وقد أثار هذا النبأ تساؤلات، وأخذوا ورداً بين الناس...

إلى أن قال : وإذا صح ما تواترت به الأخبار من إنزال مركبة فضائية على سطح القمر، فإن الذي يظهر لي أن القرآن لا يكذبه ولا يصدقه، فليس في صريح القرآن ما يخالفه؛ كما أنه ليس في القرآن ما يدل عليه ويؤيده...^(١)

وقال في نهاية البحث : «وبعد فإن هذا البحث في هذا الموضوع قد يكون من فضول العلم لولا ما دار حوله من البحث والمناقشات حتى بالغ بعض الناس في رده وإنكاره، وغلا بعضهم في قبوله وإثباته.

فالأولون جعلوه مخالفاً للقرآن، والآخرين جعلوه مطابقاً للقرآن، فأجبت أن أكتب ما حررته هنا على حسب ما فهمته بفهمي القاصر، وعلمي المحدود. وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه نافعاً لعباده، والحمد لله رب العالمين». أ هـ.^(٢)

هـ - حكم ربط نزول المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي :

سئل رحمه الله تعالى عن هذه المسألة التي يكثر الحديث عنها، بل قد تكرر بصفة يومية في الإذاعات العربية وغيرها..

والتي قد يعتمد عليها العديد من الناس ممن لا علم لهم بحكمها.

(١) ص ٢١ ضمن مجموعة رسائل في العقيدة.

(٢) رسالة الوصول إلى القمر، ضمن (رسائل في العقيدة) من ص ١٢١ إلى ص ١٢٦. ط : مكتبة دار المعارف بالرياض.

فقال رحمه الله تعالى :

«تعلق المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي، وهو إن كان قد يكون سبباً حقيقياً، ولكن لا ينبغي فتح هذا الباب، بل يقال : هذا من رحمة الله، هذا من فضله ونعمته، قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقِ سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾. [النور: ٤٣]. وقال عز وجل : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنفِثُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾. [الروم : ٤٨]. فتعلق المطر بالمنخفضات الجوية من الأمور الجاهلية التي تصرف الإنسان عن تعلقه بربه.

وليعلم أن النسبة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : نسبة إيجاب، وهذه شرك أكبر.

القسم الثاني : نسبة سبب، وهذه شرك أصغر.

القسم الثالث : نسبة وقت، وهذه جائزة. والله أعلم»^(١).

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (١٩٣/٢). وانظر أيضاً (٢٧١/٥-٢٧٢)

عما يأتي في الإذاعات من التبا بترول المطر.

أهم المؤثرات في توجه الشيخ للعقيدة السلفية

إنَّ توجه طالب العلم والعالم إلى العقيدة السلفية ليس أمراً سهلاً، والأصعب من ذلك الثبات عليها رغم الشبهات الكثيرة التي يثبها أصحاب العقائد الزائفة، وقد كان لثبات الشيخ على هذه العقيدة عدة مؤثرات بعد توفيق الله تعالى، منها:

١- تلمذه على كبار علماء عصره الذين عُرفوا بعقيدتهم السلفية، واتباعهم سبيل السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

٢- تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، كما أشار هو إلى ذلك حيث قال: «الإنسان يقرأ ويتأثر، وأحياناً يقرأ ولا يتأثر، فالذي أرى أنه يتأثر القارئ بكتبه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فإن له تأثيراً قوياً بالنسبة لإيمان العبد ومعرفته بأسرار الشريعة وبالنسبة لقوة الحجة، والإقناع، والدفاع.

ولذا فأنا أنصح كل من يريد الوصول إلى الحق من منبعه الصافي أن يقرأ في كتب هذا الإمام، لأنه حقاً إمام، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وكذلك أيضاً تلميذه ابن القيم: أسلوبه وإقناعه، يأخذان بالياب قارئه.

لكني قد أنأثر بكلام الشيخ أكثر من تأثري بكلام ابن القيم، مما يدفع الإنسان إلى الاقتناع الكامل الكافي.

كذلك تأثرت بتلميذه ابن مفلح صاحب كتاب الفروع في مذهب الإمام أحمد بن حنبل لأن له توجيهات طيبة جداً في الفقه تدل على عمق معرفته بالشريعة.

وتأثرت أيضاً بمناهج الشيخ محمد رشيد رضا؛ لأنه جيد في عرض المسائل، وإن كان عليه بعض الأخطاء، وجل من لا يخطئ، فهو على كل حال له أثر في منهجي في تحقيقه المسائل. وما أشبه ذلك»^(١)

٣- اعتصامه بالدليل، ودوراته مع الدليل حيث دار، وهذا جانب بارز جداً في حياة الشيخ سواء في دروسه أو كتاباته أو فتاواه.
قال رحمه الله تعالى :

«ولذلك أنا أدعو إخواني من أهل العلم أن يكون دائماً الأصل الذي يبنون عليه هو الكتاب والسنة، والتحرر في الأفكار، لكن الأصح التحرر في التفكير، وجعل الفكر تابعاً لما دلَّ عليه الكتاب والسنة حتى يكون الإنسان متحرراً حقيقة، ثم بعد ذلك يعرض ما بدا له على ما استنبطه أهل العلم، فلعله يجد خطأ فيما استنبط، فيُوفق للرجوع إليه»^(٢).

٤- عدم تعصبه لمذهب معين أو قول معين تقليداً لغيره.

وهذه مسألة عظيمة، فكثيراً ما أعمى التعصب عيون جهابذة العقلاء عن الحق، وقادهم إلى مهاري الضلالة، خاصة في الاعتقاد.

فكم ممن سمع قولاً لشيخه، أو اعتقد مذهباً لأستاذه فأعماه عن الحق الواضح الجلي القريب منه، وعاش عليه دهرًا طويلاً، إلا أن يتداركه الله برحمته.

والأمثلة على ذلك عديدة، منها : قصة أبي جعفر الهمداني مع شيخه أبي المعالي الجويني، كما رواها الذهبي في سيره، حيث قال : «أخبرنا يحيى ابن أبي منصور

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) المصدر السابق.

الفتية في كتابه، عن عبد القادر الحافظ، أخبرنا أبو العلاء الهذلي، أخبرني أبو جعفر الحافظ (يعني الهذلي)، سمعت أبا المعالي : وسئل عن قوله تعالى : ﴿الرُّحْمَنُ عَلِيُّ الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. [طه: ٥]. فقال : كان الله ولا عرش، وجعل يتخبط، فقلت : هل عندك للضرورات من حيلة ؟ فقال : ما معنى هذه الإشارة ؟ قلت : ما قال عارف قط : يا رباه ! إلاً قبل أن يتحرك لسانه، قام من باطنه قصد لا يلتفت بمنة ولا يسرة - يقصد الفوق - فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة، ففتبتنا نتخلص من الفوق والتحت ؟ وبكيت، وبكى الخلق، فضرب بكمه على السرير، وصاح بالحيرة، ومزق ما كان عليه، وصارت قيامة في المسجد، ونزل يقول : يا حبيبي ! الحيرة الحيرة، والدهشة الدهشة»^(١).

فانظر - رحمك الله - ما الذي جعل الطالب الفقيه يترك ما دلّ عليه القرآن من إثبات الاستواء على العرش، ويسأل شيخه المخرج من ضرورة توجه العبيد إلى جهة العلو في دعائهم.

أليس هو التعصب لمذهب الأشياخ، وما الذي جعل شيخه يتحير، ويمزق قميصه؛ حيث لم يجد جواباً لهذه الضرورة الفطرية، أليس هو السبب نفسه، وكم فعل التعصب وفعل، ولذا عده الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى من مسائل الجاهلية، فقال في المسألة الخامسة والخمسين : التعصب للمذهب، كقوله فيها : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾. [آل عمران: ٧٣].

وترتب عليها مخالفة عظيمة، فقال في المسألة الرابعة عشرة بعد المائة : (قاعدة الضلال، وهي : القول على الله بلا علم) نسأل الله تعالى العافية.

(١) السمر (١٨/٤٧٧).

٥ - عدم دخوله في علم الكلام.

إن المتتبع لسير أفاذ من العلماء المخالفين لأهل السنة، يجد أن من أعظم أسباب الانحراف لديهم دخولهم في علم الكلام والذي دخل على المسلمين بعد المائة الثانية، بعدما عُربت الكتب اليونانية والرومانية خاصة في عهد المأمون حيث حصل بذلك شر كثير، وبلاء مستطير.

وقد كان شيخنا رحمه الله تعالى من أبعد الناس عن الدخول في علم الكلام، أو اللجوء إليه في الاستدلال.

وقد عقد في كتابه «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» باباً كاملاً، هو الباب الثاني والعشرون؛ حيث قال فيه :

«الباب الثاني والعشرون في تحذير السلف من علم الكلام» وقال أيضاً «علم الكلام هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بما عما جاء الكتاب والسنة به، وقد تنوعت عبارات السلف في التحذير عن الكلام وأهله؛ لما يفضي إليه من الشبهات والشكوك، حتى قال الإمام أحمد : لا يفلح صاحب كلام أبداً.

وقال الشافعي : حكيم في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويظاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال : هذا جزء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على علم الكلام». أ هـ.

ثم قال الشيخ معلقاً :

«وهم مستحقون لما قال الإمام الشافعي من وجه، ليتوبوا إلى الله ويرتدع غيرهم من اتباع مذهبهم، وإذا نظرنا إليهم من وجه آخر وقد استولت عليهم

الحيرة، واستحوذ عليهم الشيطان، فإننا نرحمهم ونرق لهم. ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاهم به....

وأكثر من يخاف عليهم الضلال هم الذين دخلوا في علم الكلام ولم يصلوا إلى غايته، ووجه ذلك : أن من لم يدخل فيه فهو في عافية، ومن وصل إلى غايته فقد تبين له فسادة، ورجع إلى الكتاب والسنة، كما جرى لبعض كبارهم، فيبقى الخطر على من خرج عن الصراط المستقيم ولم يتبين له حقيقة الأمر»^(١) أ هـ.

وقد ذكر الشيخ نموذجاً من ضل بسبب علم الكلام، فقال : «هؤلاء الخلف الذين فضل هذا الغي طريقتهم في العلم والحكمة على طريقة السلف كانوا حيارى، مضطربين بسبب إعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من البينات والهدى، والتماسهم علم معرفة الله تعالى ممن لا يعرفه بإقراره على نفسه وشهادة الأمة عليه، حتى قال الرازي وهو من رؤسائهم مبنياً ما ينتهي إليه أمرهم :

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَخْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَغَايَةُ ذُنُوبِنَا أَدَى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدِّ مِنْ بَحْنِنَا طُولَ عُمرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالَ

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج السلفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، رأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإنبات: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»، «إِنِّيهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ»، وقرأ في النفي «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي... أ هـ.

ثم علق على كلامه قائلاً :

«كيفية تكون طريقة هؤلاء الحيارى الذين أقرّوا على أنفسهم بالضلال والحيرة وأعلم وأحكم من طريقة السلف الذين هم أعلام الهدى ومصايح الدجى، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، والذين أدركوا من حقائق الإيمان والعلوم ما لو جمع إليه ما حصل لغيرهم لاستحيا من يطلب المقارنة فكيف بالحكم بتفضيل غيرهم عليهم ؟ وبهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم..» أ.هـ.^(١)

٦- كثرة ابتهاجه إلى الله تعالى أن يبته على السنة والجماعة، ويهديه إلى الطريق الأقوم.

ويلهج بهذا الدعاء : «اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهتدي لما اختلفت فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم.»^(٢)

(٢) فقهه :

إن تميز شيخنا المترجم رحمه الله تعالى في الفقه لا يخفى على أحد من العوام أو العلماء وطلاب العلم، من غرب المعمورة إلى شرقها من المسلمين العمم، فضلاً عن العرب نساءً ورجالاً.

(١) فتح رب البرية، ص ٦٠.

(٢) رواه مسلم حديث رقم (٧٧٠).

وقد اشتهر شيخنا بالتميز الفقهي أكثر من تميزه في علوم الشريعة الأخرى، كالعقيدة والتفسير وغيرها..

فتجد العوام يحرصون على سماع فتواه في المسألة، ويسألون عنها إذا لم تنقل إليهم فإذا علموا بما انشروحت لها صدورهم وعملوا بما امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. [النحل: ٤٣]. فقد ارتضوا ابن عثيمين العالم العامل مَرَجِعاً لهم ومبلغاً لأحكام الله، وإن شئت قلت : موقعاً عن رب العالمين.

وقد كان الشيخ رحمه الله تعالى فيما نحسبه والله حسيبه أهلاً لذلك. والله تعالى هو الموفق للصواب.

وسنحاول في هذا الفصل إلقاء بعض الضوء على الجانب الفقهي عند الشيخ رحمه الله تعالى بشيء من الإيجاز؛ لأن هذا الجانب يحتاج إلى دراسة تفصيلية متأنية موسعة، لا يتسع لها المقام هنا.

وسنتناول هذا الجانب في أربعة مباحث :

المبحث الأول : الأسس التي تكونت من خلالها الملكة الفقهية لدى الشيخ.

المبحث الثاني : ما تميز به فقه ابن عثيمين، وفيه سمات البحث الفقهي لدى الشيخ.

المبحث الثالث : النتاج الفقهي العلمي.

المبحث الرابع : أثر ذلك على النهضة العلمية المعاصرة.

المبحث الأول :

الأسس التي تكونت من خلالها الملكة الفقهية لابن عثيمين.

بعد توفيق الله تعالى وعونه، فإن الشخصية الفقهية للشيخ قد تشكلت وبرزت من خلال عدة أسس قد مررنا بعضها في الباب الأول في مرحلة البناء والتكوين العلمي، ويأتي بعضها الآخر وسأذكرها بصورة موجزة مع شيء من الأمثلة، وذلك لأن الاستطراد هنا، ونقل الأمثلة العديدة سيأخذ قسطاً كبيراً من الكتاب. وما سنذكره يدل على ما وراءه، والله الموفق.

١- تأثره بشيخه ابن سعدي رحمه الله تعالى.

سبب في ترجمة ابن سعدي رحمه الله تعالى بيان أوجه التميز عنده، وخاصة من الناحية الفقهية الأصولية.

وقد ذكر شيخنا - كما سبق - أنه تأثر به غاية التأثر، حتى سأله أحد تلاميذه عن طريقة شيخه ابن سعدي، فقال : انظر ماذا أصنع أنا فهذه طريقة ابن سعدي، وقد كان رحمه الله تعالى من حبه لشيخه يقلده في خطه، وابن سعدي رحمه الله تعالى ممن برز في الفقه في هذا العصر وأصوله وقواعده، بروزاً منقطع النظر في سعة اطلاعه، وعمق فهمه، وقوة استنباطه، وبلوغه رتبة الاجتهاد.

فشيخنا المترجم قد ارتوى من هذا المعين، وغل من هذا البحر الزاخر، وورث من شيخه هذا التميز الفقهي، والذي سيأتي الكلام عليه في موضعه.

٢- تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه القيم رحمهما الله تعالى.

فقد دأب الشيخ منذ طلبه للعلم على إدمان النظر في كتب الشيخين، وجعلهما من المراجع الأساسية خاصة عند اشتداد الخلاف، أو تعمس الخروج منه، سواء في ذلك الكتب الصغيرة الحجم أو المطولات، فكان دائم الرجوع لـ (مجموع الفتاوى، جمع الشيخ العلامة عبد الرحمن بن قاسم) وكان سريع الاستحضار لمواضع المسائل، بل ينقل منه الصفحات العديدة معزوة لأجزائها ابتداءً وانتهاءً.

انظر على سبيل المثال كلامه في شرح شيخ الإسلام لحديث: «صنفان من أمي من أهل النار لم أرهما..» الحديث، قال: قال شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤٦/٢٢) (مجموع الفتاوى^(١)) ونقله من اقتضاء الصراط المستقيم ص ٧٠، في شرح حديث (هما بهم كفر) كلام شيخ الإسلام في الفرق بين الكفر المعرف بأل والمنكر في الإثبات^(٢). نقله عن ابن القيم في كتاب الصلاة.

(ص ٤٠٠، من مجموعة الحديث)^(٣) استحالة أن يترك الصلاة من كان في قلبه شيء من الإيمان.

نقله عن شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٢٢/٢٣) قوله: اتفق العلماء على أنها - أي صلاة الجماعة - من أوكد العبادات، وأجل الطاعات، وأعظم شعائر الإسلام. أ.هـ.^(٤)

(١) نقله في مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين (٢٧١/١٢).

(٢) المصدر السابق (٥٩/١٢).

(٣) المصدر السابق (٤٤/١٢).

(٤) المصدر السابق (٤٠/١٢).

نقله عن ابن القيم (زاد المعاد/١/٢٣٨) في وضع اليدين بين السجدين.^(١)

نقله عن شيخ الإسلام من (الفتاوى الكبرى ١/٣٥٠) فتوى في التشويش على المصلين.^(٢) وانظر على سبيل المثال من مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، المواضع التالية:

(٢٧٩/١٢)، (٢٧٢/١٢)، (٨٩/١٣)، (٨٧/١٣)، (٨٣/١٣)، (٨٠/١٣)، (١٤٩/١٣)، وغيرها الكثير..

وقد سبق نقل كلامه عن تأثره بابن تيمية :

«لكنني قد تأثر بكلام شيخ الإسلام أكثر من تأثري بكلام ابن القيم مما يدفع الإنسان إلى الاقتناع الكامل الكافي».^(٣)

وقد بلغ من شغف الشيخ بكتب الشيخين أن لخص العديد منها، وانتقى منها الفوائد الفريدة، في الفقه والعقيدة، من ذلك :

- ١- مختارات من زاد المعاد لابن القيم.
- ٢- مختارات من إعلام الموقعين له.
- ٣- مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.

وقد ذكر في المقدمة أنه بدأ قراءته في عام ١٣٩٦هـ.

وهو مع كل ذلك لم يكن مقلداً لابن تيمية ولا لتلميذه، بل كان يحوده الدليل في كل ما تبعهما فيه، وكما أنه قد وافقهما في كثير من المسائل، فقد خالفهما في عدد من المسائل، كما سيأتي.

(١) المصدر السابق (١٩٧/١٣).

(٢) المصدر السابق (٧٦/١٣).

(٣) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

٢- حفظ المتون :

قد كان الشيخ يردد كثيراً «من حفظ المتون حاز الفنون» وقد عني الشيخ بحفظ المتون منذ صغره كما أشرنا إلى ذلك في النشأة، فحفظ القرآن كاملاً عن ظهر قلب، وهو آية في استحضاره لمواضع الاستشهاد من الآيات.

وينبه الشيخ إلى ما يقع فيه بعض طلاب العلم من عدم حفظهم لكتاب الله تعالى في بداية الطلب، وبعثون بغيره، فيقول رحمه الله تعالى :

«وانه مما يوسف له أن تجد بعض طلبة العلم لا يحفظ القرآن، بل بعضهم لا يحسن القراءة، وهذا خلل كبير في منهج طلب العلم، لذلك أكرر أنه يجب على طلبة العلم الحرص على حفظ القرآن، والعمل به، والدعوة إليه، وفهمه فهماً مطابقاً لفهم السلف الصالح» أ.هـ.^(١)

وقد ذكر الشيخ أحسن ما يراه في طريقة الحفظ، فقال :

«وأحسن ما رأيت في العلم أن الإنسان إذا حفظ شيئاً اليوم يقرأه مبكراً صباح اليوم التالي، فإن هذا يعين كثيراً على حفظ ما حفظ في اليوم الأول، هذا شيء فعلته أنا، فإن هذا يعين على الحفظ الجيد».^(٢)

وقد حفظ من الأدلة متن (بلوغ المرام) وممارسه كثيراً، وحفظ (متن زاد المستنقع في الفقه الحنبلي)، وحفظ (ألفية ابن مالك)، و (قطر الندى لابن هشام).

وكان هو وزميله الشيخ عبد الله البسام يرتبان أوقاتاً للحفظ والتسميع، بعد صلاة العصر، والساعات الأولى من الليل.

(١) كتاب العلم، ص ٤٥، ط : دار التريباء.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٧.

وهذا الحفظ قد نفع الله به الشيخ كثيراً، فكان يسعفه عند إرادة الاستشهاد على مسألة ما، أو في كتابة، أو مناظرة، أو نحو ذلك..

وقد قال رحمه الله تعالى : (قرأنا كثيراً وما بقي إلا ما حفظنا).

وقد كان لهذا الحفظ في التأسيس العلمي الدور الكبير، مما قد غفل عنه الكثير من طلاب العلم اليوم، وإلى الله المشتكى.

قال الشيخ سليمان الضحيان: «قد سمعته يشدد على أهمية حفظ المتون العلمية، يقول : (أحياناً تعزب عنك بعض المعلومات في مسألة من المسائل، ثم بمجرد أن تذكر الفقرة في المن الذي حفظته تسترجع تلك المعلومات» أو نحو هذا.

ولهذا يشترط على تلامذته الملازمين حفظ المتون، مثل (زاد المستقنع، والواسطية، والبرهانية).^(١)

وقد وضع الشيخ المتون التي يتبدأ بها طالب العلم في عدد من الفنون، فقال رحمه الله تعالى :

«فإذا كنت تطلب النحو :

فإن كنت مبتدئاً فلا أرى أحسن من متن (الأجرومية)؛ لأنه واضح وجامع، وحصراً، وفيه بركة.

ثم متن (ألفية ابن مالك)؛ لأنها خلاصة علم النحو، كما قال هو عن نفسه :

أَخْصَى مِنَ الْكِفَايَةِ الْخُلَاصَةَ كَمَا اقْتَضَى غِنَى بِلَا خَصَاصَةِ

(١) مجلة المعرفة، العدد ٦٩.

وأما في الفقه :

فمتن (زاد المستقنع)، لأنه كتاب مخلوم بالشروح والحواشي والتدريس، وإن كان بعض المتون الأخرى أحسن منه من وجه، لكن هو أحسن من حيث كثرة المسائل الموجودة فيه، ومن حيث إنه مخلوم.

وأما في الحديث :

فمتن (عمدة الأحكام)، وإن ترقيت فـ (بلوغ المرام)، وإن كنت تقول إما هذا أو هذا، فبلوغ المرام أحسن؛ لأنه أكثر جمعاً للأحاديث، ولأن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بين درجة الحديث.

وأما في التوحيد :

فمن أحسن ما قرأنا متن (كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى) وأما في توحيد الأسماء والصفات فمن أحسن ما قرأت (العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى) فهو كتاب جامع، مبارك، مفيد وهلم جرا. نخذ من كل فن تطلبه متناً مختصراً فيه، واحفظه.

وقال أيضاً :

«لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر، وهذه آفة عظيمة تقطع على الطالب طلبه، وتضيق عليه أوقاته، فإذا كان كل يوم له كتاب يقرأ فيه، فهذا خطأ في منهج طالب العلم، فإذا قررت كتاباً من كتب العلم فاستمر فيه، ولا تقل : أقرأ كتاباً أو فصلاً من هذا الكتاب، ثم أنتقل للآخر، فإن هذا مضیعة للوقت» أ.هـ.^(١)

(١) كتاب العلم، ص ٢٣٧ - ٢٣٨، ط : دار الترياء.

٤- تمكنه من علوم الآلة :

علوم الآلة أو العلوم المساعدة كعلم النحو، والأصول، والقواعد الفقهية، والبلاغة من أساسيات طالب العلم الناجح المبرز، والتي لا يتمكن من الغوص في العلوم الشرعية، والوقوف على أسرار الشريعة وحكمها إلا يتمكن في هذا العلم، وقد بلغ الشيخ في ذلك القدر المعلى، فقد حفظ ألفية ابن مالك، والأجرومية، وقيل إنه أعرب الألفية إعراباً سريعاً في جلسة واحدة ! وكان يستدل كثيراً بشواهد من الألفية.

من ذلك : ما ذكره في الشرح الممتع :

(فإن قال قائل : وهل تأتي الكاف للتعليل ؟ قلنا : نعم تأتي للتعليل، استمع إليها من كلام العلماء، واستمع إلى مثالها.

قال ابن مالك :

شِبْهٌ بِكَافٍ وَبِهَا التَّغْلِيلُ قَدْ يَعْنِي وَزَائِدًا لِتَوْكِيدٍ وَرَدِّ^(١)
وما ذكره أيضاً في جواز حذف النعت وبقاء المنعوت :

قال : (قال ابن مالك :

وَمَا مِنَ الْمُنْعُوتِ وَالثَّغْتِ عَقْلٌ يَجُوزُ حَذْفُهُ وَفِي الثَّغْتِ يَقِلُّ^(٢)
وقال أيضاً في بيان الفرق بين اسم المرة والمهيئة :

(قال ابن مالك :

وَفَعْلَةٌ لِمَرَّةٍ كَجَلَسَتْ وَفَعْلَةٌ لِهَيْئَةٍ كَجَلَسَتْ^(٣)

(١) الشرح الممتع (٢٣١/٣).

(٢) الشرح الممتع (١٩٤/٣).

(٣) المصدر السابق (٤٤٣/٣).

وأذكر أننا ونحن في الدرس عندما يطلب إعراب كلمة من أحد الطلاب فيقوم بإعرابها، فيسأله مبادراً: ما الدليل على هذا من كلام ابن مالك رحمه الله تعالى؟
وأما بالنسبة لأصول الفقه والقواعد فحدث ولا حرج، فقد بلغ فيها الشيخ كل مبلغ حفظاً، وتأصيلاً، وتقييداً، واستحضاراً وضرباً للأمثلة، وسيأتي نماذج من ذلك في مبحث التميز الفقهي.

قال الشيخ سليمان الضحيان: «ويكاد الشيخ ينفرد بالإحاطة في هذه العلوم، وحسبك أنه يكاد يحفظ (قواعد ابن رجب) مع كثرتها وصعوبتها..»^(١)

وبناءً على ما سبق فإن الشيخ كان يشرح دروسه بالعربية الفصحى، وكذا كلامه في الإذاعة، ودروس الحرم، وغيرها، وهذه مزية برز فيها الشيخ، وساعدت الكثير من مُجِبي العلم، ومُرِيدِي المعرفة على الإنصات للشيخ والإقبال على دروسه سواء من الرجال أو النساء أو الصبيان، خاصة من بلاد العجم، ولعل هذا هو أحد أسباب انتشار أشرطة الشيخ في أمريكا، ودول أوروبا، وإفريقيا، وهذا عامل مهم جداً، فإن العامية قد تفيد في بلد أنت فيه، ويتكلم أهلها بها، ولا تفيد في غيره ممن لا يعرف هذه اللهجة، وقد وقع في هذا عدد من الدعاة في وعظهم وإرشادهم، فلم يحصل بذلك النفع المرجو؛ بسبب اختلاف اللهجات. والله الموفق.

٥- قوة عقليته، وحدة ذكائه :

٦- عمق نظره، وطول تأمله :

فالشخص رحمه الله تعالى قد أتى عقلية فذة، تبهر المستمع إليه، وتأخذ بلبه، وقد أقله ذلك للكلام في المسائل المعقدة، فيحللها، ويخرج برأي واضح فيها، يفهمه

(١) مجلة المعرفة، العدد ٦٩.

العامي وطالب العلم، ومن ذلك ما استنبطه الشيخ رحمه الله من آية الوضوء من سورة المائدة، فقد استخرج منها فوائد عجيبة سيأتي إيرادها كاملة، وأذكر هنا منها فائدة واحدة تدل على قوة عقليته رحمه الله تعالى :

قال : «من فوائد الآية وجوب الطهارة لصلاة الجنابة، لقوله : ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾. والصلاة على الجنابة صلاة، كما تدل على ذلك الأحاديث الكثير عن النبي ﷺ مثل قوله ﷺ : «من شهد الجنابة حتى يصلي عليها فله قيراط»، وقال : «صلوا على صاحبكم» وفي شهاد أحد ولم يصل عليهم، وهي أحاديث لا تحصر، تطلق الصلاة على هذا الدعاء المخصوص على الميت، وعلى هذا فالصلاة على الجنابة لا بد فيها من طهارة.

بقي عندنا سجود التلاوة، وسجود الشكر، إن قلنا : إنهما صلاة اشترط لهما الطهارة، فمن قال إنهما يبدآن بالتكبير، ويختتمان بالتسليم، قال إنهما صلاة وتجب لهما الطهارة، ومن قال : لا يبدآن بالتكبير ولا يختتمان بالتسليم، قال : لا يشترط لهما الطهارة»^(١).

٧- الثاني في الأمور، وترك العجلة :

فقد كان رحمه الله تعالى ينصح طلبة العلم بالتأني خاصة في طلب العلم، وعدم العجلة، وقد سمعته يكرر: (العلم يؤخذ بالأيام والليالي)، و(ما أخذ جملة، ذهب جملة).

وكذلك اشتهر عن الشيخ تأنيه في الفتوى، قال رحمه الله تعالى :

«ويجب على المفتي أن يترث في الحكم عند الإشكال وألا يتعجل، فكم من حكم تعجل فيه، فيندم على ذلك، وربما لا يستطع أن يستدرك ما أفق به، والمفتي

إذا عرف الناس منه التأني والثبوت وثقوا بقوله واعتبروه وإذا رأوه متسرعاً والمتسرع كثير الخطأ لم يكن عندهم ثقة فيما يفني به، فيكون بتسرعه وخطئه قد حرّم نفسه وحرّم غيره ما عنده من علم وصواب...»^(١)

٨- تحرره الفكري، وترك التقليد الأعمى :

وقد انتفع الشيخ بهذا كثيراً، فقد أخرج ترك التقليد للأسلاف إلى آفاق العلم الرحبة، حتى فتح للشيخ من أبواب العلم، ودقائقه، ومسائله، ما لم يسبقه إليه غيره، وقد قلت للشيخ يوماً : إننا نسمع منك في التفسير فوائد على الآيات لا نكاد نجدُها في الكتب - وهي غاية في القوة والروعة والاستدلال - لم لا تخرج في كتاب ؟ فقال رحمه الله تعالى وهو في غاية التواضع : (الموجود يكفي) يعني أن كتب التفسير المطبوعة كافية، ولا حاجة للمزيد من الكتب.

وقد كان الشيخ يكرر لتلاميذه في الدرس قائلاً: إنك لن تُسأل عن أحد سوى نبيك ﷺ، فلن تسأل في قبرك عن الشخص الفلاني، أو الإمام الفلاني، ويردد دائماً قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾، ولم يقل ماذا أجبتم فلاناً وفلاناً.

وقال رحمه الله تعالى : (من يتعصب لمذهب أو شخص مع أن الدليل خلافه، أن هذا المتعصب مقدم على خطر عظيم جداً، وذلك لأنه أي بتعصبه يستلزم تقديم قول غير الله تعالى ورسوله على قول الله ورسوله، وهذا خطير جداً، فالواجب على الإنسان أن يتبع الدليل حيثما كان. صحيح أن الإنسان يتأثر إذا تفقه على يد عالم، أو على مذهب معين، يتأثر بهذا العالم، وبهذا المذهب وهذا لا يستلزم أن يكون الإنسان متعصباً لهذا المذهب أو لذلك الرجل، بل عليه إذا تبين له الدليل أن يتبع

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين (١١/٣٣٥).

الدليل حيثما كان؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾. [الشورى: ١٠]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. [النساء: ٥٩].^(١)

وقال أيضاً رحمه الله تعالى: «فالتقليد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بمنزلة الميتة، إن اضطرت إليها فكلها، وإن استغيت عنها فهي حرام عليك...»^(٢) ومع كل هذا فلم يكن الشيخ ليجعل أقوال وآراء علماء الإسلام خلفه ظهرياً بل جعلها هي الحادي الذي يحده لفهم الدليل، واستنباط الأحكام على ضوء الأدلة الشرعية، فهو ليس مبتدعاً لقول جديد لم يسبق إليه، وليس مقلداً لغيره، ويتمثل بقول ابن مسعود رضي الله عنه: (لا تقلد دينك الرجال).

ومما يبين ذلك ما قاله رحمه الله تعالى: «.. حتى أئمة المذاهب ينهون عن تقليدهم تقليداً محضاً، ويقولون: «متى تبين الحق فإن الواجب الرجوع إليه».

فقول لمن عارضنا بمذهب فلان أو فلان، نحن وأنت نشهد أن محمداً رسول الله، وتقتضي هذه الشهادة أن لا تتبع إلا رسول الله ﷺ، وهذه السنة بين أيدينا واضحة جلية، ولكن لست أعني بهذا القول أن نقلل من أهمية الرجوع لكتب الفقهاء وأهل العلم، بل إن الرجوع إلى كتبهم للانفعا بما ومعرفة الطرق التي بها تستنبط الأحكام من أدلتها، من الأمور التي لا يمكن أن يحقق طلب العلم إلا بالرجوع إليها.

(١) جملة الدعوة، العدد ١٧٧٦، آخر حوار مع الشيخ.

(٢) كتاب العلم، ص ١٢٢، ط: دار التريب.

ولذلك نجد أولئك القوم الذين لم يتفقهوا على أيدي العلماء؛ نجد أن عندهم من الزلات شيئاً كثيراً؛ لأنهم صاروا ينظرون بنظر أقل مما ينبغي أن ينظروا فيه، يأخذون مثلاً صحيح البخاري فيذهبون إلى ما فيه من الأحاديث، مع أن في الأحاديث ما هو عام، ومخصص، ومطلق، ومقيّد، وشيء منسوخ، لكنهم لا يهتمون إلى ذلك؛ فيحصل بهذا الضلال الكبير» أ هـ.^(١)

(١) كتاب العلم، ص ٥٠، ط: دار الثريا.

المبحث الثاني:

ما تميز به فقه ابن عثيمين :

مرّ معنا في المبحث السابق أنّ التأسيس الفقهي المتين للشيخ رحمه الله تعالى قد أنتج فقها متميزاً كان له سمات خاصة، بلغ به الشيخ مرتبة الاجتهاد، واستحق لقب الفقيه، وقد أطلقها عليه عدد من أهل العلم، منهم :

شيخنا العلامة : عبد المحسن بن حمد العباد البدر، حيث قال عنه «مكانته العلمية لا تخفى على أحد، فهو عالم كبير، وفقه متمكن»^(١).

الشيخ حمد بن إبراهيم بن حمد الجطيلي : «بعض العلماء يختص ويتخصص في قسم من العلوم الشرعية؛ لكن الشيخ محمد العثيمين حاز الأصول والفروع بالتحقيق، والتدقيق»^(٢).

وقال الشيخ مساعد السلطان : «لقد تميز شيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، باستنباطه للفوائد الفقهية من الأدلة الشرعية، فتجده رحمه الله تعالى ينتقي الفوائد من النصوص الشرعية دون تكلف وعناء، وكأنما سطرت أمام عينيه...»^(٣).

وقال فضيلة الشيخ صالح بن حميد عنه : «هو الإمام العالم العلامة، حبر العلوم، بحر المعارف، شيخ الفقه وإمام السنة...»^(٤).

(١) من محاضرة بعنوان (الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته).

(٢) جريدة الجزيرة، العدد ١٣٣٥.

(٣) مجلة الدعوة، العدد ١٧٨٥.

(٤) جريدة الوطن، العدد ١١٥.

وقال فضيلة الشيخ صفوت نور الدين رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر،
عنه : «العالم الفقيه»^(١).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري الأستاذ بالجامعة
الإسلامية بالمدينة المنورة : «وقد كان صرحاً من صروح العلم والمعرفة ونموذجاً
للعلماء والفقهاء المجتهدين...»^(٢).

وقال الشيخ الدكتور سليمان بن حمد الصقري - عضو هيئة التدريس بجامعة
الإمام بفرع القصيم - :

«كان فقيهاً مجتهداً له آراء يخالف فيها المذهب صاحب مدرسة فقهية متميزة»^(٣).

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع : «وإن نظرت إلى علم الشيخ في
الفقه؛ فأنت واجدٌ علماً غزيراً، وفهماً متيناً...»^(٤).

وقال الشيخ سليمان عبد العزيز الربيعي: «فقدت الأمة المسلمة بوفاته
- رحمه الله - عالماً موسوعياً كبيراً، وفقهياً ضليعاً، مجتهداً ومعلماً أميناً نصوحاً
من الرعيل الأول»^(٥).

هذا الفقه المتميز للشيخ كانت له معالم وسمات بارزة، سنلقي الضوء على ما

تيسر منها :

(١) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٣٠.

(٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

(٣) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

(٤) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٥) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٣.

١- سهولة العبارة :

تميز فقه الشيخ رحمه الله تعالى بسهولة عبارته، ويسر أسلوبه، ووضوح كلماته، فليست ألفاظه بالغريبة الوحشية التي تحتاج معها اصطحاب قاموساً لفك رموزها، وليست عباراته بالمتقكرة، بل يستحق أن يطلق على أسلوبه (السهل الممتنع) فيفهمه العامي من أول وهلة، ويجد فيه طالب العلم بغيته.

ومن أمثلة ذلك : سُئل رحمه الله تعالى :

إذا خشى الإنسان إن قضى حاجته أن تفوته صلاة الجماعة، فهل يصلي وهو حاقن ليدرك الجماعة، أو يقضي حاجته ولو فاتته الجماعة ؟

فأجاب رحمه الله تعالى : يقضي حاجته ويتوضأ، ولو فاتته الجماعة، لأن هذا عذر، وقد قال النبي ﷺ : « لا صلاة بمحضرة طعام، ولا هو يدافعه الأخيثان ».^(١)

فانظر - يرحمك الله - إلى طول السؤال، وقصر الجواب.

وسئل رحمه الله تعالى : ما هي شهادة الزور؟ وهل تبطل الصوم ؟

فأجاب : شهادة الزور من أكبر الكبائر، وهي أن يشهد الرجل بما لا يعلم، أو بما يعلم خلافه، ولا تبطل الصوم، ولكن؛ تنقص أجره.^(٢)

وسئل : ما المراد بالاضطباع؟ ومتى يشرع ؟

فأجاب : الاضطباع أن يكشف الإنسان كنفه الأيمن، ويجعل طرفي الرء على الكنف الأيسر، وهو مشروع في طواف القدوم، وأما في غيره فإنه ليس بمشروع.^(٣)

(١) فتاوى أركان الإسلام، ص ٣٤٠، سؤال رقم ٢٦٤، جمع : فهد السليمان.

(٢) فتاوى أركان الإسلام، ص : ٤٣٤، ص : ٤٨٥.

(٣) المصدر السابق، ص : ٤٩٦، ص : ٥٤٠.

وهذا لا يعني أنه لا يوجد للشيخ إجابات مُسْتَهَيِّة. بل قد يكون للشيخ رسائل في مسألة واحدة في تعريفها وأحكامها وما يتعلق بها، وذلك لأن لكل مقام مقالاً، ولكل حادث حديثاً.

ومن ذلك :

- ١- رسالة في الصلاة والطهارة، وأهل الأعذار. كتبها سنة ١٤٠٠هـ.
- ٢- رسالة في مواقيت الصلاة. كتبها سنة ١٤٠٠هـ.
- ٣- رسالة في سجود السهو. كتبها سنة ١٤٠٠هـ.
- ٤- رسالة في أحكام الأضحية والزكاة.
- ٥- رسالة في أقسام المدابنة. وغيرها..

٢- ربط الحكم بدليله أو تعليله.

وهذا الجانب بارز في فقه الشيخ يقف عليه التأمل في كتبه ورسائله وفتاواه من أول وهلة، فهو منهج للشيخ اختطه لنفسه، ولا يجيد عنه في تعليمه وتدرسه وخطبه وفتاواه. وقد لفت نظر المهتمين بالعلم؛ علماء وطلاب، فوثقوا في فقهه من أجل ذلك، فهو يدور مع الدليل حيث دار، ولا يقف عند ذلك، بل إذا كانت المسألة مما اشتهد فيها النزاع فإنه يحقق الدليل، ويذكر درجته وتخرجه، وهذا من آثار نبذه للتقليد والتعصب وهو يورد الدليل بين طلاب العلم بالطريقة المنهجية المعروفة من إيراد النص وتخرجه أو عزوه، أو ذكر القياس وأركانه، ونحو ذلك.

وأما بالنسبة للعوام ونحوهم؛ فيسقط لهم الدليل، ويشرحه لهم بما يفهمه مثلهم، وهذا من حسن تعليمه، ودماثة خلقه، وتمام نصحه للأمة، لذا أحبه العامي والعالم، ووثق في فتياه المرأة والرجل، والصغير والكبير.

فإذا لم يجد دليلاً ظاهراً للحكم فإنه يلجأ إلى التعليل المستقيم المبني على الأصول المشهورة عند أهل العلم، وإلا فإن الشيخ محتاط في المسألة، ويتوقف فيه، وتكون محل تردد.

ومن أمثلة ذلك :

ما ذكره في مسألة الخلاف بين أهل العلم في حكم مس الذكر هل هو ناقض للوضوء أم لا ؟
قال رحمه الله تعالى :

«والخلاصة أن الإنسان إذا مس ذكره استحب له الوضوء مطلقاً سواء بشهوة أو بغير شهوة، وإذا مسه شهوة فالقول بالوجوب قوي جداً لكنه ليس بظاهر، بمعنى أي لا أجزم به، والاحتياط أن يتوضأ»^(١).

ومما يدل على أن الشيخ يدور مع الدليل حيث دار، رده القول باشتراط ثبات الخف بنفسه؛ لكي يسمح عليه، حيث رجح الشيخ عدم الاشتراط، وقال :

«على المذهب لا يجوز، وعلى القول الراجح يجوز، ووجه رجحانه أنه لا دليل على هذا الشرط، فإذا قال قائل: فما هو الدليل؟ نقول: الدليل عدم الدليل...»^(٢).

٢- إظهاره مقاصد الشريعة، وأسرارها، وحكمها.

وقد أوتي الشيخ في هذا فهماً ثاقباً، وفتحاً مبيناً، فيأتي من حكم الشريعة وأسرارها بما يبهر الأبواب، ويأخذ بقلوب السامعين، فتحت قلوبهم لله رب العالمين، لما وقفوا عليه من آياته العظيمة، وحكمته الباهرة.

(١) المتع (١/٢٣٤)، وقارن بما في مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/٢٠٣).

(٢) المتع (١/١٩٢).

ومن ذلك :

لما انتشر استعمال (المايكروفون) في المساجد، وحصل حوله خلاف في شرعيته، كتب الشيخ لأحد الناس رسالة، جاء فيها.

وبعد: فإننا لا نرى بأساً بوضع مكبر الصوت الذي يسمى (المايكروفون) في المنارة للتأذين به، وذلك لما يشتمل عليه من المصالح الكثيرة، وسلامته من المخذور، ويدل على ذلك أمور..».

وذكر الشيخ ثمانية أدلة، ملخصها :

الأول : أنه مما خلق الله تعالى لنا في هذه الأرض وقد أحله لنا، كما يفيد قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾.

الثاني : أنه من القواعد المقررة عند أهل العلم (أن الأصل في الأعيان والمنافع الحِلُّ والإباحة إلا ما قام الدليل على تحريمه).

الثالث : أن قاعدة الشرع الأساسية (جلب المصالح، ودفع المفاسد).

والمايكروفون يشتمل على مصالح: كالمبالغة برفع الصوت بتكبير الله تعالى وتوحيده، والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة، والدعوة إلى الصلاة خصوصاً وإلى الفلاح عموماً.

ومن مصالحه : تنبيه الغافلين، وإيقاظ النائمين.

ومع هذه المصالح ليس فيه مفسدة تقابل أو تقارب هذه المصالح، بل ليس فيه مفسدة مطلقاً فيما نعلم.

الرابع : أن من القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية (أن الوسائل لها أحكام المقاصد).

والميكروفون وسيلة ظاهرة إلى إسماع الناس الأذان والدعوة إلى الصلاة، وإبلاغهم ما يلقى في المساجد من خطب ومواعظ، وإسماع الناس الأذان من الأمور المأمور بما يجمع أهل العلم، فما كان وسيلة إلى تعميمها وإيصالها إلى الناس كان مأموراً بما أيضاً.

الخامس : اشتراط أهل العلم في المؤذن أن يكون صيئاً، أي رفيع الصوت، والميكروفون من وسائل ذلك بلا شك، فيكون مطلوباً.

السادس : أن النبي ﷺ كان يتحرى من كان عالي الصوت في إبلاغ الناس.

السابع : قياس تكبير الصوت على تكبير النظارة للحروف والكلمات فمن أحل هذه أجاز تلك ولا بد.

الثامن : أنه يستعمل في أفضل المساجد : المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ من غير تكبير من أهل العلم..^(١) انتهى ملخصاً

فانظر - رحمك الله - إلى فقه الشيخ في بيان مقصد الشريعة من الأذان وهو الإعلام برفع الصوت بالشهادتين، وحث الناس على الصلاة والفلاح، وكيف بين أن مكبر الصوت وسيلة مفيدة في ذلك. وأيضاً حرص الشرع على إيصال المواعظ والخطب والدعوة عموماً إلى أقصى ما يُستطاع للأمر العام بالبلاغ، وأن هذا أحد وسائله.

وقد سئل الشيخ رحمه الله تعالى هذا السؤال :

س : فضيلة الشيخ : هل يجوز الصيد بدون حاجة، بل مجرد ممارسة هواية الصيد فحسب، بحيث إنه يرمي الصيد ويتركه ميتاً، ولا يستفيد هو منه ولا غيره، وكذلك ما الحكم في صيدها من أجل أن يتسلى الصغار بما ؟

(١) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (٩١/١٣-٩٥).

فأجاب رحمه الله تعالى ما ملخصه :

ج : «الصيد لهواً وعبثاً محرم؛ لما في ذلك من اللهو والغفلة عن ذكر الله، ولأن ذلك يوجب ضياع المال في غير فائدة، وقد صرح بعض العلماء بكرهته، ولكن قواعد الشريعة تقتضي تحريمه؛ لأن النبي ﷺ هُي عن إضاعة المال، ومطاردة الصيد لأجل صيده وتركه لا شك إنه من السفه وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾. [النساء : ٥] وأما صيد الصيد من أجل أن يتسلى بها الصغار فلا بأس بها...»^(١)

٤- عنايته بالتقاسيم :

ولقد اشتهر الشيخ رحمه الله تعالى بعنايته بتقسيم الجواب أو الفتيا أو المسألة إلى أقسام؛ والكلام على كل قسم تأصيلاً واستدلالاً، ومن ذلك : قوله في التسمية :
(تكون واجبة؛ في الوضوء. وتكون مستحبة؛ كالتسمية عند الأكل، على رأي الجمهور، وقال بعض العلماء : إنها واجبة وهو الصحيح، وتكون بدعة عند الأذان مثلاً، إذا أراد أن يؤذن قال : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وكذا عند الصلاة.

أما عند قراءة القرآن فتقرأ في أول السورة، وأما في أثناء السورة فقال بعض العلماء : يستحب أن يقول : بسم الله، ورد بعض العلماء هنا - وهو الصحيح - وقال إن الله لم يأمرنا عند قراءة القرآن إلا أن نقول : ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فإذا أردت أن تقرأ في أثناء السورة فلا تسمي.^(٢)

تقسيمه لخروج الناس للنزهة إلى ثلاثة أقسام :

(١) فتاوى وتوجيهات في الإجازة والرحلات ص ١١٠، جمع خالد أبو صالح.

(٢) الشرح المتع (١/١٣٢-١٣٣).

قال رحمه الله تعالى :

(إن كثيراً من الناس في أيام أجازة الربيع يخرجون إلى البرّ للنزهة والأنس مع أصحابهم وإخوانهم، وهذا من الأمور المباحة، لكن ينقسم الناس في الخروج إلى ثلاثة أقسام :

- ١- قسم: يكتبون به إثمًا، فتجد عندهم من آلات اللهو موسيقى، أغان، ألعاب محرمة، يحصل منها شرّ، ويكون ذلك وبالاً عليهم.
- ٢- وقسم: آخر يقضون هذا الوقت في اللغو واللهو، وإن لم يصل إلى درجة التحريم.

٣- والقسم الثالث : من يستعمله بالدعوة إلى الله، ويكون إذا بقي في مخيم يتلو كتاب الله، يقرأ في كتب التفسير، في كتب الحديث، ويتحول بين المخيمات للدعوة إلى الله عز وجل، والترغيب والترهيب، يهدي الله به بشرًا كثيرًا^(١).

تقسيمه للناس في كيفية قضاء الإجازة إلى خمسة أصناف :

الأول : من يذهب إلى العمرة وزيارة المسجد النبوي.

الثاني : من يخرج للنزهة.

الثالث : من يبقى في بلده.

الرابع : من يخرج في الدعوة إلى الله.

الخامس : من يخرج خارج البلاد للمتعة^(٢).

(١) فتاوى وتوجيهات في الإجازة والرحلات. إعداد : خالد أبو صالح.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧.

تقسيمه لحال المأموم مع الإمام إلى أربعة أقسام :

قال رحمه الله تعالى : (حال المأموم مع إمامه تنقسم إلى أربعة أقسام :

الأول : مسابقة.

الثاني : تخلف.

الثالث : موافقة.

الرابع : متابعة.^(١)

وشرّح الشيخ رحمه الله تعالى في بيانها بأدلتها.

تقسيم التأويل إلى قسمين :

قال رحمه الله تعالى : (والتأويل قسمان : صحيح مقبول، وفساد مردود

١- فالصحيح : ما دلّ عليه دليل صحيح كتأويل قوله تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾

إلى معنى : وأسأل أهل القرية؛ لأن القرية نفسها لا يمكن توجيه السؤال إليها.

٢- والفساد : ما ليس عليه دليل صحيح كتأويل المعطلة قوله تعالى :

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إلى معنى استولى والصواب أن معناه العُلُوّ

والاستقرار من غير تكييف ولا تمثيل.^(٢)

ولا شك أن تقسيم مسائل العلم أقرب لفهمها، وأضبط لحفظها، وأسهل

لذكّرها، وهي طريقة كثير من المحققين من السلف والخلف.

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (١٢/٤٩٨).

(٢) الأصول من علم الأصول ص ٥٨، ط : م الرسالة ١٤١٨هـ.

٥- عنايته بالفروق :

كذا عُرف رحمه الله تعالى بعنايته بذكر الفروق في الألفاظ والكلمات أو الأحكام والمصطلحات، وهذا باب خطير جداً؛ إذا لم يتقنه طالب العلم؛ فإنه سيقع في خلطٍ عظيم واضطراب هائل لتفريقه بين التماثلات، وتساوته بين المختلفات، كما حصل ويحصل ممن لم يتقن هذا الباب، وقد كتب فيه المتقدمون والمتأخرون، فمن المتقدمين القرافي رحمه الله تعالى في كتابه (الفروق) ومن المتأخرين شيخ المترجم العلامة السعدي رحمه الله تعالى في كتابه الذي سبقت الإشارة إليه (القواعد والأصول الجامعة والفروق والتفاسيم البديعة النافعة) ولقد ورث المترجم من شيخه السعدي هذا الإرث العظيم، فقد كان بارعاً رحمه الله تعالى في هذا الباب.

ومن ذلك : الفرق بين مسح الرأس وغسله في الوضوء :

قال رحمه الله تعالى : «الفرق بين المسح والغسل أن المسح لا يحتاج إلى جريان، بل يكفي أن يغمس يده في الماء ثم يمسح بها رأسه مبلولة بالماء، وإنما أوجب الله في الرأس المسح دون الغسل، لأن الغسل يشق على الإنسان ولا سيما إذا كثرت الشعر، وكان في أيام الشتاء، إذ لو غسل لنزل الماء على الجسم، ولأن الشعر يبقى مبتلاً مدة طويلة، وهذا يلحق الناس به العسر والمشقة، والله إنما يريد بعباده اليسر»^(١).

الفرق بين الفجر الأول والفجر الثاني.

قال رحمه الله تعالى : (ذكر العلماء أن بينهما ثلاثة فروق :

الأول : أن الفجر الأول ممتد لا معترض، أي ممتد طولاً من الشرق إلى الغرب، والثاني معترض من الشمال إلى الجنوب.

(١) الشرح المتع (١/١٥٠).

الثاني : أن الفجر الأول يظلم، أي يكون هذا النور لمدة قصيرة ثم يظلم، والفجر الثاني لا يظلم، بل يزداد نوراً وإضاءة.

الثالث : أن الفجر الثاني متصل بالأفق ليس بينه وبين الأفق ظلمة، والفجر الأول منقطع عن الأفق بينه وبين الأفق ظلمة.^(١)
الفرق بين : الأداء، والإعادة، والقضاء.

قال رحمه الله تعالى :

(الأداء : ما فعل في وقته لأول مرة.

والإعادة : ما فعل في وقته مرة ثانية

والقضاء : ما فعل بعد وقته).^(٢)

الفرق بين الفاسد والباطل.

قال رحمه الله تعالى :

(والفاسد والباطل بمعنى واحدٍ إلّا في موضعين :

الأول : في الإحرام، فرقوا بينهما بأن الفاسد ما وطئ فيه المحرم قبل التحلل الأول، والباطل ما ارتد فيه عن الإسلام.

الثاني : في النكاح، فرقوا بينهما بأن الفاسد ما اختلف العلماء في فساده كالنكاح بلا ولي، والباطل ما أجمعوا على فساده، كالنكاح المعتد).^(٣)

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (٢٠٧/١٢).

(٢) الشرح المنع (٧٢/٢-٧٣).

(٣) الأصول من علم الأصول ص ١٨، ط : ٧، م الرسالة ١٤١٨ هـ.

٦- عنايته بالقواعد الفقهية.

اعتنى الشيخ رحمه الله تعالى بإبراز القواعد الفقهية الكلية أو الأغلبية، وربط جزئيات المسائل بها، وتخريجها عليها؛ عناية كبيرة، لما في ذلك من الفائدة المرجوة للمتعلم.

فطالب العلم الذي يدرس المسائل بدون معرفة قاعدتها سرعان ما تأتيه مسألة أو مسائل لا يظهر دليلها، ولا يعرف كيف يردّها إلى نظائرها أو إلى قاعدتها، فيأخذها الاضطراب ويعتريه الخلل، وقد تكون من أيسر المسائل.

لذلك كله كان الشيخ رحمه الله تعالى يكثر من إيراد القواعد الفقهية، ويطلب بها طلابه. وقد اشتغل رحمه الله تعالى باختصار قواعد ابن رجب رحمه الله تعالى، وله منظومة فريدة في القواعد والأصول.

ومما يذكره الشيخ من القواعد :

- ١- العبر في الأمور بمعانيها لا بصورها.^(١)
- ٢- يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً.^(٢)
- ٣- المشقة تجلب التيسير.^(٣)
- ٤- ما كان مغفواً عنه شرعاً زال ضرره قدرأ.^(٤)
- ٥- ما كان تحريمه تحريم وسائل أبحاثه الحاجة.^(٥)

(١) الشرح المتع (٢٠٧/١).

(٢) المصدر السابق (٤٣٤/١).

(٣) المصدر السابق (٤٣٩/١).

(٤) المصدر السابق (٣٥٧/١).

(٥) المصدر السابق (٢١١/٢).

٦- الشارع لا يُفرّق بين متماثلين، كما أنه لا يجمع بين متفرّقين.^(١)

٧- المحرم لا تبيحه إلاّ الضرورة.^(٢)

وذكر الشيخ محمد صالح المنجد عدة قواعد أخرى :

٨- البديل له حكم المبدل منه.

٩- عدم السبب المعين لا يقتضي سبب المعين.

١٠- اليقين لا يزول بالشك.

١١- الشيء في معدنه لا حكم له.

١٢- ما شك في وجوده فالأصل عدمه.

١٣- الفرع أضعف من الأصل.

١٤- كل ما وجب في العبادة فإن فوائده مبطل لها.

١٥- القضاء يحكي الأداء.^(٣)

وذكر أحد تلاميذ الشيخ وهو الأخ خالد بن صالح النزال أنه قرأ على الشيخ هو وأحد الطلاب أكثر من مائة قاعدة فقهية، وهو بمشي، وهي مسجلة كاملة.^(٤)

وسأذكر عدداً من القواعد الفقهية والأصولية التي دونتها أثناء حضوري لدروس الشيخ رحمه الله تعالى في شرح بلوغ المرام، ومعها بعض الفوائد الأخرى، وذلك في حدود سنة ١٤٠٣هـ، وما بعدها.

(١) المصدر السابق (١/٢٠٧).

(٢) المصدر السابق (٢/٢١١).

(٣) محاضرة للمنجد بعنوان ١٠٠ فائدة من الإمام العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

(٤) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٣.

فوائد وقواعد فقهية وأصولية متنوعة مما كتبه

خلف الشيخ من التعليقات على بلوغ المرام :

- ١- قاعدة : لازم قول العالم ليس قولاً له.
- ٢- قاعدة : لا يلزم من العدل المساواة.
- ٣- فائدة : اسم (الصمد) أجمع ما قيل فيه أنه الكامل في صفاته، المفتقر إليه جميع مخلوقاته.
- ٤- فائدة : الحصر في العدد يوجب تذكر المعدود.
- ٥- فائدة : التفصيل بعد الإجمال أشوق للسامع.
- ٦- سميت الدنيا دنيا لدنوها زمناً ودنوها رتبة، لأنها دون الآخرة.
- ٧- قاعدة: العلة المنصوصة يلحق بما كل ما يشترك معها في الحكم.
- ٨- فائدة : الصحيح أن آخر وقت العشاء منتصف الليل، وينبغي على هذا : إذا طهرت الحائض بعد منتصف الليل فإنه لا يلزمها القضاء.
- ٩- فائدة : سجود الشكر، ذكر، يجوز بغير وضوء.
- ١٠- قاعدة : إذا جاء الخبر بمعنى النهي فهو تأكيد له.
- ١١- قاعدة : والشك بعد الفعل لا يؤثر
وهكذا إذا الشكوك تكثر
- ١٢- قاعدة : وكل ما أتى ولم يحدّد بالشرع
كالحرز فبالعرف احدد

معنى القاعدة : أن ما جاء من الأمور ولم يحدّد شرعاً رجع فيه إلى العرف.

١٣- قاعدة : قال : قال شيخ الإسلام : (لا يوجد حكم متعلق بشخص، ولا تتعلق الأحكام إلا بالمعاني).

١٤- فوائد قرن الحكم بالعلة :

أ - بيان سمو الشريعة.

ب- طمأنينة القلب.

ج - شمول الحكم بوجود العلة.

١٥- قاعدة : كلّ شيء وجد سببه في عهد الرسول ﷺ ولم يفعله.. ففعله

غير مشروع؛ لأن فعله ﷺ سنة، وتركه سنة.

١٦- فائدة : على العابد أن :

أ - ينوي العبادة.

ب- ينوي الامتثال.

ج - ينوي نية المعمول له.

د - استحضر الاتباع.

١٧- فائدة : العَجَب نوعان :

- عجب إنكار.

- عجب استحسان.

١٨- قاعدة : إذا كانت العلة منصوصة فتخصص العموم، وإلا فلا.

١٩- قاعدة : إذا كان القيد أغلبياً فلا مفهوم له، مثاله قوله تعالى : ﴿وَرَبَّائِكُمْ

الَّذِينَ فِي حُجُورِكُمْ﴾.

٢٠- النهي عن الشيء يتعلّق بكلّه وجزئه لأنه مفسدة، والأمر.. بالشيء يتعلّق بالشيء كله، فلا يحصل الامتثال إلا بكلّه.

٢١- قاعدة : الشرط العربي المطرد كالشرط اللفظي.

٢٢- قاعدة : اذا اختلف العلماء على قولين مع عدم وجود دليل مرجح؛ فالأخذ يكون بالأيسر على الأمة.

٢٣- فائدة لغوية : ابتداء الغاية داخل، وانتهاؤها خارج، وهذه ليست قاعدة مطردة بل أغلبية، ويعرف ذلك بالقرينة.

٢٤- قاعدة : مباشرة المنوع للتخلص منه جائز.

٢٥- قاعدة : لا يمكن للدليلين قطعيين أن يتعارضا.

٧- **ميسله لترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى، ومخالفته لهما فيما ترجح عنده خلافه.**

قد سبق بيان أن الشيخ تأثر كثيراً بكتابات الشيخين، وكانت كتبهما له صبوراً وغبوقاً، وذلك لقوة استدلالهما، وثبات منهاجهما.

ومع ذلك فإنه لم يكن مقلداً لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى ولا لتلميذه، ولم يكن ظلاً لهما، بل كان يأخذ بما قويت فيه الحجة، وظهرت المحجة، ويكرّر كلمة ابن القيم رحمه الله تعالى : «شيخ الإسلام حبيب إلينا، والحق أحب إلينا من شيخ الإسلام».

ومن المسائل المشهورة التي وافق فيها شيخ الإسلام :

١- (مسألة إيقاع الطلاق الثلاث واحدة، وهو أيضاً مذهب شيخه العلامة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى).

٢- مسألة عدم تحديد مسافة القصر بمقدار معين، بل ما يطلق عليه السفر هو المبيح للقصر.

٣- مسألة عدم قبول توبة ساب الرسول عليه الصلاة والسلام.^(١)

٤- جواز عيادة أهل الذمة للمصلحة، كالدعوة إلى الإسلام.^(٢)

٥- مشروعية أخذ الجزية من كل كافر.^(٣)

ومع ذلك فقد خالف شيخ الإسلام في أمور ظهر له أن الدليل خلافها، وقد ذكر الأخ وليد الحسين عدداً من هذه المخالفات، أذكرها نقلاً عنه :

١- يرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الجماعة شرط لصحة الصلاة، ويرى شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى أنها واجبة.

٢- يرى شيخ الإسلام أن المتمتع في الحج يكفيه سعي العمرة عن سعي الحج، ويرى شيخنا أن سعي العمرة لا يكفي عن سعي الحج.

٣- يرى شيخ الإسلام جواز سفر المرأة بلا محرم مع الأمن، ويرى شيخنا عدم جواز سفر المرأة بلا محرم مطلقاً.

٤- يرى شيخ الإسلام جواز الجمع بين الأختين من الرضاع، ويرى شيخنا التحريم.

٥- يرى شيخ الإسلام جواز دفع الزكاة في قضاء دين الميت الذي لم يخلف وفاء، ويرى شيخنا عدم الجواز.

(١) الشرح المتمتع (٨/١٠٠).

(٢) المصدر السابق (٨/٨٦).

(٣) المصدر السابق (٨/٦٣).

٦- يرى شيخ الإسلام جواز تغفير الوجه بالتراب تذلاً لله تعالى، ويرى شيخنا ضعف هذا القول؛ لأن الأصل في العبادات المنع والحظر، حتى يقوم دليل على المشروعية.

٧- يرى شيخ الإسلام أن للأُم الثلث مع الإخوة المخجولين بالأب، ويرى شيخنا أن للأُم السدس، أي أن الإخوة محبوبونها حجب نقصان مع أنهم غير وارثين.

٨- يرى شيخ الإسلام جواز الزيادة بين الربويين من جنس واحد في مقابلة الصنعة، ويرى شيخنا عدم الجواز للعمومات الدالة على أن الذهب بالذهب لا بد فيه من التساوي سواءً بسواء.

٩- يرى شيخ الإسلام أن المأموم تكفيه قراءة إمامه في الصلاة الجهرية وهو المذهب، ويرى شيخنا وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في الجهرية. (١) إهـ.

ومما لم يذكره :

١٠- مسألة الشراء ممن أكره على بيع الشيء، هل يشرع الشراء منه أو يحرم ؟

يرى شيخ الإسلام صحة الشراء، ويرى شيخنا التفصيل، فإذا كان ترك الشراء سيجعل المكروه يرجع عن إكراهه حرّم الشراء، وإلا جاز لأنه من باب الإحسان إليه. (٢)

٨- سعة استنباطاته من الأدلة.

وقد اشتهر رحمه الله تعالى بسعة فقهه، وقوة استنباطاته من الأدلة، وغزارة الفوائد التي يستخرجها من الآية الواحدة.

(١) مجلة الحكمة، العدد الثاني ١٤١٤هـ.

(٢) الشرح المنع (١٢٣/٨).

وقد ذكر الشيخ أنه استنبط من آية القصاص أكثر من إحدى وعشرين مسألة^(١) وذكر الشيخ سليمان الضحيان أن الشيخ استنبط منها (بضعاً ومائتين) فائدة^(٢) وسأكتفي هنا بذكر آية واحدة استنبط منها الشيخ ثلاثاً وثلاثين فائدة، ألا وهي آية الوضوء.

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ، مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. [المائدة : ٦].

قال الشيخ رحمه الله تعالى : «يؤخذ من هذه الآية الكريمة عدة فوائد :

أولاً : أهمية الطهارة من الحديثين الأكبر والأصغر بقسميها : المائة والتراية، ونأخذ الأهمية من أن الله صدر الخطاب عنها بالنداء.

ثانياً : أن الوضوء من مقتضيات الإيمان، لأن الخطاب به صدر بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وأن الإخلال به نقص في الإيمان.

ثالثاً : عناية الله سبحانه وتعالى بالصلاة؛ حيث فرض علينا أن نتطهر إذا قمنا إليها، فغيرها من العبادات لا يشترط له الطهارة، ولم يجمع العلماء على أن شيئاً من العبادات تشترط له الطهارة إلا الصلاة، وما عداها ففيه خلاف.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) مجلة المعرفة، العدد ٦٩.

فمثلاً : الطواف بالبيت جمهور أهل العلم على أنه يشترط له الطهارة، وذهب بعض العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أنه لا يشترط له الطهارة.

مس المصحف : جمهور العلماء أو أكثرهم على أنه لا يجوز إلا بطهارة، وذهب بعض العلماء ومنهم الشوكاني إلى أنه لا يشترط له الطهارة، وأظن أهل الظاهر كذلك.

رابعاً : من فوائد الآية وجوب الطهارة لصلاة الجنائز، لقوله : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾. والصلاة على الجنائز صلاة، كما تدل على ذلك الأحاديث الكثيرة عن النبي ﷺ مثل قوله ﷺ : « من شهد الجنائز حتى يُصلي عليها فله قيراط » وقال : « صلوا على صاحبكم » ودفن شهداء أحد، ولم يصلّ عليهم.

وهي أحاديث لا تُحصر، تطلق الصلاة على هذا الدعاء المخصوص على الميت، وعلى هذا فالصلاة على الجنائز لا بد فيها من طهارة.

بقي عندنا سجود التلاوة، وسجود الشكر إن قلنا إنهما صلاة اشترط لهما الطهارة، فمن قال: إنهما يبدآن بالتكبير ويختتمان بالتسليم قال: إنهما صلاة، وتجب لهما الطهارة، ومن قال: لا يبدآن بالتكبير، ولا يُختتمان بالتسليم قال: لا يُشترط لهما الطهارة.

خامساً : من فوائد الآية الكريمة وجوب غسل الوجه في الوضوء، وتأخذ من قوله : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ والأصل في الأمر الوجوب.

سادساً : ومن فوائد الآية الكريمة تحريم مسح الوجه لقوله : ﴿ اغْسِلُوا ﴾ وقوله في الرأس : ﴿ وَأَمْسَحُوا ﴾ ففرّق الله تعالى بين الغسيل والمسح.

سابعاً : من فوائد الآية أنه يجب في الوضوء إزالة ما يمنع وصول الماء لأنه لو كان على العضو مانع يمنع الماء لم يصدق عليه أنه غسله، ولهذا يجب على الذين

بممارسة الشغل في «البوية» أن يلاحظوا ذلك، لأن «البوية» تمنع وصول الماء فإذا منعت وصول الماء لم تصح الطهارة.

ثامناً : من فوائد الآية الكريمة شرف الوجه، لأن الله بدأ به.

تاسعاً : من فوائد الآية الكريمة أنه لا يجب غسل الكفين قبل غسل الوجه: يعني لو أن الإنسان توضأ، وبدأ بغسل وجهه دون أن يغسل كفيه، فوضوؤه صحيح، ما وجه الدلالة من الآية ؟

لأن الله لم يذكر ذلك، ولو كان واجباً لذكره الله عز وجل، لكن غسل الكفين في مقدمة الوضوء سنة، فعله النبي ﷺ.

عاشراً : من فوائد الآية الكريمة وجوب المضمضة والاستنشاق، وتؤخذ من قوله : ﴿اغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ لأن الأنف والفم داخلان في مسمى الوجه، وعلى هذا فتجب المضمضة والاستنشاق.

المضمضة هي : إدارة الماء بالفم، والاستنشاق هو : سحب الماء إلى داخل الأنف، وقد أمر النبي ﷺ بالمبالغة في الاستنشاق إلا أن يكون الإنسان صائماً.

الحادية عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب غسل اليدين إلى المرفقين لقوله تعالى : ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ولكن هل تدل الآية على أن الإنسان يبدأ بغسل يده من أطراف الأصابع إلى المرفقين ؟

الجواب : قال بعض العلماء : إن في الآية دليلاً على أنه ينبغي أن تغسل اليد من أطراف الأصابع ماراً بما إلى المرفق.

الثانية عشرة : ومن فوائدها وجوب مسح الرأس لقوله : ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ وأن المسح يجب تعميم الرأس به، لقوله : ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ ولم يقل: ببعض رؤوسكم.

مسألة : لو غسل الإنسان الرأس بدل مسحه، هل يجزئه ؟

الجواب : هذا ينبي على تقييد النص بالعلة، نحن نعلم أن الحكمة في مسح الرأس هو التخفيف عن الأمة، لأن الرأس لو غسل والغالب أن فيه شعراً تأذى الإنسان منه، ولا سيما أيام الشتاء، قال بعض العلماء : إنه يجزئه غسله بدلاً عن مسحه، وقال بعض العلماء : إن الغسل لا يجزئ، لماذا ؟

الجواب : لأنه خلاف أمر الله، وقد قال النبي ﷺ : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ» إذاً فلا يجزئ الغسل بدلاً عن المسح.

وقال آخرون : يجزئ الغسل إن أمرٌ يده على الرأس لأنه أتى بالمسح وزيادة، وهذا القول أرجح، ومع ذلك فإننا نقول إن هذا خلاف الأولى وأن الأولى أن مسح الإنسان رأسه كما أمر الله به.

الثالثة عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب مسح الأذنين لأن الأذنين من الرأس، وعنى هذا فتكون الآية دالة على وجوب مسح الأذنين لأهما من الرأس.

الرابعة عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب غسل الرجلين إلى الكعبين، لقوله : «وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ».

الخامسة عشرة : من فوائدها جواز المسح على الخفين والجوربين على قراءة : «وَأَرْجُلِكُمْ» بالكسر.

السادسة عشرة : من فوائدها وجوب الترتيب بين الأعضاء الأربعة، فبدأ بالوجه، ثم اليدين إلى المرفقين، ثم الرأس، ثم الرجلين، ويؤخذ من أن الله بدأ بها مرتبة، ولأن الله عز وجل أدخل ممسوحاً بين المغسولات، والبلاغة تقتضي أن تذكر

المغسولات وحدها والمسوح وحده إلا لسبب، ولا نعلم لذلك سبباً إلا مراعاة الترتيب، وعلى هذا فيكون في الآية دلالة على الترتيب من وجهين.

الوجه الأول : أن الله ذكرها مرتبة، والنبي ﷺ حين أقبل على الصفا ليعمى قرأ : «إِنَّ الصُّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» ثم قال : «أبدأ بما بدأ الله به» وفي رواية للنسائي «أبدوا بما بدأ الله به» بصيغة الأمر.

الوجه الثاني من الدلالة على الترتيب : أن الله تعالى أدخل المسوح بين المغسولات ولا نرى لذلك فائدة إلا مراعاة الترتيب.

السابعة عشرة : من فوائد الآية الكريمة أنه لا يجب الترتيب بين اليمنى واليسرى، وأنه لو قدم اليسرى على اليمنى أجزأه، ويؤخذ من أنه قال : «وَأُيَدَيْكُمْ إِلَى الْمَوَافِقِ» ولم يقل واليد اليمنى، ثم اليد اليسرى، وقال : «وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» ولم يقل اليمنى قبل اليسرى ولكن مع ذلك التيامن أفضل، قالت عائشة رضي الله عنها : «كان النبي ﷺ يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله».

الثامنة عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب الموالاة، يعني ألا تؤخر غسل عضو عن الذي بعده بزمن كبير تنقطع به الموالاة، لأنها ذكرت متواليه، وهي واقعة في جواب الشرط. والشرط «إِذَا قُمْتُمْ» وجواب الشرط «فَاغْسِلُوا» ومعلوم أن جواب الشرط يلي المشروط، فإذا كان جواب الشرط يلي المشروط، وقد ذكرت الأعضاء مرتبة دل على ذلك أنه لا بد من الموالاة، وقد جاءت السنة بذلك، وأن الرجل لو أخر غسل عضو عن الذي قبله بزمن كثير يعد منفصلاً وجب عليه الإعادة.

التاسعة عشرة : وفي الآية الكريمة جواز المسح على الخفين، وكذلك على الجوربين، وقد سبق الفرق بين الخفين والجوربين : وأن الخفين من جلود وشبهها،

والجوربان تكون من الصوف والقطن والكتان وما أشبه ذلك، وتسمى الجوارب عند الناس «الشُرَاب» وعلى هذا فيجوز المسح على الخفين أو الجوارب بدلالة القرآن في هذه الآية، كما أن السنة متواترة به، فقد تواتر عن النبي ﷺ أنه مسح على الخفين، وجاء فيه عن النبي ﷺ وعن الصحابة نحو أربعين حديثاً.

وقد قال الناظم :

مما تواتر حديث مَنْ كَذَبَ ومن بنى لله بيتاً واحتسب
ورؤية شفاعة والحوض ومسح خفين وهذي بعض

وهنا نتكلم بعض الشيء عن المسح على الخفين فنقول : يشترط لجواز المسح على الخفين :

- أن يتقدم لبسهما طهارة، ودليل ذلك حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فتوضأ، فأهويت لأتزع خفيه، فقال : «دعهما، فإنني أدخلتهما طاهرتين»، فلو أن أحداً لبسهما على غير طهارة للتدفئة، ونسي فمسح عليهما، وصلى، هل وضوؤه صحيح وصلاته ؟

الجواب : ليس وضوؤه صحيحاً ولا صلاته كذلك؛ لأنه لم يطهر رجله الطهارة الواجبة، وهذا ليس من باب فعل المحذور، ولكنه من باب ترك المأمور، وفي حديث المغيرة دليل على أن من كان عليه خفٌ فإن مسحهما أفضل من الغسل، ويؤخذ من قوله «دعهما». فلو سألنا سائل: أيهما أفضل: المسح على الخفين أو غسل الرجلين؟

الجواب : قلنا : الأفضل لمن كان لابساً للخفين المسح ومن لم يلبس الخفين فالغسل، ثانياً : من شروط جواز المسح على الخفين أن يكون في المدة المحددة، وهي يومٌ وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليها للمسافر، دليل ذلك حديث علي رضي الله عنه

قال: «جعل النبي ﷺ ثلاثة أيام ولياليها للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم يعني للمسح على الخفين.

وحديث صفوان بن عسال رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كنا سفراً ألا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، ولكن من غائطٍ وبولٍ ونومٍ».

متى تبدأ هذه المدة؟

الجواب: قيل وهو قول شاذ، تبدأ من اللبس، وقيل: تبدأ من الحدث بعد اللبس، وقيل: تبدأ من المسح بعد الحدث.

والقول الراجح أنها تبدأ من المسح، لأن النبي ﷺ قال: «يمسح» بعد الحدث. ولا يتحقق المسح إلا بوجوده فعلاً، فابتداء المدة إذاً من أول مرة مسح بعد الحدث، ثم عدت أربعاً وعشرين ساعة بعد المسح إذا كنت مقيماً، واثنين وسبعين ساعة بعد المسح إذا كنت مسافراً، ومن شروط المسح على الخفين أن يكون المسح في الحدث الأصغر، أما في الجنابة فلا مسح، ودليل ذلك حديث صفوان المتقدم وفيه «إلا من جنابة، ولكن من غائطٍ وبولٍ ونومٍ». فإذا حصل للإنسان جنابة، وعليه خفان فإن الواجب عليه أن يخلعهما ليغسل رجليه؛ لأن طهارة الجنابة أغلظ من طهارة الحدث الأصغر، ولهذا يحرم على من عليه جنابة ما لا يحرم على من كان عليه حدث أصغر.

وإذا تمت المدة فهل ينتقض الوضوء؟

الجواب: الصحيح أنه لا ينتقض وضوؤه، وأن وضوءه باقٍ ولو تمت المدة، لكن لا يمسه بعد تمام المدة، ووجه كون ذلك هو القول الصحيح أن النبي ﷺ إنما

وَقَتَّ الْمَسْحَ، وَلَمْ يَوْقَتَّ الطَّهَارَةَ، مَا قَالَ الطَّهَارَةَ يَوْمَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا أَمَّ الْيَوْمَ وَاللَّيْلَةَ فَإِنَّ مَقْتَضَى ذَلِكَ أَلَّا أَمْسَحَ، وَلَيْسَ مَقْتَضَاهُ أَنْ يَبْطُلَ وَضُوءِي، هَذَا وَجْهٌ.

الوجه الثاني أن هذا الذي مسح قبل تمام المدة بنصف ساعة، ثم تمت المدة وهو ماسح، قد صحَّ وضوؤه بمقتضى دليل شرعي، وما صحَّ بمقتضى دليل شرعي فإنه لا يمكن إفساده إلا بدليل شرعي، وليس لمن قال: إنه ينتقض بتمام المدة دليل شرعي يدل على ذلك.

لو أن الرجل خلع الجورب الذي مسحه، أو الخف، فهل تنتقض طهارته؟

الجواب: فيه خلاف، لكن الصحيح أن طهارته لا تنتقض، كيف ذلك؟

الجواب: لأننا نقول هذا الرجل الذي مسح على الجورب أو الخف صحَّت طهارته، لأن المدة ما زالت باقية، فإذا خلع الخفَّ فإننا نقول: ما دامت طهارته قد صحَّت بمقتضى دليل شرعي فإننا لا ننقضه إلا بدليل شرعي.

وأين الدليل على أن خلع الخفَّ ناقض للوضوء؟ ليس هناك دليل.

وأيضاً: لو أن رجلاً توضأ وعليه شعرٌ كثيرٌ على رأسه ومسحه، ثم بعد أن أمَّ

وضوءه حلقه، فزال المسوح، فهل ينتقض وضوؤه؟

الجواب: لا ينتقض، حتى على قول من يقول إن الوضوء ينتقض بخلع الخفِّ،

وعلى هذا إذا خلع خفَّهُ فإن طهارته باقية، لا تنتقض، ولكن لا يمكن أن يعيد الخفَّ مرةً أخرى إلا بعد أن يتوضأ ويغسل رجليه.

العشرون: من فوائد الآية الكريمة: جواز التيمم، بل وجوبه عند عدم الماء أو

عند الضرر باستعماله، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ.

الحادية والعشرون : من فوائدها أن التيمم يكون في الحدث الأكبر والأصغر لقوله : ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ على التفسير الصحيح لقوله ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ﴾ بأنه الجماع.

الثانية والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أن الغائط ناقض للوضوء، ويؤخذ من قوله : ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ...﴾.

وهل مثله البول ؟ نعم مثله، لأنه خارج من السبيل.

وهل مثله الريح ؟ نعم لأنه خارج من السبيل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه : أخرجه منه شيء أم لا ؟ فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتاً، أو يجد ريحاً».

وهذا دليل على أن الريح ناقض للوضوء.

لو أخرج من السبيلين دم، ليس بولاً ولا غائطاً ولا ريحاً ولكنه دم، مثل لو كان في الإنسان بواسير، أو تنحرج المثانة فيخرج الدم، هل ينتقض الوضوء أم لا ؟

الجواب : نعم، ينتقض الوضوء، ولهذا نقول: كل خارج من السبيلين فإنه ناقض للوضوء سواء كان بولاً أو غائطاً أو دمياً أو مائياً، أما المني فإنه يوجب الغسل.

الثالثة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : جواز التيمم على كل أجزاء الأرض لقوله : ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فيجوز التيمم على الأرض سواء كانت رملية أو طينية أو ذات تراب - غبار - أو ليس لها غبار، لأن الله تعالى لم يفصل.

ولأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يسافرون، ويمرّون بالأراضي الرملية والترابية ويتيممون، وهذا دليل على أنه يجوز التيمم بكل ما كان على وجه الأرض، هذا إذا كان من التراب، يعني من أصل الأرض كالأحجار والأتربة، وما أشبه ذلك.

فإذا كانت فرشاً فهل يتيمم عليها الإنسان؟

الصحيح أنه لا يتيمم عليها إلا إذا عدم مكاناً من الأرض وكان عنده فرش وفيها غبار فحينئذ يتيمم عليها.

الرابعة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أنه يشترط للتراب التيمّم به أن يكون طاهراً لقوله : ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾.

الخامسة والعشرون : من فوائده : تساوي الطهارتين في التيمم طهارة الحدث الأصغر والحدث الأكبر لقوله تعالى : ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾، بينما الأعضاء المغسولة في طهارة الماء تختلف : ففي الجنابة يغسل جميع البدن، وفي الوضوء لا يغسل إلا الأعضاء الأربعة، أما التيمم فإن الطهارتين فيه على حدّ سواء، والفرق ظاهر؛ لأن المقصود بالتيمم إظهار التعبد لله؛ حيث إن الإنسان يمسح أشرف أعضائه بهذا التراب، وهذا لا يختلف فيه الموجب للغسل والموجب للوضوء، فإن التعبد حاصل بخلاف الطهارة بالماء، فإن فيها تنظيفاً، فلذلك خصت الأعضاء الأربعة بالوضوء، وجميع البدن بالغسل.

السادسة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : وجوب مسح الوجه بالتيمم، ويؤخذ من قوله : ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾.

فلو أن رجلاً هبّت عاصفة أمامه وليس عنده ماء، وهو ممن جاز له التيمم،

فاستقبلها بوجهه حتى امتلأ وجهه، واستقبلها بيديه حتى امتلأت غباراً، فهذا لا يجوز لأنه ليس فيه مسح، والله عز وجل أوجب المسح.

السابعة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أن التيمم مطهر، لقوله : ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾ وقد جاءت السنة أيضاً بما جاء به القرآن، وهو أن التيمم مطهر مثل قوله ﷺ : «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» متفق عليه، عن جابر رضي الله عنه.

وبناءً على ذلك : لو تيمم الإنسان لصلاة الفجر وبقي على طهارته إلى صلاة الظهر هل يصلي بالتيمم لصلاة الظهر ؟

الجواب : نعم، يصلي صلاة الظهر وإن بقي على طهارته إلى العصر صلى العصر، وإن بقي على طهارته إلى المغرب صلى المغرب، وإن بقي إلى العشاء صلى العشاء، لأن هذا التيمم طهرة بمقتضى دلالة القرآن والسنة، والطهارة إذا ثبتت بدليل شرعي فلا ترتفع إلا بدليل على أن التيمم يبطل بخروج الوقت، وعلى هذا فما دمت على طهارتك فإنك تبقى على طهارتك ولا تيمم.

وهذا القول : إن التيمم رافع للحدث هو القول الصحيح وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وجماعة من المحققين، لكن رفعه للحدث رفع مؤقت إذا وجد الماء، أو زال المانع من استعمال الماء وجب عليه أن يتوضأ إن كان تيممه عن حدث أكبر، ودليل ذلك ما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين في قصة نقص الماء عليهم، وأخذهم المزايدة من المرأة المشركة، وتوضئهم منها.

وكان هناك رجل لما فرغ النبي ﷺ من صلاته رآه معتزلاً، فقال له النبي ﷺ : «ما منعك أن تصلي معنا؟» فقال يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء، فقال له

النبى ﷺ : «عليك بالصعيد فإنه يكفيك» أي : يكفيك عن الماء، وهذه الجملة دليل على أن التيمم رافع للحدث لأن الماء رافع للحدث، ثم جلس الرجل، فلما جيء بالماء وارتوى الناس، واستقوا، وبقي بقية، قال النبي ﷺ للرجل : «خذ هذا فأفرغه على نفسك».

فقوله : «خذ هذا فأفرغه» يدل على أن التيمم رافع للحدث عنه رفعاً مؤقتاً حتى يجرد الماء، فإذا وجدته وجب استعماله.

وكذلك قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «الصعيد وضوء المسلم، وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد الماء فليقلق الله، وليمسه بشرته».

الثامنة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : إثبات الإرادة لله في المعنى الشرعي، لقوله : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾.
التاسعة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أن الحرج منفي شرعاً.

ولهذا يقول العلماء : كلما وجدت المشقة وجد التيسير، وبعضهم يعبر بعبارة أخرى، فيقول : المشقة تجلب التيسير، وهذا صحيح، قال النبي ﷺ لعمران بن حصين : «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب» وهذا تيسير لوجود المشقة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء في المدينة، من غير خوف ولا مطر، قالوا : ما أراد بذلك ؟ قال : أراد أن لا يخرج أمته. أي : لا يشق عليها.

وصلى النبي ﷺ بأصحابه في رمضان ثلاث ليال، ثم ترك ذلك في الليلة الرابعة أو الثالثة، ثم قال : «إني خشيت أن تفرض عليكم، فتعجزوا عنها».

وقال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» وقال حين تأخر في صلاة العشاء إلى ثلث الليل: «إن هذا لوقتها، لولا أن أشق على أمتي».

والنصوص في هذا كثيرة، كلها تدل على أن هذا الدين ليس فيه حرج ولا مشقة، لا في أصل العبادات، ولا فيما إذا وجد طارئ يقتضي التخفيف، فالصوم مثلاً إذا سافر الإنسان فإنه يفطر، وإذا كان مريضاً فإنه يفطر، لأن الصوم قد يشق عليه.

الثلاثون : ومن فوائد الآية الكريمة : أنه لا يجوز أن يمسه القرآن رجلٌ بغير وضوء، ويؤخذ من قوله : ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾ وقد قال النبي ﷺ: «لا يمسه القرآن إلا طاهر» فإذا قرنت الحديث بالآية عرفت أن معنى الطاهر هو الذي توضع أو تطهر بالماء أو بالتيمم، وعلى هذا فلا يجوز أن يمسه المصحف إلا طاهر، وقد قال بعض العلماء : إنه يجوز لغير الطاهر أن يمسه القرآن، يعني لغير المتوضى، وقالوا : إن قوله ﷺ : «لا يمسه القرآن إلا طاهر» أي إلا مؤمن.

واستدلوا لقولهم بقول النبي ﷺ : «إن المؤمن لا ينجس» وبقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾، فقالوا : المراد بالطاهر أي المؤمن، أي لا يمسه القرآن إلا مؤمن، سواء كان متوضئاً أم غير متوضئ، ولكن هذا ليس بصواب، لأننا ما عهدنا أن النبي ﷺ يعبر عن المؤمن بالطاهر، وإنما يعبر عن المؤمن بالإيمان، ألم تر إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ولم يقل: إنما الطاهرون، [كان شيخنا - رحمه الله - يرى عدم اشتراط الطهارة لمس المصحف لكن ترجح عنده أخيراً أنه يُشترط].

الحادية والثلاثون : من فوائد الآية : أن الشرع من تمام النعمة، لقوله : ﴿وَلِيْتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ ويدل على أن الشرع من تمام النعمة قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ولا شك أن أكبر نعمة ينعمها الله على العباد أن يشرع لهم ديناً يوصلهم إليه، ففتح الطريق الشرعي الموصل إلى الجنة، لا شك أنه إحسان، ولا طريق يوصل إلى الجنة إلا التمسك بشريعة الله عز وجل، فإن الله عز وجل قد سدَّ جميع الطرق إلا الطريق الذي جاء به النبي ﷺ.

الثانية والثلاثون : وجوب الشكر لله، لقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

الثالثة والثلاثون : من فوائدها: إثبات الحكمة في أفعال الله عز وجل وشرعه، لقوله : ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُظْهِرَكُمْ فِي لَيْلِئِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.^(١)

٩- تناوله للمسائل المعاصرة :

يُعد شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى ممن جمع بين أصالة السلف من جهة الإحاطة بالأدلة وطرق الاستدلال، والتمكن في الآلات، وأدوات الاجتهاد، وبين الإلمام بواقع الناس وقضاياهم، أو ما أطلق عليه حديثاً «فقه الواقع».

فتج عن هذين الأمرين أمور، منها :

أ - تقريب الشيخ لفقهِ السلف، وخاصة المسائل الكبار، وبعض المسائل التي يعنى طلاب العلم في فهمها، ومعرفة معانيها، والموجودة في كتب الأئمة المتقدمين، كالمغني والمبسوط والمجموع، أو كتب المتن، كالزاد ونحوه.

ب- إفتاء الشيخ وبيان رأيه في عدد من القضايا العصرية الحادثة، سواء كانت صغيرة أم كبيرة.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٥٨، بقلم الشيخ : مساعد السلطان.

مثل :

- ١- أحكام التأمين.
- ٢- حكم البطاقة الائتمانية والتخفيضية.
- ٣- حكم الجمعيات التعاونية.
- ٤- حكم التعامل بالشيكات في بيع الذهب.
- ٥- الصلاة خلف المذبح.
- ٦- التعامل من خلال الإنترنت.
- ٧- حكم العدسات اللاصقة.
- ٨- استخدام الميكروفون في الأذان والصلاة.
- ٩- غسل الملابس بالبخار في المغاسل الآلية.
- ١٠- لبس الرجال للسلاسل.
- ١١- حكم الأسنان الذهبية.
- ١٢- تكرير الماء المتلوث بالنجاسات، واستعماله في السقي والطهارة.
- ١٣- أحكام الصلاة في الطائرة، والطهارة فيها.
- ١٤- حكم التطيب بالكولونيا، والصلاة مع ذلك.
- ١٥- حكم الزواج بنية الطلاق.
- ١٦- حكم لبس الساعة المطلية بالذهب.
- ١٧- حكم حجز مكان في المسجد الحرام لشخص معين.
- ١٨- حكم الصلاة خلف الدفايات الكهربائية.

- ١٩- حكم وضع مدخنة البخور أمام المصلين في المسجد.
 ٢٠- حكم تحديد القبلة بالبوصلة.
 ٢١- حكم لبس المرأة للبنطلون أمام النساء أو المحارم.
 ٢٢- حكم ما يعرف بالعباءة الفرنسية.
 ٢٣- حكم المسح على الغترة، والشماغ، وحمار الرأس.
 ٢٤- حكم الصلاة في الدور الثاني في المسجد الحرام مع وجود مكان في الدور الأول.

- ٢٥- كيف نعين الصف الأول في المسجد الحرام.
 ٢٦- حكم اقتناء النش وإدخاله على الأولاد.
 ٢٧- حكم من يلبس نظارات كبيرة لا تمكنه من السجود.
 ٢٨- حكم المصافحة بعد الصلاة، وقول (تقبّل الله).
 ٢٩- حكم دفع الزكاة للمجاهدين في أفغانستان والشيشان.
 ٣٠- حكم إدخال علب السجائر إلى المصلى.
 ٣١- حكم بيع المرائحة.
 ٣٢- حكم المصافحة خلف النساء في المسجد الحرام أو معهن.
 ٣٣- حكم الصلاة بالبنطال.
 ٣٤- حكم الصلاة خلف شارب الدخان.
 ٣٥- حكم الرطوبات الخارجة من فرج المرأة.
 ٣٦- حكم الصلاة خلف التلفاز دون رؤية الإمام.

- ٣٧- حكم قصر الصلاة للمبتعثين.
- ٣٨- كيف يفعل المصاب بالربو في الرضوء والصلاة.
- ٣٩- حكم التبول في البانيو أثناء الاستحمام.
- ٤٠- إمام يقرأ الفاتحة باللغة الإنجليزية، فما حكم صلاة من خلفه.
- ٤١- حكم بنوك الحليب الذي يشتري من الأمهات الحوامل.
- فهذه إحدى وأربعون مسألة من المسائل المعاصرة أجاب عنها الشيخ، وغيرها كثير. انظرها مع الإجابة عليها في مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، جمع الأخ فهد السليمان، أما المسائل الثلاث الأخيرة فهي من أسئلة المنجد للشيخ، ذكرها في محاضراته عن الشيخ بعنوان «١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين رحمه الله تعالى».

وذكر الكثير غيرها من المسائل المعاصرة، فانظرها هناك.

يقول الشيخ الفقيه عبد الله الركبان :

«يتميز فضيلة الشيخ محمد العثيمين بالعمق العلمي، وسعة الأفق، ودقة النظر، واستيعاب المتغيرات التي وجدت في هذا العصر، وتزليل الوقائع الجديدة على القواعد الشرعية»^(١).

سمات البحث الفقهي لدى الشيخ :

في هذه الأسطر أذكر سمات البحث الفقهي لدى الشيخ بصفة إجمالية ليكون ذلك نمحاً لطالب الهدى والرشاد سائلاً المولى التوفيق والسداد.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

- ١- البعد عن الهوى.
 - ٢- التجرد الموضوعي في البحث.
 - ٣- الأدب في المناظرة.
 - ٤- العدل مع المخالف.
 - ٥- رسوخ وسائل البحث عنده.
 - ٦- التحرير الدقيق للمسائل.
 - ٧- تحديد المصطلحات.
 - ٨- ثبات المنهج البحثي واطراداه.
 - ٩- استحضار القواعد الأصولية العامة.
 - ١٠- استحضار القواعد الفقهية الكلية.
 - ١١- الانضباط في القياس.
 - ١٢- الاستقامة في تفریع المسائل.
 - ١٣- مناقشة القول المرجوح وأدله بعناية.
 - ١٤- رجوعه عن قوله إذا تبين له الصواب.
 - ١٥- توقفه عن الترجيح إذا تساوت عنده الأدلة أو تكافأت.
- هذه خلاصة ما كتبه عدد من الباحثين حول سمات البحث لدى الشيخ، ولا شك أن كل واحدة تحتاج إلى شرح وضرب للأمثلة لا يتسع لها المقام هنا، ولعلّه يأتي من يقوم بدراستها وتحريرها في دراسة موسعة.
- ولكن هذه لفظة مجملة لها دور بارز في تميز الشيخ الفقهي رحمه الله تعالى وغفر له.

المبحث الثالث:

الحصاد الفقهي العلمي :

بعد هذه الحياة العلمية العامرة بالفقه تأصيلاً، وتقعيداً، وبدلاً، وعطاءً بارك الله عز وجل في هذا العمر، فنتج عن ذلك حصيلة مباركة على الأمة تمثلت في :

١- الشروح الفقهية والأصولية.

٢- المؤلفات المستقلة.

٣- الرسائل الخاصة.

٤- الأشرطة.

٥- الفتاوى.

وسأتكلم بصفة موجزة عن كل واحد مما سبق، فأقول وبالله التوفيق.

١- الشروح الفقهية والأصولية.

أ - يبرز في مقدمة الشروح الفقهية المطبوعة، شرح الشيخ لزيد المستنقع المسمى بـ (الشرح المتع) والذي فرغ من الأشرطة، ثم قام الشيخ بمراجعته وطبعه بعناية الشيخين: د. سليمان أبا الخيل، ود. خالد المشيقح، مذيلاً بتعليقات واستطرادات نفيسة في الحواشي، بلغ ثمانية مجلدات، من أول الطهارة إلى آخر باب الصرف من كتاب البيوع.

ثم أعاد الشيخ طبعه بحذف التعليقات، وتحقيق جديد، وصدر منه جزءان فقط حتى وفاته رحمه الله تعالى.

ويعتبر هذا الشرح من أنفس الشروح على زاد المستقنع، ومن أجل ما كتب الشيخ رحمه الله تعالى؛ حيث إنه يتميز بالآتي :

- سهولة العبارة.
 - التعليق على المسائل الحادثة المعاصرة.
 - تصحيح القول الصحيح، وبيان أوجه ضعف القول المرجوح.
 - التعليق على أخطاء بعض الفقهاء.
 - التنبيه على بعض الأقوال الشاذة.
 - إبراز الكثير من توجيهات شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.
- وقد لاقى هذا الكتاب قبولاً منقطع النظير، وكان بحق اسماً على منسى.
- ب - كتاب الكافي في الفقه الحنبلي.
- قام الشيخ بشرحه في الدروس، وهو مسجل على الأشرطة.
- ج - البرهانية في الفرائض.
- قام الشيخ بشرحها، وقد فرغت بخط اليد، وهي مسجلة على الأشرطة.
- د - شرح عمدة الأحكام. لم يكتمل.
- ه - شرح بلوغ المرام.
- طبع منه مجلد، وقد أوقف الشيخ طباعته لعل ذلك لأمر فنية خاصة بالطباعة، والمراجعة، والتحقيق.
- و - شرح المنتقى.
- لم يكتمل، مسجل على الأشرطة.

ومن الشروحات الأصولية :

- أ - شرح مختصر التحرير (مسجل).
 ب - شرح قواعد ابن رجب (مسجل).
 ج - شرح كتابه : الأصول من علم الأصول (مسجل).
 د - شرح المنظومة في أصول الفقه (مسجل).
 هـ - شرح القواعد والأصول (مسجل).

و - شرح نظم الورقات للعمريطي، بدأ في شرحه في الخامس عشر من شهر صفر عام ١٤١٥هـ، وانتهى منه في غرة ربيع الثاني من العام نفسه، كما في مقدمة الكتاب الذي صدر عن مكتبة الكلبي (كتابة على الكمبيوتر) وهو أيضاً (مسجل).
 هذا وقد يضاف للشروحات الفقهية الشروحات لأبواب الفقه على صحيح البخاري ومسلم.

ومن ذلك : أبواب كتاب الوضوء، والصلاة، والأذان، والجمعة، والعيدن، والوتر، والاستسقاء، والكسوف، والنكاح، والأطعمة، واللباس، والاستئذان، والأيمان، والنذور، والكفارات، والفرائض، والحدود، والمحارن، والمعاندن، من صحيح البخاري.

ومن صحيح مسلم : الطهارة، والصلاة، والمساجد، ومواضع الصلاة، وصلاة المسافرين، والجمعة، والعيدن، والاستسقاء، والكسوف، والزكاة، والصيام، والحج، والنكاح، والجهاد.

حسب فهرسة تسجيلات مؤسسة الاستقامة الإسلامية بعنيزة. والله أعلم.

٢- المؤلفات الفقهية :

مع تمكن الشيخ رحمه الله تعالى ورسوخ قدمه في الفقه إلا أن ضيق وقته لانشغاله بالدروس والفتوى ربما كان هو المانع لاشتغاله بالتأليف وكتابة المؤلفات الكبار التي تليق بمكانته العلمية، ومع ذلك فقد ترك لنا عدداً من الرسائل تعالج قضايا فقهية متنوعة.

من ذلك :

- أ - رسالة في الوضوء والغسل والصلاة.
- ب - رسالة في كفر تارك الصلاة.
- ج - رسالة في الأضحية والزكاة.
- د - كتاب تسهيل الفرائض.
- هـ - رسالة في الحجاب.
- و - رسالة في صلاة وطهارة أهل الأعذار.
- ز - رسالة في مواقيت الصلاة.
- ح - رسالة في سجود السهو في الصلاة.
- ط - رسالة في المدابنة.
- ي - رسالة في زكاة الخلي.
- ك - رسالة في المسح على الخفين.
- ل - رسالة في الدماء الطبيعية للنساء.
- م - رسالة في أحكام الميت وغسله.

ن - رسالة في الرِّبا وأقسامه.

س - مجموعة أسئلة في بيع وشراء الذهب.

ع - رسالة في الزواج.

- المؤلفات في القواعد والأصول :

لم أقف للشيخ على مؤلفات في القواعد والأصول سوى كتابين فقط، هما :

١- الأصول من علم الأصول، وقد كان كتبه لطلاب المعهد العلمي.

٢- منظومة القواعد والأصول، وهي منظومة لطيفة جامعة مفيدة.

٣- الرسائل الخاصّة :

كان من عاداته رحمه الله تعالى الإجابة عن أسئلة المستفتين بنفسه في رسائل خاصة بهم، ترسل إليهم على عناوينهم في مشارق الأرض ومغاربها، وكان من تلك الفتاوى رسائل مطوّلة تصلح أن تكون أبحاثاً مستقلة في مسائل معيّنة.

تجد الكثير منها في مجموع فتاوى ابن عثيمين، جمع الشيخ فهد السليمان.

وهي تصلح لأن تجمع في مجلّد مستقلّ باسم الرّسائل الشخصية، وانظر على

سبيل المثال :

المجلّد : ١٢ / الصفحات : ٥٩، ٨٦، ١٥٠، ١٥٤، ٣٣٠.

المجلّد : ١٣ / ٨٦، ٨٨، ٩٦، ١٢٥، ٢٠٧، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٧١، ٢٧٦،

٣٦٣، ٤١٠.

المجلّد : ١٤ / ٢٢، ٦٥، ١٤٣، ١٨١، ٢١٠، ٢١٤، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٩٣،

٣٠٧.

المجلد : ٢٣/١٥ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٦٠ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ،
 ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٤٤ ، ٢٦١ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٣١٥ ، ٣٣٢ ،
 ٣٣٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧٨ ،
 ٣٨٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٩ .

٤- الأشرطة المسجلة .

كان الشيخ رحمه الله تعالى حريص جداً على تسجيل دروسه وفتاواه، ويهتم بذلك، ويساعد القائمين على ذلك، ويشجع من يريد تسجيل الفتاوى أو المحاضرات .

وذكر أحد المرافقين له وهو العقيد الركن / علي بن محمد الخشان : أنه يوماً كان الشيخ سيذهب معه في السيارة، ثم قام بإعلامه بأنه لديه بعض الفتاوى، فقال الشيخ : هل عندك مسجل ؟ قال : لا، فدخل الشيخ منزله وأحضر مسجلاً صغيراً ثم أعطاه إياه لكي يسجل^(١).

وقد بلغت تسجيلات الشيخ لدى مؤسسة الاستقامة ٥٠٠٠ ساعة^(٢).

وذكر الشيخ المنجد أن أشرطة الشيخ بلغت ٣١٨٣ شريطاً^(٣).

وهذا بلا شك في كلّ الفنون، وسيكون نصيب الفقه منها الشيء الكبير.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحرص على مراجعة ما سجل، وتدارك ما يحصل من خلل في التسجيل.

يقول مدير إنتاج دروس الشيخ، الأخ/ موسى الهادي بمؤسسة الاستقامة بعينزة:

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢ .

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨ .

(٣) شريط : ١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين.

«الشيخ رحمه الله تعالى يقوم بمراجعة ومتابعة جميع ما نسجل، ومتابعتنا فيما يمكن تداركه من سقط أو نسيان، أو تحريف مسألة، أو فوات حديث، أو أية، وكان شديد الحرص على تسجيل جميع ما يلقيه من الدروس، وكان الشيخ أيضاً رحمه الله تعالى يتصل بي بعد كل تسجيل لمراجعة ما سجل له، وتوجيهي بحذف سؤال قد لا يستفيد منه العامة، أو يكون له تأثير على الأوضاع العامة، وكان رحمه الله في أغلب دروسه شديد التوجيه للناس على طاعة ولاة الأمور، وبتوحيد الكلمة وعدم الفرقة».

وقال أيضاً :

«لقد قمت بتسجيل وإنتاج جميع الدروس التي يلقيها في الجامع الكبير بعنيزة، وكذلك الدروس التي تقام في منزله، ومن أبرز الدروس التي قمت بتسجيلها «زاد المستنقع في الفقه» و«بلوغ المرام» و«الصحيحين» و«آداب طالب العلم» وفي «السيرة» و«التفسير»، ومن ضمن لقاءات المنزل التفسير المفصل من جزء الذاريات، وجزء عمّ، وكذلك تسجيل أسئلة العامة، والإجابة عليها»^(١).

٥- الفتاوى.

قد جمعت فتاوى الشيخ الفقهية وترجيحاته في عدد من الرسائل قام بنشرها عدد من طلبة العلم لدى الشيخ بعد إذنه بذلك، وكثير منها مكرراً؛ من ذلك :

أ - فتاوى الصيد.

ب - فتوى وتوجيهات في الإجازة والرحلات.

ج - الاختيارات والترجيحات.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

- د - فتاوى في تربية الشباب.
- هـ - فتاوى نور على الدرب.
- و - فتاوى لقاء الباب المفتوح.
- ز - فتاوى اللقاء الشهري.
- ح - مجموع دروس وفتاوى الحرم المكي.
- ط - ٧٠ سؤالاً في أحكام الجنائز.
- ي - ٥٢ سؤالاً عن أحكام الحيض.
- ك - فتاوى أركان الإسلام.
- ل - فتاوى منار الإسلام.
- م - فتاوى سؤال من حاج.
- ن - جلسات رمضانية.
- س - جلسات الحج.
- جمع أكثر هذه الفتاوى الشيخ / فهد السليمان في مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين - ولا يزال المجموع لم يكتمل -.

المبحث الرابع:

أثر ذلك على النهضة العلمية، والدعوة إلى الله تعالى.

لا يشك الناظر في حياة الشيخ محمد بن عثيمين أنه أثر تأثيراً عظيماً على سير النهضة العلمية، وترشيد ما يعرف بالصحة الإسلامية.

لأن الدعوة إلى الله لا بد فيها من فقه، بل من فقه صحيح منضبط مبني على أسس شرعية.

وكثيراً ما حصل الاضطراب لشباب الصحة في عدد من الأماكن بسبب عدم وجود رؤية فقهية صحيحة يُرجع فيها إلى العلماء الربانيين أمثال الإمام ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

فدعوة بلا فقه هي دعوة متخبطة فاشلة، والتأمل في تاريخ عدد من الدول الإسلامية وغيرها يجد في ذلك أعظم عبرة.

فشباب الصحة أو النهضة الإسلامية المعاصرة، جعل الكثير منهم من الشيخ مرجعاً له في الحوادث الملهمة، سواء في قضايا الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، أو دعوة الكفار، أو السفر إلى بلاد الكفر، أو البقاء فيها، أو ما يتعلق بقضايا المرأة المعاصرة والغزو الفكري لبيوت المسلمين بالصحن الهوائية، وتعدّد الأحزاب والجماعات الإسلامية، وغير ذلك من المسائل المصاحبة للصحة المعاصرة.

من ذلك ما ذكره الدكتور عبد الرحمن الخميس :

قال : « في أيام الحج بأحد الأعوام السالفة جاءته بمعى طائفتان، وكل طائفة مكونة من أربعة أشخاص، وكلّ واحدة تنهم الأخرى بالكفر واللعن، وهم جميعاً

من الحجاج، وملخص قصتهم أن إحدى الطائفتين اتهمت الطائفة الأخرى أنها إذا قامت تصلي وضعت اليد اليمنى على اليسرى فوق الصدر، وهذا كفر بالسنة؛ حيث أن السنة عند هذه الطائفة إرسال اليدين على الفخذين بينما تقول الطائفة الأخرى إن إرسال اليدين على الفخذين دون جعل اليمنى على اليسرى كفر مبيح للعبة، وكان النزاع بينهما شديداً، وبفضل الله تعالى، ثم بجهود الشيخ وآخرين معه حسم النزاع بينهم وتم تبين الحق لهم، وما يجب أن يكونوا عليه من الائتلاف، وتفرقوا، وقد رضيت كل طائفة عن الأخرى بعد أن كانت تكفرها وتلعنها»^(١).

وقد استفاد شباب النهضة من جهة أخرى لا تقل أهمية عن السابقة، وهي تلمذهم على الشيخ أو كتبه أو أشرطته في مشارق الأرض ومغاربها حتى إن من المسلمين في أمريكا من يعقد الدروس وكان الشيخ موجود بينهم فيأتون بأشرطة الشيخ ويلتفون حولها في وقت محدد، وبعد الانتهاء من الشريط أو الدرس يأخذون في الأسئلة والمناقشة، وكان الشيخ حاضر معهم.

وقد حدثت بعض عجيبي الشيخ أنه وجد في أمريكا أشرطة للشيخ لم يقف عليها في الجزيرة العربية.

قال الشيخ عبد الله الجلاي : «قبل حوالي خمسة عشر عاماً زرت أمريكا، فالتقيت بطائفة من الشباب هناك، وعرضت عليهم هل عندكم من كتب الشيخ محمد العثيمين وأشرطته؟ فقال أحدهم: عندي ثلاثمائة وخمسون شريطاً له، فوجدت أن هذه الأشرطة لم أسمعها أنا بنفسي ولم أرها، وعرفت أن الشيخ قد من الله عز وجل عليه بما يناسب فضله بأن هياً له قلباً وإخواناً نشروا علمه في أصقاع العالم حتى في أمريكا»^(٢).

(١) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٢٠.

(٢) «شريط الإمام ابن عثيمين، مجموعة من العلماء والدعاة» تسجيلات «صدى التقوى» بالرياض.

هذا في أمريكا، وإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر من العالم في روسيا الشيوعية، وتحت سياط العذاب والإرهاب نجد دعوة الشيخ قد وصلت إلى هناك تحت الأقبية إلى شباب وشيوخ الصحوة.

من ذلك : ما رواه الشيخ أحمد بن عبد العزيز الحمدان : « في حج عام ١٤١٦ هـ كنت مرافقاً لسماحته وهو يزور الحجاج - كعادته كل سنة - يسلم عليهم ويحدثهم، ويحبب على أسلتهم في مطار الملك عبد العزيز بمكة، ودخلنا صالة استقبال كان فيها حجاج من جمهورية من الجمهوريات الإسلامية التي كانت تحت الحكم الروسي، وكان أصغرهم سنّاً قد بلغ الستين، وليس فيهم من يتكلم العربية، فسأل الشيخ إن كان معهم مترجم يترجم كلامه إليهم، فلم نجد إلاّ شاباً سعودياً كان في استقبالهم يتحدث بلسانهم، فطلبنا منه أن يترجم كلام الشيخ، فوافق، وأخذ الشيخ يتحدث والشاب يترجم، وفي أثناء حديثه دخل شابٌ يركض - علمنا فيما بعد أنه مرشد الحملة - وإذا به يتحدث العربية بطلاقة، وطلب أن يقوم بالترجمة، وأخذ مكبر الصوت، وهو لا يعلم من هو الشيخ حتى فرغ الشيخ من حديثه ثم جاء يسلم، فقلنا له : هذا الشيخ محمد بن عثيمين، وإذا بالشاب ينظر إلى الشيخ باستغراب وقد اتسعت حدقتا عينيه، وقال : الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فاستغربنا من معرفته لاسم الشيخ، وقلنا : نعم، وإذا به يضمّ الشيخ بذراعيه وأخذت الدموع تنهال من عينيه وهو يقول : الشيخ محمد العثيمين ويكرّر اسمه فرحاً، ثم ما لبث أن أخذ مكبر الصوت، ونادى في أفراد الحملة بكلام لم نفهم منه سوى ترديده لاسم الشيخ، وكانت المفاجأة أكبر عندما أخذ أفراد الحملة يبكون، وارتفعت أصواتهم وهم يرددون اسم الشيخ : الشيخ العثيمين، وقال الشاب : يا شيخ هؤلاء كلهم طلابك، هؤلاء كانوا يدرسون كتبك في

الأقبية تحت الأرض لما كان تعليم الإسلام عندنا ممنوعاً، وهم في شوقٍ للسلام عليك فهل تأذن لهم؟ وأذن لهم الشيخ، فأقبلوا يقبلونه ويقبلون رأسه ويديه وهم سيكون ويردّدون اسمه، فكان من أشدّ المواقف تأثيراً، وما أعلم من بقي في ذلك المكان إلّا وبكى تأثراً بما رأى وسمع»^(١).

قال الدكتور عبد الرحمن السديس : «أذكر آتي مرة في إحدى الدول الغربية دخلت أحد المراكز الإسلامية، وفيه مكتبة متواضعة، فإذا أنا بمجموعة من طلاب العلم في هاتيك الديار من محبي الشيخ رحمه الله تعالى وهم لم يروه، وقد عكفوا على كتبه ومولفاته ورسائله يقرؤنها ويبدلون جهودهم في ترجمتها بلغتهم، فقلت : سبحان الله الذي كتب لشيخنا القبول حتى في مجاهل الغرب وأقاصي الدنيا، ولقد بشرته بذلك فسّر كثيراً»^(٢) وقد تكلم الشيخ في العديد من الضوابط التي تنهض بالدعوة المعاصرة، وثرشد مسارها، والتي ينبغي على طالبي الإصلاح في الأمة بحثها ودراستها، ودراسة كيفية تطبيقها، وذلك لترشيد فقه الدعوة المعاصر وتنقيته مما دخله من الشوائب والمعوقات، من ذلك :

١- ضوابط مهمة لإنجاح الصحوة الإسلامية من كتاب الصحوة الإسلامية^(٣)

الضابط الأول : التمسك بالكتاب والسنة.

الضابط الثاني : العلم والبصيرة.

أولاً : أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه.

(١) البلاد، عدد ١٦٦٢٣.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٣) إعداد الأخ علي بن حسين أبو لوز - دار القاسم للنشر ط : ٣.

ثانياً : أن يكون على بصيرة بحال الدعوة.

ثالثاً : أن يكون على بصيرة في كيفية الدّعوة.

الضابط الثالث : الفهم.

الضابط الرابع : الحكمة.

الضابط الخامس : التألف والتّواد.

الضابط السادس : الصبر والاحتساب.

الضابط السابع : التخلّق بالأخلاق الفاضلة.

الضابط الثامن : كسر الحواجز بين الداعية وبين التّاس.

الضابط التاسع : استعمال الرفق واللّين.

الضابط العاشر : اتساع صدور الشباب للخلاف بين العلماء.

الضابط الحادي عشر : تقييد العاطفة بما يقتضيه الشرع والعقل.

الضابط الثاني عشر : إقامة الزيارات بين الشّبّاب.

الضابط الثالث عشر : عدم اليأس.

الضابط الرابع عشر : الاتصال بولاية الأمور.

٢- صفات الداعية إلى الله :

١- الإخلاص لله تعالى.

٢- أن يعتقد أنه بدعوته إلى الله وارث لنبيه ﷺ.

٣- أن يكون ثابتاً في دعوته إلى الله.

- ٤- أن يصبر ويصابر.
- ٥- أن يسلك طريق الحكمة.
- ٦- أن يكون الداعي عالماً بشرية الله.
- ٧- أن يكون الداعي على جانب كبير من الدين والأخلاق.
- ٨- أن يكون الداعي وقوراً.

وغير ذلك من الأمور المهمة الكثيرة، والأسئلة المتعلقة بالدعوة المعاصرة تقف عليها في الكتاب المذكور، وبالله التوفيق.

(٣) الشيخ مفسراً :

قد آتى الله الشيخ المترجم فقهاً في التفسير وبصراً في كتاب الله العزيز، بما لو أقسمت بين الركن والمقام أنني لم أر مثله في أحد من علماء هذا العصر ما كنت حائناً إن شاء الله تعالى.

فقد كنت في مجلس الشيخ أستشعر وهو يفسر آيات الكتاب العزيز كأنني بين يدي عالم من علماء القرون الأولى ممن رسخوا في العلم والفهم، وجمعوا أدوات الاجتهاد وآلات الاستنباط.

وقد سمعت من الشيخ في التفسير سورتي الروم والعنكبوت، وكتبت خلفه دفاتر فقدتها في أسفاري.

وقد كان الشيخ يكثر التأمل ويتعمق في الاستنباط، ويبحث على الفكرة والتدبر، ويغوص وراء المعاني؛ حتى إنه يستخرج عشرات الفوائد من الآية الواحدة وينوعها.

وقد يأتي بفوائد مقررة من أدلة أخرى، لكن الشيخ كان يقول إنها يستفاد منها في كثرة الأدلة وتضافرها.

وقد سألت شيخنا ذات مرة وقلت له : يا شيخ إننا نسمع منك تفسيراً قد لا نجده - أحياناً - في العديد من التفاسير؛ فهل تفكر في طباعة تفسير مستقل؟

فكان ردّ الشيخ عليّ أن قال :

الموجود يكفي إن شاء الله تعالى.

وقد كان من براعة الشيخ في التفسير ما لاحظته القاضي والداني في مكة المكرمة في المسجد الحرام في درس الشيخ عندما ينتهي إمام الحرم من القراءة في صلاة المغرب أو الفجر يقوم الشيخ باستفتاح درسه بتفسير هذه الآيات التي تلي في تلك الصلاة في أي موضع من القرآن كانت، وبدون تحضير سابق لها أو استعداد، ويفسرها كأحسن تفسير كأنه قام بتحضيرها ويستخرج فوائدها.

وهذا مما أجز العقول، وتكلّم به الناس في الآفاق ممن يحضر درسه، وهذا يدلّ على تمكّنه ورسوخه في هذا العلم العظيم.

ومن المناسب هنا أن أذكر بحثاً عن منهج الشيخ في التفسير لأحد تلامذة الشيخ الذين أوصى لهم بالتدريس في جامعه الكبير بعنيزة وهو الشيخ عبد الرحمن الدهش، وإن كنت أرى أن منهج الشيخ في التفسير يحتاج إلى بحث موسّع ومراجعة لتفسير الشيخ سواء التفسير العام أو تعليقاته على الجلالين، أو التفسير على المقاطع التي كان يتلوها بعض أئمة الحرم في رمضان وغيره، وكان الشيخ يقوم بتفسيرها.

أو في برنامجه المشهور في إذاعة القرآن الكريم : (من أحكام القرآن)، وهذا نوع آخر من الكتابة لعلّ الله يعين عليه ويوفّق من شاء لذلك.

ولعلمي أخصّ بالذكر طلاب الدراسات العليا بقسم التفسير في الجامعات الإسلامية المختلفة، والله الموفق والمهدي إلى سبيل الرشاد.

قال الشيخ عبد الرحمن الصالح الدهش الحاضر في قسم القرآن وعلومه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بفرع القصيم :

منهج الشيخ في التفسير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن الحديث عن منهج إمام من أئمة الدين في علم كان من اهتماماته، وأمضى فيه جزءاً من عمره، وخصّه بنصيب وافرم من دروسه، وكثيراً ما وجّه طلابه للعناية به، بل والبداة به - حديث لا يمكن أن تستوعبه مقالة كهذه، ولذا سيكون الحديث فيها منصباً على بعض منهجه في تفسيره. وقبل الحديث عن منهجه أشير إلى موضوعين متعلقين بتفسيره : الأول : دروسه في التفسير حيث كان تفسيره القرآن لطلابه^(١) على ثلاثة طرق :

١- الطريق الأول : التفسير العام؛ حيث لم يرتبط الشيخ بكتاب تفسير ينطلق منه، وهذا يشمل الدرس الخاص بالطلبة، وابتدأ الشيخ في التفسير فيه من أوّل القرآن وانتهى فيه إلى سورة الأنعام، ولم يتمّها. ويشمل تفسيره في اللقاءات العامة حيث فسر الشيخ خلالها كثيراً من المفصل، ومواضع متفرقة من القرآن.

(١) يخرج بهذا ما كتبه الشيخ - رحمه الله - من تأليف في التفسير.

٢- الطريق الثاني : التفسير الذي ارتبط فيه الشيخ بتفسير الجلالين، فكان منطلقاً له، ولم يقتصر عليه، وبلغ فيه سورة الزخرف، ولم يتمها أيضاً.

٣- الطريق الثالث : التفسير المفرق ويتمثل في تفسير الشيخ للآيات التي تمر في أثناء شرحه لكتاب ما، وهي كثيرة، وربما أسهب الشيخ في تعليقه عليها، ورجح فيها. [من ذلك شرحه للآيات في كتاب التوحيد والواسطية ومقدمة التفسير وغيرها].

ومع تعدد الطرق التي تناول الشيخ التفسير من خلالها إلا أن منهجه فيها متقارب، حيث اتفقت في كثير من المعالم.

الثاني : مصادره في تفسيره :

الغالب في طريقة الشيخ - رحمه الله تعالى - ألا يذكر مصادره التي نقل منها، ولا أسماء العلماء الذين يذكر أقوالهم، بل تراه يهمل أسماءهم، ويذكر الأقوال منسوبة إلى بعض أهل العلم، أو بعض المفسرين دون تحديدهم، إلا أنه قد ينص في بعض الأحيان على بعضهم، ومنهم على سبيل المثال : ابن حزم (البقرة: ٢٢٢، ٢٢٨)، الزخشري (آل عمران : ١)، ابن تيمية، ابن القيم (البقرة : ١، ٢٢٨)، ابن اللبان صاحب الاختيارات الفقهية (البقرة : ٢٢٨)، محمد رشيد رضا (البقرة: ٢١٩)، وشيخه عبد الرحمن السعدي (البقرة: ٢٢٩) وغيرهم..

المنهج العام للشيخ في التفسير :

لقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - موسوعي المعرفة، درس علوم الشريعة وتفقها فيها، وكان لها الأثر الواضح في تفسيره.

وقد عمد الشيخ إلى تقريب التفسير لعامة الناس فضلاً عن طلابه والمستفيدين منه؛ فالسهولة في العبارة والبعد عن غامض التراكيب واضح في العرض، ولذا خلا

تفسير الشيخ من الأقوال الكثيرة، والتفريعات البعيدة التي قد تجدها في بعض التفاسير، وكذا التعقيدات البلاغية، أو الأعراب المطولة.

ومع هذا نجد في تفسير الشيخ ما تجده عند غيره من الاعتماد على بيان القرآن بالقرآن وجمع نظائر الآية، وبيان القرآن بالسنة، وذكر للقراءات وتوجيهها معنى أو إعراباً، وبيان المشكل، وكذا الشعر، وهو قليل نسبياً، وفي غالبه شاهد لغوي، أو ضابط نحوي أو نحو ذلك.

ويجد القارئ والسامع في أثناء ذلك الترجيح المبني على قاعدة، أو التنبه على خطأ في فهم آية، ففي تفسير قوله تعالى ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [آل عمران: ٢٧] يرجح الشيخ أن الآية عامة في الحياة الحسية، كإخراج الإنسان من النطفة، والمعنوية كإخراج الكافر من المؤمن، ويعلل الشيخ لهذا الترجيح بقوله: «إذا صلح اللفظ للمعنيين بدون تناف بينهما فالواجب حمله عليهما» وعند قوله - تعالى - في وصف يحيى - عليه السلام -: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]

قال الشيخ: «أي حاصراً نفسه عن أراذل الأخلاق، أما من قال من المفسرين إن «الحصور» المنوع عن إتيان النساء، فإن في هذا نظراً واضحاً؛ لأن عدم قدرة الإنسان على النساء ليس كمالاً، ولكنه عيب، وفيها قول آخر أنه لا يأتي من النساء من لا تحمل له فيكون وصفاً له بكمال العفة، لكن ما قلناه أشمل من هذا القول، فهو مقدم على المعنى الأول»، وعند قوله - تعالى - : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧]. ينبه الشيخ على خطأ من كتب الآية على طاق القبلة، يظن أنه هو المحراب المراد بالآية، وإنما هو مكان العبادة.

والشيخ حريص كل الحرص على عدم الوقوع فيما وقع فيه كثير من المفسرين من حشد الإسرائيليات والاعتماد عليها؛ فعند قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ

تَذْبِيحُوا بَقْرَةَ» [البقرة: ٦٧]، قال الشيخ: «وقد ذكر المفسرون هنا إسرائيليات كثيرة حول هذا الموضوع ولكن لا يعيننا أن نُعَيِّن مَنْ هذا القاتل ومن هذا المقتول! وإنما المقصود أنه قتلت نفس فادارؤوا فيها، أي: تخاصموا».

ثم هو يشك فيما قيل - عن مريم - عند قوله - تعالى - : ﴿وَأَيَّتَهَا كَيْتَاتًا حَسَنَاتًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، إنما تنمو في العام ما ينمو غيرها في عامين قال الشيخ : «ولعلها من الإسرائيلييات... فإله أعلم».

وعند قوله - تعالى - : ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

قال الشيخ : «قال بعض المفسرين - وهو من الإسرائيلييات - يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء».

وبعد هذه المعالم العامة نجدنا مضطرين إلى إبراز معالم أساسية في منهج الشيخ في تفسيره وهي :

أولاً : التفصيل في أحكام القرآن، وبيان الراجح منها بدليله، دون تعصب لمذهب معين :

وهذا أشهر من أن يُذكر فيه مثال؛ لأن الشيخ - رحمه الله تعالى - كان فقيهاً مجتهداً، وكان لا يجرُّ بأية من آيات الأحكام إلا فصل في ذلك الحكم وبينه.

ثانياً : ذكر القضايا الفقهية المعاصرة المرتبطة بالآية، وبيان الحكم فيها :

ومن ذلك ما قاله في تفسير قوله - تعالى - : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، قال : «فلو تقامرا على شيء من المال بأي صفة من الصفات؛ فإن ذلك يعتبر ميسراً، ومن ذلك ما يسمى بالحظ والنصيب، فإنه ميسر، ومن ذلك التأمين على الأموال أو على السيارات أو على البيوت أو على النفوس أو ما أشبه ذلك».

ثالثاً : تنزيل الآيات على الواقع المعاصر، وربطها به :

ففي قوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١]، قال : «إن في الآية رداً واضحاً على الذين أطلقوا أن دين الإسلام دين مساواة؛ لأن التفضيل ينافي المساواة.

والعجيب أنه لم يأت في الكتاب ولا في السنة لفظ المساواة أبداً؛ لأن الله ما أمر بما ولا رغب فيها؛ لأنها ليست صحيحة، فإذا قلت بالمساواة دخل الفاسق والكافر والمؤمن والذكر والأنثى، وهذا هو الذي يريده أعداء الإسلام من المسلمين، لكن جاء الإسلام بكلمة هي خير من تلك الكلمة، وليس فيها احتمال أبداً، وهي : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]، فكلمة العدل تقتضي أن نسوي بين الاثنين حيث اتفقا في الصفات المتقتضية للتسوية، وأن نفرق بينهما حيث اختلفا في الصفات المتقتضية للتفريق».

وانظر أيضاً حديثه في هذه الآية عن التنبيه على الدعوة التنصيرية التي يقوم بها النصارى في هذا العصر، وانظر ذكره فائدة في قوله - تعالى - : ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، فقد ذكر الدعوة إلى تحديد النسل، ورد عليها. وغيرها كثير من القضايا المعاصرة التي تطرقت إليها الشيخ أثناء تفسيره.

رابعاً : الاهتمام بالجانب التربوي الذي تشير إليه الآيات. ويظهر ذلك في جانبين : الأول : الجانب الوعظي :

ومن ذلك تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَاعْلَمُوا أَنكُم مَّلَأُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٣]، قال : «والله لو كانت قلوبنا حيةً لكان لهذه الكلمة وقع في نفوسنا؛ لأنها من كلام الله - عز وجل - مصترةً بـ «اعلموا»، لكن، والله القلوب ميتة، والشكوى إلى الله عز وجل».

الثاني : جانب الإرشادات والتوجيهات لطالب العلم :

ومن ذلك تعليقه على قوله - تعالى - ﴿وَيَسِّرْ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، قال: «وأنت إذا آمنت بهذه الجملة، وهي قوله: ﴿وَيَسِّرْ لِنَاسٍ﴾، فإنه قد يعرض لك مسألة لا تجدها في كلام الفقهاء ولا في كلام المحدثين، وعندما تتأمل القرآن تجدها واضحة صريحة، أو عندما تتأمل السنة تجدها واضحة مبينة فيها، وهذا شيء معلوم، ولهذا أحثكم أنتم - طلبة العلم - على أن يكون دأبكم في الوصول إلى غائص المسائل الرجوع إلى الكتاب والسنة، ولا حرج أن نستعين بكلام أهل العلم؛ لأن اعتماد الإنسان على نفسه في فهم الكتاب والسنة قد يحصل فيه خلل كثير؛ فلا بد أن يعرف القواعد التي قَعَدَهَا السلف من الصحابة والتابعين، مستنبطين لها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ».

وعند قوله - تعالى -: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، قال الشيخ: «ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون راسخاً في العلم لا جامعاً كثيراً منه؛ لأن العبرة بالرسوخ في العلم؛ فإن الإنسان إذا كان عنده رسوخ في العلم صار عنده ملكة يستطيع أن يُقَرَّبَ العلم بعضه من بعض، ويقيس ما لم يُنصَّ عليه على ما نُصَّ عليه، ويكون العلم لديه كالطبيعة الراسخة».

خامساً: النواحي اللغوية :

كان الشيخ - رحمه الله - يولي عناية واضحة بالنواحي اللغوية، فيبرز معنى الآية من خلال وقفات إعرابية، أو صرفية، أو بلاغية، والشيخ - رحمه الله - من خلال وقفاته تلك يهدف فيما يهدف إلى الناحية التطبيقية لطلابه، ولا أدل على ذلك من إعرابه بعض الآيات واضحة الإعراب إعراباً تفصيلياً^(١)، ومثله استطراداته

(١) انظر إعرابه لقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [آل عمران: ٤].

الكثيرة في قضايا نحوية بحته فعند قوله - تعالى - ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران : ١٩]، استطرده الشيخ في بيان سبب ارتباط جملة جواب الشرط بالفاء، بطريقته الحوارية في الدرس مع الطلبة، وذكر ما ذكره النحاة في ضابط ذلك :

اسمية طليية وبجمامد وبما وقد وبلن وبالتفيس

وقريبٌ منه استطراده حول الاسم المنوع من الصرف عند كلامه على قوله - تعالى - : ﴿أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِبَيْحِي﴾ [آل عمران : ٣٩]، حيث أشار إلى الخلاف في عربية اسم (بيحي) واستطرده من خلاله إلى موانع الاسم من الصرف بطريقته السابقة. وأما وقفات الشيخ الصرفية فهي قريبة في منهجها من وقفات النحوية، فيذكر وزن بعض الكلمات واشتقاق بعضها ليصل إلى معنى الكلمة القرآنية، فعند قوله - تعالى - : ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ [آل عمران : ٣] قال الشيخ : «هو هذا القرآن، وهو «فعال»، بمعنى: «مفعول»؛ لأنه مكتوبٌ فهو كتابٌ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، كما قال - تعالى - : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [الواقعة : ٧٨، ٧٧]. وفي تفسير قوله - تعالى - : ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران : ٣٤]. قال الشيخ : والذرية مأخوذة من «ذراً» بمعنى «خلق»؛ لقوله - تعالى - : ﴿يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى : ١١]، يذُرُّكم فيه : أي : يخلقكم، وقيل : من «وذر» بمعنى «ترك»، فعلى الأول تكون الذرية شاملة للأصول والفروع، لأن الأصول مخلوقون والفروع كذلك مخلوقون، أما إذا جعلناها من «وذر» بمعنى «ترك»، فهي للفروع فقط، وهذا هو المعروف عند عامة الناس أن الذرية هم الفروع، ثم يتساءل الشيخ - رحمه الله - : هل في القرآن ما يدل على أن الذرية تطلق على الأصول ؟

فيحجب بقوله - تعالى - : ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]. فإن الذين حُمِلُوا من الذرية هم الذين آمنوا مع نوح وهم سابقون، أي أصول». ^(١)

والشيخ - رحمه الله - بإيجازه هذا غير المخجل، وتساؤله الذي جاء عرضاً قد أحاب عن إشكال استوقف كثيراً من المفسرين، ومن آخرهم شيخه عبد الرحمن السعدي (ت: ١٣٧٦ هـ)، حيث قال في تفسيره عند هذه الآية : «وهذه الآية من أشكل المواضع عليّ في التفسير» ^(١).

وأما اللفئات البلاغية فلم يخلُ تفسير الشيخ - رحمه الله - من وقفات عندها، ومن ذلك تفسيره قول الله - تعالى - : ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤].

أشار الشيخ إلى قوة التعبير القرآني؛ حيث سلط الحب على الشهوات لا على هذه الأشياء؛ لأن هذه الأشياء حُبها قد يكون محموداً إذا لم يكن سبباً لصده عن دين الله.

وفي قوله - تعالى - : ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٥]، يشير الشيخ إلى نقطة العموم في إطلاق (مطهرة) لتشمل التطهير الحسيّ والمعنويّ معتمداً على قاعدة: أن حذف المعمول يُؤذن بعموم العامل. قال الشيخ : «ولهذا أمثلة كثيرة - مثلاً - قوله - تعالى - : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَانِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٦-٨]، فالرسول ﷺ وجدته ربّه يتيمًا فأواه، وآوى به حتى جعله فئة لكل مؤمن، ضالًّا فهداه وهدى به، عانلاً فأغناه وأغنى به».

(١) تيسر كريم الرحمن، ص ٦٩٦، تحقيق: اللويحي.

سادساً : استنباط الفوائد :

تُشكّل الفوائد في درس التفسير جزءاً لا يفتقر في منهج الشيخ، وتأتي أهمية الفوائد من حيث إفادها في الكلام، بمبحث الفوائد عقب آية أو آيات يتم الشيخ تفسيرها والكلام عليها، ومن ناحية أخرى توسّع الشيخ فيما يذكره تحت هذا المبحث؛ فهو لا يقتصر على الفوائد المباشرة في الآية؛ إذ يذكر الفائدة ثم يتبعها بما قد يتفرع أو يُشكل عليها ويحجب عنه. فعند قوله - تعالى - : ﴿وَرَزُقْ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧].

يقول الشيخ - رحمه الله - : «ومن فوائد الآية الكريمة أن الرزق بيد الله لقوله - تعالى - : ﴿وَرَزُقْ مَنْ تَشَاءُ﴾ وترتب على هذا أنه ينبغي للعاقل فضلاً عن المؤمن أن لا يطلب الرزق من أيدي الناس، وإنما يطلبه من الله - عز وجل -، ولهذا جاءت النصوص بفضيلة العفة». وعند قوله - تعالى - عن امرأة عمران : ﴿وَالِي سَمِيئَهَا مَرِيَمَ﴾ [آل عمران: ٣٦]، يذكر الشيخ - رحمه الله - من فوائد الآية تسمية المولود حين يولد، ثم يقول : «وهذا هو السنة : أن يُسمّى الإنسان حين يولد إلا إذا لم ينتهياً الاسم فإنه يسمي في اليوم السابع، وبهذا تجتمع الأدلة؛ فإن النبي ﷺ لما وُلِدَ إبراهيم، قال : «وُلِدَ لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي إبراهيم»^(١) وفي حديث العقبة قال : «تذبح يوم سابعه، ويحلق ويسمى..»^(٢). والفوائد مجال رحب عند الشيخ - رحمه الله - لتقرير العقيدة السليمة، وتصحيح الأخطاء العقديّة بشيء من الاستطراد والبسط؛ فعند قوله - تعالى - : ﴿قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً

(١) أخرجه مسلم، ح / ٢٣١٥، أبو داود في الجنائز، ح / ٢٧١٩.

(٢) رواه أبو داود، ح / ٢٤٥٥.

مَعْدُودَاتٍ ﴿آل عمران: ٢٤﴾. يقول الشيخ - رحمه الله -: «ومن فوائد هذه الآية الكريمة أن هولاء يؤمنون بالبعث؛ لقولهم: ﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾، ويتفرع على هذا أنه لا يكفي في الإيمان أن يؤمن الإنسان بالله وباليوم الآخر دون أن يستلزم هذا الإيمان قبولاً، وإذعاناً؛ فإن مجرد التصديق لا يعتبر إيماناً؛ إذ لا بد من القبول والإذعان، ولهذا أدلة).

وفي تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤]:

يقول الشيخ - رحمه الله -: (ومن فوائد الآية الكريمة إثبات اسمين من أسماء الله، وهما (السميع والعليم)، فالسميع يتعلق بالأصوات، والعليمُ يتعلق بكل شيء بالأصوات، والأحوال، والأعيان).

ثم يستطرد الشيخ في تقسيم أسماء الله إلى متعددة ولازمة، وما يتضمنه كل نوع من الدلالة، ثم يستطرد مرة ثانية إلى الفرق بين دلالة التضمن والاستلزام وتطبيق ذلك على اسم (الخالق، والرحمن، والحي). وفي مجال تصحيح الأخطاء العقدية يذكر الشيخ - رحمه الله - عند كلامه على آيات عموم القدرة في أكثر من موضع - يذكر مقالة السيوطي - رحمه الله - في تفسير قوله - تعالى -: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، حين قال:

«وخصَّ العقل ذاته فليس عليها بقادر»^(١)، ثم يتعقبها، ففي تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ يُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩]، يقول الشيخ - رحمه الله - بعد ذكره مقالة السيوطي السابقة:

(١) تفسير الجلالين، ١ / ٥٤٧ بحاشية الجمل.

«فإن هذه كلمة باطلة، هو أراد معنى - والله أعلم - لكن التعبير بهذا خطأ، نقول : إن الله - تعالى - قادرٌ على كل شيء يتعلقُ بفعله، أو بفعل عباده، كل شيء يفعله الله فهو بقدرته - سبحانه وتعالى - (و) كل شيء يفعله العباد فهو بقدرته، وهذا الاستثناء أو هذا التخصيص غير صحيح، بل العقل يشهد لله - تعالى - بكمال أو بعموم القدرة وأنه على كل شيء قدير».

وفي مسألة التفاضل بين الملائكة وصالحى البشر، وهي مسألة أطال فيها بعض العلماء التَّفَسُّسَ، وحشدت لأجلها الأدلة يوردها الشيخ - رحمه الله - من فوائد قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران : ٣٣]، يوردها بقوله : «من فوائد الآية الكريمة ما ذكره بعض أهل العلم من أن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة، ثم يقول: «وعندي أن البحث في هذه المسألة من فضول العلم؛ لأنه أي فائدة لنا إذا قلنا : إن فلاناً أفضل من جبريل، أو جبريل أفضل من فلان..؟»، وبعد إشارته لشيء من أدلة الفريقين، يقول: (وجمع شيخ الإسلام - رحمه الله - بين هذين القولين، فقال : إن الملائكة أفضل باعتبار البداية، وصالحى البشر أفضل باعتبار النهاية). ثم ينهى الشيخ - رحمه الله - عرضه للمسألة بقوله : (ومع ذلك فإني أرى أن الإمساك عن هذا أولى.. وأما أيهم أفضل فهذا أمر لم تكلف به).

والحق أن الجانب العقدي في تفسير الشيخ سواء ما يتعلق منه بتوحيد الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات، أو غيرها من مباحث العقيدة يستحق أن يفرد بدراسة استقرائية وافية يُبرز من خلالها منهج الشيخ في ذلك.

سابعاً: كثرة القواعد العلمية التي يذكرها ويذكر تطبيقها في الآية، وهي قواعد

متنوعة من لغوية ونحوية وأصولية وغيرها ومنها :

- الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا.
- الأصل أن الوصف متحقق في الموصوف حتى يتبين خروجه عن ذلك.
- من تأمل الشريعة وجد أنها تعني بالمعنى أكثر من الاعتناء باللفظ.
- لا ينبغي الإطلاق في موضع يخشى فيه من التعميم.
- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
- عند التنازع نرد المسألة إلى كتاب الله وسنة رسوله.
- العام لا يدل على جميع أفراده دلالة قطعية، بل دلالة ظنية.
- ولو جمعت هذه القواعد العلمية العامة مع تطبيقاتها، لشكلت كتاباً نافعا لطلبة العلم.
- وبعد، فما ذكر في هذه المقالة غيضٌ من فيض، وقليل من كثير، وعسى الله أن يقبض من يقوم بدراسة منهج الشيخ في عموم العلوم التي برع فيها، فيبرز فيها ما يفيد طلبة العلم من تراث الشيخ المبارك ولا نملك في الختام إلا أن ندعو له بالمغفرة والرحمة، ونسأل الله أن يبلغه الفردوس الأعلى جزاء ما قدم، إنه سميع قدير، وبالإجابة جدير.

(٤) زهده :

اشتهر الشيخ بزهد في الحطام الفاني، وقد زرته في بيته القمم بعنيزة عندما دعاني لطعام الإفطار في رمضان، وقد كان من الطين، وكان بيتاً بسيطاً جداً يذكر بيوت الأوائل وزهدهم.

وكان الشيخ يؤثر أن يمشي من بيته إلى الجامع على قدميه غالب الأحيان، ويعتذر لمن يريد أن ينقله في السيارة، ويجب أن يمشي هذه المسافة التي تتراوح ما بين عشر دقائق وربع ساعة على رجليه، وقد كان يقرأ ورده من القرآن أو الأذكار.

وذلك في شدة الحر أو شدة البرد، فهذا ديدنه الذي أدركته عليه في بيته القديم، وقد حصل أن زارني الشيخ في مكة سنة ١٤٠٧ هـ عندما رزقت بابتي الكبرى، وعند انصرافه قلت له : يا شيخ ألا ترغب أن يقوم أحد بتوصيلك إلى الحرم بالسيارة - حيث كان المنزل في مكان جبلي في منطقة أجياد - فقال : لا، والحمد لله أنني لا أحسن قيادة السيارة.

وقد سألتني في هذا المجلس عما يدعيه بعض العلماء من الاستدلال لجماعة التبليغ على توقيت الخروج، بقوله تعالى : ﴿قُلْ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾. وقوله تعالى : ﴿وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾. إلى آخر ما استدل به.

فكان جواب الشيخ بعد أن تبسم : هذا لا يصدر من عالم.

ومن زهد الشيخ : أنه كان يلبس نعلًا معروفًا لها أصبع، لا تتجاوز قيمتها خمسة عشر ريالاً، ويلبسها دوماً.

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«كان - رحمه الله تعالى - زاهداً في الدنيا، ليس من أهل العقارات والأموال، وما يأتيه من الرواتب ينفقه على أهله، وقد أعطى سيارة جديدة فلم يستعملها، فلما علاها الغبار سحبت من أمام البيت. وأعطى بيتاً كبيراً فوجهه لطلبة العلم.

وسيارته قديمة «مازدا» في الثمانينات «يعني الموديل»، ومن تأمل غترته وبشته، ونعاله عرف أنه رجل زاهد غير متعلق بالدنيا»^(١).

(١) محاضرة للمنجد بعنوان (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين)، وجاء في الاقتصادية بعدد : ٢٦٥٢ أن السيارة من نوع (كريسيدا).

قال الشيخ فهد بن عبد الله السنيدي : «وأما زهده فيكفي أن تعلم أن ربع كتبه التي تطبع بإذنه لصالح الأعمال الخيرية، ويشترط على من يقوم بطباعة كتبه ألا يحتفظ بحقوق لمن أراد طبعه، وتوزيعه مجاناً»^(١).

وقال سليمان السالم الحناكي : «وقد ذكر لي من أتى به موقفين للشيخ يعبران عن صفة الزهد لديه :

ففي أحد الأيام كان الشيخ يقف بجوار مسجده مع بعض طلبته يسألونه ويناقشونه في بعض المسائل الشرعية، فأتت سيارة فارهة ونزل منها السائق، وأعطاه مفاتيح السيارة قائلاً : إن هذه السيارة هدية من فلان الفلاني «أحد أعيان البلد» وأبى الشيخ إلا أن الشخص ألمح عليه، فأخذ

الشيخ المفاتيح، وركب ذلك الشخص السيارة الأخرى وذهب.
فيقول محدثي :

أن الشيخ تابع حديثه مع طلبته وهو يقبّل المفاتيح بيده، ولم يلتفت مطلقاً، وفجأة أتى شاب وسلم على الشيخ، وقال : يا شيخ الليلة زواجي، وإني أرجو أن تحضره، ولكنّ الشيخ تعذّر لبعض الارتباطات، ولكنّ الشاب ألمح عليه بالحضور، ففلاطفه الشيخ وقال إن ظروفه لا تساعد، ولكن عذ مفاتيح هذه السيارة فهي هدية مني لك، وأخذ الشاب السيارة وذهب، وعاد الشيخ لحديثه وكان شيئاً لم يكن.

وموقف آخر :

وهو أن الملك خالد رحمه الله تعالى زار الشيخ في بيته كعادة ولاة الأمر في تقدير العلماء وإجلالهم، ولما رأى الملك منزل الشيخ المتواضع عرض عليه أن يبني له

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٨١.

داراً جديدة، فشكره الشيخ وقال : إنني أربي لي داراً في الصالحية «حيّ في عنيزة» ولكن المسجد والوقف التابع له تنقصهما بعض الحاجيات والمستلزمات، وبعد أن ذهب الملك قال له بعض جلسائه يا شيخ ما علمنا أنك تربي داراً في الصالحية، فقال الشيخ : أليست المقررة في الصالحية !!!^(١)

وقال الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي :

أذكر لفضيلته موقفين نادريين في عصرنا الحاضر :

أحدهما : أنه بعد صدور نظام الجامعة أجرت الجامعة تصنيفاً لأعضاء هيئة التدريس فيها حسب (الكادر) الجامعي، وكانت الإجراءات لبعض الدرجات تتطلب تقديم أبحاث ودراسات في مجال الاختصاص، فلم يتقدم بأي بحث، وحينما فوجئ برّر ذلك بأن العالم لا ينبغي أن يستشرف للرتب والترقيات، وأن أهل العلم الشرعي يحسن بهم الاحتساب والعمل لوجه الله، وما يأتي تبعاً لذلك فلا بأس به.^(٢)

وقال الشيخ محمد العبد الله الحميدي : «عينت مديراً للمعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٩١هـ في الوقت الذي كان فيه الشيخ محمد بن عثيمين لا يزال في موقعه كمدرّس ولاحظت بأنه رحمه الله كان يتخرج من دخول المسابقات في الوظائف «نظام المراتب القديم» لانتعاه الكامل فيما جاء بالأثر «ما جاءك من هذه الدنيا فخذها، وما لم يأتك فلا تتطلع إليه» ولزده في الدنيا وقدراته العلمية والرغبة في الاستفادة منها في مجال التعليم».^(٣)

(١) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

(٢) مجلة الفيصل، العدد ٢٩٤.

(٣) الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع :

«ومما تحلى به الشيخ ذلك الزهد الذي يذكره بزهد السلف الصالح وورعهم، وكان ذلك في لباس الشيخ المتواضع، وفي بعده عن كثير من مظاهر الأبهة التي يتعاطاها كثير من الناس، وجملة القول أن الشيخ قد زانه الله بخلق كريم، في بيته ومع أهله وطلابه وعموم الناس»^(١).

وقال محمد إبراهيم السبيعي :

«أما عن زهده فحدثت ولا حرج، وأذكر أنه حينما زاره الملك خالد بن عبد العزيز يرحمه الله في منزله الطيّب البسيط في عنيزة، عرض عليه أن ينتقل إلى سكنٍ آخر، أو قبول أي مبلغ لبناء سكن مناسب.

لكن الشيخ دعا للملك خالد الذي ألح على الشيخ لقبول هذا الأمر، فأثر أن يوجه هذا التبرع لشراء العمارة القريبة من الجامع، لتكون مكتبة لطلبة العلم، فاشتراها الملك بسبعة ملايين مع مبالغ نقدية للطلبة»^(٢).

وقال الشيخ راشد الزهراني :

يقول أحد الإخوة وكان مرافقاً للشيخ : «رافقت الشيخ إلى زيارة أحد المسؤولين، فلما دخلنا قصره هالني ما رأيته من أنواع الأشجار والورود وجمال الطبيعة، فقلت وتذكرت نعمة الجنة : نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الجنة، فقال رحمه الله : سبحان الله، سبحان الله، أو يحرك ذلك ما في قلبك عن الجنة ؟ إن الجنة أعظم بكثير من أن تقارنها بهذه الدنيا الفانية.

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٢) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠، وذكرها للزيادة عما سبق.

يقول : ولما دخلنا المسجد لأداء الصلاة، خرج الشيخ فلم يجد حذاءه، فبدأنا بالبحث عنها، فأمر له بخذاء، فأبى، فرأيت جندياً يبكي، فقلت: ما يبكيك رحمك الله ؟ فقال : أبكي لما أرى، هذا ابن عثيمين الذي ملأ اسمه الآفاق، وهو بهذه الثياب، ويبحث عن حذاءه!«^(١)

وقال الشيخ أحمد القاضي: «وحتى حين عين على المرتبة الممتازة التي من خصائصها تعيين سائق وسيارة لصاحبها ظلّ لا يستعملها إلا في التنقلات المتعلقة بالعمل، حتى لربما تمرّ الأيام دون أن تتحرك».^(٢)

(٥) ورعه :

الزهد والورع صفتان نبيلتان يتحلى بهما كرائم الرجال، والزهد كما عرفه أهل العلم : هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما يخشى ضرره في الآخرة. والشيخ رحمه الله تعالى قد تحلّى بكلا الصفتين الكريمتين، وقد سبق الحديث عن زهده، وهذه نماذج من ورعه.

قال الشيخ الدكتور يوسف بن عبد الله الزامل :

«جئته مع وفد اقتصادي في أمسية عصر جميلة في منزله القدم، وتحدّثنا في بعض الأمور، وشكرونا إليه شخصاً مسيناً، فكانّ الشيخ تكلم فيه بضع كلمات تبين أذاه، ثم تحدّثنا في موضوعات أخرى وقضينا بعد مدة مجلسنا، وكان المجلس مسجلاً في

(١) شريط معالم في حياة فقيه المسلمين ابن عثيمين، بواسطة (صفحات مشرقة من حياة الإمام محمد بن صالح العثيمين) لحمود المطر.

(٢) المجلة الإسلامية، إذاعة القرآن الكريم.

شريط، وعندما أردنا أن نخرج قال لي: انتظر، أعطني الشريط، أريده ثم أرجعه لك، ثم بدا له فقال: أتعرف تلك الكلمة التي في الشريط عن فلان، امسحها»^(١).

وقال الشيخ عائض الرادوي :

«وما زلت أذكر موقفَ الشيخ من اسم برنامج «من أحكام القرآن» في إذاعة القرآن الكريم، فقد أفرته الإذاعة باسم «أحكام القرآن» فأصرَّ الشيخ على أن يكون الاسم «من أحكام القرآن» التزاماً منه بخلق العلماء، وتواضعهم وورعهم، فهو لم يرد أن يوصف ما استنبطه من آيات الذكر الحكيم بأنه كلُّ ما في الآيات من أحكام، بل أدخل «من» ليكون ما يقوله شيئاً مما استنبط من الآية»^(٢).

وقال الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التويجري :

«إنه عرض لمسألة في المسح على الخفين، وذكر أنَّ فهمه للدليل كذا، ولولا أنه لا يعرف من قال بما من السلف لأفتي بها»^(٣).

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«وكان متحرِّياً للدقة، وحتى في تصحيح درجات الطلاب فرما يعطي واحداً من خمسٍ وأربعين، وواحداً من ثمانين، فيقول له بعض من حوله من المدرسين: إلى هذه الدرجة الدقة! فقال: لا أستطيع أن أزيده فأظلم غيره، ولا أن أنقصه فأظلمه»^(٤).

(١) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) الجزيرة.

(٣) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٤) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقال الشيخ الذكور إبراهيم بن عبد الله المطلق :

«في عام ١٤١٧هـ وفي شهر شوال، استضافته جامعة الإمام في دورة المتبعين في المعهد العلمي بمجدة في محاضرة علمية للمبتعثين، ليجيب على أسئلتهم الشرعية، وقد تزامن ذلك مع اجتماع هيئة كبار العلماء في مدينة الرياض، فاعتذر الشيخ عن المحاضرة إلا أن يأذن له سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فأذن له، فحضر وقد شرفت بمرافقته وقراءة الأسئلة على فضيلته، وفي نهاية المحاضرة طلبت منه توقيع أنموذج يتم من واقعه صرف مكافأة لصاحب المحاضرة، فلما صلى الشيخ رحمه الله تعالى المغرب وجلست بجواره لاستكمال الإجابة على الأسئلة، قال لي: أين الورقة التي قبل قليل؟ فأعطيتها إياه، فمزقها، فقلت له : لما فعلت هذا يا شيخ أحسن الله إليك ؟

قال : نحن محسوبون الآن على هيئة كبار العلماء بالرياض.

فأكبرت هذا الورع العظيم في شخصه رحمه الله تعالى حيث رفض مكافأة الجامعة على هذه المحاضرة رغم تكلفة مشقة السفر إلى جدة معللاً ذلك بأنه في حال انتداب إلى الرياض لحضور اجتماع الهيئة، فرحمه الله رحمة واسعة»^(١).

وقال الشيخ عبد الرحمن العشماوي :

(ومما رواه لي بعض الأخوة الثقات عن أمانة الشيخ : أحد الإخوة كان ينقله معه من عتيزة إلى بريدة للعمل في الجامعة، ويقول : أنا في نقل الشيخ معي كنت استفيد فائدة كبيرة؛ علم، وأسئلة، والشيخ يجيبني، وأفاجأ به في آخر كل شهر عندما يستلم راتبه يأخذ المبلغ المقتطع للنقل ويسلمه لي، وأنا أحاول ردّ المبلغ، فيقول : لا يمكن لأن هذا المبلغ مخصص للنقل، وأنت نقلتني فيجب أن تأخذة»^(٢)).

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

وقال أيضاً : «ومن الأشياء العجيبة عنه أنه كان إذا استخدم قلمه في الجامعة واضطر أن يملأ قلمه بالحبر من «الدواة» من مكتبة الجامعة، بعد أن ينتهي من العمل، وقيل أن يخرج يفرغ ما بقي من الحبر في قلمه في «الدواة» بالمكتب، ثم ينطلق»^(١).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن علي التّهالي إمام وخطيب جامع الصالحية، وعضو الجمعية الخيرية الصالحية :

«وفي مجالس الجمعية لاحظت الورع في تعامله رحمه الله، فلا يمكن أن يدخل على الجمعية ما لا يصح أن يدخل فيها أو يخرج منها، ما ليس فيه مصلحة ظاهرة، أو منفعة تعود على الجمعية.

ومن ذلك : أنه وصلنا تبرع من آل الإبراهيم وفقهم الله بمبلغ مائة ألف ريال، وكان مزيل في الشيك أنه زكاة، فعرضنا ذلك على فضيلته، فقد كان أفتى بعدم صرف الزكاة لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم، وقلنا سنضعه في الطلاب الفقراء والمعلمين المحتاجين، فقال : يُرَد عليهم المبلغ، أو يراجعون في تحويله لصفه لغرض الزكاة.

وكان يقول : نحن مسؤولون عن هذا المال الذي بين أيدينا فلا نستعين ولا بريالٍ واحد»^(٢).

وقال الدكتور عبد الله بن علي الجعيش :

«ومن أمثلة ذلك : أنه كان رحمه الله يميل إلى قوة القول بأن لا بس الخفّ لو نزع وهو على طهارة مسحاً أنه له إعادته والمسح عليه، لكنه أوقف القول به على وجود قائلٍ به ممن سبقه، حيث قال - رحمه الله تعالى - فالذي يعنني من

(١) المصدر السابق.

(٢) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

القول به هو أنني لم أطلع على أحدٍ قال به، فإن كان قال به أحد من أهل العلم فهو الصواب عندي»^(١).

ومن ذلك أن الشيخ أفقياً بفتيا اتهمه الناس على إثرها بتهم شتى تتعلق باعتقاده، وذات مرة سأل أحد طلبة العلم عن تلك الفتوى وما أثارته، فأجابه الشيخ، وقال ضمن إجابته: «إن الناس إذا رأوا إنساناً مشهوراً تكلموا عليه، وطعنوا فيه حسداً من عند أنفسهم» وفي المساء طلب الشيخ شريط التسجيل الذي تضمن هذا الكلام، وطلب حذفه، وقال: «قولي: إنساناً مشهوراً ما كان ينبغي لي قولها، فهذه فيها تزكية للنفس»^(٢).

وقال في شرح زاد المستقنع في أحد الدروس:

«قضية الأوامر والنواهي لم أصل إلى ضوابط محددة في هذه المسألة، لأننا لو قلنا بوجود كل أمرٍ لكلفنا الناس، وإلى ساعتي هذه ما وجدت ضابطاً تضبط به جميع الأوامر وجميع النواهي، لأنه يخرج من الوجوب كثير من الأوامر بالاتفاق، وأما ما خالف الإجماع فالأمر فيه واضح»^(٣).

وقال الشيخ عبد العزيز بن محمد الوهبي:

«وكان رحمه الله يرفض أن يتسلم رواتب الدروس التي يتخلف عن تدريسها في الجامعة، نظراً لبعض انشغالاته»^(٤).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الأسرة، العدد ٩٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«خرج الشيخ مرة مع شخص في سيارته من عنيزة إلى بريدة في مهمة في مشروع خيرى، فأسرع السائق المرافق للشيخ، وكان في الطريق نقطة تفتيش على السرعة الزائدة، فأوقفوا السيارة لإعطائه المخالفة، فنظر العسكري في السيارة، فإذا فيها الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فاستحيا وقال : تفضّلوا امشوا، فمشت السيارة، وبعد برهة يسيرة، قال الشيخ للذي معه : لماذا أوقفونا ؟ قال : لأجل السرعة الزائدة، قال : ارجع إلى هذه النقطة، فاستدار ورجع إلى أمر الشيخ، فلمّا وصل إلى المكان قال لهذا العسكري : لماذا أوقفنا قبل قليل ؟ قال : يا شيخ كان فيه سرعة زائدة، قال ولماذا تركنا نمضي ؟ قال : قلت لعلكم مستعجلين وعندكم مسألة مهمّة، قال : لا، كم هي مخالفة السرعة ؟ قال : يا شيخ ما فيه داعي ؟ قال : كم مخالفة السرعة ؟ ثلاثمائة، هذه مائة وخمسون منّي ومائة وخمسون تأخذها من هذا لأنه خالف ولأني ما نصحتّه، وأصرّ على دفع المبلغ»^(١).

وقال الدكتور أحمد بن سليمان العريبي :

«عندما درّسنا مادة العقيدة في كَلِيّة الشريعة بالقصيم، وأجرى لنا امتحان أعمال السنة، كان الامتحان يوم الأحد، وفي السّبت الذي يليه أحضر أوراق الإجابة مصحّحة، بينما عدد الطّلاب يفوق الثمانين، فسلمّ لنا الأوراق وقال : اقرأوها، ومن وجد أنّي ظلمته في شيء من الدرجات أثناء التصحيح فليُراجعني، وأذكر أن أحد الزّملاء راجعه في نصف درجة فأضافها له»^(٢).

(١) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«كان رحمه الله لا يستخدم أقلام وأوراق الدوائر الحكومية في أعماله الخاصة والشخصية، حدّثني أحد طلاب الشيخ : أنه في أيام الحج يقول : كُنّا في صحبة الشيخ، وقد وفّرت له الدّولة وفقها الله هاتفاً مجّانياً بالصّفَر الداخلي، وإذا أراد أن يتصل الشيخ اتصالاً شخصياً اتصل بماتفه الخاص، وكان يقول : هذا هاتف يستقبل ولا يرسل، بل ويقول نفس طالب الشيخ :

اتصل بي في إحدى المحاكم بالملكة وقال : لديّ ورقة خاصة أريد أن أرسلها لك بالفاكس، أعطني رقم الفاكس، فقلت : هذا الرقم يا شيخ يتحول إلى فاكس، فقال الشيخ : أليس هذا رقم المحكمة ؟ قلت : بلى، قال : والفاكس أليس للمحكمة ؟ قلت : نعم، قال : كيف أرسل ورقة خاصة على حساب بيت مال المسلمين ؟ اذهب واشتري فاكساً لأرسل لك الورقة، وتم ذلك»^(١).

وقال الشيخ عقيل بن عبد العزيز العقيل :

«دعاني الشيخ ابن عثيمين للطعام، وكان نوعاً واحداً على السفرة، وبعد أن تناولنا الغداء أعطاني كيساً فيه مبلغ كبير من المال جُمع في المسجد لصالح المسلمين، ولما خرجت لحقني الشيخ مسرعاً قبل ركوعي، وينادي بي، فقلت : ماذا تريد يا شيخ ؟ فقال : انتبه، إن في الكيس نصف ريال، فقلت : أبشر يا شيخ، وعندما فتح الكيس وعددنا الأموال وجدنا نصف ريال، وكان الشيخ من حرصه على أموال الناس وصدقائهم خائفاً أن ننسى هذا النصف..»^(٢).

(١) شريط (أحبّ لقاء ربّه) نقلًا عن صفحات مشرقة لحمود المطر.

(٢) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩١.

قال الأخ خالد بن صالح الشبل :

« كان للشيخ محاضرة في إحدى الدور الصيفية للبنات التابعة لجمعية تحفيظ القرآن في عنيزة، ولما حضر كنت أحضرت معي إناءً صغيراً فيه رطب، وكان الرطب في بدايته، ولما قدّمته للشيخ أكل منه اثنتين أو ثلاثاً، واستغرب أن يوجد هذا في ذلك الوقت، لكنني قلت له : إن هذا من نخلة عندنا بجوار المسجد، وتُسقى من ماء المسجد، ويأكل منها جماعة المسجد والمارة، فتغيّر وجهه وقال لي ولم يكن معنا أحد: يعني ليست عندك في البيت ؟ قلت : لا، فأخرج من جيبه عشرين ريالاً، ومدّها لي، فحاولتُ ردّه، لكنه رفض بشدّة، فأدخلت المبلغ للمسجد، وندمت إن كنت أسأت إلى الشيخ من حيث لا أريد ذلك، وإنما أحببت أن يطعم منها حبّاً له»^(١).

وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

« ذات مرة ونحن في الغرفة التي يجلس بها في المسجد الحرام للرد على أسئلة المستفتين ازدحمت الغرفة كثيراً بسبب وفود قدمت من الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، وجاء وقت الإفطار، فأخذ يوزّع التمر على الضيوف بنفسه رحمه الله، وقام أحد الطلبة بإدخال أحد ترامس الماء التي خارج الغرفة بجوار الباب لكثرة الناس داخل الغرفة، وكان الترمس الذي بداخلها لا يكفي، فقال الشيخ : لا تدخله، فهذا لم يوضع لنا داخل الغرفة، وإنما للمصلين الذين بالخارج.

ومن ذلك أيضاً : أنه كان يقتصد في الإضاءة داخل الغرفة، فعندما أشعل الأنوار وقد تكون ثلاثاً أو أربعاً، يقول : يكفي واحدة أو اثنتان وأمرني بذلك»^(٢).

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٩.

(٢) ملحق الأربعاء، عدد يوم ١٠/٢٩/١٤٢١هـ.

وقال د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي :

«من عجائب ورعه ودقته أنه إذا تغيب عن إمامة الجامع بسفرٍ أو نحوه دفع ما يقابل راتب الإمامة لمن استخلفه، وكان إبان تدريسه بالمعهد العلمي كما حدثونا من سبقونا أنه إذا تأخر عن الدوام ولو لبضع دقائق أثبت ذلك في سجل الحضور والانصراف، وكتب أمامه : بغير عذر»^(١).

ومن أبرز مظاهر الورع عند الشيخ رحمه الله تعالى ما اشتهر عنه من رفضه للمناصب الكبرى، ومنها منصب القضاء. فقد أصدر الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس قضاها أمره بتولي الشيخ - المترجم - القضاء في محكمة الإحساء رئيساً لها.

فاتعذر الشيخ ولم يقبل الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله تعالى اعتذاره لما يجده في الشيخ ابن عثيمين من القدرة على تولي هذا المنصب الهام والخطير في نفس الوقت، لكن الشيخ محمد الخ في رفضه، وبعد اتصالات مع الشيخ ابن إبراهيم - رحمه الله تعالى - قبل اعتذاره.

وقال الشيخ عبد القادر محمد العماري، رئيس المحاكم الشرعية بقطر سابقاً :

«فابتعاده رحمه الله عن القضاء على الرغم من إلحاح فضيلة الشيخ محمد ابن إبراهيم عليه يدل على زهده وورعه، ولكن إلحاح الشيخ محمد باعتباره رئيس القضاء كان مبنياً على أن من مسؤوليته أن يتولى الأكفاء والزهاء، وأن من واجبه المشاركة في المسؤولية حتى لا تخلو الساحة من الأكفاء والمخلصين، ويترك الحبل على الغارب، وتكون النتيجة عكسية، فيتحمل مسؤوليتها الجميع أمام الله...»^(٢).

(١) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٤٤.

(٢) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

(٦) تواضعه :

إن سجية التواضع من السجايَا التي تحلَّى بها الشيخ، وألقت له المحبة والقبول في نفوس العامة والخاصة من الناس، فهو متواضعٌ في ملبسه وممشاه، وجلوسه مع الناس، وتعامله معهم، وفي حله وترحاله، وفي سائر شؤونه رحمه الله تعالى وغفر له.

قال الدكتور يوسف بن عبد الله الزامل : «أتجهت صباح أحد الأيام إلى المطار لأسافر إلى الرياض لمناقشة رسالة [ماجستير] في الاقتصاد الإسلامي، ولم أشعر وأنا أمرٌ بالفحص الأمني إلا والشيخ رحمه الله تعالى يمرّ بجاني، فسلمت عليه بشعور اختلط فيه السرور، مع المفاجأة، وكان الشيخ خفيف الحمل فلم يكن معه حقيبة، ولذلك سرعان ما تقدّم حتى ابتعد كثيراً، وما إن جمعت حقبي بعد فتحها حتى هرولت مسرعاً للحاق به، وما إن صعدنا الطائرة حتى قال له أحد المضيفين : تقدّم ياشيخ، فالمقاعد في الدرجة الأولى خالية، فقال: لا، وإن أذنتم جلسنا في مؤخرة الدرجة السياحية خلف الناس، فبادر المضيف : (تفضّلوا)، ولما أردنا الجلوس خلع الشيخ (البشت) أي [العباءة] فقال المضيف: أعطنا نعلقه، فقال الشيخ: لا، ما يحتاج (عتيق) أي أن البشت قدم لا يستحقّ مزيد عناية وطواه بنفسه ووضع في الكرسيّ الوسط وجلس إلى النافذة وجلست بجانبه على كرسيّ الممر...»^(١)

وقال الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التويجري :

«ولا أنسى في هذا المقام أنني عاتبت أحنانا الفاضل عبد الكريم المقرن - اللديع بإذاعة القرآن الكريم - حيث قلت له : لماذا عند التعريف بالشيخ عند تقديم برامج

- مثل نور علی الدرب - وسؤال علی الهاتف، وتفسیر آیات الأحكام، لا تذكرون أنه عضو هیئة كبار العلماء، لأنه أعلى الألقاب للشیخ؟ فقال: إن الشیخ یرفض ذلك بتناً، وقد حاول معه بعض المشایخ وطلبة العلم، ومع ذلك رفض^(۱).

ویذكر الشیخ عبد الرحمن بن علی النهایی عن خروج الشیخ معهم فی رحلة بریة وهم طلاب فی المرحلة الثانوية:

فقال الشیخ عبد الرحمن: «أتذكر أن فضيلته بعد التوجيهات، والتعليم، والترتيب، ابتدأنا بالسباق علی الأقدام فكان والدنا الشیخ هو الأول مع أحد الطلاب، فكانت النتيجة أن سبق الشیخ الطالب لقوة جريه، ثم تتابع السباق»^(۲).
وقال الدكتور عبد الله بن حافظ الحکمي:

«ولقد حضرت مناسبات ومآدب لفضلاء أجلاء من كبار العلماء والمشایخ والوجهاء، والشیخ من المدعوین لها، فبأني المدعوون بمظهر أنيق، وسيارات فارهة بما أباحه الله لعباده، وبأخذون بمجالسهم فی هدوء منهم ومن الحاضرين، وبأني الشیخ متأخراً، أين سيارته، إنما هذا الوئیت، أو الجيب، أو تلك السيارة الصغيرة التي یزديها النظر لأحد طلبته من صغار السن، وإذا بالشیخ بقامته القصيرة، وجسمه النحيل، وعباءته المتواضعة، قد قصر ثوبه، ووضع غترته البيضاء علی رأسه من غیر تكلف، وقد أحاط به بحبوه من كل مكان.

فإذا أقبل تسابق المستقبلون للحفاوة به، وإذا دخل المجلس ارتج المجلس لحضوره، یحیونه ویكرمونه بصدر مجلسهم، والشیخ هاش باش یرد التحية بأحسن

(۱) الدعوة، العدد ۱۷۷۶.

(۲) الجزيرة، العدد ۱۰۳۴۶.

منها، ويقابل الثناء بالدعاء، تأخرت علينا يا شيخ، فيعتذر : نعم، نعم، لقد كان عندي درس وتأخرت لإجابة السائلين والمستفتين، ولم أتمكن من الحضور إلا الآن، فإذا جرى الكلام كان كلامه مقدماً ورأيه ظاهراً»^(١).

وقال العقيد الركن/ علي بن محمد الحشاش : «دُعي مرة لإلقاء محاضرة في المعهد الملكي الفتي بالقصيم، فلما أتمى المحاضرة صار الخروج من باب غير باب الدخول، فسارع أحد الطلبة للإتيان بجذاء الشيخ، وقال ذلك الطالب : سأحمل الجذاء حتى تخرج، فرفض الشيخ، وقال مازحاً : أزيد أن تأخذها لك، وكان أيضاً إذا دخل المسجد حمل حذاءه بنفسه، ووضعه بجواره حيث يوجد عازل؛ لئلا توذي للمؤمنين»^(٢).

وذكر الشيخ عبد العزيز بن حمين الحمين رئيس محكمة محافظة الرس مظهراً من مظاهر تواضعه :

«إفشاء السلام على الصغير والكبير، حتى على عمال النظافة والباعة في الأسواق، في رحمة وألفة عجيبة تخرج بلا تكلف ولا عناء، مع ابتسامة إيمانية تأخذ القلوب، تطبيقاً لقوله ﷺ : «أفشوا السلام» الحديث.. وهو أسلوب تربوي دعوي لا يكلف شيئاً لكنه عظيم الأثر، عميق التأثير»^(٣).

قلت : ومن تواضع الشيخ قوله عن نفسه : «ولست من الذين يصح نسبتهم إلى علم الحديث، ولكنني اتجهت إلى علم الحديث»^(٤).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٨.

(٢) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٣) حريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٤) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

فليتعض بهذا من يحفظ حديثاً أو حديثين فيدعى بين الأنام محدثاً.

وقال الأخ كمال أحمد صابر «أمين مكتبة السكن الطلابي» :

«في مرحلة إنشاء السكن الجديد للطلاب كان الشيخ رحمه الله تعالى يأتي يوماً لتابعة المبنى، ويتطلع على الأمور والمستجدات بنفسه مع العمال والمهندسين، وفي ذات يوم وهو يقوم بالتفقد للسكن أراد الشيخ رحمه الله تعالى أن يطمئن على خزان الماء الأرضي للسكن، فقام برفع غطاء الخزان الأرضي ليتأكد من نظافته، وذلك مما يدل على تواضع الشيخ وحرصه الشديد على طلابه»^(١).

وقال أيضاً :

«كان من تواضعه أنه رحمه الله يحمل معي بنفسه صناديق الكتب التي تأتيه إلى البيت، حيث إن الشيخ يقوم بالاتصال عليّ في المكتبة، ثم أذهب إليه في البيت، ثم أقوم بعمل فهرسة هذه الكتب التي تأتي من داخل البلاد وخارجها، فكان الشيخ رحمه الله تعالى يحمل معي الكتب، ويجلس على الأرض»^(٢).

ويقول إبراهيم بن الشيخ محمد بن عثيمين عن والده المترجم :

«كان للشيخ نفقات كثيرة وخدمات متعددة من الصعب أن أعرفها حتى لو علمت منها أشياء، فهناك الكثير الذي لا أعلمه، والسبب في ذلك أنه كان يدير أمواله وأعماله بنفسه، لم تكن له سكرتارية ومكتب، أو مثل هذه الأشياء، ورغم ذلك كان منظماً حتى مخاطباته كان يكتبها بخط يده»^(٣).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) الأسرة، العدد ٩٢.

ومن بساطته رحمه الله تعالى ما ذكره الشيخ عبد المحسن القاضي :

«أن الشيخ ذات مرة حين كان قادماً من مسجده إلى بيته على رجله أراد الجنود منعه من المرور بجوار منزله نظراً لأن ولي العهد سيقوم بزيارة الشيخ ابن عثيمين، فأخبرهم بأنه ابن عثيمين الذي سيزوره ولي العهد، ولم يعرفه الجنود حينها»^(١)

وقال محمد الناصر العربي :

«كان من شدة تواضعه لا يكتب اسمه تحت لقب الشيخ، ولا بالابن، وإنما يكتب محمد الصالح العثيمين كما ترونها في فتاواه وتزكياته، وسمعت في محرابه يقول لشخص : اذهب لفلان، وقل له يقول لك محمد العثيمين كذا وكذا»^(٢)

وقال الطالب عبد الرحمن الوكيل :

«وأذكر قصة حدثت في أحد تلك الدروس «في الحرم المكي» حيث كنت جالساً إلى جوار الشيخ، وعندما انتهى من الدرس قدم له أحد طلابه كوباً من الماء، فشرب نصفه، وقدم لي نصفه الآخر، فكان موقفاً لا ينسى بالنسبة لي»^(٣)

وقال الشيخ فهد بن عبد الله السنيدي :

«كنت أكل معه رحمه الله أكلة السحور في مكة، وكنت جالساً إلى جانبه، فلما شرع في أكل الفاكهة صار يعطيني منها، وهذا يدل على تواضعه، وحسن ملاطفته لطلابه.

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٢، بتصرف يسير.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

وأذكر أيضاً : في عام ١٤٠٦ هـ في عنيزة أن بعض الحاضرين أحضرَ نَعْلِيَّ الشيخ - رحمه الله تعالى - لما أراد الخروج من المسجد ليلبسهما، فرفض الشيخ ذلك، وأمره بأن يعيدهما إلى مكانهما»^(١).

قلت : وما أذكره مما رأيته من تواضع شيعي رحمه الله تعالى أنه في عام ١٤٠٦ هـ بعد تخرجي من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، احتجَّت إلى عدد من شهادات التعريف «التزكيات» من الشيخ لأتقدم للحصول على الماجستير فطلبت من الشيخ أن يكتبها لي، وقد كان في الحرم المكي فجلس على الدرج النازل من الدور الثاني إلى الدور الأول ناحية باب الملك عبد العزيز، وبدأ يكتب لي هذه التعاريف، وأذكر أنما كانت حمسة مقدمة إلى خمس جهات.

وما أذكره أيضاً أنه في عام ١٤١٣ هـ أتى الشيخ للعمرة، ولم يكن كثير أحد يدري أنه في الحرم، فطلبت منه أن أصحبه في عمرته لأنظر ماذا يصنع، وبعد الانتهاء من العمرة أتجه إلى السيارة التي أتى فيها، وقام بتبديل ملابسه بجوار السيارة الواقفة أمام مستشفى أجياد كما يفعل الفقراء والضعفاء ممن لم يتيسر لهم مسكن بمكة، وهذا من تواضعه رحمه الله وغفر له، وفي هذه المرة وبعد صلاة العصر أراد الشيخ الخروج من الحرم، فذهب أحد محبِّيهِ لإحضار نعله، فغضب الشيخ وقال له: تب إلى الله، فقال حاضر يا شيخ سأفعل لكن ليس الآن، فقال : بل الآن.

وفي هذه السنة ١٤١٣ هـ احتجت أيضاً إلى تعريف من الشيخ، فطلبت منه ذلك، فجلس في الصحن حول الكعبة، وكتبه لي، ولا يزال معي إلى الآن^(٢). فرحمه الله تعالى وغفر له.

(١) الدعوة، العدد ١٧٨١.

(٢) انظر صورة منها في مقدمة الكتاب.

وقبل هذا بسنوات في عنيزة كنت جالساً مع فضيلته في المسجد الموقت أثناء بناء المسجد الجامع الجديد، وتعطل الميكروفون، فقلت للشيخ: هل تسمح لي بإصلاحه، فقال: إذا أردت أن أعلمك طريقة الإصلاح فأنا على استعداد لذلك، أو كما قال رحمه الله تعالى وغفر له.

وقال الشيخ عبد المحسن القاضي:

«مرة كان في إحدى حلقات التعليم، أحد طلابه ذهب إلى دورة المياه، فانكسرت «أنبوبة» الماء، فأتى إلى الشيخ في وسط الحلقة وأخبره بذلك فما كان من الشيخ رحمه الله - وكان في مسجد بجوار بيته يدرس في الصباح - إلا أن ذهب وأتى بعدة الإصلاح «السباكة» هو والطلاب، واجتمعوا وأصلحوا هذه «الماسورة»، ثم رجع لدرسه ليكمل»^(١).

وقال النقيب صالح بن عبد العزيز العجلان:

«أذكر في ذات مرة كنت في مجلسه في منى أثناء موسم الحج، وكان في نفس المجلس «المخيم» سماحة مفتي الديار السعودية الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى حيث يجلس بجانبه، من أجل الفتوى لعامة الناس، وبينما الزحام يختلف من وقت لآخر وكلاهما رحمه الله مشغولاً في الفتوى والإجابة على الأسئلة دون كلل أو ملل حتى خفف الزحام، ولم يبق لديهما من يسأل، ثم أقبل رجل يريد الإجابة على سؤال، ثم أتجه لفضيلة الشيخ ابن عثيمين، وسأل الرجل، ثم رفض الشيخ محمد الإجابة وأشار لفضيلة الشيخ ابن باز قائلاً: «انظر الوالد» أي أسأل الوالد ابن باز»^(٢).

(١) برنامج «معكم على الهواء، حلقة خاصة عن الشيخ» بواسطة صفحات مشرقة، ص ٨.

(٢) الأربعاء عدد يوم ٢٩/١٠/١٤٢١هـ.

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«في مرة كان له محاضرة في كلية البنات بمكة، وأنزلته بجوار باب الإدارة وكان في استقباله المسؤول، وذهبت أبحث عن موقف للسيارة، وبقي ينتظري عند الباب حتى عُدت، ولم أكن أعلم أنه ينتظري». (١)

وقال إبراهيم بن الشيخ محمد بن عثيمين :

«أذكر في وقت مرضه كان في المسجد في الجامع الكبير بعنيزة صلى معه شخص قد جاء من «حفر الباطن» للسلام على الشيخ والاستفادة من علمه، وكان معه (طواقي) المعروفة والتي توضع على الرأس، فكانت اثنتين يقول أنهما من صديق له، والدته قامت بصنعها بيديها وهي من أهل جازان، فقام من تواضعه وبساطته رحمه الله بأخذها، وقام بترع غترته وطاقيته، ثم قام بوضع إحدى تلك الطاقيتين رغبة منه رحمه الله بيجر خاطر ذلك الرجل، ويخرج من المسجد وهي على رأسه». (٢)

وقال الشيخ محمد الشرافي :

«أحد الإخوة واسمه عبد الصمد سأل الشيخ مرة في درس التفسير قال : يا شيخ حفظك الله، إنا نجد في القرآن أن الله سبحانه وتعالى يذكر السمع مفرداً، والبصر مجموعاً، كقوله تعالى : ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ﴾. [الأحقاف: ٢٦] وقوله : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾. [السجدة: ٩] فلماذا؟ فأطرق الشيخ برهة، وقد أشرعنا أفلامنا لكتابة الجواب، ولكن كان الجواب أحسن مما نتوقع، فقال الشيخ : لا أعلم، فوالله ما أعطينا فائدة في تلك الليلة أعظم من تلك الفائدة». (٣)

(١) المصدر السابق.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٧.

(٣) شريط الإمام ابن عثيمين، مجموعة من طلبه الشيخ (تسجيلات صدى الثقوى بالرياض).

وقال د. سعود حسن مختار بعد أن ذكر إجابة الشيخ للدعوة، قال: «ولقد حدث هذا معي شخصياً قبل أكثر من عشر سنوات، فقد رأيته مرة في مكان عام بمكة، وقلت له: يا شيخ أتمنى لو تجيب دعوتي مرة وتجلس إلى إخواني وأهلي، فقال: أين عنوانك، قلت: في جدة، فقال: إن تنتظر إلى بعد الحج آتيك، وإن دعوتني هنا في مكة آتيك، فدعوته في بيت صهري عدنان يماني رحمه الله بالعزيزة، فقلت له: مني آتيك يا شيخ لآخذك، قال: لا، أنا آتيك! وأخذ العنوان، وفي الوقت المحدد تأخر الشيخ دقائق، فقلت: لعله نسي، وهذا من الطبيعي من مثله لثلي وإذا به يقف أمامي، ثم أدخلته إلى المنزل، وذهبت لأحضر مسجلاً لأسجل كلامه، فحنت بالمسجل، ثم ذهبت لإحضار الشاهي ودعوة إخواني الموجودين من أهلي، فلما رجعت رأيته قد غيّر مكانه إلى مكان آخر، وجّهز المسجل بعد أن أزاح بعض الأثاث بنفسه حتى لا يعوق توصيل الكهرباء! وأنا مندهش لتواضعه، ثم قال: لا تكلف على نفسك؛ الفول زين بمكة، ويكفينا للعشاء»^(١).

وقال أحد محبي الشيخ رحمه الله تعالى: «كان رحمه الله تعالى مع أحد محبيه بسيارة قديمة، كثيرة الأعطال فكانت تمشي وتتوقف، وفي مرة من المرات توقفت وهو في طريقه إلى الجامع، فما كان منه رحمه الله إلا أن قال للسائق: ابق مكانك، وسأزول لأدفع السيارة، فنزل الشيخ رحمه الله تعالى ودفع السيارة بنفسه حتى تحركت»^(٢).

وقال الشيخ حمد بن عبد الله الجطيلي:

«كنت يوماً بجواره في احتفال المعهد العلمي بعنيزة، وسألني قائلاً: هل لك كلمة في الحفل؟ فقلت: لم يُطلب مني ذلك، فدعا مدير المعهد خلال الحفل، وقال له:

(١) المدينة، العدد ١٣٧٧٩.

(٢) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٣٧ بواسطة صفحات مشرقة ص ٥٨.

اجعلوا كلمة للشيخ حمد، فحصلت من نفسي أن يقول الشيخ عني شيخاً؛ وزاد على ذلك أن قال المدير المعهد : اجعلوا كلمته قبل كلمتي، فزاد من حرجي وحيائي»^(١).

وقال د. محمد رزق طرهوي بعد أن ذكر قصة لطيفة في تقبيل رأس الشيخ :

«وبعد صلاة التراويح بدأ درسه كالعادة بتفسير آية من الآيات تلاها إمام الحرم، ثم بدأ في درسه، وكان عنوانه «السلام» وتكلم كلاماً عجيباً وكأني لأول مرة أسمع، ثم استفاض في ذلك كعادته رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، ثم أجاب عن الأسئلة المطروحة عليه، بعد ذلك قال : يا إخوتي ويا أبنائي أرجو منكم بعد مغادرتي لهذا المكان ألا تتجمعوا عليّ وتقبّلوا رأسي، ومن أراد السلام عليّ فليكن المكان، وتكفي المصافحة ومن الأمام فقط ومن الأمام فقط، ثم قال رحمه الله تعالى : أرجو أن يسامحني كل من جفوته، أو فترته، أو قسوت عليه، فلا أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وأريد أن يكون طالب العلم متحلياً بسمات العالم، متميزاً عن غير»^(٢).

وقال أيمن بن عبد العزيز أبيانمي :

«مرة ذهب ليلقي محاضرة في الحرس الوطني، وقد استعد كبار الضباط لاستقباله عند المسجد، فلما أتى ليترّل من السيارة جعل حذاءه داخل السيارة ونزل، فأشار إليه مرافقه أن يلبس اللوحاجة، فقال الشيخ : لا، دعها، ونزل حافياً فما زاده ذلك إلا مهابة وتعظيماً»^(٣).

(١) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٤١.

(٢) انظر صفحات مشرقة ص ١٢٤، وعزاه لجريدة المدينة، العدد ١٣٧٧٩.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

وكان الشيخ مع أهله مثالاً للتواضع ولين الجانب، من ذلك ما ذكره ابنه إبراهيم حفظه الله تعالى قائلاً :

«كان لا يقدم على أمر يتعلّق بنا أو بالأسرة إلا بعد مشورتنا، فدائماً كان يكرّر رحمه الله كلمة : سوف نعقد مؤتمراً عائلياً وهو بمآزحنا، فكان يجتمع بنا ويستشيرنا، فرداً فرداً، ويطلب الرأي من الصغير والكبير، فيجمع الآراء، وتنفق سوياً»^(١).
قلت :

ومما أذكره من تواضعه رحمه الله تعالى واحترامه لأهل العلم : أن الشيخ ألقى محاضرة في جامع الرّاجحي بالرياض بالربوة في «أحداث الشيشان» في يوم الأربعاء ١٤٢٠/٨/١٦ هـ وبعد أن انتهى كان من ضمن الأسئلة التي وجّهت إليه ؟ ماذا تقولون في الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وكان قد توفّي منذ فترة، فأجاب الشيخ قائلاً : «مثلي لا يتكلّم عنه؛ لأنه أعلم منّي وأنفع مني للأمة، ونشهد الله على حبه، وهو أول من فتح الباب للبحث في علم الحديث، ونفع الله به الأمة !!؟»
رحمه الله وغفر له.

«وفي أحد المرات دعني لافتتاح تسجيلات إسلامية فوجد لكل صاحب أسطرحة لوحة كبيرة عليها اسمه، ولاحظ أن لوحة الشيخ الألباني صغيرة، فأنكر عليهم، وأمرهم بتكبير لوحة الألباني، أو تصغير لوحات المشايخ الآخرين»^(٢).

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، بعض أترباء الشيخ، تسجيلات (صدى التقوى) بالرياض.

(٢) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

(٧) عدم محبته للمديح، والثناء عليه :

وقد كان رحمه الله تعالى لا يحب الإطراء عليه، أو مدحه والثناء عليه عند الناس، ويمنع من ذلك، بل يُحرج من يفعل ذلك إذا استمرّ عليه، ويوقفه عن ذلك : من ذلك ما اشتهر عنه أنّ أحد طلابه استأذن منه أن يتلو أمامه قصيدة، فأذن، فقال الطالب :

يَا أَمِّي إِنْ هَذَا اللَّيْلَ يَعْقِبُهُ فَجْرٌ وَأَنْسَوَارُهُ فِي الْأَرْضِ تَنْتَشِرُ
وَالْحَيْرُ مُرْتَقِبٌ وَالْفَتْحُ مُنْتَظَرٌ وَالْحَقُّ رَغْمَ جُهُودِ الشَّرِّ مَنْتَشِرُ
بِصَّحْوَةِ بَارِكِ الْبَارِي مَسِيرَتِهَا نَقِيَّةٌ مَا بَهَا شُوبٌ وَلَا كَذْرُ
مَا دَامَ فِينَا ابْنُ صَاحِخِ شَيْخِ صَحْوَتِنَا بِمِثْلِهِ يُرْتَجَى التَّائِيدُ وَالظَّفَرُ

فاعترض الشيخ على الطالب، وقال : أنا لا أوافق على هذا البيت لأني لا أريد أن يربط الحق بالأشخاص، فإذا ربطنا الحق بالأشخاص معناه أن الإنسان إذا مات قد يبأس الناس.

ثم قال : إذا كان يمكنك أن تبدل البيت :

ما دام فينا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هذا طيب.

فقال الطالب : ما دام فينا كتاب الله وسنة رسوله - ابن عثيمين - فاعترضه الشيخ قائلاً : لا، الله يهديك، لا، لا هذه لا تجيها أبداً.. وَقَفَّ وَقَفَّ.

ثم قال من حوله : «حله يواصل يا شيخ».

فاعترض قائلاً : لا، لا والله ما أرضى، لا، لا ما أرغب.

ثم علّق قائلًا : «أنا أنصحكم من الآن وبعد الآن، أن لا تجعلوا الحقّ مربوطاً بالرجال، الرجال أولاً يضلّون، حتّى ابن مسعود يقول : من كان مستنّاً فليستنّ بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنّة، الرّجال إذا جعلتم الحقّ مربوطاً بهم يمكن الإنسان يفتنّ نفسه - نعوذ بالله من ذلك - ويسلك طرقاً غير صحيحة..»^(١)

وقال الشيخ محمد بن عبد الله المشوّح :

«طلبت منه رحمه الله أن نعقد معه لقاء عبر برنامج «في موكب الدّعوة» المعروف، الذي يذاع عبر إذاعة القرآن الكريم، لنتناول شيئاً من سيرته وحياته، وطلبه للعلم، ومشائخه، وتوجيهاته لطلبة العلم، فلبّي بكلّ تواضع، فصدرت ذلكم اللقاء بتقديم موجز مختصر، أنثيت فيه على الشيخ رحمه الله بما هو أهله من الأوصاف العلمية، والمديح الصادق.

فأوقفني وأوقف التسجيل، وطلب محو وإزالة تلك المقدّمة، والاكتفاء بالاسم مجرداً من أي مديح، أو إطراء، أو ثناء»^(٢).

وسمعت الشيخ محمد صالح المنجد يقول :

«كان الشيخ رحمه الله تعالى من تواضعه لا يرضى أن يقال له : العلامة، وإذا سجّل أحد طلابه ذلك في شريط، قال : امسح، امسحه من الشريط وقلت له مرّة : يا شيخ هذه المسائل التي سألتك إياها سنجمعها في كتاب مسائل العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، قال : لا نريد العلامة ولا غيرها»^(٣).

(١) من شريط (١٠٠) فائدة من العلامة ابن عثيمين للمنجد.

(٢) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٣.

(٣) شريط (١٠٠) فائدة من العلامة ابن عثيمين بالحرس الوطني بالرياض.

قلت : وهذا الذي أشار إليه سمعته بنفسه من الشيخ، فقد كان الشيخ يلقي محاضرة في مدينة بريدة في الجامع الكبير حوالي سنة ١٤٠٤هـ، وقدم له المقدم بالثناء عليه ووصفه بالعلامة، وبعد أن انتهى عقب الشيخ عليه قبل بدأ المحاضرة منكرًا عليه وصفه بالعلامة، ثم قال : إن العلامة هو من يجمع علومًا كثيرًا، وأنا لست كذلك وإنما يصح هذا على أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية ونحوه، أو كما قال رحمه الله تعالى.

وقد حدث مثل هذا الموقف في الرياض في مسجد علي بن المديني في عام ١٤٢١هـ قبل وفاة الشيخ بأشهر قليلة.

وأيضاً كان الشيخ يمنع إطلاق كلمة «الإمام» على كل عالم أو داعية، ويقول: إن الإمام من له أتباع يتبعونه في مذهبه وقوله، كالأئمة الأربعة ونحوهم ولا يصح أن تطلق على كل عالم، ومن ذلك ما ذكره عن الموفق ابن قدامة رحمه الله تعالى معلقاً في شرح زاد المستقنع على قول الحجاوي رحمه الله تعالى : «أما بعد : فهذا مختصر في الفقه من مقنع الإمام الموفق أبي محمد على قول واحد..» قال : «قوله : الإمام» هذا من باب التساهل بعض الشيء لأن الموفق ليس كالإمام أحمد أو الشافعي، أو مالك أو أبي حنيفة، لكنه إمام مقيد له من ينصر أقواله ويأخذ بها، فيكون إماماً بهذا الاعتبار.

أما الإمامة التي مثل إمامة الإمام أحمد وما أشبهه، فإنه لم يصل إلى هذه الدرجة، وقد كثر في الوقت الأخير إطلاق الإمام عند الناس، حتى إنه يكون الملقب بها من أدنى أهل العلم.

وهذا أمرٌ لو كان لا يتعدى اللفظ لكان هيناً، لكنه يتعدى إلى المعنى، لأن الإنسان إذا رأى هذا يوصف بالإمام تكون أقواله عنده قدوة مع أنه لا يستحق...»^(١)

(١) الشرح المنع (١٢/١) ط : ١ .

(٨) إخلاصه :

الإخلاص لوجه الله جل وعلا أمره عظيم، وهو في نفس الوقت أمرٌ حقيقي لا يطلع عليه إلا علام الغيوب، لكن هناك دلائل قد تدلّ عليه، وتشير إليه، من ذلك محبة إخفاء العمل عن أعين الناس، وعدم الرغبة في ثنائهم، وأن يستوي ظاهر المرء مع باطنه، إلى غير ذلك مما هو مبسوط في محله.

وشيخنا رحمه الله تعالى نرجو الله تعالى له أن يكتبه في المخلصين.

ومما ذكر عنه في هذا الأمر ما رواه أحد تلامذته، وهو الأخ خالد بن عبد الله الزمام قال: «في ذات يوم كان الشيخ ينظر إلى السماء ويستغفر، فلما علم أننا ننظر إليه صرف بصره إلى سقف البناء حتى لا نشعر به أنه يستغفر»^(١).
وقد سأله الشيخ محمد الشرافي قائلاً:

«يا شيخ حفظك الله أحبّ أن تخبرني عن طريقتك في قيام الليل لعلني أتقدي بك، فقال: اسكت، الله يستر علينا، ولم يجب»^(٢).

وقال الأستاذ شديد بن غازي المطيري مدير عام تعليم البنات بحائل:

«حينما قدم له محاسب الرئاسة العامة لتعليم البنات راتبه لقاء تلك المحاضرات التي كان يلقيها فضيلته في كلية البنات حينما قال: وهل تريدني أن أنفاضي راتباً إزاء واجباتي تجاه بناتي وأخواتي في الدين»^(٣).

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٨٩.

(٢) شريط الإمام ابن عثيمين (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

وقال الدكتور عبد الرحمن العشماوي :

«لقد زرت الشيخ في منزله عندما أجريت معه لقاء على طريق الدعوة، واستقبلنا استقباله الذي يعرفه الجميع بتواضع جم، وكان حريصاً على كل كلمة يقولها في اللقاء لأنني وجهت إليه أسئلة على طريق الدعوة حول حياة الشيخ وحول علمه، وكان يقول رحمه الله تعالى : لولا أن هذا كما قلتم لي سينفع المسلمين ما تحدثت لكم عن نفسي بهذه الصورة، ولكن ما دتمم أكدم لي بمسؤوليتكم أنتم أن هذا سينفع المسلمين، فواجب علينا أن نقوله، وقلنا له : عندما تتحدث عن تجربتكم وعن مراحلكم التعليمية فإنما نقدم لشباب المسلمين أمودجاً يقتدون به»^(١).

وقالت نورة بنت محمد السعيد :

«كان رحمه الله يذكرنا دائماً بالاحتساب في كل عمل نقوم به، ويهتم بذلك اهتماماً كبيراً من أجل أن تصبح العادة عبادة، وقد ذكر رحمه الله تعالى في كتابه «شرح رياض الصالحين طرفاً من هذا الجانب في شرح حديث «من سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم».

فقال رحمه الله تعالى : يعني لو كان ولدك الصغير وقف عند البرادة يقول لك : اسقني ماءً وأسقنيته وهو ظمآن فقد سقيت مسلماً على ظمأ فإن الله يسقيك من الرحيق المختوم، ثم يقول رحمه الله : فكمن من عمل صغير أصبح بالنية كبيراً وكمن من عمل كبير أصبح بالغفلة صغيراً.

انتهى (٣/٢٠٨).^(١)

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٩) عبادته :

صلاته رحمه الله تعالى :

قالت سعاد بنت محمد بن حمد العيمين :

«أما حبه للصلاة وطولها والخشوع فيها فحدّث ولا حرج، إذ قد أثارني منظر رأيتُه وأنا صغيرة، رأيتُ عجباً في سجادته التي يصلي فيها النوافل في منزله، كانت السجادة مبطنة من الأسفل بالبلاستيك، رأيتها معلقة على الجدار، وقد تشقق موضع الجبهة، واليدين، والركبتين من البطانة البلاستيكية، فهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على كثرة صلاته وقيامه، وبالفعل هذا ما لوحظ عليه في صلاة التراويح والقيام رحمه الله رحمة واسعة»^(١)

قال الشيخ توفيق الصائغ :

«كان شيخنا رحمه الله تعالى لا يدع أن يصل صلاة الفجر بقيام الليل، يصلي من آخر الليل رحمه الله تعالى، ولا يأتي إلى صلاة الفجر إلا ووجهه يستهل ويرق. وصلّى بنا صلاة الاستسقاء ذات مرّة، فلم غطر، ثم نودي بالصلاة مرّة أخرى، فصلّى فلم غطر، ثم نودي بالصلاة مرّة ثالثة، فخرج الشيخ من بيته - والله الذي لا إله إلا هو كأن وجهه فلقة قمر، لا أظن ذلك إلا من قيام الليل - فلما صعد على درجات المنبر ما أن خطّب بالناس حتّى امهالت الدموع منه رحمه الله رحمة واسعة، ثم أخذ يدعو ويدعو ويدعو، فلم تنزل من ذلك المصلّى إلا وقد مطرنا»^(٢)

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط وداعاً العيمين بواسطة صفحات مشرقة ص ٣٣.

وقال الشيخ سعد بن عبد الله البريك :

«إن هذا العالم الجليل حتى آخر لحظة من لحظات عمره كما يخبرني الطيب الذي كان معه آخر أيام حياته، وقابلته بعد موته بساعة أو ساعتين في المستشفى التخصصي في جدة، قال : إني كنت آخر الأيام مع الشيخ، فسألته ما كان دأبه في الأيام الأخيرة، قال : ما رأيت عليه سوى الصلاة، وقراءة القرآن ما اشتغل بغير ذلك بشيء أبداً»^(١)

قيامه الليل :

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

«والشيخ رحمه الله تعالى كان يفتنم أوقاته جيداً، وينام مبكراً بعد العشاء فإذا جاءت الساعة الثانية ليلاً استيقظ تلقائياً من غير منه»^(٢)

ويقول مؤذن جامعه الشيخ عبد الرحمن الرّيس :

«وقد كان يحرص حرصاً شديداً على النوم مبكراً ليقوم للتهجد في آخر الليل»^(٣)

قال إحسان بن محمد العتيبي عن الشيخ :

«إنه كان يقيم الليل حتى مع شدة تعب، وقد حدّث عن ذلك بعض تلامذته

وهو - حمد العثمان - ومما قال بالمعنى :

أنه سافر مع الشيخ إلى الرياض، فمكثوا فيه وقتاً ثم غادروا إلى جدة فأدوا العمرة في مكة، فلما انتهوا من عمرتهم وإذا بالتعب قد سرى لجسدهم، فاستسلموا للنوم، قال الشيخ حمد : فقمتم في الليل إلى الحمام لقضاء الحاجة، وإذا بي أرى

(١) المصدر السابق ص ٨١، وعزاه لشريط رباتيون على فراش الموت.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

الشيخ رحمه الله قائماً يصلي! افقلت : سبحان الله، أنا شاب واستسلمت للنوم، وهذا شيخ كبير تعب معي مثلي، ثم يقوم في الليل ليصلي، فتشجع أخونا (محمد) ليصلي، فقام وتوضأ، ولما أراد أن يصلي وإذا بالنعاس يغالبه..»^(١)

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«كان الشيخ ذا عبادة، ينام مبكراً بعد العشاء، فإذا جاءت الساعة الثانية يستيقظ تلقائياً بغير منه ليقوم الليل، ويعمل ما يعمل.

وقال أحد من رافقه مرة في سفر، فذهب مع الشيخ في دعوة، فرجعا متأخرين كالأين متعبين إلى مسكنهما، فوضع كل منهما رأسه الساعة الواحدة ليلاً، واضطجع الشيخ.

قال المرافق : أثناء الليل، وأثناء النوم انتهت قرابة الساعة الثالثة أو الثالثة والنصف، وكنا قد نمنا قرابة الواحدة فحينما انتهت على صوت الشيخ وهو قائم يصلي في هذا الوقت الذي كان هو في أمس الحاجة إلى النوم والراحة»^(٢)

بكاؤه :

قال خالد بن عبد الله الحمودي :

«قبل وفاته يرحمه الله حضرنا مجلساً، وكنت معه، فنليت قصيدة في هذا المجلس عن الموت، فبكى الشيخ بكاءً شديداً وهو يسأل الله قائلاً: اللهم أعني على الموت، اللهم أعنا على الموت، وكان ذلك قبل وفاته بأشهر قليلة»^(٣)

(١) جريدة المدينة - الرسالة العدد ١٣٧٨٨.

(٢) شريط ١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين.

(٣) المدينة، العدد ١٣٧٨٩.

صيامه :

قال الشيخ المنجد :

«كان لا يترك ثلاثة أيام من كل شهر، ولو سافر وانشغل قضاها بعد سفره.»^(١)

حجه وعمرته وزيارته :

لقد عُرف عن الشيخ أنه يقصد البيت الحرام في العشر الأواخر من رمضان، وذلك لأداء العمرة ثم للجلوس لتدريس الوافدين إلى البيت الحرام للاعتكاف والاعتماد والصلاة وقد استمر الشيخ على هذا حتى قبيل الوفاة قد كان الشيخ يعتمر في أوقات أخرى وغيرها، منها ما يكون مرتبطاً فيها باجتماع هيئة كبار العلماء في الطائف.

قال الشيخ المنجد : «ولما اعتاد الذهاب إلى بيت الله الحرام، ومكة للتدريس استمرّ على هذه العادة، ولم ينقطع حتى في السنة التي مات فيها، وفي مرض الموت ذهب إلى هناك على عادته يعبد الله، ويدرس دين الله.»^(٢)

أما عن حجه فقد كنت مع الشيخ في حجّ عام ١٤٠٤ هـ أو ١٤٠٧ هـ ولا أعلم أنه انقطع عن الحج من وقتئذ، بل بعد أن كان يشارك في محيّم التوعية في منى رقم (١) أصبح له محيماً خاصاً به للدعوة إلى الله تعالى، أما قبل هذا التاريخ فلا علم لي به، ولم أجد أحداً نبه عليه، فأنه تعالى أعلم.

وأذكر في تلك السنة أن الشيخ استضافني في حيمته الخاصة بالمشايخ داخل المحيّم، وكان كعادته كريم الضيافة، وسألته عدّة مسائل، وفي آخر ليالي أيام

(١) شريط ١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين.

(٢) المصدر السابق.

التشريق، بعد صلاة العشاء قال: أريد أن أزور سماحة الشيخ ابن باز في مخيمه، وعند مرورنا في شوارع منى لاحظ الشيخ صنابير المياه الأتوماتيكية ويبدو أن الشيخ كان يراها لأول مرة، فعرضت عليه أن يجربها، فقال «سبحان الله» تعجباً أي أنها إذا وضع الشخص يده تحتها فُنحت، وإذا أخرجها توقفت، وفي هذه الليلة لم نجد سماحة الشيخ ابن باز في مخيمه رحمه الله تعالى حيث كان في زيارة أحد الفضلاء.

ورده من القرآن الكريم.

قال الشيخ المنجد: «وكان - رحمه الله - مداوماً على قراءة ورده من القرآن باستمرار، يقرأه وهو ماشٍ إلى الصلاة، لا يركب، ولا يقبل أن يقاطعه أحد وهو ذاهبٌ إلى المسجد لأن هذا وقت الورد - ورد القرآن - فإذا اضطر إلى كلام صاحب الضرورة وتأخر شيئاً ما في قراءة الورد، ووصل إلى المسجد ولم يتم ورده وقف عند باب المسجد، ولم يدخل حتى ينهي ورده، فيستغرب بعض الذين يرونه! الشيخ واقف وما معه أحد، ماذا يفعل؟ وفي الحقيقة أنه يتم ورده»^(١).

وقال د. عبد الله بن علي الجعيش:

«إنه - رحمه الله تعالى - قال لي ذات مرة وقد طلبت منه المشي معه من بيته إلى المسجد: أن هذا الوقت من البيت إلى المسجد قد خصصته لمراجعة حفظي للقرآن»^(٢).

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري:

«قال الطبيب المعالج للشيخ أن الشيخ محمد رحمه الله تعالى كان يقرأ القرآن الكريم، ثم دخل في غيبوبة قبل وفاته بساعة، وكان الشيخ قليل الكلام وكثير

(١) المصدر السابق.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٨.

الحمد والاستغفار، يقول الطيب: سمعته مرّة يقرأ سورة الفاتحة، وثارة كان يتمتم لصعوبة حالته الصحية، وعندما سُئل أبناؤه عما يتمتم به الشيخ ذكروا بأنه كان يقرأ القرآن^(١).

(١٠) مطالعته وكتبه ومكتبته :

تقول سعاد بنت محمد الحمد العثيمين :

« كان الشيخ يحبّ القراءة، ولا يردّ من يستفسر عن الأسئلة، وقته كله جعله لنفع المسلمين.

ولقد كنت وأنا صغيرة أتعجب من شخصيته الفذة وجبه للقراءة، وردّه على الهاتف للفتوى بدون ملل، فقد كنت ألعب مع بناته حول مكتبته، وأسمع رثات الهاتف ترنّ بدون انقطاع.

ودخلت المكتبة فتعجبت لما رأيت من كثرة الكتب، إذ ليس في المكتبة مكان فارغ سوى مكان جلوسه، أعمدة من الكتب، وكلّها يكب عليها ويقرأها. ودائماً كنت أراه في مكتبته ليس كحالنا، يتراكم التراب والغبار على الكتب...»^(٢).

(١١) أعماله الخيرية :

صدقته وإنفاقه ومساعدته للمحايج، ورعايته لليتامى والمساكين.

(١) شريط (أحبّ لقاء ربّه) بواسطة صفحات مشرقة ص ١٠٦.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

قال الشيخ بدر المشاري :

«مما لمسته زيارته المتواصلة لطلاب دار الملاحظة الاجتماعية بالرياض، حيث كان دائماً يوصيني أن أذكره بزيارتهم إذا كان موجوداً في الرياض، بل إذا ضاق به الوقت يحضر إليهم بالصباح، أو قبيل الظهر ولو وقتاً قصيراً»^(١).
وقال أيضاً :

«كنت مرة من المرات في صحبة الشيخ رحمه الله تعالى بالسيارة. وفي الطريق وعند الإشارة المروية مرّ علينا رجل يطلب مساعدة، ففتح الشيخ النافذة فأعطاه ما جادت به نفسه، وأخطأ الرجل السائل بعبارة قالها للشيخ، فجلس الشيخ يناصحه حتى تحركت السيارة»^(٢).

قال الشيخ عبد الله بن محمد الجبر :

«كم مرّة اتصل عليّ الشيخ وقال لي : اذهب إلى تلك المرأة أم الأيتام، وتحقق من حالها لتقف معها في محنتها، وكم مرّة قال : صلّ معي العصر، وإذا به يعطيني مساعدات بشيكات مكتوب على كلّ واحد اسم صاحبها حتى يتم إيصالها إليهم.
في عام ١٤٠٧هـ فكّرنا بإنشاء صندوق لإقراض الراغبين في الزواج بعنيزة، بعدما شاهدنا الحاجة الملحة لإنشائه، نظراً لتردد كثير من الشباب عن الإقدام على الزواج من كثرة تكاليف المهور، وعدم القدرة على تحصيلها.
وعند عرض هذه الفكرة على فضيلته رحمه الله فرح جداً بها، واستبشر خيراً، وقال : أعدوا نماذج لهذا المشروع تحفظ حقّ الدائن والمدين.

(١) المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٠.

وبعد إعداد النماذج المطلوبة سارع بتزكية هذا المشروع والقائمين عليه، وحثّ الناس وأهل الخير أن يسارعوا بالبذل والعطاء والصدقة لهذا المشروع حتى يواصل عطاءه.

وبحمد الله كان هذا المشروع النواة لجميع المشاريع الموجودة في معظم المملكة، رحمك الله يا شيخنا وأسكنك فسيح جنّاته»^(١).

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«كان يساعد المحتاجين ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو يمشي في الطريق، وأذكر أن امرأة من المعتمرات كانت تبكي وتشتكي ألماً فقدت حقيبتها، وفيها نقودها وحاجاتها، وكنا نمشي، وإذا بالشيخ يقف ويخرج من جيبه ورقة ٥٠٠ ريال ويعطيها وبعضي»^(٢).

وقال د. عبد الله الموسى :

«أذكر أنني في إحدى زياراتي له في منزله عندما كنت أدرس في الولايات المتحدة الأمريكية، أنه أخذ بيدي إلى مختصر له فقال : يا عبد الله أنا وأنت هنا، ولا يرانا إلا الله، يخذ هذا المال - وكان كبيراً - وهو من مالي الخاص، واشتر به مصاحف ووزعها على المحتاجين في السجون الأمريكية، وأنت مسؤول عن الشراء وعن التوزيع، وأسألك بالله ألا تبلغ بهذا أحداً، ولم أبلغ بهذا أحداً منذ وقته إلى الآن، أما وقد انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى فلا أرى بأساً أن أذكر أنه كان من المنفقين في السراء والضراء، وكان لا يريد علم الناس بذلك، رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والعطاء»^(٣).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٨.

(٢) الأربعة، العدد ٢٩/١٠/١٤٢١م.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

ويقول الشيخ أحمد القرعاوي :

«في أغلب الأحيان وقبل دخول الشيخ إلى المسجد تقابله طفلة عمرها ست سنوات، فتطلب من الشيخ «ريالاً» فيقول لها الشيخ وهو يتسم: هل تريدين ريالاً جديداً أو قديماً؟ فتقول: أريد ريالاً جديداً، ثم تطلب لأختها، فيقوم الشيخ بإعطائها أيضاً»^(١).

يقول الشيخ عبد المحسن القاضي :

«حرص الشيخ على أن تكون أعمال البرّ التي يقوم بها خاصةً جداً، فهو يساعد أي متقدّم يرغب في الزواج، ويدفع له نصف المهر إذا انطبقت عليه الشروط، ويساعد الفقراء والمحتاجين، ويشجّع ويساهم في إنشاء أعمال البرّ، فقد أمس مع ثلّة من طلابه جمعية تحفيظ القرآن الكريم في مدينة عنيزة، وشجّع على افتتاح مكتب لهيئة الإغاثة الإسلامية في المدينة نفسها، وأنشأ عدداً من المساجد في مناطق عدّة بالملكة، وتبرّع بمبلغ ٣ ملايين ريال لزيادة آبار مياه الشرب في عنيزة، كما ساهم في إنشاء عدد من المساجد والمراكز الإسلامية في أوروبا، وأمريكا، وبنجلاديش، وغيرها...»^(٢).

وقال العقيد الركن / علي بن محمد الحثّان :

«بالنسبة لتلقّي المعارض أو الأسئلة المكتوبة فقد خصّص لها بعد صلاة العصر؛ فبعد أن يفرغ من شرح الحديث اليومي يبقى لتلقّي المعارض، ويسمع ما عند أصحابها، ويعمل ما يراه مناسباً»^(٣).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

(٣) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

وقال الشيخ منصور بن إبراهيم الحسين :

«وقد قمت بزيارته في جناحه منذ سنوات في الحرم، وكان عند باب الفتح، فنجد الكثير من أهل الحاجات عند جناحه من مشارق الأرض ومغاربها، وكان فضيلته يجلس في هذا الجناح بعد صلاة العصر لاستقبال أهل الفتاوى والمحتاجين، وكان أهل الخير يدفعون إليه صدقاتهم وزكاتهم للإشراف على توزيعها، وكان فضيلته حريصاً أشد الحرص على توزيعها وبدقة والتأكد من أنهم من ذوي الحاجات»^(١).

وقال الدكتور يوسف الزامل :

«ومن حبه للإحسان أتت تحدت عرضاً له عن أسرة ذات قرابة بي، ليس على سبيل إبانة حاجتهم، لكنه - رحمه الله - بادرن بالسؤال عن وضعهم المادي، بغية إيصال الإحسان لهم إن كانوا محتاجين»^(٢).

وقال الشيخ المنجد :

«وكان الشيخ رحمه الله يواظب على الصدقة صباح كل يوم جمعة، ولم يترك هذه المراقبة إلا لما تبين له أنه لم يثبت في ذلك سنة عن النبي ﷺ»^(٣).

وقال الأخ إحسان بن محمد العتيبي :

«سافر شباب من الأردن إلى العمرة، وفي (خير) قدر الله عليهم حادثاً؛ صدموا به عمود الإنارة، فهرعت الشرطة لمكان الحادث، وأصروا على السائق أن يدفع تكاليف العمود، وكانوا قد قدروا ذلك بـ (٢١٠٠٠) ريال، وهذا السائق ومعه

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٠.

(٢) الأسرة، العدد ٩٢.

(٣) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

العمرون لا يقدرن على دفع مثل هذا المبلغ فحجزت الشرطة جواز سفر السائق لحين تدبير المبلغ، ودفعه عند رجعتهم من أداء العمرة.

فغلب الشباب على أمرهم، وفكروا في طريقة تحصيل المبلغ، فلم يكن أمامهم إلا عرض الموضوع على بعض المشايخ، فكان أن ذهب واحد منهم - وهو الذي حدثني بالقصة - إلى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في غرفته في الحرم المكي بعد صلاة العصر.

فعرف الشيخ منه القصة، وقال له : تعال غداً وإن شاء الله يصير خيراً قال الشاب : فلم أرجع للشيخ لأنني عرفت أن المبلغ كبير، والشيخ لا يعرفنا، ولم يعرف عن الشيخ أنه يساعد في مثل هذه الأمور، لكنني ذهبت - والكلام لمحدثي - تحقيقاً لرغبة الشباب في أن أكلم الشيخ فقط.

ثم رجعت القوم إلى (الأردن) وكان لا بد من المرور على (عمير) لأخذ الجواز، ولعل الله أن يكون قد رقق قلوبهم فيسقطوا عنا المبلغ.

ولما دخل الشباب إلى المركز أصرت الضابط على إحضار المبلغ كاملاً، وإلا لا سفر، فإن أرادوا السفر فمن غير السائق !! تخير الشباب وسائقهم ! ماذا يفعلون ؟ توجهوا للشباب الذي ذهب للشيخ ابن عثيمين، فقالوا له : ألم تذهب أنت للشيخ ماذا قال لك ؟ قال : تعال غداً !! قالوا : فهل ذهبت إليه ؟ قال : لا !!.

قالوا : اتصل به لعل الله أن يكون الفرج على يديه، ونحن محبسون عن أهلنا هنا، ونحن في آخر أيام رمضان !! قال : فاتصلت بالشيخ في غرفته فردّ عليّ وأخبرته بما لنا !.

قال : أنت الشاب الأردني !!؟؟

قلت : نعم يا شيخ !

قال : ألم أقل لك تعال في الغد، لم تَمِ تأتِ ؟

قال : استحييتُ !

قال : فلمَ كلمتني إذن ؟؟ على كلِّ حال: المبلغ كان جاهزاً في اليوم نفسه !! .

فلم يصدّق صاحبي الخبر، وكاد الشّباب أن يطيروا فرحاً ومعهم السائق بالطبع.

قال الشّباب : والحلّ يا شيخ ؟

قال : أن أحوّل المبلغ للمركز، وأطلب منهم أن يبسروا أمركم، وترجعوا إلى

أهليكم قبل العيد !! .

قال الشيخ : أعطني الضابط المسؤول !

كلم الضابط الشيخ بنوع من اللامبالاة !

قال الشيخ : المبلغ عندي وأعطني رقم حسابكم، وأنا أحوّله لكم، وأطلقوا

الشّباب وسائقهم ليذهبوا إلى أهليهم ! .

ردّ الضابط بقلة أدب : آسفين يا شيخ ! لا بدّ من إحضار المبلغ نقداً، وإلا فلن

يسافروا ولن يرجعوا !!

غضب الشّيخ جداً من الضابط، وقال : أقول لك المبلغ عندي، دعهم يذهبون

إلى أهليهم !!

رفض الضابط مرّة أخرى !

أغلق الشيخ السّماعة.

قال الشّباب: فما هي إلّا لحظات إلّا والمركز ينقلب رأساً على عقب، ما الخطب؟.

إنه أمير المدينة - الأمير عبد المجيد وقتها - اتصل يسأل عن الضابط الذي رفض طلب الشيخ، وبدأ يهدّد ويتوعّد بالعقوبة.

حاول الضابط وأفراد الشرطة التّستّر على زميلهم.

ورأى الشاب تغيّر اللهجة بصورة سريعة ومذهلة إلى رقّة وأدب.

فأمرهم أمير المدينة بإطلاق الشباب وسائقهم فوراً، وتصليح العمود على حساب الدّولة، لا يتصوّر أحد مدى فرحة الشباب بهذا الخير، فشكروا للشيخ جهوده ووقفته معهم، وارتفعت أصواتهم بالدعاء للشيخ، وأكبر في الأمير احترامه للعلماء وتقديره لمكائنتهم، في موقفٍ لن ينساه أحد منهم ما عاش أبداً^(١).

(١) جريدة المدينة، ملحق الرسالة العدد ١٣٧٨٨.

ترجمة فضيلة الشيخ محمد الشفيق المشويخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى
يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد : فقد هادت النصوص القرآنية والسنة النبوية بالحسنى
على تعلم القرآن وتعليمه والثناء على أهله وبيان جزيل ثوابه وأجره
قال استغراق : (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأتوا بما
رزقناهم سراً وعلافةً يرهبون تجارةً لن تنور لهم أجورهم وأجرهم
من فضله أنه مغفور شكور) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلوه
حق تلاوته أولئك يؤمنون به) . وقال النبي صلى الله عليه وآله : فخيركم من
تعلم القرآن وعلمه . وقال : أقرأوا القرآن فإنه ما من يوم القامة شفعنا
لأصحابه . وقال : تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لو أشد تقصيراً
من الإبل في عقلها .

وفي هذه النصوص دليل على أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال
كيف لا وهو كلام رب العالمين ومنهج أفضل المرسلين .
ولقد يسر الله تعالى إنشاء جمعيات لتحفظ القرآن في مناطق ^{المختلفة}
وتخرج منها شباب كثير يحفظون القرآن كله أو أكثره أو شيئاً منه .
وهذه الجمعيات تحتاج إلى دعم مالي ومعنوي لا سيما في الأقطار
التي تبعد عن العقار وتكون صدقات جهارمة لا صاحبها بعد موتهم
ولقد تقدم إلى أعضاء جمعية التحفظ في الفجدة مشروع بناء ^{مكتبة}
مستخرم وهو مشروع حسن أهيب بأخوان المسلمين أن يدعموا بكل
ما يستطيعون لما فيه من الخير الدائم المستمر وأسأل الله لهم القبول والثبوت
كتبه ^{محمد الشفيق المشويخ} في ١٩٨٨/١٩/١٤هـ

نموذج من محبة الشيخ لأعمال البر، ومساهمته فيها.

(١٢) كرمه وحسن ضيافته :

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن العجلان :

«قمت بزيارة خاصة له أنا وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان قرابة عام ١٤٠٣هـ، فلما دخلنا ورحب بنا وأحضر القهوة أخذ الشيخ يصبّ بنفسه لنا، وحاولنا جاهدين أن نقوم بذلك عنه فرفض، وامتنع بقوة، وأخذ هو الذي بنفسه يياثر ذلك، وكذلك ما بعد القهوة علماً بأن هذا هو منهجه مع ضيوفه غالباً»^(١).

وقال الدكتور عبد الرحمن العشماوي :

«لقد زرت الشيخ في منزله عندما أجزيت معه لقاء على طريق الدعوة، واستقبلنا استقباله الذي يعرفه الجميع بتواضع جم، والشيخ في الحقيقة يشعر كلاً ما زرته أو جلست معه أنك تتعلم منه علماً شرعياً في حركته وسكنته، في استقباله، في وداعه، في طعامه، تغدّبنا معه ذلك اليوم الذي التقينا معه في بيته، فكان غداءً هنيئاً ومتواضعاً، ولكنه كان من ألد ما ذقناه في بيت رجل أكرمنا باستقباله الذي تبرز منه عاطفته الصادقة»^(٢).

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد : «كان رحمه الله مكرماً للناس مكرماً للضيوف، وقد أزم أحد طلبة العلم مرة أن يبيت عنده، فقال : يا شيخ أنا مشغول وعندي أعمال، فأصرّ عليه حتى شمر عن ساعديه وكأنه يقول : استعمل القوة، فوافق الآخر على أن يفرغ من شغله ثم يأتيه، فقال : أنتظر، فتأخر حتى الساعة الثانية عشرة ليلاً، ثم قال : آتي بيت الشيخ لأنني وعدته، فأطرق عليه الباب طرقة

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

واحدة، قال : فطرت عليه الباب من أول طرقة، ففتح لي الباب، وهذا يعني أنه كان ينتظر ضيفه إلى هذا الوقت وأدخله، وكان قد أعد له الفراش، والماء، والساعة، والمنتبه، حتى إذا أراد أن يقوم لقيام الليل»^(١).

وقال الشيخ توفيق الصانغ : «كان رحمه الله تعالى يجلس مع طلابه على مادة الإفطار في رمضان، لأنه يفتح بيته رحمه الله تعالى في عنيزة لطلاب العلم، طلاب العلم هناك؛ نجد طالباً من أمريكا، وآخر من بنجلاديش، وثالث من الصين، ورابع من تشاد، بل أحد الطلاب من تشاد وهو من المعجبين بالشيخ كثيراً ومن حملة فقهه، سمي أحد أبنائه هكذا اسماً مركباً (محمد بن عثيمين).

نجد كوكبة من الطلاب الذين قدموا من كل أقطار الأرض، فيفتح الشيخ رحمه الله تعالى بيته في رمضان، فيأتون يفطرون عنده، وكان الطلاب يرون أثناء الإفطار إنشغال الشيخ رحمه الله تعالى بالرد على الهاتف، والله لا يكاد يجمع التمرة إلى التمرة، ثم يشرب الماء حتى يأتيه اتصال من أقصى الأرض، وآخر من أقصى الأرض، فيجيب الشيخ رحمه الله تعالى»^(٢).

قال فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين : «كان آخر لقائنا به في مكة ليلة ٢٧ من رمضان، حيث استأذنا في الوصول إليه، وجلست إلى جواره نحو خمس دقائق، فكان سؤاله عني أكثر من سؤالي عنه، لأنني كنت لا أحب أن أشق عليه بتكرار السؤال لما أعلم من حالته الصحية، ولكنني كلما سكت بادر هو بالسؤال عن أحوالي وأخباري»^(٣).

(١) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٢٧.

(٢) شريط (وداعاً العثيمين) بواسطة صفحات مشرفة ص ٨٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٠٩ - نقلاً عن جريدة البلاد، العدد ١٦٢٢٣.

(١٣) صلته للرحم :

قال ابنه إبراهيم : « كان الوالد رحمه الله تعالى حريصاً على صلة الرحم، وكان يقوم بزيارة أعمامه وعماته كل يوم خميس «له من الأعمام اثنان ومن العمات واحدة» بعد صلاة العشاء يزور كل واحد منهم في بيته ولم ينقطع عن هذه العادة أبداً؛ أو يؤخر هذه الزيارة لأي ظرف كان طالما هو موجود في المنطقة، فكان يرتب التزاماته، بما يمكنه من القيام بتلك الزيارة إلى أن توفي رحمه الله تعالى على هذه الحال، أما أقاربنا خارج المنطقة فكان يتصل بهم صباح يوم الجمعة»^(١).

وقالت منى بنت محمد الحمد العنيمين :

«وكان من عاداته أن يرتب لصلة رحمه كعمه وعمته وقتاً معلوماً في يوم محدد ليصلهم ويזורهم، وكان يواظب على مثل تلك المواعيد رغم ضيق وقته، وكنا ونحن أطفال نفرح كثيراً بحجيته لمنزل أيّ منّا ومن شدة فرحنا نتسابق لفتح الباب لنسير معه إلى المكان الذي يقصده، وكان يستغل ذلك الوقت في الحديث معنا ومداعبتنا»^(٢).

وقالت أيضاً :

«وعلى الرغم من قلة فراغه إلا أنه كان يصل رحمه، ويسأل عنهم، ويזורهم، ويقوم بالواجب تجاههم.

فعلى سبيل المثال : كان إذا مات لنا عزيز قدم إلى المنزل، وعزى الجميع فيطوف على كل الأفراد في أنحاء المنزل مع أحد الرجال المخارم، حيث يقف على

(١) الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

باب الغرفة ويسلم على الجالسات فيه، ويواسيهن ويعزيهن، ويدعو للميت، وينصح أهله ألا ييكوا»^(١).

وقالت لطيفة المشرف :

«عندما كنت في زيارة لأخي في القصيم، كان لدى عائلة الشيخ رحمه الله تعالى مناسبة خاصة، وقد دعنتني زوجته الأخت أم عبد الله، وحضرتُ المناسبة، واستأذن الشيخ للسلام على أقاربه من النساء، والترحيب بهن، ووقف بجوار باب الغرفة وألقى التحية، ورحّب وسأل عن أحوال أقاربه»^(٢).

وقال الشيخ خالد المصلح [صهر الشيخ] :

«كان رحمه الله تعالى عظيم اليرّ بأهله وأقاربه، فكان يتفقد الكبير والصغير، فكان رحمه الله تعالى إذا مرض بعض الأطفال الصغار يتصل ويسأل عن صحته، ولا يكتفي بذلك، بل يفاجئ أهل البيت بطرق الباب عليهم؛ يتفقد حال المريض ويسأل عنه»^(٣).

وقال الشيخ حمود بن عبد العزيز الصائغ :

«حتى مع رحمه كان يخصص وقتاً يعلمه البعيد كما يعلمه القريب، فمثلاً ليلة الجمعة كان يخصصه لزيارة عمته؛ والعشاء عندها ولا يؤثر على ذلك أحداً حتى لو كانت أكبر مناسبة أو أكبر احتفال، فإذا لم يمكنه الاعتذار، ووجد أنه لا بد من الحضور جمع بينهما حتى إنه أحياناً يذهب إليها قبل موعد تلك المناسبة، وهذا والله من أعظم الدروس التي ربّى بها نفسه، وبارك الله له في وقته بسبب هذا التنظيم»^(٤).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(١٤) ملاطفته للصبيان :

قال الشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي :

«يحدثني أحد الأخوة كان ذاهباً ليصلي في الجامع مع ولده الصغير ذي الست سنوات بغرض السلام على الشيخ بعد عودته من السفر، وكان هذا الأخ يصلي الراتبه بعد الصلاة، فحشي ذلك الطفل أن يخرج الشيخ من الجامع، فذهب إليه في وسط طلابه وزواره، فقال له : تعال أبي يريد أن يسلم عليك، فما كان من فضيلة الشيخ رحمه الله إلا أن أعطى يده لهذا الطفل، فذهب به الطفل حتى أوقفه على والده، وظلَّ الشيخ واقفاً حتى انتهى والد الطفل من الصلاة، فسلم عليه»^(١).

وقال بندر بن محمد المهنا :

«رأيت في جامع عنيزة بالقصيم عند خروجه من المسجد بعد الصلاة، فإذا بصبي مع أمه يطلبان المساعدة، فقال الشيخ : ماذا تريد ؟ فقال الصبي : أريد ريالاً جديداً، فقال الشيخ : أصلحك الله وأعطاه ريالاً جديداً كما أراد»^(٢).

وقال الشيخ أحمد القرعاوي :

«في أغلب الأحيان وقبل دخول الشيخ إلى المسجد تقابله طفلة عمرها ست سنوات فتطلب من الشيخ ريالاً، فيقول لها الشيخ وهو مبتسم : هل تريدين ريالاً جديداً أو ريالاً قديماً، فنقول : أريد ريالاً جديداً، فيقوم الشيخ بإعطائها ريالاً جديداً، ثم تطلب لأختها، فيقوم الشيخ بإعطائها أيضاً»^(٣).

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٢.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقال الشيخ علي الحرير :

«قبل ستين كان هناك في بلدنا حفل تخريج لحفظة كتاب الله تعالى، وحضر الشيخ، وبعد الانتهاء من صلاة العشاء وأراد أن يخرج، استقبله الناس عند الباب من أجل السلام عليه، ولما أراد أن يذهب وإذا بثلاثة صبيان يجرون، فلما رأوا الشيخ توقفوا، وناداهم الشيخ وسلّم عليهم، وكانوا يريدون أن يقبلوا رأسه فحنى نفسه لهم»^(١).

وقال أمين بن عبد العزيز أبانمي :

«أذكر مرة أنني كنت أسير معه متوجهين إلى الحرم، فكان إذا مرّ بأحد سلّم عليه، حتى الصبيان يمرّ عليهم ويسلّم عليهم، حتى إنه سلّم على صبيّ، فعرف الشيخ، فأعطاه سواكاً فقبله منه بكلّ تواضع وابتسامة، ورحابة صدر»^(٢).

وقالت نورة بنت محمد السعيد :

«ومن مواقفه التعليمية، وإحفاقه للحقّ، وعدم السكوت عنه: ما حدث لأخي عندما كان صغيراً، فقد جاء إلى الصلاة، ووقف خلفه في روضة المسجد مع والدي، فقام أحد المصلّين، وأبعده عن مكانه، ووقف بدلاً منه، وبعد انتهاء الصلاة قال الشيخ لذلك الرّجل: لم فعلتَ ذلك، فهذا الطفل أحقّ منك بالمكان لأنه سبقك إليه»^(٣).

وقالت منى بنت محمد بن حمد العثيمين :

«أذكر موقفاً حدث لنا معه، وعمري ستّ سنوات حيث كنّا في بيته، وقد كنّا نلعب في فناء منزلهم، كلنا نحن وأبناءؤه، فمرّ من عندنا، وسلّم علينا، وداعبنا

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤١.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

بكلماته اللطيفة، ولقت نظره لباس أخي الذي يبلغ من العمر أربع سنين، إذ كان يرتدي ملابس ملصقاً عليها قطعة بلاستيكية على شكل صورة (أسد) فجلس رحمه الله بجانب أخي، وأمسك به بيده الخائفة، وأخذ يتحدث معنا، حتى استأنس أخي ثم أخرج له قطعة من النقود وقال له : أعطيك هذه النقود وأنزع هذه الصور، وربما علل الشيخ لأنها لا ترضي الله تعالى، ففرح أخي بذلك المبلغ، وغير الشيخ المنكر بالحكمة، واستفدنا جميعاً والله الحمد، فتجنّبنا لبس المصوّرات حتى اليوم»^(١).

وقال بندر بن محمد المهنا :

«رأيت ذات مرّة بمشي في الحرم، فقابلته رجل، أظنه باكستاني الجنسية حاملاً معه طفل، فسلم عليه، وقال له الشيخ : هذا ابنك ؟ قال : نعم، فأخذ الشيخ الطفل وأراد أن يداعب والد هذا الطفل، فقال له : آخذه معي ؟ فقال الأب : خذه، فتبسّم الشيخ وأعطاه لأبيه»^(٢).

وقالت سعاد بنت محمد الحمد العثيمين :

«كان يحبّ الصغار، ويداعبهم، ومع ذلك لا ينسأهم من النصح والإرشاد والتعليم، ولقد كنت في سنّ صغيرة أبلغ من العمر عشر سنوات، ألعب مع بناته في فناء بيته، وكنت أرتدي ملابس قصيرة (الشانيل) فمسك بيدي وكلمني برفق وداعبني حتى شعرت بالفرح والسرور، ثم قال لي : إن هذا اللبس لبس النصارى، وأمرني أن أبلغ أمي بذلك، فقد كانت نعم التّصيحة، فلا أذكر والله أني لبست بعدها هذا النوع من اللباس»^(٣).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

وقال الشيخ سامي بن صالح :

«ومرّة قام ابني الصغير أحمد عمره ثمان سنين بسحب الشيخ من بين تلاميذه إلى خارج المسجد قائلاً له : تعال سلّم على بابا سامي، وكنت خارج المسجد، فرأيت الشيخ الجليل يخرج مع ابني أحمد بميته وهو يتسم، فقبلت رأسه وشكرته، واعتذرت منه على تصرّف الولد، ولكن كان مسروراً جداً ولم يمد أيّ تضايق». (١)

وقال الشيخ أحمد القرعاوي :

«ونحن في طريقنا إلى المنزل، يرى بعض الصبية يلبسون (القبعات) فيقوم الشيخ رحمه الله بالذهاب إلى الصبي وهو مبتسم، ويسأله عن لبس هذه القبعة، ثم يخبره أنها تحمية من الشمس، فيقوم الشيخ بتوجيهه، ويخبره بأن هذه القبعة مضرّة للعين، وفيها تشبه بالكفار». (٢)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهائي :

«وكان الله يأنس بقراءة الصغار للقرآن الكريم، فكان يعرض عليه في بعض اللقاءات والناشط التعليمية من يقرؤون بين يديه، فكان يصغي إليهم، ويتبادل معهم الحديث، ويدعو لهم ويبارك عليهم، وفي بعض الأحيان يشجعهم بالجوائز المادّية في نفس الاحتفال، ويتخيّر الصغار للإجابة على الأسئلة التي يطرحها لتشجيعهم، وحفز همهم». (٣)

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«جاء مرة طفل يقول : يا شيخ أحب لي على أسئلة هذه المسابقة، قال :
أجيب؛ ولكن إذا فزت تعطيني نصف الجائزة»^(١).

وقال د. عبد الله بن محمد الرميان :

«كان رحمه الله متواضعاً للصغير والكبير، وأذكر ذات مرة وقد أكرمنا الله
بمحادثة الشيخ لنا في أحد مواسم الحج أنه قدم من المسجد ونحن برفقته، وبعد
صعوده الدرج خرج أحد أبنائي الصغار، فلما رآه الشيخ نزل من الدرج للسلام
عليه، فأسرعت وحملته إليه لأنعه من النزول، فقبله، ثم نزل لتقبيل الآخر فتعجبت
من هذا الخلق، وشكرت له هذا التواضع، وهذا ديدنه رحمه الله مع جميع الصغار»^(٢).

وقال الشيخ أحمد القرعاوي :

«عند خروج الشيخ لصلاة الجمعة يقابل في الطريق أطفالاً مع آبائهم، فيسلمون
عليه، ويقومون بتقبيل رأس الشيخ رحمه الله ويده، فيبتسم الشيخ لهم، ثم يسألهم؟ كم
حفظتم من القرآن الكريم، وهل أنتم ملتحقون بملقة لحفظ القرآن الكريم؟ ثم يجعلهم
الشيخ يقرؤون عليه قصار السور، فيقوم بتشجيعهم وحثهم على تكرار الحفظ»^(٣).

وقال الشيخ محمد الشرافي :

«مرة كنت أبحث عن الشيخ، فوجدته في طريقه إلى صلاة العصر، فإذا قد وقف
عند أحد الطلبة في سيارته، وقد نزل طفلاه الصغيران، يسلمان على الشيخ، فمسك

(١) شريط : ١٠٠ قائدة من العلامة الشيخ ابن عثيمين.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

الشيخ أحد الأطفال الصغار، وكان يرسم في يده ساعة، والطفل فرحان وكأنها ساعة ذهبية، ثم أخذ الطفل الثاني، وبدأ يرسم بيده، والناس في المسجد ينتظرونه.^(١)

وقال حمد بن عبد الله الصغير :

«كان جَمّ التواضع مع الصغار، فقد دعاه أحد الأفاضل في مدينة الرياض وهو مريض قبل أن يقعده المرض، وكنت أحد الحضور، وحين دخل إلى بيت الداعي كان في استقباله جميع الأطفال، صاحب المنزل وأقاربه عند الباب، فقضى وقتاً في السلام عليهم ومداعبتهم».^(٢)

وقال الشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي :

«لقد كان رحمه الله يمرّ به أطفال مدرسة ابتدائية أثناء ذهابه إلى صلاة الظهر، فيقفون للسلام عليه، وهم كثر، فيسلم على كلّ واحدٍ منهم، ويعتف من يزرهم».^(٣)

(١٥) رفقته بالمرأة وعنايته بها :

قال الشيخ توفيق الصانع :

«أنته مرّة امرأة من الجزائر فقالت : أريدك يا شيخ على انفراد، فأفرغ الشيخ من كان في الغرفة إلا من يكون معه لئلا تكون خلوة، فأخذت المرأة تحدّثه عن الجرائم والأمور البشعة في الجزائر، والشيخ يسمع لها، ثم رفع سماعة الهاتف ليتحدّث مع الطوائف المتناحرة هناك».^(٤)

(١) شريط الإمام ابن عثيمين (تسجيلات صدى الثقوى بالرياض).

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٣) الوطن، العدد ١١٢.

(٤) شريط (وداعاً للنعيم) نقلًا عن صفحات مشرقة ص ٢٩.

وقالت حصّة بنت سليمان العذطون: «وله من مدارس البنات شواهد رسمت على جبين الزمن بمداد من ذهب فكانت الثانوية الأولى بعنيزة لها الشرف في زيارته في يوم لا ينسى، فالرذاذ يتتابع، والبرودة في ازدياد، والهواء القارص الذي يلفح وجه شيخنا - يرحمه الله - لحظة إلقاء المحاضرة، حيث كان يجلس تلك اللحظة تحت مظلة مدخل المدرسة، رغم ذلك استمرّ في إلقائه دون اختصار أو نقص من المحاضرة، فقدم خلال ذلك توجيهاته لأعضاء المدرسة من معلمات وإدريات وطالبات، خاتماً تلك المحاضرة ببحث المعلمة، وتذكيرها بالمسؤولية الملقاة على عاتقها ومسؤولية أمانة التعليم بيميناً على أسئلة الجميع في عمّامة المسائل خاصة في الأمور التعليمية فلقد كانت توجيهاته التربوية كتوجيهات الأب لابنته»^(١).

وقالت نسبية سليمان الربيعي :

«حدّثني أم إبراهيم وفقها الله، قال :

وقفت للشيخ في العام الماضي في الحرم المكي لأسأله عن شيء مما اختلف الناس فيه لأعرف رأي سماحته، فوقف مقتدياً في ذلك برسول الله ﷺ حيث توقفه المرأة والصبي في حاجتهما فيقف حتى يقضي ذلك، وما أن وقف سماحته حتى أحاط بي ومجموعة صغيرة من الناس؛ جمع غفير من الرجال هداهم الله لحرصهم على سماع أي فتوى منه، لكنّي قلت لسماحته إنّي لا أستطيع الكلام، وهؤلاء الرجال يحيطون بنا، فالتفت إليهم وقال: اذهبوا، حتى فرقهم جميعاً، ثم انضم إليّ جمع كثير من النساء، فاستمع الشيخ إلى استفتاءهن حتى فرغن»^(٢).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٥.

وقال د. عبد الرحمن بن علي كركمان :

«عندما أسلم مجموعة من المرّضات، وكان لديهنّ بعض الاستفسارات التي رأينا أنه لا يمكن أن يجاب عليها غير سماحته رحمه الله، حيث إن بعض الإخوان جزاهم الله خيراً كان لهم بعض الاجتهادات حول بعض المسائل، وبعد أن قابلنا سماحته رحمه الله، واستمع إلى أسئلتهم وأجابهم بإجابات طمأننتهم كثيراً شجعهم وحثهم على تشجيع غيرهم، وكذلك عوائلهم، وقدم لهم بعض الدعم المالي مما كان له الأثر في نفوسهم ونفوس غيرهم عند إخبارهم بذلك»^(١).

وقالت فوزية بنت عبد الرحمن الزامل :

«ومن آخر مواقفه رحمه الله التي أعرفها عنه حسن معاملته للمرأة، وحرصه على تفقيها في أمر دينها، امرأة متوسطة في العمر لا ولد لها ولا زوج ولا قريب، حيث إنهما من الإماء اللاتي من الله عليهنّ بالعتق، كانت تسكن بالقرب من منزل الشيخ، تذكر هذه المرأة بأنما في العام الماضي وقفت للشيخ في الشارع وقالت : يا عم أريد أن أحجّ أو أعتمر، وقف رحمه الله وأخذ يستمع إليها، وكان في طريقه إلى المسجد، وأخذت تحادثه وتبين له أنه ليس لديها محرم، وتشرح له وضعها وهو يستمع، وكان في لحظة هذه المرأة عجمة لا تستطيع معها إخراج الحروف صحيحة ويحتاج كلامها إلى وقت يُفهم، ومع ذلك وقف الشيخ رحمه الله واستمع إليها على الرغم من مشاغله، ثم قال : يا بنتي عليك بالصيام، والصلاة والتسبيح والتلهيل ولا تذهبي فرضيت بذلك وطابت نفسها»^(٢).

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٨.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

وقال الشيخ سليمان الجليلان :

«امرأة من إحدى البلاد الإسلامية تتابعه وتريد أن تسأله، وهو خارج من المسجد الحرام، فما كان يردّ عليها، وكان يكلمها وهو معطيها ظهره، فكانت تقول : ردّ علي، التفت لي يا شيخ، وهي كانت حاسرة عن وجهها، فالشيخ جزاه الله خيراً قال : أردّ عليك بعدما تتحجّبي، فقالت : أنا متحجّبة، وكانت تأخذ بالحجاب في قضيّة إخراج الوجه واليدين، فوضع الشيخ رحمه الله غترته على وجهه، وغطّى وجهه، والتفت إلى المرأة وقال لها : هذا الحجاب، فأخذت الدعوة عملياً»^(١).

وقال الشيخ علي بن عبد الله السلطان :

«أذكر أنه يوم من الأيام في أحد الدروس وكان من عادته رحمه الله أن يجيب على عدد من الأسئلة قبل البداية بالدرس، ومن المعلوم أنه يحضر درسه النساء أيضاً، ففي ذلك اليوم جاءت من بين الأسئلة ورقة موسومة بأمر عبد الله وفيها من الكلام الشديد على الشيخ، وقد كان يقرؤه بصوت مسموع لدى الطلاب واضح مع تأثره أثناء القراءة حتى اغرورقت عيناه بالدمع، وبعد أن أمأها ما كان منه إلا أن قال: لقد قست علينا أم عبد الله»^(٢).

قال الشيخ أحمد القرعاوي :

«في أغلب الفترات وهو في الطريق على رجله يقابله نساء، فيقف لمن ويقول لي : اذهب إليهنّ وأسألنّ ماذا يردن، فأذهب للنساء والشيخ واقف وأعرف منهن ماذا يردن، فإذا أردن الفتوى يفتيهن الشيخ، وإذا كنّ طالبات للصدقة فيقوم الشيخ بإعطائي مبلغاً من المال وأعطيهن»^(٣).

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٢) المصدر السابق ص ١٠١.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقالت فوزية بنت عبد الرحمن الزامل :

«لقد كان له هبة عظيمة في نفوسنا، كم كنا نشعر بالخجل حين نقترف ذنباً، مخافة أن يعلم به الشيخ، لقد كنا نلعب بالشارع في انسجام تام، فحينما نرى الشيخ مقبلاً نقف إجلالاً له واحتراماً حتى يتعدانا وقد ذكرت إحدى الأخوات؛ كم كان التدافع كبيراً بين الصغيرات حينما يقرب الشيخ منهن مخافة أن يراهنّ في لباس مخالفٍ أو شعرٍ مقصوص... ولا يبخل علينا رحمه الله ونحن في هذه السنّ الصغيرة بالتوجيه والدعاء لنا بالهداية»^(١).

وقالت نورة بنت عبد الله صالح الدماغ :

«... حريصٌ رحمه الله على تعليم القرآن وحفظه بين النساء كما هو بين الرجال، يتابع بنفسه الحلقات كرئيس لجمعية تحفيظ القرآن الكريم بعنيزة، كان شديد الحرص على القسم النسوي بالجمعية، يلقي الدروس ويشارك بالدورات الصيفية، ويتابع الأنشطة، وكان من المرتب له هذا العام دروساً خاصة للمعلمات بدار القرآن، ثم هو يرحمه الله يسمع لآراء النساء، ويحاور ويناقش أطروحاهن، لمست ذلك بنفسي حين قدمت له آراء حول أحد المواضيع الخاصة بالجمعية بخطاب أرسلناه له، فرحّب غفر الله له بالنقاش، وتداول الرأي، ولم يستفرد فيه برأي وحده»^(٢).

وقالت د. لولوة بنت عبد الكريم المفلح :

«كنت أشاهده يخرج من المسجد الحرام بعد دروسه يستوقفه الكبير والصغير، يجيب على هذا، ويسمع لذلك، ويسلم على عمال النظافة، وفوق ذلك فقد منح

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

النساء من وقته وعلمه نصيباً كافياً؛ فكنَّ يستَرْفِقنَه للسؤال، وكان يتنحَّى قليلاً عمن معه من الرجال ويستمع لسواهنَّ، ويجيب بصدرٍ رحبٍ وعلمٍ جمٍّ»^(١).

وقالت منيرة الشَّيْبَل : «.. عُرِفَ رحمه الله تعالى بحرصه الشديد على نشر الدين الإسلامي بين أفراد المجتمع عامةً رجالاً ونساءً، فقد خصَّص مكاناً للنساء لاستماع دروسه في المسجد، بل أبواب بيته مفتوحة لكلِّ سائلٍ كذلك...، وله من الكتابات والخطب الكثير عن المرأة، وما يتعلَّق بما من مسائلٍ كوجوب رعاية المرأة، ومنعها من التبرج، ومسؤولية رعايتها، وغير ذلك من المسائل...»^(٢).

وقال الدكتور علي بن مرشد المرشد الرئيس العام لتعليم البنات بالمملكة:

«ولقد دعوت فضيلته مراراً لإلقاء محاضراتٍ على بناته الطالبات في مختلف أنحاء المملكة، وما أذكر أنه في يومٍ من الأيام اعتذر عن ذلك، بل إني أجد منه الرغبة والحرص في المبادرة إلى ذلك، وإضافةً إلى هذا فقد وجدت منه - رحمه الله - حرصه على الاجتماع بي سواءً في المكتب أو المنزل، والبحث في أمور تعليم البنات وخاصةً ماله علاقةً بالمنهاج الدراسية»^(٣).

(١٦) مزاحه :

كان رحمه الله تعالى يحبُّ أن يمزح أحياناً، ولا يقول إلا صدقاً لإدخال السرور على طلابه وبجالسيه بقدرٍ محدودٍ لا يؤثر على هيئته ومكانته مما كان يحصل به نوع من الاسترواح في دروس العامة والخاصة.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

ومن ذلك : ما قاله أحمد بن عبد الرحمن العواد :

«مازلت أتذكر ذلك الموقف الذي حصل أثناء زيارتي وبعض الأخوة الفضلاء لفضيلة الشيخ ابن عثيمين في عنيزة؛ حيث جلسنا مع فضيلته جلسة خاصة، وبعد بيان الشيخ للحكم الشرعي للمسألة قال لصاحب السؤال مازحاً : البس يا ولدي ساعة من خشب، وضحك رحمه الله، وكم كان لهذه الكلمة من أثر كبير في إزالة السامة والملل عن الطلاب»^(١).

وقال أيمن بن عبد العزيز أبانمي :

«وما شاهدت من تواضعه أنه مرة كان في أحد دروسه في سطح الحرم، فأتت هرة بين الصفوف، والشيخ كان يلقي الدرس، فأوقف الشيخ الدرس وقال : ماذا تريد هذه الهرة؟ لعلها تريد ماءً، اسقوها ماء، فسقوها، ثم ذكر الشيخ فائدة عن حكم سؤر الهرة، ثم قال بعد ذلك : هذه فائدة بمناسبة حضور الهرة، فضحك الجميع»^(٢).

وقال إحسان بن محمد العتيبي :

«كان النبي ﷺ مزح ولا يقول إلا حقاً، وكان الشيخ ابن عثيمين رحمه الله مرحاً حلو المداعبة، وكان ذلك مما يضيفي جواً مريحاً على الطلبة أثناء تحصيلهم العلم والحديث، وله في ذلك مواقف منها :

أنه جاءه عامي أثناء درسه في الحرم، وهو جالس على كرسيه من خلفه، والشيخ يشرح ويدرس، فقرب هذا العامي من الشيخ وتخطى الرقاب، حتى وصل إلى الشيخ من خلفه، فكانه أربع الشيخ قليلاً لأنه جاءه من الخلف.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

قال العامي: عندي سؤال يا شيخ!

قال الشيخ: وراك تسوّرت الخراب - أو كلمة نحوها - ثم أصرّ العامي على السؤال، ولم يعرف طبيعة الدرس، والشيخ يمازحه ويلطفه ويمتنع عن الإجابة! فلما أصرّ العامي توجه الشيخ للطلبة وقال: هل تسمحون له بالسؤال؟ فكلّهم اجاب: نعم نسمح، فسأل العامي - وأجاب الشيخ - وانصرف»^(١).

وقال عبد العزيز الريش:

«كنت في حلقة من حلقات العلم عند الشيخ ابن عثيمين، ولم أقصد الحضور دائماً، وكنت ألبس العقال فوق (شماغي)، وكنت الوحيد الذي يلبس العقال في تلك الحلقة، فكان الشيخ ابن عثيمين يناديني، فيقول: ماذا عندك يا أبا عقال؟ وماذا تقول يا أبا عقال؟ فظننت أنّ للشيخ رأياً في العقال، وأن في لبسه محذوراً، فلم أملك إلا أن أقف أمامه في الحلقة وأقول له: لماذا تناديني بأبي عقال؟ هل لبس العقال حرام؟ فقال الشيخ: ناولني عقالك! فأعطيته إياه ولم أدر ماذا يريد أن يصنع به فقام فوضعه فوق غترته ثم ابتسم لي وقال: من قال لك إنّ لبس العقال حرام فقل له: إني رأيت محمد بن عثيمين يلبسه»^(٢).

وقال إحسان بن محمد العتيبي:

«صلى الشيخ في الحرم المكي، وأراد بعد خروجه من الحرم الذهاب إلى مكان يحتاج الذهاب إليه إلى سيارة.

أوقف الشيخ ابن عثيمين سيارة تاكسي، وصعد معه، وأراد السائق التعرف على الراكب.

(١) جريدة المدينة (ملحق الرسالة) العدد ١٣٧٨٨.

(٢) المصدر السابق، وانظر التعليق الآتي على هذه القصة.

السائق : من الشيخ ؟

الشيخ : محمد بن عثيمين.

السائق : الشيخ ابن عثيمين ا وطن أن الشيخ يكذب عليه، إذ لم يخطر بباله أن يركب معه مثل الشيخ.

الشيخ : نعم، الشيخ.

السائق يهز رأسه متعجباً من هذه الجرأة في تقمص شخصية الشيخ.

الشيخ ابن عثيمين : من الأخ ؟

السائق : الشيخ عبد العزيز بن باز.

فضحك الشيخ.

الشيخ : أنت الشيخ عبد العزيز بن باز.

السائق : يعني أنت الشيخ ابن عثيمين.

الشيخ : لكن الشيخ عبد العزيز ضرير، ولا يسوق سيارة.

ثم تأكد للسائق أنه هو الشيخ رحمه الله، ووقع في إحراج»^(١).

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«مرّة اتصلت عليه، ولعلّي شعرت أنه كان يتغدّى، فقلت له : لعلّ هذا وقت الغداء يا شيخ، فقال لي : تفضّل معنا، وهو في القصيم وأنا أكلمه من المنطقة الشرقية»^(٢).

(١) المصدر السابق.

(٢) البلاد، العدد ١٦٢٣٧.

قال خالد بن صالح الشَّبل :

«كان مرّة معي في السيارة، ومررنا بمحلّ اتصالات، وكان هناك وقتها أزمة في أرقام الهاتف، فكان الشيخ يقرأ لوحة محلّ الاتصالات بصوت أسمع، وإذا فيها : هاتف جوال، فالتفت إليّ وقال بلهجتنا : (حنّا نبي هاتف يعرج)»^(١).

وقال الشيخ سليمان الضحّيان :

«في أحد دروس شرح زاد المستقنع وصلت إليه ورقة يطلب صاحبها أن ينبّه الشيخ على الطلاب أن من له سيارة (فولفو) عند باب المسجد فليقم لبيعدها، فإنها قد أغلقت على سيّارة أخرى يريد صاحبها الذهاب، فقرأ الشيخ الورقة : (من له سيارة (فول) قرأها (فول) قصداً ليروّح عن الطلاب، ثم علّق قائلاً بالعامية (عجيب، بّه سيارة اسمها فول) فضجّ التلاميذ بالضحك»^(٢).

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«كان الشيخ يتكلّم مرّة في درس عن عيوب النساء في أبواب النكاح، فسأله سائل وقال : إذا تزوّجت ثم وجدت زوجتي ليس لها أسنان، فهل هذا عيب يبيح لي طلب الفسخ، فضحك الشيخ وقال : هذه امرأة جيدة حتّى لا تعضّك.

وسأله سائل فقال : شخصٌ كبير في السنّ، ولا يستطيع الصوم، ويطعم عن كلّ يومٍ مسكيناً، وفي يومٍ من أيّام رمضان أراد أن يأتي أهله، فهل يجوز ؟ فضحك الشيخ وقال : أولاً : أخبرني هل زوجته عموز مثله أم لا ؟.

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٩.

(٢) المعرفة، العدد ٦٩.

وجاء مرة رجلٌ مسلمٌ أعجميٌّ من أهل باكستان يريد أن يسأل الشيخ ويناديه: يا شيك، يا شيك، لأن الأعجميَّ لم يستطع نطق الخاء، فقال له الشيخ محمد : والله إني شيك بمائة وعشرون ألف ريال، وهي مقدار الدية»^(١).

وقال العقيد الركن / علي بن محمد الخشان :

«في محاضرة أخرى أُعد في المسجد شيء من البخور فلما حضر الشيخ قدم له أحد الأخوة المبحرة، وأراد أن يزيد من العود، فرفض الشيخ وقال مازحاً : (إن كنت مصرّاً فأعطينها»^(٢).

وقال الطالب ناصر السعدي:

«في أحد الاجتماعات الخاصة التي كان يجتمع بها مع طلابه من سلطنة عمان، قمت لأسأله فقال لي : من أنت ؟ قلت ناصر السعدي، فقال : ما العلاقة التي تربطك بسهولة (يقصد الصحابي سهل بن ساعدة رضي الله عنه) فقلت : أسأل الله أن يجمعني به في الجنة، فقال : ونحن معكم»^(٣).

وقال عبد الكريم بن عبد الله الخلف :

«في أحد الأعراس أقامت الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالبكيرية احتفالاً لطبقتها، وقد دُعي الشيخ لهذه المناسبة كالعادة، وكان من بين من حضر هذا اللقاء فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس إمام وخطيب الحرم المكي الشريف، وذلك لكي يقوم بامتحان الطلبة في محفوظاتهم، وقد اكتظ المسجد بالحضور، وكان

(١) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٢) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

أكثرهم قد أتى لسماع صوت فضيلة الشيخ عبد الرحمن والاستمتاع بقراءته، لكن الشيخ اكتفى بالسؤال عن المقاطع دون ترتيل، فلما انتهى من ذلك أخذ الشيخ محمد ابن عثيمين (اللاقطه) وقال الآن نختبرك يا شيخ عبد الرحمن، وذلك حينما عرف الشيخ ذلك من وجوه الحضور، فابتسم الشيخ عبد الرحمن وقال : لا بأس أن نحقّ الحقّ وفوق كلّ ذي علم عليم، فأعطاه الشيخ مقاطع وآيات فيها ذكر النار والجنة، فرأيت الشيخ عمداً قد أطرق رأسه وبدأ يهزه حيناً وبدأ عليه التأثر، وذلك لما يعقله من تلك المعاني، ذلك الموقف الطريف لا أنساه أبداً»^(١)

وقال الشيخ سليمان الضحيان :

«لديه مقدرة غريبة على اكتشاف الغافلين من الطلاب خلال الشرح، فكثيراً ما يسأل أحد الطلاب فحاة، ويقول: (يا فلان أين وصلت) فيجيب بعض الظرفاء من الطلبة (إلى الصّين يا شيخ) فيبتسم الشيخ ويأمره بالذهاب لغسل وجهه ليعود له الانتباه»^(٢)

(١٧) حلمه وصبره :

قال الشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي :

«قام شخصٌ في مسجده ذات مرة مطالباً بسرعة إقامة الصلاة، والشيخ لم يحضر بعد، فرفض الشيخ إبراهيم الرئيس مؤذن الجامع - رحمه الله تعالى - ذلك انتظاراً للشيخ، فما كان من هذا الشخص إلا أن أقام الصلاة بنفسه، وتقدّم للمسجد وصلى بالناس، فصلّى الناس وراءه، وكنت قد خرجت بحثاً عن الشيخ

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٢) المعرفة، العدد ٦٩.

فرايته قادمًا، فأخبرته الخبر، فقال لي: نصليّ معه إن شاء الله، فلمّا أن انتهى من الصلاة حدّثه الشيخ وأخبره بأن عاداته تأخير الإقامة للظهر، وطلب منه ألا يتعدى على حرمة إمام أو مؤذنٍ في مسجد، فما كان من هذا الشخص إلّا أن قال له: إذا أتيتُ مرّةً أخرى إلى هذا المسجد فسأقيم الصلاة؛ فما كان من الشيخ إلّا أن تبسّم ودعا له بخير^(١).

وقال الشيخ محمّد صالح المنجد:

«كان - الشيخ - مرّةً يمشي في طريق العودة من المسجد وطلابه يقرؤون عليه، يقرأ عليه طالب في كتاب، فجاءه شخصٌ من خلف الطلاب ودفع الطالب الأيمن ودفع الطالب الأيسر واخترق ما بينهما، وأمّسك الشيخ من كتفه وجذّبه بقوة حتى استدار جسد الشيخ من قوة الجذبّة، حتى قال بعض طلاب الشيخ (الآن ربما ينفجر عليه) ولكنه فاجأهم أن الشيخ رحمه الله ابتسم وهشّ في وجه هذا الأعرابي الذي جاء بهذه الجلافة وسأله عن حاجته، وقال: هذه حاجتي، اقرأ هذه مكتوبة في الورقة، أنت ما (تفضا لي) فاعتذر عن قضاء حاجته الآن، فأصرّ الرجل ولم يقبل اعتذار الشيخ ولم يزل بالشيخ حتى قضى له حاجته»^(٢).

قال سعد بن تركي الخثلان:

«حدّثني شيخنا عبد الله بن حسن بن قعود - حفظه الله وشفاه - قال: إنَّ الشيخ معروف منذ نشأته بانصرافه بالكلية للعلم الشرعي، قال وحدّثني بنفسه أنه

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٢.

(٢) انظر الدعوة، العدد ١٧٧٧، وشريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين مع اختلاف في سياق القصة.

كان في بداية أمره يلقي الدروس، وإنه ألقى ذات يوم درساً لم يحضر له سوى طالب واحد»^(١).

وقال الشيخ محمد الشرافي :

«أناه مرة رجل في الدرس، وكانوا يبدو عليه أنه ضعيف العقل، وتخطى رقاب الطلبة حتى وصل إلى الشيخ مصراً على مقابلة الشيخ، فالتفت الشيخ رحمه الله إليه وبدأ يحادثه ويتكلم معه، وكأنه يتكلم مع رجل من أعقل الناس، ثم أخرج ذلك الرجل حزمة من أعواد الأراك (السواك) ثم أعطاه الشيخ وأصرّ أن يقبلها، فما كان من الشيخ رحمه الله تعالى إلا أن تقبلها، ثم ودّع الرجل، ثم وزّع أعواد الأراك علينا»^(٢).

وقال د. إبراهيم الحضيري :

«كان يتحمّل كثيراً من الانتقادات التي كانت توجه إليه من بعض الطلبة أذكر موقفاً طريفاً : أنه رحمه الله صلى في عنيزة، فسجد للسهو بعد السلام، فقام أعرابي وقال: يا أخي إذا كنت لا تعرف تصلي فلا تتقدم، فهم طلبته بالأعرابي، فاعتذر له الأعرابي بعد ذلك»^(٣).

وقال الشيخ حمد بن عبد الله الجطيلي :

«كان لنا معه أحد مواقف كثيرة، فقد درست عنده وخلال ثلاثين عاماً في حلقات الجامع الكبير بعنيزة حتى أنه لم يكن في بعض حلقات الدرس إلا أنا وأخسر فقط، وصبر على ذلك حتى أصبحت الحلقة بالمئات»^(٤).

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٢) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدق التقوى بالرياض).

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٤) الجزيرة، العدد ١٠٣٤١.

وقال د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي :

«كان حريصاً على دوام الدرس بين العشاءين، فلم يفت في عضده انتظام الناس وندرة الطلبة في فترة من الفترات، فلقد رأته رحمه أكثر من مرة في أواخر التسعينات المحجرية وليس أمامه إلا طالبان فقط، فما يمنعه ذلك من الشرح والاستقراء والتفصيل، وكان المكان غاصباً بطلاب العلم، فقد علم الله صدق نيته، وحسن قصده، فجعل أفئدة الطلاب تموي إليه من أصقاع الأرض، فلربما اجتمع في بعض دروس الفقه ٥٠٠ أو يزيدون»^(١).

(١٨) أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وغيرته على حرمان الله :

من المعلوم أن خيرية هذه الأمة المباركة منوطة بالإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعظيم حرمان الله تعالى، ويحمل لواء هذه الشريعة العظيمة - بعد الأنبياء - العلماء الربانيون في كل أمة، فيكون أمرهم بالمعروف والمعروف ونهيهم عن المنكر غير منكر بل بالحكمة والموعظة الحسنة، فينظرون إلى العصاة بنظرين : بعين القدر فيرحمهم، وبعين الشرع فيقيمون عليهم ما أوجبه الله تعالى، وقد عُرف شيخنا بغيرته على دين الله تعالى، وحرصه على الأمر والنهي على ما توجبه الشريعة.

فقه إنكار المنكر عند الشيخ.

يقول الشيخ رحمه الله تعالى :

«ليس من الحكمة أن تتعجل وتريد من الناس أن ينقلوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها، ومن أراد ذلك فهو

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

سفيه في عقله بعيد عن الحكمة، فلا بد من طول النفس، واقبل من أخيك الذي تدعوه ما عنده اليوم من الحق، وتدرج معه شيئاً فشيئاً حتى تنتشله من الباطل». (١)

ويقول أيضاً :

«لا شك أن الدعوة الإسلامية منذ بعث الرسول ﷺ وإلى أن تقوم الساعة، أولياقها وأصولها واحدة لا تتغير بتغير الزمان، لكن قد تكون بعد الأصول محققة عند قوم، وليس فيها ما يُنْقِضُهَا أو يُنْقِصُهَا فيعمل الداعية إلى النظر في أمور أخرى يكون فيها من يدعوهم مقصرين». (٢)

ويقول أيضاً :

«والدعوة إلى الله لا بد أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، ولين الجانب وعدم التعنيف، واللوم والتوبيخ...». (٣)

وقال رحمه الله : «إننا لو علمنا أن في بيت من بيوت هذا البلد مرضاً فتاكاً لأخذنا القلق والفرع، ولاستنفدنا الأدوية، وأجهدنا الأطباء للقضاء عليه.

هذا وهو مرضٌ جسمي، فكيف بأمراض القلوب التي تفتك بديننا وأخلاقنا. إن الواجب علينا إذا أحسنا بمرض ديني أو خلقي يفتك بالمجتمع، وبحرف اتجاهه الصحيح أن نبحث بصدق عن سبب هذا الداء، وأن نقضي عليه وعلى أسبابه قضاءً مبرماً من أي جهة كانت؛ لا تأخذنا في ذلك لومة لائم؛ قبل أن ينتشر الداء ويستفحل خطره...». (٤)

(١) صفحات من حياة الفقيد العالم الزاهد ص ٢٦، للدكتور عبد الله بن محمد الطيار.

(٢) المصدر السابق، وعزاه لـ (فتاوى الدعوة ١٥٤/٥).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

نماذج من دعوة الشيخ للكفار، أو العصاة، وأمره ونهيه :

قال د. سعود بن عبد الرحمن العجاجي :

«بينما نحن مغادرين الفندق الذي سكنه توقّف أمامه طفلٌ أمريكيّ ومعه والدته، فطبطب على رأسه وبدأ يداعب هذا الطفل الذي أثارته هيئة الشيخ، وهيئته بلبسه الثوب السعوديّ والملشح، فطلبت الأم من ابنتها أن يحكي الشيخ، فردّ الشيخ بأحسن منها.

وقال الشيخ الراحل موجهاً كلامه للأُم : الله يهديك بالإسلام، وكان الشيخ خلالها غاضباً النظر، وعاف الخاطر، ثم طلبت الأم من ابنتها أن يودّع الشيخ بعبارة Have a nice day.

وسألني الشيخ : ماذا يقول الطفل ؟ فأبلغته أنه يتمنّى لك يوماً سعيداً، لكن بعض المرافقين امتعضوا من ملابس المرأة، فقال أحدهم : قَبِحَ اللهُ وجهك، لكن الشيخ لم يعجبه هذا الكلام، فقال : يا إخوان ليس هذا من سمات الإسلام، الطفل وأمه قابلاتنا بوجه حسنٍ وكلام طيّب، فأحرى أن نعاملهم بالمثل؛ فبدلاً من أن ندعو عليهم جدير أن ندعو لها بالهداية الذي هو منهج الدين الرّبيع»^(١).

ويقول الشيخ خالد المصلح [صهر الشيخ] :

«شيخنا أمرٌ بالمعروف، وناهٍ عن المنكر في دقيق الأمور وجليلها، ويلاحظ ذلك كل من عرف الشيخ فعلى المجال الفردي يأمر بالمعروف ويحثّ على الصلاة في طريقه إلى المسجد، وإذا لاحظ على شخصٍ تقصيراً أنكر عليه، أما المنكرات العامة فالشيخ صاحب بيان، لكنه دائماً يقول : إنه لا يتكلّم إلا بما يكون فيه فائدة

وبأسلوب مفيد يكون فيه اندفاع الشر وحصول الخير دون أن يترتب عليه مفسدة أعظم من المصلحة المرجوة منه»^(١).

وقال الدكتور إبراهيم بن عبد الله المطلق :

«صحبته رحمه الله يوماً من الجامع إلى منزله، وقرب إحدى إشارات المرور التي راحها الله، فرأى سيارة واقفة، وفيها رجل عربي من إحدى الدول العربية، ومعه زوجته قد كشفت عن وجهها.

فانطلق رحمه الله كالسهام تجاه السيارة فغطت المرأة وجهها، ونزل زوجها وقبّل رأس الشيخ واعتذر»^(٢).

وقال العقيد الركن علي بن محمد الحشّان :

«كان يحرص على ألا يدنس العلم الذي معه بما يشينه، فحينما همّ أن يدخل أحد المكاتب رأى فيه صوراً معلقة، فعدل إلى مكتب آخر ليس فيه صور، وكذلك لا يرضى بحضور مناسبات فيها منكرات، ويحرص الشيخ كثيراً على تصحيح الأخطاء عملياً، فكان الناس في السابق إذا أرادوا أن يصلوا على جنازة قاموا من حين يسلم الإمام وقد تعلمت من الشيخ التريث؛ لا سيما إذا كان من المصلين من يقضي ما فاته.

كذلك صلّى الشيخ مرّة على جنازة، ولاحظ أن بعض المأمومين يرفع صوته بالتكبير إذا كبر الإمام؛ فلما فرغ الشيخ من الصلاة على الجنازة تبه الناس إلى عدم الجهر بالتكبير».

(١) الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

في بداية أحد دروسه رحمه الله في المسجد الحرام قال :

«إني ألاحظ أن أيدي بعض الناس قد قُطعت؛ فشدَّ الانتباه بذلك، ووضَّحَ :
أن البعض من احترامهم وتبجيلهم ربّما سارع بتقبيل الرأس قبل المصافحة، ويبيّن أن
هذا خلاف المهدي النبوي، فلا بدّ من البدء بالمصافحة»^(١).

وقال عبد العزيز بن دغيشر الدغيشر :

«مرة وهو راجع من المسجد إلى بيته كان يمشي على الرصيف، فوجد سيارة
قد أوقفها صاحبها فوق الرصيف تعترض الطريق، فوقف الشيخ وسأل عن صاحب
السيارة، ثم طرق عليه الباب، فخرج صاحب السيارة، ووجد من ؟ وجد الناصح
التواضع، والموجه المشفق، نصحه الشيخ أولاً، ثم طلب منه أن يغيّر مكان السيارة
فالطريق له حقّ»^(٢).

وقال الشيخ محمد بن عبد الله المشوح :

«كان رحمه الله شقيقاً عطوفاً حذباً على الشباب، يستمع إليهم ويناقشهم،
فيرشد ويعظ بكلّ لين وأدب.

لقد استمعتُ إلى بعضهم ينهر ويعلي صوته عليهم حين يتحدثون عن
بعض المنكرات، ولكن الشيخ رحمه الله يعاملهم بكلّ هدوء، ويبيّن لهم
أصول الإنكار، وضوابطه بعيداً عن الحماس المرتجل، والعاطفة الثائرة، المجردة
من العلم والعقل»^(٣).

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٢) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٣) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

وقالت نورة بنت محمد السعيد :

« كان لدى والدي رحمه الله بيت زائد عن حاجته، ورغب في إيقافه بعد موته، واستشار الشيخ هل يفعل أم يتصدق به في حياته ؟ فقال له الشيخ إذا كنت ماشياً فهل تضع السراج أمامك أم خلفك ؟ فقال : بل أمامي، فقال : تصدّق به الآن». (١)

وكان من حرصه رحمه الله في صلاته أن يرسل من يسوي الصفوف ويتفقدوها بعد إقامة الصلاة، اقتداءً بالرسول ﷺ، وهي سنة مهجورة، تركها الكثيرون. (٢)

وقال الشيخ أحمد القرعاوي :

«عندما يسير الشيخ مع طلبته من المسجد إلى المنزل يضيق الشارع بهم لكثرهم، فيقوم الشيخ رحمه الله وينهاهم ويقول لهم: ابعدوا وأعطوا الطريق حقّه». (٣)

وقال محمد بن أحمد الشدي :

«فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله عالم كبير مهتمّ بالكتاب والاطلاع بشكل لم أره إلا لدى القلة من الناس ومعرفتي بفضيلته جاءت بالصدفة خلال عملي، فقد وصله بطريقة معينة أن الجمعية لديها لوحات. والعديد من الرسامين السعوديين تدخل رسوماتهم تحت طائلة (غير المباح) من الفن التشكيلي، وجاءت مكاملة فضيلته بهذا الخصوص مع سموّ الأمير فيصل بن فهد رحمه الله في مكتبه مصادفة، وأنا لدى سموّ عرض بعض الأوراق، فقال سموّه - رحمه الله - : لدي فلان سوف يتصل بفضيلتك، ويشرح لكم واقع الحال الذي هو الصحيح الذي

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

نسير عليه في جميع أعمالنا، وفعلاً في مساء ذلك اليوم اتصلت مع فضيلته وشرحت له، فوجدت الشيخ رحمه الله متفهماً لدورنا في رعاية الشباب بكل أبعاده الفكرية والعملية، ومن ضمنها الفنون التشكيلية التي ليس فيها شائبة، وأكدت لفضيلته ذلك في كل ما نقيمه من معارض وأرسلت له نماذج مصغرة منها... ورضي فضيلته وقال: إن فيما ذكرته لي محاولة منكم لإشغال الشباب بأعمال مفيدة، وقد تصده عن ما يضره وحملني السلام لسمو الأمير فيصل رحمه الله، وتحدثت مع فضيلته عن بعض الكتب الهامة والمفيدة، وأصبحت علاقتي به ثقافية أبوية، رحمه الله وعوضنا عنه خيراً»^(١).

وقال عبد الغني بن ناجي القش :

«كان الشيخ في أحد الليالي الرمضانية يصافح من استمعوا إلى الدرس، وإذا برجلٍ من المغالين في المشايخ أخذ يغالي في الشيخ، ويقول كلاماً فيه غلوٌ كبير، فما كان منه رحمه الله إلا أن دفع ذلك الرجل وقال له: أصلحك الله، أصليح عقيدتك أولاً، وبعد ذلك التفت إلى طلابه وسألهم أن يأتوا بالرجل الذي فعل ما فعل، وأخذ يحدّثه ويلاطفه، ثم خصص الدرس بعد ذلك في الغلوّ والمغالاة، وكيف أنه كانت سبباً في عبادة غير الله عز وجل»^(٢).

وقال الشيخ راشد الزهراني :

«يقول رحمه الله تعالى : كنت في مطار الملك عبد العزيز بمجدة، فتأخرت الطائرة، فأردت أن أستفيد من الوقت، وفي مصلى المطار بدأت أتحدّث عن اتباع

(١) الندوة، عدد ١٢٨٤١، نقلاً عن صفحات مشرقة، ص ٥٢.

(٢) المدينة، العدد ١٣٧٩٢.

السنة، وعن فرقة النيجانية وأما فرقة ضالّة، فقال أحد الأخوة : يا شيخ لو سمحت لي أن أترجم كلامك إلى لغة (الموسا)، لوجود أناس كثير يتحدثون بهذه اللغة، يقول الشيخ : وبدأت بالحديث وهو يترجم، وفي أثناء الكلام قال شخصٌ : يا شيخنا أنت تزم الطائفة وهو يثني عليها، فأجلسه الشيخ، ولم يعد يثق في كل مترجم، وكان يقول : تمنيت أني تعلمت اللغة الإنجليزية»^(١).

وقال د. أحمد بن سليمان العريبي :

«كان رحمه الله يعمل بالعلم ويطبّقه بخدافيره، ففي يوم من أيام شوال كنا في درسه في قاعة كآبة الشريعة بالقصيم، فسأل أحد الطلاب الشيخ عن أناس اعتمروا في رمضان الماضي، فلمّا دخلوا الحرم ورأوا الزحام الشديد رجعوا إلى بلدهم ولم يتنموا عمرتهم، فقال الشيخ : أتعرفهم ؟ قال : إن زميلاً لي يعرفهم قد أوصاني بالسؤال، فقال الشيخ : اخرج الآن وبلغه ليأمرهم الآن بالتوجه إلى مكة، وإتمام نسك العمرة، فقال الطالب : حسناً، سوف أخبره بعد المحاضرة، فقال الشيخ : لا تنتظر، اخرج الآن وأخبره، فخرج الطالب من فوره»^(٢).

وقال الشيخ عبد الله الجلالي :

(أذكر أنا كنا في حفل في عنيزة قبل أكثر من عشرين سنة، فقام أحد الشعراء هداه الله وبجسن نية فأنثى على رجلٍ من المسؤولين، فقال : لك النهي والأمر. فغضب فضيلته رحمة الله عليه وقال : هذا لا يكون إلا الله هو الذي له النهي والأمر، وكان ذلك المسؤول أيضاً رجلاً فاضلاً فشكر فضيلة الشيخ وقال : جزاك

(١) شريط معالم في حياة فقيد المسلمين ابن عثيمين، نقلًا عن صفحات مشرقة ص ٩٧.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

الله خيراً، أنا لا أستحقّ هذا لأن هذا من اختصاص الله عز وجل، هو الذي له النهي والأمر، خصوصاً وأن تقدّم ما حقّه التأخير في الكلام يدلّ على الحصر والنهي، والأمران محصوران لله عز وجل»^(١).

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيسي :

«مرّة بعد أن انتهينا من السعي للعمرة خرج الشيخ ليحلق رأسه، وإذا برجلٍ خارج المسعى يمسك بسيجارة، فوعظه الشيخ بكلمة طيبة، فكأن الرجل لم يعر الشيخ اهتماماً ومضى، فلحقت به وقلت له: أتدري من هذا الذي يعظك؟ إنه الشيخ ابن عثيمين، فقال: صحيح! ابن عثيمين؟ فانطلق فاعتذر من الشيخ، ويقبله في رأسه، فقال له الشيخ: إذا كنت تريدني أقبل اعتذارك فاترك هذا الحبيث، فوعد خيراً»^(٢).

قلت : ومما أذكره من المواقف في هذا الأمر العظيم ما يأتي :

في مكة المكرمة جاء الشيخ لأداء العمرة في حدود سنة ١٤١٣هـ وطلبت منه أن الأزمه أثناء النسك للسؤال والاستفادة من عمله وعلمه، وكنت أسأله بين الحين والآخر عن مسائل.

وقد سألته عندما كان يشرب ماء زمزم بعد صلاة الركعتين خلف المقام، هل صح في استقبال القبلة شيء في هذا الموطن؟ فقال : لا.

وبعدما انتهى الشيخ من السعي ذهبت معه إلى الحلاق بجوار المروة فطلب منه الشيخ أن يخلق شعره ويأخذ من شعر الأذنين وأنا واقف خلفه أثناء الحلاقة قد عرضت عليه أن أدفع لمن الحلق فرفض.

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٢) الأربعاء، يوم ٢٩/١٠/١٤٢١هـ.

وبعدما انتهى أعطيت الحلاق الأجرة وأعطاه هو أيضاً الأجرة، ووجد عند الحلاق لوحة مكتوب فيها «ممنوع حلاقة الذقن» فأعجب الشيخ جداً وقام للحلاق وشكره وحثه على عدم حلق اللحية وأخبره أن هذا حرام. كل هذا والحلاق لا يعرف من الشيخ وهو في ذهول من أمره.

موقف آخر :

كنا مع الشيخ في زيارة لمدينة الرُّس وركبنا معه في السيارة، وكان يطلب من كل واحد منا أن يقوم بقراءة شيء من القرآن، إلى أن وصلنا. دخل الشيخ على بعض الوجهاء في هذه المدينة، وكان ينهاهم عن التصاوير التي توضع في المجالس، فيستمعون لأمره ويجيبونه لما أمر به.

وجاء وقت العشاء وجلسنا نأكل على الأرض وكان وراءنا بعض الخدم قياماً للخدمة، فنهاهم الشيخ عن الوقوف على رؤوسنا كما يقوم الأعاجم للوكهم ومعظميهم.

ومن تلطف الشيخ في الإنكار عند الحاجة إليه :

ذات يوم كان الشيخ يصلي الظهر إماماً كعادته في مسجده، وخلفه مجموعة من المصلين من مصر؛ من صعيدها وكان إذا كبر الشيخ رفعوا أصواتهم بالتكبير خلفه.

فحاء الشيخ ذات يوم وقال : يا أبناء وادي النيل لا ترفعوا أصواتكم بالتكبير.

ومسألة إنكار المنكر مسألة عظيمة هلك فيها من هلك، وغلا فيها من غلا، من لدن الخوارج ثم المعتزلة فمن بعدهم منهم جماعات التكفير وغيرهم ممن لا يراعون الوسائل الشرعية في إنكار المنكر، ولا يقفون على كلام أهل العلم في مراتب إنكار المنكر.

وفي أحد الأيام في دروس الصباح في الصيف قام أحد الطلاب معترضاً على الشيخ قائلاً: انتشرت المنكرات والمعاصي كالربا والفاحشة والأفلام الماجنة... وغيرها.

فلماذا يسكت العلماء؟ وما هو دوركم؟ ولماذا لا تنكرون المنكر؟

فأجابه الشيخ بحكمة ورفق قائلاً: وما أدراك أننا لم تنكر المنكر ولم نأمر بالمعروف. بل نحن ننكر المنكر ونأمر بالمعروف، لكن هل يلزم من كل من ينكر المنكر أن يُستمع له، وهل يلزم أن يخبر الناس أنه أنكروا المنكر؟

فكانت هذه إجابة حكيمة من الشيخ تُنقل للمتحمسين والمتحاملين على شيوخهم في كل عصر ومصر ممن يهتمون أهل العلم الربانيين بالتقاعس عن إنكار المنكر. ومما أذكره في هذا الباب :

أن الشيخ كان سيحاضر في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان يوجد بالقاعة الكبرى عدد من كاميرات التصوير بالفيديو، فقام الشيخ قبل صعوده المنصة للمحاضرة بالمرور على أصحاب الكاميرات ونكسها بنفسه واحدة بعد واحدة، ثم صعد على المنصة وقبل بدأ المحاضرة، قال: إنني لا أسمح لأحد بتصويري، ومن صورني فأنا خصمه يوم القيام، ثم بدأ في المحاضرة.

فليسمع هذا كل من لا يفقه قول الشيخ في التصوير الفوتوغرافي الذي يكون لحاجة الشخص كالهوية وغيرها وبين التصوير للاقتناء والذكرى.

وقد نسب إلى الشيخ في هذا الأمر شنائع من جراء الفهم المغلوط لفتوى الشيخ.

وقد نُوقِش الشيخ كثيراً في هذا الأمر في أن عموم الأدلة تدل على منع كل أنواع الصور إلا ما استثنته الضرورة كما عليه فتوى شيخنا العلامة ابن باز رحم الله الجميع وغفر لهم.

(١٩) اهتمامه بأحوال المسلمين في العالم، وفقهه بالواقع.

قال د. عبد الله بن محمد الرميان :

«مما يجدر بالذكر أن الشيخ رحمه الله لم يسافر خارج المملكة طوال عمره إلا مرة واحدة في إجازة الصيف الماضي لتشخيص المرض الذي أصابه، وكان يرى أن بقاءه في الداخل أكثر نفعاً وأجدي، لكنه كان شديد الحرص على مقابلة المسلمين من سحتي بلاد الدنيا عند قدومهم للحج أو العمرة، وأذكر أنني دعوته ذات مرة لتناول طعام العشاء، وكان رحمه الله لا يردّ الدعوة إلا عند عدم استطاعته لإحابتها، فوافق على ذلك، ثم أرسل لي أحد تلاميذه بعد صلاة العصر للاعتذار، وطلب تأجيل الموعد لأن هناك وفداً من المسلمين الأمريكيان طلبوا لقاء الشيخ، فخشي الشيخ أن يمتد الوقت بهم، فاعتذر، وفعلاً بقي معهم الشيخ إلى قرب منتصف الليل، وهذا يدل على حرصه رحمه الله على مقابلة المسلمين، والوقوف على مشاكلهم رغم عدم سفره إلى بلادهم»^(١).

وقال الشيخ عقيل بن عبد العزيز العقيل : «إن الشيخ كان يهتم بقضايا المسلمين في كل أنحاء العالم، وكان يتصل بي شخصياً في كثير من المرات يسأل ويستفسر عن أحوال المسلمين سواء أيام البوسنة، وأفغانستان، وكوسوفا، وكان يتابع متابعة دقيقة لبعض المشاريع، ويحرص عليها، ويخصص جزءاً من محاضراته ودروسه لتوعية الناس بهذه القضايا، ويحث على دعمها، وأذكر أنني زرت الشيخ في مسجده الجامع الكبير في عنيزة، وبدأت أحدثه بعد الصلاة عن بعض القضايا

الهامّة، وكان طبعاً المسجد مليئاً، وأمرني أن أنزل إلى القبو وأنتظر هناك، ونزل خلقي، وجلسنا وحدنا منفردين، وكان يصغي باهتمام للقضية التي أطرحها عليه، وكان يعطي توجيهاته ونصائحه رحمه الله رحمة واسعة»^(١).

وقال د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس :

«أذكر أنني مرّة في إحدى الدول الغربية، دخلت أحد المراكز الإسلامية وفيه مكتبة متواضعة، فإذا أنا بمجموعة من طلاب العلم في هاتيك الديار من محبي الشيخ رحمه الله تعالى وهم لم يروه، وقد عكفوا على كتبه ومؤلفاته ورسائله، يقرؤونها، ويبدلون جهدهم في ترجمتها بلغتهم، فقلت : سبحان الله الذي كتب لشيخنا القبول حتى في مجاهل الغرب وأفاصي الدنيا، ولقد بشرته بذلك فسراً كثيراً، وهذا من عاجل بشرى المؤمن، وقد كان يسألني عن أحوال المسلمين في الدول التي أزورها، ويشجعني على الاستمرار في ذلك كثيراً، فجزاه الله عني خير الجزاء»^(٢).

وقال ناصر السعدي :

«كان الشيخ رحمه الله جليلاً وصابراً، مستمراً في العلم والعبادة دائماً على ذلك، وأذكر أنه عندما علم بالحرب الإسرائيلية ضد الفلسطينيين تأثر كثيراً، وظهر ذلك واضحاً في قسّات وجهه، وهذا دليل على اهتمامه بواقع المسلمين، وله جهود واضحة في ذلك»^(٣).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«رغم مرض الشيخ حرص على خطب الجمعة في الجامع الكبير والإمامة والالتقاء بالناس للإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم رغم كلِّ معاناته حتى قيل له في وقت مرضه : أرح نفسك يا شيخ، قال : الراحة في خدمة المسلمين»^(١).

وقال د. عبد الله الموسى :

«ذهبت للولايات المتحدة الأمريكية، وكرمني الشيخ برقم الهاتف الخاص في المنزل، وطلب منِّي ألا أستخدمه إلا في الحالات القصوى التي تحدث دائماً في بلاد الغرب، ويتج عدم الفصل فيها إلى الفتنة والفرقة والشقاق والنزاع، وكنت أستخدم هذا الهاتف بين الفينة والأخرى، وكم كان هذا مفيداً على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية، فقد اتصلت به مراراً، ولا سيما عندما يبلغ الخلاف الحلقوم، وبهذا الرقم الخاص انكشفت كرب، وانحلت عقد، واتحدت قلوب بهذه الفتوى، حتى إنه في أحد الأيام أحد الإخوان لم يصدقني في قول ابن عثيمين، فنقلته له وقال : لا مانع لديّ أن يكون اللقاء مباشراً عبر الهاتف، وأنا مستعد للمناقشة، ومرة الأيام، وفي زيارتي السنوية للمملكة العربية السعودية أعود لمجلس الشيخ مرة أو مرتين، وأذكر له بعض الصور الموجودة هناك وأحوال المسلمين، وأعرض عليه بعض الفتاوى، وكان يكتب ويسر، وكنت أناقشه بصراحة إلى درجة أنه رفض الفتوى في موضعين لما أخبرتته بكامل القضية ولم يعطيني جواباً، وقال : اسأل غيري»^(٢).

(١) شريط (أحب لقاء ربّه) تقرأ عن صفحات مشرقة لحمود المطر ص ٦١.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٢٧.

وقال الشيخ توفيق الصائغ :

«لما عاد من رحلته العلاجية وقد أمضى أربع عشرة ساعة في الجو منتقلاً من الولايات المتحدة إلى المملكة، فلما وصل إلى الطائف اتصل بي هاتفياً، وقال رحمه الله تعالى : (إذا استطعت أن تعلم الناس في المواقع [مواقع الإنترنت] برقم هاتفنا في الطائف، وأنا انتقلنا إلى هناك فافعل حتى لا يُحرم الناس من السؤال والفتيا».^(١)

قال الشيخ سعد بن عبد الله البريك :

«ما تروان عن النصيح والإرشاد بعد أن دامه المرض، وأهتك قواه، وفتك جسمه، يروي من رافقه في رحلة العلاج إلى (أمريكا) يقول : أمضى الشيخ عشرة أيام ملأها بمجملات تفسير القرآن وتعليمه، والفقه ومدارسته، وتحول جناحه في المستشفى إلى حلقة من حلق العلم والفتيا والذكر والدعوة، اجتمع برؤساء المراكز الإسلامية الذين زاروه في المستشفى، فأكثر عليهم النصيحة وأعاد وكرر عليهم أن يتقوا الله، وأن يتحدوا وأن يتكاتفوا، وأن يجمعوا كلمتهم، وأن يعتصموا بمجل الله جميعاً، وأن يبنذوا الفرقة، وأن يبدؤوا الحوار بينهم باللين والحكمة والحسن، وأن يتباعدا عن رمي بعضهم بالعبارات التي لا تليق، أو اتهام بعضهم بما لا يجوز من سيء الظنون».^(٢)

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«كان يحمل همّ الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ففي ذات يوم كنا عائدين إلى السكن بعد الدرس الذي كان يلقيه عقب صلاة الفجر في المسجد

(١) شريط (وداعاً العثيمين) نقلًا عن صفحات مشرقة ص ٧٥.

(٢) شريط (ربانيون على فراش الموت) نقلًا عن صفحات مشرقة ص ٨٥.

الحرام، ووصلنا إلى السكن حوالي الساعة السابعة والنصف تقريباً لينام الشيخ وقت الضحى، فقد كان لا ينام في العشر الأخيرة من رمضان إلا في ذلك الوقت، حيث كان يجلس في غرفة في المسجد الحرام للرد على أسئلة المستفتين من بعد صلاة العصر إلى صلاة المغرب شفهاً لمن يقدم عليه، وتليفونياً لمن يتصل به، وبعد صلاة التراويح يجلس للدرس حتى صلاة القيام، ثم يصلي القيام وبعده ينام نصف ساعة فقط قبل السحور، ثم يصلي الفجر ويجلس للدرس حتى الشروق، فلا يجد وقتاً للنوم إلا وقت الضحى، وهكذا بقية العشر.

أعود للقصة عندما وصلنا للسكن، دخل الشيخ لينام وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف لمقابلة وفد قدم من إحدى الدول الإسلامية، وبالفعل لم تقترب عقارب الساعة من التاسعة والربع حتى وصل الوفد، فأخبرتهم أن الشيخ نائم، وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف.

واقترحت عليهم لو أنهم انتظروا ساعة أخرى حتى يستريح الشيخ فوافقوني بلا تردد، وما أن تجاوزت عقارب الساعة التاسعة والنصف بقليل حتى وجدت الشيخ قد استيقظ من تلقاء نفسه، وسألني عن الوفد، فأخبرته أنهم وصلوا، وأعلمته بما قلت لهم فعاتبني، وقال: سأمحك الله، كان عليّ أن أكون في استقبالهم»^(١).

وقال حمود الشميمري:

«زرته في بحيمه في منى مع عددٍ من إخواننا حديثي الإسلام للسلام عليه وإلقاء بعض الأسئلة، وكان رحمه الله عند دخولنا عليه يلقي درساً على عدد كبير من الحاضرين، فأسررت له أن معي بعض الأخوة الأمريكيين والأوروبيين يرغبون

(١) الأربعاء، عدد يوم ٢٩/١٠/١٤٢١هـ.

بالسلام عليه، والاستفادة في بعض الأمور التي تمهم في بلاد الغرب، فما كان منه رحمه الله إلا أن طلب من أحد المشرفين على المخيم أن يستضيفهم في خيمته الخاصة حتى يفرغ من إلقاء درسه، وما هي إلا دقائق معدودة وإذا به يدخل علينا في خيمته هاشأً باشأً مرحباً بالأخوة حديثي الإسلام، ويهنتهم على نعمة الإسلام، ثم بين لهم وسائل الثبات ومسؤولياتهم نحو أسرهم وأقاربهم، وبجتماعهم، ثم جلس بعد ذلك يستمع إلى أسئلتهم، ويبيح عليها بكلّ اهتمام وسعادة، ويكرّر الإجابة للاطمئنان على فهمهم لها، وكنت أقوم بدور الترجمة، فأكد عليّ رحمه الله الاهتمام بهم، وتقديم كلّ ما يحتاجونه للتفقه في دينهم وتقديم أي مساعدة يحتاجونها، ثم ودّعهم رحمه الله بأحسن ما يكون التوديع، ودعا لهم^(١).

وقال عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي :

«أذكر في غير مرة - رحمه الله - كنا إذا حدثناه عن عملٍ خيري هنا أو هناك، يساهم بدعمه، ليس دعماً مادياً فقط، بل بالتوجيه والنصح والتحرّي في بذل المال، ولو أردت ضرب الأمثلة فإن المقام لا يسمح لذلك، ولكنني أذكر أنه في أحداث البوسنة والمهرسك كان كثيراً ما يطلب مني المرور عليه لأخذ الأموال التي وصلت إليه، وإيصالها إلى هناك، ولقد قمنا بطباعة عددٍ من الكتب على حسابه بواسطة مكتب هيئة الإغاثة، أو بواسطة الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة أو غيرها..

وكانت له صلة مباشرة رحمه الله مع المسلمين العاملين في البوسنة والمهرسك حتى إنه أقام درساً أسبوعياً توجيهياً لأحد المراكز الإسلامية بالماتف في البوسنة إبان أزمة ذلك البلد.

(١) جريدة المدينة، العدد ١٣٧٨٢.

وتكرّر اهتمامه رحمه الله، واتسعت همومه لعدد من قضايا المسلمين التي كان يشجعنا على العمل فيها وجمع التبرعات لها، بل وتخصيص خطبة الجمعة عنها كقضايا الشيشان التي حظيت بنصيب من اهتمامه، كبير في أواخر حياته رحمه الله، وكذلك قضية فلسطين، وكشمير، والفلبين، وإندونيسيا.

وأقننا بواسطته عدداً من المراكز العلمية في العالم، التي كان يدعمها ويشارك في إلقاء المحاضرات بها، وإرسال الكتب والأشرطة إليها، وربما أن كثيراً من حوله لم يعلموا بذلك؛ لخصوصيته المتميزة - رحمه الله - في ذلك»^(١).

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«بلغني من أحد طلابه أنه كان قليلاً من الليل ما ينام في أوقات النوازل الكبيرة على الأمة خصوصاً في أيام أزمة الخليج ومأساة إخواننا في البوسنة والشيشان؛ حيث كان يقوم الليل ويدعو ربّه لهم بالنصر والثبات، وردّ كيد أعداء الدين عنهم، وكذلك دعاؤه للمسلمين وحثهم للوقوف معهم»^(٢).

وقال الشيخ محمّد بن صالح المنجد :

«لقد اهتم الشيخ بأمر الجهاد، ومن ذلك جهاد المسلمين في بلاد البوسنة والهرسك، وكان قد خصّص من وقته ساعة أو أكثر في كلّ أسبوع لأمر الجهاد في البوسنة يتصلون به فيفتيهم، وينظر في حاجتهم، ويسمع أخبارهم ويستشير بما وينشرها، واتصل به بعض المجاهدين من البوسنة مرّة، وسألوه عن حكم قتل الخطأ؟ وماذا يجب على القاتل؟ واحداً من المسلمين قتل أنجاه المسلم في الجهاد خطأ، فبعد

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٠.

(٢) شريط (أحبّ لقاء ربّه) بواسطة صفحات مشرقة ص ١٦٣.

الإجابة؛ الشيخ لما أجابهم بما يجب عليهم من حقّ الله وحقّ أهل القتيل قال : أما دبة المقتول فعليّ، وسأرسلها لكم إن شاء الله تعالى، وكذلك كان اهتمامه بالجهاد في الشيشان حتى ذهب بعض طلابه إلى هناك يعلمون ويدرسون، ويشرفون على تطبيق الشريعة في بلاد الشيشان...»^(١)

الشيخ ومحنة فلسطين والشيشان.

قد عاصر الشيخ طيلة حياته العديد والكثير من محن الأمة الإسلامية العالمية ابتداءً من محنة احتلال اليهود لفلسطين وانتهاءً بمحنة اغتصاب الرّوس لبلاد الشيشان. وقد كان للشيخ تجاه هذه المحن مواقف عظيمة لم يدخر فيها وسعاً للدفاع عن قضايا أمته بشقّى الوسائل، ومساعدة هذه الشعوب المسلمة المتّحنة. فقد كان رحمه الله تعالى يبذل ما يستطيعه من جهدٍ مادّي وعلميّ ودعويّ في سبيل نصرة إخوانه المسلمين.

من ذلك : «في قضية فلسطين».

ما قاله رحمه الله تعالى في خطبته التي ألقاها بعد احتلال فلسطين بحوالي ثمان سنوات، قال فيها :

«أيها الناس ! فلقد مضى على احتلال اليهود للمسجد الأقصى أكثر من ثمان سنوات وهم يعيشون به فساداً، وبأهله عذاباً، وفي هذه الأيام أصدرت محكمة يهودية حكماً يجوز تعبد اليهود في نفس المسجد الأقصى.

ومعنى هذا الحكم الطاغوتي إظهار شعائر الكفر في مسجد من أعظم المساجد الإسلامية حرمة...».

(١) شريط (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين).

ثم ذكر فضل المسجد الأقصى والأدلة على ذلك.

ثم ذكر الحن التي مرّ بها المسجد الأقصى خلال القرون الماضية.

ثم قال: «وفي ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ احتلّه اليهود، أعداء الله ورسوله بمعونة أوليائهم من النصارى، ولا يزال تحت سيطرتهم ولن يتخلوا عنه، وقد قالت رئيسة وزراءهم فيما بلغنا: «إن كان من الجائز أن تنازل إسرائيل عن تل أبيب، فليس من الجائز أن تنازل عن أورشليم القدس نعم؛ لن تنازل إسرائيل عن القدس إلا بالقوة».

ولا قوة إلا بنصر من الله عز وجل، ولا نصر من الله إلا بعد أن نصره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

وإن نصرنا لله لا يكون بالأقوال الراقية، والخطب الرنانة التي تحوّل القضية إلى قضية سياسية، وهزيمة مادية، ومشكلة إقليمية.

وإنها والله لمشكلة دينية إسلامية للعالم الإسلامي كله.

إن نصر الله عز وجل لا يكون إلا بالإخلاص له، والتمسك بدينه ظاهراً وباطناً والاستعانة به، وإعداد القوة المعنوية والحسية بكل ما نستطيع، ثم القتال؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وتظهر بيوته من رجس أعدائه.

أما أن نحاول طرد أعدائنا من بلادنا ثم نسكنهم قلوبنا بالليل إلى منحرف أفكارهم، والتلطّخ بسافل أخلاقهم.

أما أن نحاول طردهم من بلادنا، ثم يلاحقهم رجالٌ مستقبل أمتنا يتجرّعون أو يستمرون صديد أفكارهم، ثم يرجعون يتقبّوونه بيننا.

أما أن نحاول طردهم من بلادنا، ثم نستقبل ما يرد منهم من أفلام فاتنة، وصحف مضلّة.

أَمَا أَنْ نَحْوَل طَرْدَهُمْ مِنْ بِلَادِنَا مَعَ مِمَارَسَةِ هَذِهِ الْأُمُورِ، فَذَلِكَ التَّنَاقُضُ الْبَيِّنُ، وَالْمَسْلُكُ غَيْرُ السَّلِيمِ.

وَالفَجْوَةُ السَّحِيقَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّنَصُرِ ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَقِيبَةُ الْأُمُورِ﴾.

نَعَمْ، أَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ. لَا كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمَذْبَعِينَ أَيَّامَ الْحَرْبِ مَعَ الْيَهُودِ فِي عَامِ ٨٧ هـ غَدَا تَغْنِي أُمَّ كَلْتُمُومٍ فِي قَلْبِ تَلِ أَيْبِ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، لَقَدْ صَلَّى غَدَاةً فَتَحَ مَكَّةَ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ، إِمَّا شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْفَتْحِ خَاصَّةً، أَوْ تَعْبُدًا بِصَلَاةِ الضَّحَى، وَالْعِبَادَةَ مِنَ الشُّكْرِ، وَهَكَذَا حَالُ الْفَاتِحِينَ فِي الْإِسْلَامِ، يَعْقُبُونَ الْفَتْحَ بِالشُّكْرِ وَالتَّقْوَى.

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَقِيمُوا شَرِيعَتَهُ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

اللَّهُمَّ انصُرِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَطَهِّرِ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى مِنَ الْيَهُودِ وَالتَّنَاقُضِ وَالْمُنَافِقِينَ...»^(١).

رَحِمَ اللَّهُ ابْنَ عَثِيمِينَ، كَمْ كَانَ قَفِيهَا بِوَأَقِعِ الْأُمَّةِ، قَفِيهَا بِحَكْمِ الشَّرْعِ، وَلَيْسَ كَمَا يَدْعِي بَعْضُ الْأَغْمَارِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ عَنْ وَاقِعِ أُمَّتِهِ شَيْئًا.

وَاللَّهُ إِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ بِهَذَا التَّحْلِيلِ الدَّقِيقِ، وَالتَّشْخِصِ لِلدَّاءِ، وَوَصْفِ الدَّوَاءِ لِحَقِيقَةِ أَنْ تَكْتُبَ بِمَاءِ الذَّهَبِ عَلَى أَوْرَاقِ الْفِضَّةِ.

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع للمترجم رحمه الله تعالى ص ٦٦٢ - ٦٦٥.

ووالله إن أسباب العلاج أو التصر التي أوردتها مع اختصارها ووجازتها لجديرة أن تجتمع عليها الأمة الإسلامية والعربية بمؤتمراتها وجامعاتها، بل وجيوشها لدراستها وتدريسها والعمل بها للخروج من هذا المأزق التاريخي الذي امتحنت به أمة الإسلام اليوم، وإلى الله المشتكى، وهو وحده المستعان.

وأما قضية مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان :

فقد كان الشيخ مهتماً بما غاية الاهتمام، وكما يقال الآن «على مستوى الأحداث» جمعاً للمال لدعم المجاهدين، ودعاءً لهم، وحثاً على الجهاد معهم، واتصالاً بهم هاتفياً، وتخصيصه الأوقات للرد على استفساراتهم، واستضافة وافدهم، وبيان قضيتهم في محاضراته وخطبه وكلماته.

فرحمه الله تعالى، ما كان أنصحه ! وأحرصه ! وأشفقه ! على إخوانه المسلمين. وقد سمعت منه رحمه الله تعالى محاضرة عظيمة في نصرة إخواننا في الشيشان بجامع الراجحي بالربوة بالرياض أثناء اشتداد المأساة.

جاء فيها : «الأمة الإسلامية في هذه الأيام تستقبل شهر رمضان المبارك، ولكنها تعيش في ألمٍ ونكدٍ فيما يجري لإخواننا في الشيشان، من تسلط أولئك الملحدن الروس عليهم، لا لشيء؛ إلا لأنهم شرعوا في نشر الدين الإسلامي الصافي من البدع في بلاد البلقان.

ولكن أعداء الإسلام لا يرضون بهذا أبداً، سواء كانوا من الملحدن الشيوعيين، أو من اليهود، أو من النصارى، أو غيرهم.. وهذا ظاهر.

ولما أرادت تيمور الشرقية «يعني في بلاد إندونيسيا» وهي جزء من الأمة الإسلامية لما أرادت أن تتحرر لأن أكثرها نصارى، قام الغرب وقعد، وهيا

الأسطول الجوي والبحري والبري؛ من أجل أن ينفصل هذا الجزء من إندونيسيا لأن أكثره نصارى.

أما جمهورية الشيشان الجمهورية الفتية التي عرفت حقيقة الحياة، وعرفت حقيقة التوحيد، وعرفت الدين الصافي، فهي عند الغرب منشقة؛ والمجاهدون فيها إرهابيون، وما أشبه ذلك..

ولكني أقول ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. إننا لن نياس ولن نقط، وسوف يرجع الروس على أعقابهم مخنولين مهزومين إن شاء الله كما رجعوا في أول مرة.

وإن من حقّ إخواننا علينا، بل أدنى حقّ؛ أن ندعو لهم أن ينجيهم الله من القوم الظالمين، وأن ينصرهم على القوم الكافرين، في أوقات الإجابة وفي أحوال الإجابة.....». وذكر أوقات الدعاء.

ثم قال: «المسألة خطيرة، وليت المسلمين عرفوا قدر هذه النكبة وقاموا ينكرون عليهم..

فردى ومثنى ينكرون على الروس، وينكرون على دول الغرب، لأن دول الغرب نصرانية كافرة، والروس ملاحدة كفار، والله يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

لا تقل: هؤلاء أهل كتاب بدعواهم، وهؤلاء ملاحدة، كلهم سواء، كلهم حرب على الإسلام.

لهذا كان الواجب على الدول الإسلامية - وأرجو الله أن يصل كلامي أسماعهم - أن ينفروا خفافاً وثقالاً إلى نصره هؤلاء؛ ولو بالكلام.

أما السكوت هكذا ولا كأن شيء كان، هو والله مزرى.

وليس حزننا أن نهمز دولة مقابل دولة؛ حزننا أن هذا هزيمة للإسلام، لأن الروس ما تسلطوا هذا التسلط إلاّ خوفاً من الإسلام، مع أننا نسمع أن اليهود يساعدون الروس على القتال هذا، واليهود أعداؤنا.....».

ثم قال : «نما موقفنا الآن ۱۱؟؟ :

من المعلوم أننا ليس لنا حيلة ولا قدرة ولا قوة.

وأنّ الموقف كان يجب أن يكون من الدول الإسلامية في إنكار هذا الأمر الفظيع، ولكن قدر الله وما شاء فعل، موقفنا الآن هو أن ندعو الله عز وجل...».

ثم شرع الشيخ في دعاء طويل مؤثّر، جاء فيه :

«اللهم : إنا نسألك في مقامنا هذا ونحن في انتظار فريضة فرضتها علينا (يعني صلاة العشاء) نسألك اللهم في هذا المقام أن تنصر إخواننا في الشيشان... اللهم أنزل بالروس بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين».

ثم قال : «أيها الإخوة : أكثروا من الدعاء لإخوانكم :

مخلصين لله، محبتين إليه، مضطرين إليه، أكثروا من الدعاء لهم فإنهم في محنة عظيمة، الصواريخ تدمر بلادهم، وتقتل شيوخهم وأطفالهم ونساءهم وتهدم مساجدهم.....».

ثم قال : «ادعوا الله لهم بإخلاص في الفروض والنوافل، في انتظار الصلاة، في التهجد، ادعوا لهم، ادعوا لهم، هذا أقلّ الواجب عليكم، نسال الله أن يتقبل دعاءنا...» آمين.

(٢٠) منهجه مع ولاية الأمور :

قال العقيد الركن علي بن محمد الخشان :

«مما يحسن ذكره عن الشيخ حرصه على تبجيل ولاية الأمر، وعدم تشويه سمعتهم، ومع ذلك فهو يسارع إلى إنكار أي منكر يراه بالكتابة والاتصال، وهو - رحمه الله - جمع بين تبجيل ولاية الأمر، وعدم المغالاة في الإطراء بمناسبة وبغير مناسبة، وهذه والله وسطية عزيزة»^(١).

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايح :

«ومن مجالات حرص الشيخ على جمع الكلمة تأكيده وعنايته على ضرورة الاجتماع على ولاية الأمر، وتحذيره من كل ما يؤول إلى الخروج عليهم ومشافتهم، مع قيامه في الحين نفسه بواجب النصيح بالحكمة والموعظة الحسنة»^(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن النهائي :

«وأذكر أنه كان يأمر الخطباء بالتأتي وعدم الاستعجال، والتثبت في الأمور، وعدم الخروج على النظام، وعدم استشارة الناس في الخطب، وبليلة أفكارهم»^(٣).

وقال أيضاً :

«وفي مجال توجيهاته العامة والخاصة كان يحرص على الانتظام في الأعمال وطاعة وليّ الأمر، ويشدّد في ذلك، ويرى أن معصيتهم من كبائر الذنوب، ويحذر

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

من مغبة الاختلاف والتنازع، ويعالج بالحكمة وبيان الحق. فكان رحمه الله أنموذجاً من نماذج الخير، وينبوعاً من ينابيع العلم»^(١).

وقال الأمير فيصل بن بندر :

« كان يوصيني دائماً بمخافة الله سبحانه وتعالى أولاً، وثانياً الالتزام والاهتداء بولاة الأمر، الذي كان حريصاً طيلة عمره على تنفيذ أوامره وتوجيهاته.

و كنت أشعر أن لولاة الأمر عنده مكانة عظيمة لديه...».

وقال :

« لقد كانت تربطه بولاة الأمر عدة أمور :

أولاً المحبة، ثم التقدير له لأنهم يرون أنه بالفعل على قدر كبير من العلم، والحكمة، والمعرفة، والمحبة لهم.».

وقال :

« كان مطلعاً على أمور كثيرة في العالم، ويعرف ما يدور فيه، وكان صاحب إدراك واسع جداً.

ولم يكن يهمل حق ولادة الأمر، ووجوب الالتزام بأوامرهم، مشدداً على ذلك في حديثه للأساتذة والطلاب معاً»^(٢).

(١) المصدر السابق.

(٢) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

(٢١) أدب الشيخ :

قد رزق الله الشيخ ابن عثيمين أدباً جمّاً مع العوام والخواص من قاصٍ ودانٍ.
ومن ذلك :

أنني في أحد المرات كان لي لقاء مع الشيخ سبق أن حجزت مواعده من شهر سابق، وكان اللقاء بعد صلاة العصر، وبعد الانتهاء من الصلاة اقتربت من الشيخ وذكرته بالموعد الذي أعطانيه لمناقشة بعض الإشكالات أثناء قراءاتي ومذاكراتي.

ثم لما بدأنا في المناقشة جاء رجل وقال للشيخ : إن امرأة بالباب ترغب في سؤال الشيخ، فلما همّ الشيخ بالقيام قلت له يا شيخ : هذه الساعة من حقي، فرجع الشيخ إلى مكانه وقال للسائل : استأذن من الأخ صاحب الموعد، فمكث الرجل يلح عليّ في ذهاب الشيخ لقضاء حاجة المرأة، فأذنتُ له، بشرط أن لا يتأخر، فترك الشيخ مشلحه (العباءة) عندي ووعدني بأن لا يتأخر.

فانظر إلى هذا الأدب الجمّ في معاملة أحد طلابه.

فرحمه الله من إمام وأعلى درجته في الجنة.

وما أذكره أيضاً : أن الشيخ رأي ذات يوم وأنا أصلي أنزل على يدي بدلاً من ركبتي.

وقد كان الشيخ يفني ويرى صحة الزول على الركبتين، فلما كلمني مُتكرراً عليّ ذلك ناقشته بالأدلة، وقد كتبت في ذلك رسالة وجمعت فيها كلام أهل العلم. والجواب عما قاله ابن القيم في الزاد من انقلاب الحديث على الراوي وسميتها : «إزالة الشكوك، حول حديث البروك».

فلما رأى الشيخ أن مخالفتي هذه عن علم، ترك الإنكار عليّ.

وهذا من أدب الشيخ وفقهه. غفر الله له.

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع :

«مهما التقيت بالشيخ فأنت واجدٌ تلك الابتسامة التي تنبئك عن حسن الطوية، وصفاء السريرة من الشيخ نحو الآخرين. وكان الشيخ يرغب المهابة التي يضيفها عليه ما أتاه الله من العلم في دينه والبصيرة فيه. كان يلقي الناس بالخفاوة، والمبالغة في الترحاب بهم، وسؤالهم عن أحوالهم، ولو كان من أمامه صغيراً في سنّه»^(١).

وقال الشيخ منصور بن تركي المطيري :

«كان رحمه الله تعالى كريم الأخلاق، لطيف المعشر، كثير البذل، لا يرّد سؤال سائلٍ ولا حاجة طالب، وكان لطلابه مثل الأب لأبنائه، بل كان أقرب»^(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهائي :

«ثم أوصاني بكلماتٍ جميلات، وقطوفٍ دانيات، فقال : احطب وأنكر المنكر، ولا توغل ولا تدخل في الأمور الشائعات، ولا في الأحوال غير المعينات، وألح فيما تقصده من تصرّجات.

وأذكر أنه قال في أحاديثٍ عن موضوع الخطب أن أعواد المناير ليست للفضائح والشوائم، وكان يوجّهنا بالالتزام بأداب الخطب، والسير بها على منهج النبي ﷺ وأصحابه؛ والسلف الصالح، وقال : يسعكم ما يسعهم»^(٣).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٠.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

(٢٢) دقته وتثبته في الأمور، وتحققه :

قال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهائي :

«في مجال اهتماماته بمجتمعه كانت له المرجعية في التوثيق بعد النظر والتحقيق والتدقيق، فإذا ما عرض خطاباً لسؤال محتاج، أو طلب سؤال شفاعة حسنة؛ طلب التزكية لصاحبه من اثنين أو أكثر ليتحقق من ذلك، ومن ذلك :

كُتِبَ لصاحب حاجة، وكنت أحد الشارحين المزكّين صاحبه، الموقعين عليه، فلما عرض علي الشيخ اشبه في توقيعي وأراد أن يتأكد ويتحقق فأرسل صاحبه إليّ، وقال : يريدك الشيخ، فلما قدمت إلى الشيخ قال : اشبهت في التوقيع، وأريد أن أتحقق»^(١).

وقال الذكور عبد الرحمن بن علي العريبي :

«كان ذكياً فطناً حذراً أن يستغل اسمه من قبل بعض ضعاف النفوس، من ذوي الحاجات، فكان إذا طلب منه التعليق على أوراق بعض المحتاجين يتحرى صدقهم أو يعلق على كلام طالب العلم أو القاضي الذي زكاهم، وكان يُنهي تعلقه بتاريخ يكون قريباً من عرض المحتاج حاجته على القادرين، ولما كان أكثر المحتاجين يعرضون حاجاتهم في شهر رمضان وأهل الغنى والخير يخرجون زكاتهم وصدقاتهم في شهر رمضان، فإنه يجعل تاريخ تعلقه في نهاية شهر شعبان، فقد لمست هذا في أوراق تذييل بتوقيعه تزكية لأحد طلاب العلم، أو القضاة الذين يعرفون ذوي الحاجات، أو تعلقه لذوي الحاجات مباشرة، لمست هذا حينما كنت إماماً وخطيباً

لأحد جوامع الرياض، وبسؤال أحد خاصته أفاد بأن الشيخ يؤكد على أن تزكيته المورخة لا تكون إلا لفترة واحدة، وأنه لو جاء السائل في سنة أخرى فإن التزكية لا تفيده لأنها من سنة ماضية، ولهذا فإن استمرت حاجته أتى إلى الشيخ وتحقق منه، وكتب له تزكية جديدة بتاريخ جديد^(١).

وقد عُرف عن الشيخ واشتهر أنه لا يقبل إقامة الطالب في سكن الطلاب الذي يجوار الجامع إلا بتزكية من اثنين معدلين، وهذا ما حصل معي شخصياً عندما قدمت عليه ومعني تزكيتان من اثنين من كبار مشايخي في المدينة النبوية.

وإذا جاء الطالب وليس معه التزكية المطلوبة رفض الشيخ تسكينه كما حصل مع الأخ / وليد الحسين كما حكاه عن نفسه في مجلّة الحكمة، العدد الثاني.

وفي أحد المرات جاء الشيخ أحد الإخوة من اليمن، وكان قد مكث في ضيافة السكن فترة، فطلب من الشيخ الموافقة على تسكينه، فرفض إلا أن يأتي بالمطلوب، فحاولت التدخّل وطلبت من الشيخ قبوله، فقال لي : هل تشفع له ؟ قلت : نعم، أشفع له، فقبل الشيخ شفاعتي رحمه الله تعالى وغفر له.

(٢٣) حرصه على نشر السنة :

قال الشيخ عبد العزيز بن حمين الحمين «رئيس محكمة محافظة الرس» :

«كان رحمه الله يركّز تركيزاً على التطبيق العملي للسنة النبوية والتربية العملية عليها.

ولشيخنا رحمه الله سجل حافل في هذا الميدان، يعرفه القريب والبعيد، والقاصي والداني، ولعلّ مما يذكر في هذا المقام وعُرف عن الشيخ، ولسته شخصياً منه رحمه الله ما يلي:

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

أ - رفع صوته بالذكر والاستغفار بعد السلام من الصلاة، تطبيقاً عملياً للسنة، وتعليماً لطلبته على الصدع بها في كل مقام، وتربية للجميع على هدي الرسول ﷺ في الانصراف من الصلاة.

ب- إثناء السلام على الصغير والكبير، حتى على عمال النظافة والباعة في الأسواق، في رحمة وألفة عجيبة تخرج بلا تكلف ولا عناء، مع ابتسامة إيمانية تأخذ القلوب، تطبيقاً لقوله ﷺ : «أفشوا السلام..» الحديث، وهو أسلوب تربوي دعوي لا يكلف شيئاً؛ لكنه عظيم الأثر عميق التأثير.

ج - إرساله من بسوي الصفوف ويتفقدتها بعد إقامة الصلاة، اقتداء بالرسول ﷺ، وهي سنة مهجورة تركها الكثيرون...»^(١).

وقال أمين بن عبد العزيز أبانمي :

«من أخلاق الشيخ رحمه الله وصفاته : تمسكه الشديد بالسنة والعمل بها.

والأمثلة على ذلك كثيرة، لكن أذكر منها حث الناس دائماً على التمسك بالدليل، وعدم تركه لرأي فقيه أو عالم، ومن ذلك : ما كان يقوله من وجوب غسل الجمعة لحديث : «غسل الجمعة واجب على كل محتلم».

فعندما يقال له بأن قول الجمهور بأنه سنة يتعجب من ذلك ويقول : لو أن عالماً كبيراً قال قولاً لاحترمتم قوله وعملمتم به ودافعتم عنه.

وهذا رسول الله ﷺ يقول لكم : إن غسل الجمعة واجب، وتقولون : إن الجمهور يقول بأنه سنة.

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

ومن تمسكه بالسنة أنه يتبّه في كل وقت على ما هو سنة وما هو بدعة، ومن ذلك أنه قد يأتي أحد ليسلم عليه فيقبّل رأسه ويصافحه، فينبّه أن ذلك بدعة، ويأمر بالمصافحة، حتى إنه كان يأمر بذلك وهو على السرير في المستشفى، والذهاب إلى المسجد ماشياً، مع أن بيته في عنيزة بعيداً عن المسجد، ومع ذلك يذهب ماشياً.

ومن عمله بالسنة المشي حافياً أحياناً إلى المسجد^(١)؛ لأن النبي ﷺ كان يحتفي أحياناً.

أيضاً : عدم صلاته السنة الراتبية في مكة لأنه يكون مسافراً.
ولبسه البياض من الثياب.

ومن عمله بالسنة وإحيائها : إنشاء السلام؛ حيث كان مع أنه الشيخ العالم الكبير يسلم على كل من مرّ به، وأذكر مرةً أني كنت أسير معه متوجهين إلى الحرم، فكان إذا مرّ بأحد سلّم عليه، حتى الصبيان يمرّ عليهم ويسلم عليهم...^(٢)

وقال خالد بن صالح النزال :

«أذكر أنّي استأذنته في السفر إلى إحدى المدن للدراسة على أحد علمائها ممن قدموا من خارج هذه البلاد في أصول الفقه، وكان هذا العالم قد عُرف بمجهله بعقيدة السلف الصالح، فنهاني الشيخ - رحمه الله - من السفر إلى ذلك الرَّجل وقال : انت لي بالمتن الذي تريد دراسته على ذلك الرَّجل وسأشرحه في طريقي إلى البيت بعد صلاة الفجر من كلّ يوم.

(١) بين الشيخ أحمد القرعاري أن احتفاء الشيخ كان في ذهابه لصلاة الفجر غالباً، انظر مجلة الدعوة،

العدد ١٧٧٧.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

وكان ذلك في سنة ١٤١٤هـ.

فهذا من حرصه رحمه الله على عقيدة السلف، وكان يأمر ألا تؤخذ إلا بمن عُرف بالعقيدة السليمة.^(١)

ومن حرص الشيخ على السنة ما عُرف عنه من عدم جلوسه للتعزية، واعتبارها بدعة، فقد نشر فتوى له في مجلّة الدعوة بعنوان «فتح الأبواب والجلوس للتعزية بدعة» وكان الشيخ عند وفاة أبيه ووالدته لم يفتح الباب للتعزية، بل إنه لما توفّي والده صلى عليه بعد صلاة الظهر، وبعد صلاة المغرب حضر للمسجد لإلقاء الدرس.^(٢)

وقال الشيخ محمد بن مطر السهلي :

«كنا مرة مع سماحته في درس من دروس المسجد الحرام في ليالي رمضان، وكان عليه رحمة الله - يتكلّم عن حرمة مكة، وأنه لا ينفّر صيدها ولا يحتلى خلالها، فقال - عليه رحمة الله - : وهذه جرادة الآن واقفة على رجلي ولم أنفرها، خوفاً أن يكون قد وقع في هيه عليه الصلاة والسلام بأنه لا ينفّر صيد مكّة، وذلك فضل الله جلّ وعلا يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم».^(٣)

(٢٤) فتاواه :

الناظر في حياة شيخنا المترجم رحمه الله تعالى يجد أن الفتاوى أخذت جزءاً غير يسير من حياة الشيخ، فهو حريص على نفع الناس ومساعدتهم فيما ينزل بهم من

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) شريط (وتوارى العلم) نفلًا عن صفحات مشرقة ص ١٤٧.

الحوادث والقضايا سواءً كانت صغيرة أم كبيرة على كافة المستويات، فقد بذل نفسه للصغير والكبير، للأمير والوزير، للرجل والمرأة، لا يحتاج دون أحد ولا يرد سائلاً، وقد كان الشيخ يُفتي في العديد من الوسائل المتاحة له، بل كلما وجد وسيلة أو مسلكاً ساهم فيه، ومن الممكن حصر مسالك الفتوى في النواحي الآتية :

١- الإذاعة «سؤال على الهاتف - نور على الدرب».

٢- التلفاز (بدون ظهور صورته).

٣- الهاتف.

٤- المجالس.

٥- الصحف.

٦- الرسائل الشخصية.

٧- الكتيبات الخاصة بالفتاوى.

٨- عبر الانترنت.

٩- في الطريق.

١٠- في المنزل «الباب المفتوح».

١١- في الجامع «اللقاء الشهري - المنبر».

١٢- فتاوى الحرمين الشريفين.

١٣- أثناء الدروس والمحاضرات.

وقد تميّزت فتوى الشيخ بمميزات عدة، منها :

أ - الوضوح وسهولة العرض.

ب- تأصيل الفتوى.

ج - استنادها للدليل.

وقد كان رحمه الله لا يتردد عن كلمة (لا أذري) إذا أشكلت عليه الفتوى، ويردد كلمة (اتج بنفسك).

قال الدكتور صالح بن عبد العزيز المنصور :

«كان الشيخ رحمه الله تعالى ورعاً كثير الثبوت فيما يُفتى، فلا يتسرع في الفتوى قبل أن يظهر له الدليل، وكثيراً ما يقول : لا أعلم أو أتوقف في هذه المسألة أو لم يتبين فيها شيء، وهكذا العالم التقي الورع»^(١).

وقال مؤذن جامعه الشيخ عبد الرحمن الرئيس :

«كان يرحم الله حريصاً على إفتاء الناس بوضوح، فهو يجلس عصراً يوماً عقب الصلاة ليقضي حوائج الناس، ويفتي في المسائل الفقهية...»^(٢).

وقال الدكتور مصطفى عبد الواحد :

«إنه كان موضع الثقة والطمأنينة من جماهير المستفتين والسائلين، ومن لطيف صنعته أنه وافق على أن يتلقى الأسئلة بالهاتف من المستمعين، وأن يجيب عليها في الحال، وينقل ذلك على الهواء في شتى الأثناء، وهكذا نفع الله بعلمه وفقهه الألواف والملايين في العالم العربي والإسلامي، بل فيما وراء ذلك»^(٣).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

(٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٧.

(٣) المصدر نفسه.

وقال فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين «الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر» :

«إن فتاوى الشيخ ابن عثيمين تنسم بالتدليل والتعليل، يذكر الحكم الشرعي ودليله من القرآن والسنة، والعلة التي في هذا الحكم إن خفيت في الاستنباط... وكان ابن عثيمين من مدرسة رسول الله ﷺ الذي إذا خبر بين أمرين اختار أيسرهما...»^(١)

وقال مؤذن مسجده الشيخ عبد الرحمن الرئيس :

«كانت معاملته رحمه الله مع المستفتين بالحكمة والموعظة الحسنة والابتسامه والسهولة والتيسير على المسلمين، ولكنه رحمه الله لا يشقّ عليهم إلا لمصلحتهم، ولحكم عظيمة لا يعلمونها، ويخذ على سبيل المثال :

مسألة الشخص إذا طلق زوجته ثلاث تطليقات جميعاً من شدة الغضب، حيث كان لا يشعر بنفسه فإنه رحمه الله يشقّ عليه قليلاً قبل الإجابة عليه ولكن لمصلحته لكيلا يعود لمثلها مرة أخرى، فيطلب إحضار الولي وإحضار الزوجة، وهكذا، ولكن هو بنفسه ليس له مصلحة إلا نفع هذا الشخص، وهذا يدخل في قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» فرحمه الله وأسكنه مسجده». ^(٢)

وقال أيضاً عن منهج الشيخ :

«منهجه الكتاب والسنة، فإنه رحمه الله كان يبينه دائماً وأبداً على بعض المفتين الذين يحكمون على مسألة ثم بعد ذلك يستدلون لأحكامهم بأدلة من الكتاب والسنة، فيلوون أعناق الأدلة ودلائلها لكي توافق أحكامهم يقول الشيخ : وهذا

(١) البلاد، العدد ١٦٢٣٠.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

غلط عظيم، فإن الواجب على المفتي أن يأخذ الدليل ثم يبني عليه الحكم، أي يستدل ثم بين الحكم على ما دلّ عليه الدليل، وليس يحكم ثم يحاول أن يستدلّ لحكمه هذا، فيلوي أعناق الأدلة لكي توافق حكمه»^(١).

يقول سامي عبد الله المرشد: «في أحد مجالسنا مع الشيخ رحمه الله تعلّمت شيئاً لن أنساه ما حييت، ألا وهو عدم التسرع في الفتيا إلاّ عن علم، فقد استفناه أحد الطلاب لدى والدي الشيخ عبد الله بن عقيل عن شخصٍ أحدث في الطواف، فإن توجّساً وأعاد الطواف فسيفوته موعد عودته بالطائرة، فهل يجتهد ويفتيه، أم ماذا يفعل؟ لا سيّما وأنه يريد إجابة عاجلة غير آجلة (فتمهّل) الشيخ رحمه الله في إجابته، وصار في تفكيرٍ طويل وعميق، ثم أفقّى رحمه الله بأن الإنسان، أي إنسان غير مضطر للفتيا حتّى ولو ألحّ عليه السائل وبين حاجته للفتوى إلاّ عن علم؛ لأن المسؤول مسؤول عما يفتي به يوم القيامة، فلا يفتي (ولا ينقل الفتوى) إلاّ عن علم وتيقن، فمن إجابته رحمه الله أن قال كلمتين شافيتين كافيتين وغنيتين عن الإيضاح ألا وهما: (انج بنفسك)»^(٢).

وعن الأوقات التي يردّ فيها الشيخ على الهاتف ويجيب على الفتاوى :

يقول إبراهيم العثيمين :

«بصفة عامة هو لا يرفض الردّ على المكالمات في أيّ وقت إلا إذا كان عنده ما يشغله، أو إذا كان وقته لا يسمح له حتى في مرضه الأخير، كان لا يستطيع أن يلتقي محاضرات، ولكنه كان يجاوب الناس بالهاتف، لكن بعد الظهر بساعة أو بساعة ونصف، حسب جلوسه»^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٣) الأسرة، العدد ٩٢.

وقال إبراهيم بن محمد بن قاسم رحيم :

«أما في جانب الفتيا : فالشيخ رحمه الله يفتي الناس في كل وقت في مسجده، وطريقه، وعبر وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة.

ومما يميز شيخنا في جانب الفتوى بُعد نظره وعمق فهمه في معرفة مرام السائلين والمستفتين، فإذا كانت الفتوى من أمور الخصومات أحال فيها السائل على المحاكم الشرعية، وإذا كانت من أمور الطلاق تأتي في المسألة، وأشعر السائل بخطورة ما وقع فيه، ولا يبيحه إلا بعد إحضار أطراف القضية من الولي والمرأة.

ويحتاج شيخنا بما لا يدع فرصة للنقل الخاطئ عنه، ولم تكن فتاويه مجرد أحكام، بل كان يستغلها لتربية الناس وتصحيح أخطائهم، فإذا تضمن سؤال السائل مخالفة شرعية في اللفظ أو في طريقة العرض نبهه الشيخ.

فمثلاً : في مجال الدرس إذا سأله طالب من طلابه، واستأذنه برفع يده اليسرى والإشارة بما نبهه إلى ذلك.

وأحياناً يقول السائل : ما حكم الإسلام في كذا ؟ فبينه الشيخ إلى أن الصواب أن يقول : ما رأيكم في كذا ؟ أو ما قولكم في كذا ؟ ..

وأحياناً يتضمن السؤال الحلف بالني ﷺ أو غير ذلك، فبينه ..

ولكي يستوثق الشيخ من فهم السائل لما يقوله كان يطلب منه إعادة الجواب، أو يسأله عن مدى فهمه لما قال الشيخ»^(١).

(١) جريدة المدينة، العدد ١٣٧٩١.

وعن حرص الشيخ على إفادة الآخرين وإجابتهم عما يشكل عليهم : ما ذكره الشيخ أحمد القرعاوي، قال :

«كنت أعمل في إحدى القرى القريبة من عنيزة، وكنت آخذ الفتاوى من أهل القرية، وأعرضها على فضيلة الشيخ رحمه الله تعالى حيث أبلغته برغبة أهل القرى والمدن بالاستفتاء، ففرح الشيخ وقام رحمه الله بالإجابة على الفتاوى بالتسجيل، وخصّص لي وقتاً لعرض الأسئلة عليه، فكان الشيخ عندما يفتقدني وأتى، يناديني بـ (أهل القرية) وذلك لكثرة الأسئلة التي أجمعها من القرى للإجابة عليها»^(١).

(٢٥) معاملته مع طلابه، وحسن رعايته لهم :

لقد عُرف عن الشيخ رحمه الله مدى حبه لطلابه وتقديره لهم وعنايته بهم، وليس ذلك بغريب، فقد شغلوا بالخير والذكر جزءاً كبيراً من عمره المبارك، فقد جلس معهم أكثر مما جلس مع أهله وأبنائه، فأعطاهم ولم يخجل عليهم، جهداً وعلماً ومالاً وجاهاً، فبقي ذكره حسناً بينهم.

وهذه مواقف له مع طلابه يستفيد منها كلّ دارسٍ وشيخٍ ومعلّمٍ رحمه الله وغفر له :

قال الشيخ خالد المصلح [صهر الشيخ] :

«شيخنا رحمه الله كان أباً حانياً على تلاميذه، حريصاً عليهم غاية الحرص. كان رحمه الله يخصّهم بعناية فائقة من حيث تزويدهم بالعلم والجوانب العلمية. بل حتّى في قضاء حوائجهم الخاصة.

فكان رحمه الله حريصاً على هئية المكان المناسب لهم، وما يتعلّق بذلك مما يحتاجون إليه.

وكان رحمه الله يرتّب لهم مكافآت شهرية سوى ما يعطيهم لسد حوائجهم من شراء الكتب، أو إهداء المعاملات، وغير ذلك..

وكان رحمه الله يخصّ طلابه؛ ولا سيما الذين في السكن التابع له رحمه الله بلقاء شهري يفتحه بكلمة توجيهية، ثم يطلب من الطلاب أن يكتبوا الملاحظات المتعلقة بمعاشرهم، فإذا لم يكن عندهم شيء من ذلك أجاب على أسئلتهم التي يقدمونها إليه مباشرة. أو غير ذلك.

وبعد هذا يُتناول معه رحمه الله طعام العشاء على مائدة واحدة، يتزاحمون على القرب منه، ولا يخلو المجلس من مداعباته، يدخل بها السرور على تلاميذه، ويشعرهم بقربه منهم، وأنه لهم كالأب»^(١).

وفي مجال التدريس عُرف عن الشيخ أسلوبه المميز في توصيل المعلومة بأسهل طريقة إلى المتعلّمين والسامعين، فلم يكن من أنصار أسلوب التلقين، بل كان يتبع أسلوب التفاعل عبر السؤال والجواب، الأمر الذي يشدّ انتباه الطلاب، ويضمن دوام المتابعة لأن أياً منهم معرض لأن يوقفه الشيخ ليجيب على سؤال أو يعيد آخر كلام قاله.

رأى أحد طلابه شارداً في الدرس، فأوقفه وسأله : هل أنت فاهم ؟ فأجاب الطالب : إن شاء الله، فسأله الشيخ : هل على رأسك (شماغ) ؟ فأجاب : نعم، فقال الشيخ : لم لم تقل إن شاء الله ؟

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

وأعاد الشيخ المسألة حتى تأكد من فهم الطالب لها.

وفي أحد الدروس استرعى انتباه الشيخ وجود واحد لم يسبق أن شارك في الدروس، فسأله : هل أنت فاهمٌ لما أقوله ؟ فأجاب : لا يا شيخ، فقال الشيخ : لماذا إذاً تأتي وتحضر معنا ؟ فردّ الطالب : لأحصل على ثواب : «قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات»، فسرّ الشيخ من جوابه، واعتنى به.^(١)

ولم تكن علاقة شيخنا بتلاميذه مجرد علاقة علمية، فهو مرَبٌ قبل أن يكون معلماً، يزور تلاميذه ويتفقد غالبهم، ويعين محتاجهم.

أهدى إليه الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله عمارة، فأوقفها لسكن طلابه مجاناً، فافتتح لهم مطعماً، وفرغ لهم عاملاً ليعدّ لهم الطعام، وهياً لهم مكتبة للكتب، وأخرى للأشرطة.^(٢)

وقال الطالب ناصر السعدي (من سلطنة عمان) :

«وقد كان له علاقة لصيقة بطلابه، وكان يأكل ويشرب معهم، حتى إنه عندما كانت تأتيه بعض النفقات الخاصة بحملها لطلابه».^(٣)

وقال الطالب عبد الله بن حمد العسيلان :

«كان يجتمع بطلابه شهرياً، وفي نهاية هذا الاجتماع كان يمازحهم ويؤانسهم، كما أنه يخرج معهم في نهاية السنة إلى أحد الاستراحات، حيث كانت لهم مكانة خاصة لدى الشيخ.

(١) مجلّة الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

وقد قصّ لي أحد طلابه موقفاً مع الشيخ يستحقّ الذكر، حيث قال :
 إنّ هناك صندوقاً في سكن الطلاب، ومن أراد أي مبلغ بإمكانه الأخذ منه،
 ويقول لي هذا الطالب : ذهبت إلى هذا الصندوق وكان خالياً، وكنت حينها
 مضطراً إلى السفر، الأمر الذي يحتاج إلى مبلغ من المال، فذهبت إلى الشيخ وطلبت
 منه ذلك، وبكلّ بساطة قال لي : اخرج معي خارج المسجد وسوف أعطيك ما
 نحتاج، فخرجت معه، وأدخل يده في جيبه وأعطاني مبلغاً فوق حاجتي، ففهمت من
 ذلك أن الشيخ لا يريد إحراجي أمام الطلاب، حرصاً منه على مشاعر طلابه»^(١)
 يقول الطالب يحيى ستيفن (من أمريكا) :

«قد جئت هنا منذ سنة ونصف، ودرستُ على يد الشيخ مدّة سنة كاملة.
 لقد كان الشيخ رحيماً رؤوفاً بي؛ لأنه يعرف حالي، فأنا قد أكون أضعف على
 الثبات من غيري، فإذا أخطأت ساجحي؛ ولا يؤاخذني، رغم أنه قد يعاقب غيري،
 وأنا أئس ذلك، وأظنّ الجميع يلاحظه، ففرق المعاملة بيني وبين غيري واضح.
 ومن أعظم ما استفدته من الشيخ هو معرفة أهمية الدين والثبات عليه، والعمل
 بالعلم والتربية.
 وأذكر أنني عندما جئت لأول مرّة قال لي : أنتم من أحقّ الناس لهذا؛ يقصد
 طلب العلم.

ومن هذه الحقيقة كان اهتمام الشيخ بي واضحاً»^(٢).

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

(٢) المصدر السابق.

وقال الأخ عبد الله أحمد الشريفي (المشرف على سكن الطلاب) :

«كان دائماً ما يأخذني جانباً ليوصيني على الطلاب، ويقول : إذا كنت تعرف طالباً يحتاج إلى مساعدة فبلغنا به.

وهناك أمثلة كثيرة على مساعدته للإخوة الطلاب، حتى حينما كان في مرضه، وعندما زرته في المستشفى أوصاني على الطلاب وأن أحرص عليهم ، هذه الوصية منه رحمه الله في الوقت الذي كان في صراع مع المرض، كما أوصاني على السكن والحرص على شؤونه، وكانت هي آخر وصية أوصاني بها تغمده الله بواسع رحمته»^(١).

وقال الطالب خالد الجرعاوي (تشادي) :

«كان الشيخ خلال جلساته حريصاً على طلابه، ويقوم بتوجيههم، وحثهم على الآداب مع الكبير والصغير والعامي، وخاصة مع العلماء، ومع الطلبة فيما بينهم.

وكان يدعونا إلى كل خير، وكنا نعتبه أباً لنا ومرتبياً. ومن حرصه على طلابه أنه عندما تعرّض أحدهم لحادث مروري كنت أزوره، وكان الشيخ كثيراً ما يسألني عنه، ويوصيني به، وكانت آخر مرة أوصاني فيها بأن أذكره بأن هذا من فضل العلم، وقد أعطاني رقم (جواله) الخاص، لأعطيه إياه إذا ما احتاج لشيء»^(٢).

وقال العقيد الركن علي بن محمد الحشان :

«كان ربّما حفّز الطلاب ونشطهم بإقامة مسابقة علمية كما في دروسه في الحرم المكي، وتعدّ جوائز لذلك»^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

وقال الشيخ سليمان الضحيان في معرض كلامه على شخصية الشيخ من خلال أركان العملية التربوية: وأركانها الأربعة: «المعلم، والكتاب، والطالب، وطريقة الدرس»، قال: «ثالثاً: الطالب وهو الركن الثالث من العملية التربوية، وطلبة الشيخ لا يكاد يحصيهم العد، نظراً لكثرة دروسه، وطول زمن تعليمه، وتعدد مكان التعليم في عنيزة، وفرع الجامعة بالفصيم، وفي مكة المكرمة، لكن ثمة طلبة ملازمون، وهؤلاء يوليهم الشيخ عناية خاصة.

فالغزباء منهم خصص لهم الشيخ سكناً على حسابه الخاص. ووضع على السكن مشرفاً ينقل إليه أحوال الطلبة ومشكلاتهم، فيسارع الشيخ لحل هذه المشكلات، والتنبيه على الأخطاء.

وخصص الشيخ لتلامذته الملازمين رحلة شهرية، يخرج معهم فيها إلى إحدى المزارع القريبة من عنيزة.

يقول أحد تلامذته: خرجنا مع الشيخ لإحدى المزارع، فتزل الطلبة للسباحة، ولم يبق إلا الشيخ، فقال الشيخ: لم يبق إلا أنا، فقام ولبس ثوب السباحة، وسبح معنا بمهارة أدهشتنا جميعاً.

وكان يتفقد الطلبة المميزين، ويسأل عنهم حال غيابهم، ويحيل الإجابة على الأسئلة عليهم أحياناً لتدريهم^(١).

وقال عن طريقة الشيخ في الكلية مع طلابه:

«.. الحرص على الانضباط خلال تدريسه للمعلم، فهو في الكلية مثلاً لا يسمح للطلاب بالدخول بعد دخوله هو إلى القاعة.

(١) مجلة المعرفة، العدد ٦٩.

وفي المسجد يوقف الشرح إذا سمع أحد الطلاب يتكلم، ثم يلوم الطالب على كلامه خلال الشرح».

وقال عن اهتمامه باللغة العربية :

«هو يشرح باللغة العربية الفصيحة، وينبّه الطلاب للتكلم بها، وإذا لحن القارئ طلب منه إعراب ما لحن فيه، وإذا كثر اللحن نقل القراءة إلى غيره.

ولديه مقدرة غريبة على اكتشاف الغافلين من الطلاب خلال الشرح، فكثيراً ما يسأل أحد الطلاب فجأة، ويقول :

«يا فلان أين وصلت» فيجيب بعض الظرفاء من الطلبة : «إلى الصّين يا شيخ» فيتسمم الشيخ ويأمره بالذهاب لغسل وجهه ليعود له الانتباه.

ويحرص كثيراً على إشراك الطلبة في الشرح، فهو يوجّه لهم الأسئلة الجماعية، فيشرح مسألة ما، ثم يقول : أليس كذلك ؟ فيجيب الطلبة أجمعون : «بلى».

وأحياناً يسأل بعض الأسئلة المشكّلة خلال الشرح لشحذ أذهان الطلبة، ويغلط نفسه أحياناً ليرى انتباه الطلبة ومدى فطنتهم»^(١).

وقد سُئل رحمه الله تعالى هذا السؤال :

س : التركيز على بعض الطلاب، كيف يكون تعاملك مع طلابك ؟
فأجاب رحمه الله تعالى :

نعم، هذا ملاحظٌ في كثير من أهل العلم؛ حيث يخصّون بعض طلابهم ويركّزون عليهم، ويصطحبونهم في أسفارهم، وأنا لم أسلك ذلك لأنني أودّ

(١) المعرفة، العدد ٦٩.

أن يستقل الطالب بنفسه، وألا يظهر أمام الطلبة أن لأحدهم عندي تفضيلاً على الآخر.

أحب أن يشعر الطلبة كلهم أنها بالنسبة إليّ على حدّ سواء، وألا يشعروا باختصاص باتصالي بأحدٍ أكثر من الآخر.^(١)

سؤال آخر : ما هي معايير الطالب في مدرستكم ؟

فأجاب رحمه الله تعالى :

الشروط التي يجب توافرها : أن يكون المتقدم لديه تركية من أحد المشايخ المعترين من قبل أحد لعرف بذلك مدى حرصه على طلب العلم.^(٢)

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«وكان رحمه الله في فصل الشتاء يعطي طلاب السكن مبالغ يشترون بها ملابس شتوية لهم ولأولادهم».

وقال الشيخ عبد الرحمن بن صالح اللّهش :

«... الشيخ رحمه الله تعالى له منهج : أوّله رأي فيما يتعلق بقضية التحاق الطالب بإخوانه السابقين له، حيث كانت وجهته أن الطالب يحضر وإن كان مسبوqاً في المتون التي تدرس، وإن كان يصعب عليه بعضها، لكنه يقول : يحضر الطالب ويستفيد فائدة الحلقة وبركتها، ويستفيد كذلك تعويد نفسه على المواظبة والمرايطة في حلق العلم».

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

وكان لا يقبل إطلاقاً أن طالباً من طلابه المستمعين إليه ينشغل بشيء خارج الحلقة، سواء في المسجد أو في خارج المسجد، والحلقة قائمة. ويرى أن هذا نقص في الطالب، وخلل في طلبه»^(١).

وقال فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد :

«كان - رحمه الله - حسن الرعاية لتلاميذه متابِعاً لتحصيْلهم، مما جعل قلوب طلاب العلم تتعلّق به، وترحل إليه، وتثني ركبها بين يديه، لقد كانت له يد طولى في رعاية الشباب وحسن توجيههم، والتأى بهم عن مزالق الفتن، وانحرافات التحرّر، ودؤباً في التصحّ لهم وتوجيههم، وبيان المنهج الحقّ بما أوتي من علم وحكمة وقوّة وقول، لقد وسعهم بعلمه، كما وسعهم بحلمه، وشملهم برعايته كما شملهم بتوجيهه»^(٢).

وقال تلميذه خالد بن صالح النزال :

«مرّة قدم إليه أحد الطلاب كتاباً بين فيه المناسك على المذاهب الأربعة، فمزقّه الشيخ أمام الطلاب في الدّرس كراهة منه للخلاف وإيقاع العامة في الحيرة، وإبعادهم عن نصوص الكتاب والسنة»^(٣).

وقال : «كان يكره الجدال في العلم والمخاصمة فيه، وإيراد الإيرادات على النصوص الشرعية، ورّما حصل ذلك من بعض الطلاب فيزجره زجراً شديداً، وكان ينهاه أن تذكر عنده رأي أحد من العلماء المعاصرين الأحياء خوفاً من الفتنة، وتنقيصاً لرأيهم، وفي ذلك مفاصدٌ لا تخفى.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الوطن، العدد ١١٥.

(٣) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

وكان يفرح فرحاً شديداً حينما يعلم أن أحداً من طلابه ألقى محاضرة أو أقام درساً، وشاهدت ذلك مراراً، وكيف أن الشيخ تظهر السعادة على محياه عندما يخبر بذلك»^(١) وقال الشيخ منصور بن تركي المطيري :

«قدمت لمدينة عنيزة للدراسة على فضيلته، وأنا ابن ست عشرة سنة، فكنت أنا وكثير من زملائي ندرس في الصباح في المعهد العلمي أو الكلية وفي المساء بعد صلاة المغرب من كل يوم على يد فضيلته في الجامع.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى يتابع مستوانا الدراسي، بل أحياناً يوقع على التقرير الشهري مكان توقيع ولي الأمر.

وكان طلاب الشيخ من أميز الطلاب في المعهد والكلية، وكان ذلك يسرّ الشيخ رحمه الله حيث يرى أثر تدريسه لهم»^(٢).

وقال الدكتور يوسف الزامل :

«ومن صفاته وسجاياه التي فيها تأدب بأداب القرآن والسنة : الإعراض وعدم المواجهة للمسيء أو المخطئ بخطئه وزلّله.

وأذكر أن أحد الطلبة في حلقة قام بعد انتهاء درس ليتوضأ قبل الدرس الذي يليه، ولم يترك شيئاً يحجز به مكانه، فتقدّم طالب آخر إلى مكان الذهاب، فلما عاد الأول طالب الشيخ بمكانه، وأن فلاناً جلس محلّه، فلم يوجّه الشيخ الخطاب مباشرة إلى من عليه القيام، وإنما قال بلفظ الغائب : (يقوم) مشيراً بوجهه أنه يعنيه»^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٠.

(٣) الأسرة، العدد ٩٢.

وعن عدد طلاب الشيخ وجنسياتهم :

يقول علي بن سليمان الديلمي :

«ولقد حضرت يوماً أحد دروس الشيخ، وإذا من بين الحاضرين أكثر من ١٣ جنسية، كلهم حضروا للإقامة في عنيزة لينهلوا من علمه وفقهه رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى».^(١)

وقال د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي :

«كان حريصاً على دوام الدرس بين العشاءين، لم يفت في عضده انتظام الناس وندرة الطلبة في فترة من الفترات، فلقد رأيتُه رحمه الله أكثر من مرة في أواخر التسعينات المحجربة وليس أمامه إلا طالبان فقط، فما يمنعه ذلك من الشرح والاستقراء والتفصيل، وكان المكان غاصباً بطلاب العلم، فقد علم الله صدق نيته وحسن قصده، فجعل أفئدة الطلاب تموي إليه من أصقاع الأرض، فلربما اجتمع في بعض دروس الفقه ٥٠٠ أو يزيدون».^(٢)

قلت :

والتاظر في دروسه في الحرم المكي الشريف في أواخر شهر رمضان بعد التراويح أو بعد صلاة الفجر يرى أن العدد يفوق هذا بكثير من الرجال والنساء، فضلاً عما يتحلّقون حول السّماعات البعيدة لسماع الشيخ داخل الحرم، رحمه الله تعالى وغفرله، وجزاه عن سمعه وأفاده خير الجزاء.

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقال علي بن عبد العزيز السعيد :

«سأل أحد الطلاب فضيلة الشيخ : يا شيخ أنا أتيت هنا للمشاركة في هذه المسابقة دون موافقة والدي ورضاه، فما الحكم ؟

فأجاب فضيلته بأن سفره دون علم والده وموافقته خطأ ولا يجوز، وأن عليه ألا يكررها مرة أخرى، أما عن هذه المرة وقد حدث الخطأ واعترافك به وتدمك على حدوثه؛ فإني أنشغ لك عند والدك لكي يسامحك، فإذا عدت إلى أهلك أخبر أباك بأن الشيخ محمد بن عثيمين يُقرئك السلام، ويطلب منك أن تسامحني»^(١).

وقال د. صالح بن إبراهيم آل الشيخ :

«حضر إلى الشيخ رجلٌ أمريكي وأنا عنده، فقال للشيخ : تتلمذت عليك في العقيدة، فقال الشيخ : لم أرك، فقال : عن طريق سماع الأشرطة التي سجّلت فيها بعض شروحك لكتب العقيدة، فسأله الشيخ بعض الأسئلة الدقيقة، فأجاب إجابة تدلّ على فهمه واستيعابه، فسّر الشيخ بذلك»^(٢).

وقال علي بن عبد العزيز السعيد :

«في أثناء عرض فضيلته لبعض الأسئلة على الحضور، والتي كان يهدف منها معرفة مدى تحصيلهم الفقهي والشرعي رفع أحد الطلاب الحاضرين يده، فأذن له الشيخ، فقال الطالب : سؤال تخاطب يا شيخ، فتعالت صيحات الاستنكار من بعض الحضور لتجرؤ ذلك الطالب إلا أن الشيخ ابتسم، وطلب من الطالب الاقتراب للميكروفون، ثم طلب منه بكلّ تواضع العلماء أن يبدي حجته، وحينما أبدى

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٠.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٨.

الطالب وجهة نظره أعاد له الشيخ السؤال ووضّح له ما التبس عليه، وتبين له خطأه في الفهم، ونصحته بكلّ أبوية ألاّ يتسرع في إطلاق الأحكام قبل الفهم»^(١).

وقال أحد طلبة الشيخ :

«اخترت موضوعاً في الحج، وذلك في عام ١٣٧٩هـ وذلك في شهر ذي القعدة، فقال الشيخ محمد : كأنك تريد الحج هذا العام ؟ فقلت : نعم، فقال : أنا أدرسك وحدك، فتعال بعد صلاة العصر كلّ يوم، فكنت أحضر أنا وإياه في سطح المسجد، وأتى بمنسك كتبه على الآلة الكاتبة في دفتر، وأعطاني إياه.

ودرسني وحدي المناسك وأعطاني إياه وحملته معي للحج، واستفدت منه وأفدت الإخوة الذين معي، فهذا مثل من التواضع الكبير أن يخصص وقتاً لأحد طلابه لتدريسه هذا الموضوع»^(٢).

وقال كمال أحمد صابر :

«قبل سفر الشيخ محمد رحمه الله إلى الرياض في آخر يوم - وكان مريضاً - اتصل الشيخ على مكتبة السلام وهي بجوار الجامع الكبير بعنيزة، وطلب منهم أن يحضروا الفواتير الخاصة بالطلبة وغير الطلبة، وجميع المستحقّات التي على الشيخ، وذلك ليقوم بسدادها، وأرسلوا له جميع الفواتير وقام الشيخ بسدادها»^(٣).

وقد سأله مرّة أحد الطلاب سؤالاّ فيه طرفة، قال : «يا شيخ كثير من الليالي أرى في المنام كأنّي في درس فضيلتكم ويكون عندي بعض المسائل، فأسألك فيها، فتحييني، فما حكم الجواب يا شيخ ؟

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٠.

(٢) شريط فقيد الزاهد ابن عثيمين، نقلاً عن صفحات مشرقة ٩٦.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

قال الشيخ: أنا ما أستحضر هذا، ولا أشعر إذا حلمت أنك تسألني، لا تعتمد هذا. إن سمعت من الشريط، لا بأس، أما (نحن) ما ندرس التومة، لو تكتب المسائل إعرضها علينا، يمكن أن تكون صحيحة»^(١).

(٢٦) رجوعه للصواب إذا تبين له :

وقد كان الشيخ رحمه الله تعالى كأمثاله من عظماء الرجال، وأئمة الدين لا يستكبر عن الحق، ولا يتعالى عليه، بل يصدق به ويخضع له، وهذه عادة الأفاضل ممن تزلعوا بالعلم، وملؤوا به حياتهم، كيف لا، وهذا العلم دين، يُسأل عنه حملته يوم الوقوف بين يدي الملك الوهاب.

وقد كان رحمه الله لا يستكف أن يرده عليه أحد طلابه، أو رجل من العوام فضلاً عن العلماء.

وهو بهذا يعطي طلابه وسامعيه درساً عظيماً في الرجوع والعودة إلى الصواب. وهاك بعض الصور لهذا الأمر الخطير :

قال الشيخ حمد بن عبد الله الجطيلي :

«وإن مما يزين الشيخ رجوعه للحق، ولو ذكره به أحد طلبته، فلقد قرأ يوماً حديثاً في حلقة الدرس، وكنا في الصيف على سطح المسجد، وكان بين المغرب والعشاء، فلما شرح الحديث وقال بعض الجمل في تفسيره قلت له : يا شيخ ليس هنا ظاهره، ومنهج أهل السنة والجماعة إمراره على ظاهره. فأذن المؤذن للصلاة العشاء، فقمنا للصلاة، وبعد الصلاة حمد الله الشيخ وقال: إن الصحيح في الحديث

(١) شريط ابن عثيمين علم وعمل - تسجيلات الإستقامة بعنيزة - .

هو ما ذكره فلان، يعينى، وهو المعتر والمعتد، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وأوضح ذلك»^(١).

وقال د. سعود حسن مختار :

«كان للشيخ ابن عثيمين أسلوب تعليمي رائع، فهو يسأل ويناقش، ويوقف الطلاب ليعلّمهم الجرأة والقضاء على الخجل، وأذكر أنه مرّة تكلم في مسألة الإجهاض، ثم لما أذن لصلاة العشاء أبدت رأياً طيباً له في المسألة، وبعد استئناف الدرس حمد الله وقال : إن هنا طيباً يقول : «أخطأت يا ابن عثيمين»، ولم أقلها والله، ولكن يريد أن يعلمنا الحوار، وقبول النقد رحمه الله، ثم أخرجني رحمه الله فقال : قم، وألح عليّ حتى قمت، وقلت الرأي الطيبى حسب فهمي له، ثم علق عليه رحمه الله.

وكان لربّما سُئل في مسألة فقال : لا أعلم، أو قال : سوف أسأل شيخنا ابن باز كما حدث مرّة في مسألة الإبر المغذية [الجلوكوز] ثم عاد في اليوم الثاني بإجابة الشيخ ابن باز رحمه الله جميعاً»^(٢).

وقال د. أحمد بن سليمان العريبي :

«وأذكر أن أحد الزملاء راجعه في نصف درجة فأضافها له»^(٣).

قال الشيخ سليمان الجليلان :

«أذكر أنه في مرّة في خطبة من الخطب في يوم الجمعة خطب وقال : إن رسول الله ﷺ قال عند المنام تقرأ سورة الفاتحة، وهي أعظم آية في القرآن، واستمرّ في هذا

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤١.

(٢) المدينة، العدد ١٣٧٧٩.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

الكلام، وكان الشيخ رحمه الله يقصد آية الكرسي ولكنه التبس عليه في الخطبة، فتكلم عن سورة الفاتحة وفضلها، وأما هي التي تُقرأ عند المنام، وبعد صلاة الجمعة نبيه أحد الإخوة وقال: يا شيخ أنت قلت سورة الفاتحة أعظم آية في القرآن وأما تقرأ عند النوم.

فقال الشيخ: لعلّي وهمت.

وعندما جاءت الجمعة الثانية وعلى الملأ من الناس، وعلى مسمع من الناس، ذكر أنه أخطأ في الجمعة الماضية، وقال: إن أعظم آية في القرآن هي سورة الفاتحة، وهي تُقرأ عند المنام، وهذا خطأ منّي^(١).

وقد ذكر الشيخ إبراهيم بن محمد قاسم رحيم؛ عدداً من المسائل التي رجع فيها الشيخ، وقال: «شيخنا رحمه الله يسر علي منهجه، ويعتمد الدليل، ويصرح برجوعه عنه، ومن أمثلة ذلك:

- كان يرى رحمه الله أن مسح المصحف لا يشترط له الطهارة، ثم رجع وقال بوجوب الطهارة بناء على حديث عمرو بن حزم: «وأن لا يمس القرآن إلا طاهر».

- كان يرى رحمه الله أن صاحب الحدث الدائم يجب عليه أن يتطهر لوقت كل صلاة، ثم رجع ورجح أن طهارته صحيحة، ويصلي بما شاء ما لم يتحدّد سبب آخر للحدث.

- كان يرى أن الكدرة قبل الحيض لها حكم الحيض إذا صاحبها آلام العادة، ثم رجع واعتبر الحيض هو الدّم، ولا عبرة بالكدرة والصفرة، ونحوها..

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

- كان يرى وجوبَ قصر الصلاة الرباعية للمسافر، ثم رجع وقال بالاستحباب.
وغير ذلك كثير.. وهذا يظهر لنا حرصه على المتابعة وموافقة السنة، وبعده عن
الجمود والتعصب والتقليد»^(١).

(٢٧) مسائل متنوعة في حياة الشيخ :

- ١- رأيه في السفر للخارج للدعوة.
- ٢- الشيخ والصحف والمجلات.
- ٣- الشيخ والانترنت.
- ٤- ترجمة كتبه.
- ٥- البرنامج اليومي.
- ٦- برنامج المشي.

١- الشيخ والسفر إلى الخارج للدعوة.

لقد عُرف عن شيخنا رحمه الله تعالى عزوفه عن السفر لخارج المملكة للدعوة
إلى الله أو لغير ذلك.

وقد دُعِيَ إلى عدّة دول عربية و غير عربية مراراً، فكان رحمه الله يفرض بلطف
كما كان هذا هو رأي شيخه الإمام العلامة ابن باز رحمه الله تعالى.

وقد أوضح الشيخ أسباب هذا الأمر لما كثر الإلحاح عليه فيه، قال رحمه الله تعالى:

«الذي منعتني من السفر رغبتني الشخصية في عدم السفر خارج المملكة؛ لأن
عندي أموراً تشغلني هنا.

(١) جريدة المدينة، العدد ١٣٧٩١.

وفي رأيي فائدتها أكثر من فائدة سفري إلى الخارج، لأن الإنسان لو قدر السفر إلى بلد ما، وبقي فيها يومين أو ثلاثة، وحاضر في ذلك البلد ست محاضرات، وهذه المحاضرات ستكون في ستة أشهر، والإنسان لا يستطيع أن يكيّف الناس على ضوء ما يراه، لا في لقاء، ولا اثنين، ولا حتى خمسة لقاءات.

والبقاء مع هؤلاء الناس خارج المملكة مدّة طويلة نفوت مصالح كثيرة.

فكنت أرى أن المحاضرة التي تلقى على مدى ثلاث أو أربع ليال تفيد فائدة الشريط الذي تقوله في بيتك.

والناس لا يمكن أن يكتبوا مع خطب وكلمات الداعية بمجرد لقاءهم به مرتين أو ثلاثا.

وإن كان اللقاء بلا شك أكثر فائدة من الشريط، لكنه لا تستحمل أن يقطع الإنسان مشاغله ويسافر ليكبّد المشاق»^(١).

قلت :

وقد اضطر الشيخ للسفر إلى أمريكا في مرضه الأخير، تحت إلهام ولاية الأمر ومحبيه، وألقى خطبة الجمعة في أمريكا، وألقى محاضرة في بوسطن والتقى العديد من الجاليات المسلمة، وجلس مع الكثير ممن سمع به ولم يره، ونفع الله به كثيراً.

وذلك في أواخر شهر ربيع الثاني وأول جمادى الآخرة لعام ١٤٢١هـ رحمه الله تعالى وغفر له.

(١) عكاظ، حديث الذكريات، العدد ١٢٥٥٦.

٢- الشيخ ومطالعة الصحف اليومية، والإذاعة، والتلفاز.

قال رحمه الله تعالى عن متابعتها لوسائل الإعلام :

«أما من حيث المتابعة فأنا غير متابع لعدم وجود الوقت الكافي لذلك، ولكنني في أوقات الطعام كالغداء أو العشاء، أشغل هذا الوقت في الاستماع للإذاعة. أما تفرغ وقت لذلك أو لقراءة الصحف فهذا أمر أفعله.

وأوضح رحمه الله «الكلام للحريفة» أن هناك عدداً من الإخوة يتابعون مثل هذه الأمور، وإذا حصلت مراجعة لأمرٍ ما فإنهم يطلعونني عليه»^(١)

أما بالنسبة للتلفاز فقد كان رحمه الله يشارك بصوته دون صورته في العديد من البرامج، كبرنامج: «دين ودنيا».

٢- الشيخ والانترنت.

كان الشيخ رحمه الله تعالى قد بحث مع أبنائه وعدد من تلاميذه قبل أيام من وفاته مشروع افتتاح موقع رسمي له على الشبكة العالمية «الانترنت».

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«وإذا أعطى موعداً التزم به على كثرة مواعيده وأشغاله، وقد جرت ذلك معه في مواعدين في الأسبوع على هاتفه الخاص، خصصت للردّ على أسئلة المستفتين عبر الانترنت. فكان يلتزم بالإجابة ويخبر بالتأجيل إذا حصل لظرف سفرٍ أو نحوه»^(٢)

وقد كان الشيخ حريصاً على إفادة الناس عبر الانترنت.

(١) المصدر السابق. كنا في المصدر، ولعلّ الصواب (لا أفعله) كي يستقيم الكلام.

(٢) شريط (١٠٠) فائدة من العلامة ابن عثيمين.

وقد سبق نقل كلام الشيخ توفيق الصائغ أن الشيخ عقب وصوله من رحلته لأمريكا إلى الطائف قال له : «إذا استطعت أن تعلم الناس في المواقع (موقع الانترنت) برقم هاتفنا فافعل حتى لا يحرم الناس من السؤال والفتيا».

وقال الأستاذ ممدوح بن محمد الحوشان :

«إن فضيلته قد وافق على المشاركة وفق ضوابط شرعية معينة في بعض برامج محطة فضائية إسلامية نزولاً منه - رحمه الله - عند رغبة العاملين فيها بأن يتحدث فضيلته من خلالها للمسلمين في أنحاء العالم»^(١).

موقع الشيخ على الانترنت^(٢) : [http / www / ibn othaimeen com.](http://www/ibn_othaimeen.com)

٤- ترجمة كتبه.

قال الشيخ طلال بن أحمد العقيل «رئيس لجنة توزيع هدية خادم الحرمين الشريفين والمطبوعات الدينية على الحجّاج والمعتمرين» :

«وفضيلة الشيخ مربّ كبير، وصاحب فضلٍ على طلبة العلم والدعاة الذين يسرون على منهج الرسول ﷺ، وكان من العلماء، والمجتهدين.. وله مؤلفات عظيمة، وقد وصلت مؤلفات الشيخ المترجمة لدينا أكثر من ١٦ لغة.

والشيخ كان في العام الماضي وفي كلّ عام يباشر ويوزر لجنة توزيع هدية خادم الحرمين الشريفين والمطبوعات الدينية في المطار - مطار الملك عبد العزيز - ويشجّع الشباب على توزيعه...»^(٣).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) مجلة المستقبل الإسلامي، العدد ١١٧.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

٥- البرنامج اليومي للشيخ.

قال الشيخ عبد الرحمن الرئيس مؤذن الجامع الكبير بعنزة :

أما الفترة الصباحية :

فإما أن يكون عنده تدريس في الجامعة في كلية الشريعة وأصول الدين.

وإما أن يكون في بيته للنظر في رسائل وخطابات الناس وطلباهم والرّد على بعض الفتاوى خطياً، والرّد على بعض المكالمات الهاتفية الخاصة.

أما فترة بعد الظهر :

فهي مخصّصة للرد على الأسئلة عبر الهاتف حتى وقت الغداء، فإنه كان يرد على أسئلة الناس.

ثمّ : إنّ كان هناك وقت قبل العصر ارتاح قليلاً، وإن لم يكن هناك وقت استمر. وإن كان عنده ضيوف جلس معهم ليونسهم، وليستفيدوا من علمه رحمه الله، وليتعرف هو رحمه الله على أحوال البلاد التي جاءوا منها، ونحو ذلك..

أما فترة العصر :

فإنه بعد صلاة العصر يقوم بشرح حديثين أو ثلاثة على جماعة المسجد في مدّة أقصاها ربع ساعة.

وكان لهذا الحديث طعم خاص لحفته وقصر مدته، وفوائده العظيمة جداً.

ثم بعد ذلك يجلس للرد على أسئلتهم وطلباهم الخاصّة بهم، وغير ذلك..

حتىّ إنني أحياناً أحضر لأذان المغرب وهو يخرج من المسجد من بعد صلاة العصر، كلّ هذه المدّة جالس للناس لقضاء حوائجهم.

حتّى إن المرأة لياقي هو بنفسه إليها خارج المسجد ويحبب على سؤلها إن كان لديها سؤال، أو يقضي حاجتها إن كان لها حاجة.

أما بعد صلاة المغرب :

فهو الوقت المخصّص للدرس اليومي حسب جدول معيّن، وبعد أذان العشاء كذلك درس آخر لمُدّة نصف ساعة، ثمّ يصليّ العشاء.

وبعد صلاة العشاء :

إنّما أن يكون لديه اجتماع مع بعض الجمعيات الخيرية مثل : جماعة تحفيظ القرآن الكريم الخيرية بعينزة، أو مع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو غيرهم، ليستفيدوا من آرائه وعلمه..

وإنّما أن يصل رحمه الله بزيارة قرابته.

وإنّما أن يذهب لإجابة دعوة.

وقد كان يحرص حرصاً شديداً على النوم مبكراً ليقوم للتهجّد في آخر الليل.

وقد كان رحمه الله في مسيره ومشيه من المسجد إلى البيت بعد صلاة الفجر، وبعد صلاة الظهر دروس يومية، وتصحيح لبعض الدروس والكتب وهو يسير ماشياً إلى بيته»^(١).

ويوضّح إبراهيم ابن الشيخ بعض الجوانب الأخرى في البرنامج اليومي، فيقول : «يبدأ يومه صباحاً بعد عودته من صلاة الفجر في المكتبة مع الكتب بالكتابة أو القراءة حتّى صلاة الظهر؛ لأنه لم يكن عنده دروس بعد الفجر، ثمّ يصليّ الظهر ويرجع أيضاً إلى المكتبة حتّى السّاعة الواحدة والتّصف حيث موعد الغداء الذي كان فرصة

(١) مجلّة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

يجلس فيها مع الأسرة، ورغم أن هذا هو الوقت الوحيد الذي يجلس معه إلا أنه كثيراً ما تأتيه في ذلك الوقت مكالمات هاتفية يردها عليها، ويجب الأسئلة أو الاستفتاءات حتى صلاة العصر أو قبل صلاة العصر بنصف ساعة، فيرتاح في هذه الدقائق القليلة، وبعد العصر يقابل الناس أصحاب الحاجات ويجلس معهم في المسجد، ثم يعود إلى البيت قبل المغرب ويرجع إلى المسجد لصلاة المغرب، بعدها يلقي درساً يومياً حتى صلاة العشاء، وبعد العشاء يعود إلى المنزل للاستعداد للمحاضرات، أو دروس طلابه التي تبدأ في هذا الموعد، وكان له درس خاص ليلة [السبت] وليلة [الأربعاء]»^(١).

٦- برنامج المشي :

في ذهابه إلى المسجد

سبق بيان أن الشيخ كان يقرأ ورده من القرآن الكريم في ذهابه إلى المسجد، لا يتخلف عن ذلك، وإذا شغله شاغل فإنه يكمله قبل دخوله لإقامة الصلاة.

أما عند رجوعه من المسجد

فقد قال تلميذه خالد بن صالح التزالي :

«كان يذهب إلى المسجد ماشياً، ويرجع إلى بيته ماشياً كذلك.

والمسجد يبعد عن بيته كيبلاً واحداً تقريباً، فهذه عشرة أكبال يقطعها - رحمه الله - يوماً ماشياً!.

ونادراً ما نراه إلا ومعه عدد من طلبة العلم يسألونه، أو يقرؤون عليه متوناً.

ولقد قرأت عليه مما قرأت وهو يمشي أكثر من مائة قاعدة فقهية، جمعها وأخي الشيخ مازن الغامدي.

(١) الأسرة، العدد ٩٢.

وشرحها الشيخ كاملة لنا في أشرطة مسجلة، وكنت أتعجب من صبره وأريحية نفسه. وربما كان ذلك في يوم شديد البرودة، حتى إنني ذات مرة كاد لسانى أن يتعقد عن الكلام من شدة البرد، وهو لا يابه لذلك ولا يهتم صابراً محتسباً رحمه الله...»^(١)

وقال يوسف بن عبد الله الديني :

«ويمكن القول بأن يومه كله للعلم، والتعليم، والإفادة، والإفتاء، تجده يقبل من بيته ماشياً لكل صلاة، مع بعد المسافة، حرصاً منه على مراجعة محفوظه من القرآن، وقراءة ورده من الأذكار.

وفي العode يقرأ عليه الطلاب قراءات خاصة متعدّدة، ويسجلون كل شاردة وواردة، بل هناك كثير من الكتب لم تشرح إلا في الطريق، كـ: سلم الوصول في العقيدة، وكشف الشبهات.

واستمرّ على هذا البرنامج عشرات السنين، لا يدعه إلا للعمرة في رمضان، وموسم الحج، وأيام دورة هيئة كبار العلماء بالطائف...»^(٢)

وقال إبراهيم بن عبد العزيز الشثري :

«كان الشيخ رحمه الله حريصاً على الوقت، فلقد طلبت منه مرة أن أجري معه مقابلة لإحدى المجالات الإسلامية، فقال لي : سجّل اللقاء في السيارة، ونحن متجهون من بيت أخيه عبد الرحمن في شرق الرياض (حي السلام) إلى رئاسة الإفتاء، وقد كان الوقت حوالي نصف ساعة.»^(٣)

(١) المصدر السابق.

(٢) جريدة البلاد، الجمعة، العدد ١٦٢٤٤.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

فصل

سبل دعوته وتعليمه، وجهوده في نشر العلم

لقد عاش شيخنا رحمه الله تعالى حياته في العلم والتعليم، والدعوة إلى الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وهذه سبيل الأنبياء، ومهمة المرسلين، وصراف المؤمنين إلى يوم الدين.

وقد سلك لتطبيق هذه الغاية كل ما وسعه، ولم يذخر لذلك جهداً، فتحده أمامك على منبر الجمعة ينذر ويبشّر، أو تسمع صوته في الإذاعة وأنت في بيتك وسيارتك، أو تراه ماشياً في الطريق مع طلابه وسائليه، أو تطالع في الصحف اليومية اللقاءات معه والفتاوى، أو تقتني رسالة له من مكتبة، أو تجدها تباع أمام جامع، أو دار خيرية، أو تقتني شريطاً له تملأ به فراغك، أو تجده في المسجد الحرام جالساً على كرسيه يشرح ما قرأه الإمام من آيات بينات ويستخرج ما فيها من الفوائد والعبر.

فرحمة الله عليه من إمام عاش ينشر العلم بين الناس، ويهدي الخلق للحق مسلمهم وكافرهم، يمشي في أسواقهم، ويحاضر في أنديةهم، ويحيب دعوتهم، ويستقبل أسئلتهم على الهاتف فيجيب عليها، فيشفي عليهم ويروي غليلهم.

ينصح الولاة والرعية، ويعظ العصاة والمُسرفين، ويصلح بين الزوج وزوجه، والابن وأبيه، والقريب وذويه.

يلاطف الصبي ويعلمه الآداب، ويفتي المرأة وينصحها بالحجاب، ويهاتف المسؤول ويرشده للصواب.

بأدب جم، ونصح خالص، وقول صادق.

فيقبل هذا منه، ويثني ذاك عليه، فسبحان الملك الوهاب الذي فتح له قلوب العباد، وهجرت بالدعاء له، والثناء عليه ألسنة لم ولن تره إلى يوم المعاد ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وفي هذا الفصل أردت أن أبين السبل والمسالك التي سلكها الشيخ لبذل العلم من دروس ومحاضرات وغيرها على التفصيل..

ثم وجدت أحد تلاميذ الشيخ القدامى وهو الأستاذ الشيخ علي بن عبد الله السلطان الأستاذ بالمعهد العلمي بعنيزة وهو من خواص تلاميذ الشيخ المترجم كما كُتِبَ عنه في حاشية مقاله قد لخص هذه الدروس ومجالات دعوة الشيخ بطريقة منظمة جميلة تدلّ على قربه من المترجم وطول صحبته.

وذكر أشياء ما رأيتهَا لغيره خاصة في الأعوام التي سبقت قدومي على الشيخ «أي قبل سنة ١٤٠٣هـ»، فأثرت أن أنقلها هنا كما كتبها مع التعليق بعد ذلك بما تسرّ مما لم يذكره.

فجزى الله خيراً كاتبه، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

قال :

«المجالات التي من خلالها بذل علمه تتلخص فيما يلي :

أولاً : الدروس العلمية.

ثانياً : الدروس العامة والمحاضرات.

ثالثاً : اللقاءات.

رابعاً : الفتاوى.

خامساً : ذهابه وإيابه من المسجد.

سادساً : منبر الجمعة.

سابعاً : التعليم النظامي.

ثامناً : عبر الإذاعة.

تاسعاً : عبر بعض الصحف والمجلات.

عاشراً : عبر الشريط.

الحادي عشر : الإنترنت.

ودونك تفصيل ما سبق :

أولاً : الدروس العلمية : وهذه أساس عطائه، وقد كانت على فترتين :

الأولى : دروس ما بعد صلاة المغرب حتى الإقامة لصلاة العشاء، وهي في جميع أيام الأسبوع وطيلة العام ما عدا شهر رمضان ما دام الشيخ في عنيزة حتى في أيام الامتحانات، إلا أن الدراسة في هذه الفترة - أعني فترة الامتحانات - تقتصر في الغالب في جميع الليالي على قراءة صحيح البخاري ومسلم، أو تصحيح كتاب في الفترتين.

وما أذكر أن الشيخ تخلف عن درس المغرب إلا لعارض، مع أنه قد يأتي ولو في آخر الوقت إذا عرض له عارض، حرصاً منه على الاستمرار وعدم الانقطاع، مستحضراً ما ورد عن النبي ﷺ أن : «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ»^(١).

(١) أخرجه البخاري حديث ٦٤٦٤، ومسلم حديث ٢٨١٨.

وهذه الفترة كانت بعد صلاة المغرب حتى أذان العشاء فقط، ثم ينتقل الشيخ بعد أذان العشاء لدرس لعموم الناس حتى الإقامة، وذلك في «مشكاة المصابيح» أو «بلوغ المرام»، وهذه الطريقة كانت حتى عام ١٤٠٠ هـ تقريباً.

وحينما زاد عدد الطلاب غلب الشيخ حاجتهم إلى هذا الوقت، فجعل الوقت كله من بعد صلاة المغرب إلى إقامة صلاة العشاء للدروس العلمية للطلاب، وكانت على مايلي :

أولاً : من بعد صلاة المغرب حتى أذان العشاء، وكانت على النحو التالي :

ليلة السبت : حديث (بلوغ المرام).

ليلة الأحد : فقه (زاد المستقنع).

ليلة الإثنين : حديث (بلوغ المرام).

ليلة الثلاثاء : فقه (زاد المستقنع).

ليلة الأربعاء : تفسير، من أول القرآن، ولم يكن هناك كتاب بين يدي الطلاب، بل كان الشيخ يشرح من المصحف مباشرة.

ليلة الخميس : صحيح البخاري، وصحيح مسلم.

ليلة الجمعة : تفسير.

مع تقديم وتأخير أحياناً وبشكل نادر، مراعاة لأحوال الطلبة.

ثانياً : ما بعد أذان العشاء الآخرة حتى الإقامة :

كانت هذه الفترة تدرّس بها مختلف الفنون على فترات، وذلك مثل : كتاب التوحيد، العقيدة الواسطية.

والفرائض والكافي في الفقه، والسيرة النبوية : نور اليقين.

واللغة : ألفية ابن مالك، قطر الندى، وغيرها مما يكون عارضاً..

ومذهبه المناسبة فإنه - رحمه الله - لم يكن ينظر متى ينتهي من الكتاب، أو أن طول السنين ستوهن من عزيمته، بل هو سائر على طريقته دون تغيير لمنهجه، في الطرح العلمي، وإشباع المسألة بحثاً.

حتى إنه قيل له مرة حينما بدأنا ببلوغ المرام : على هذه الطريقة يا شيخ فقد نحتاج إلى عشرين سنة لإتمامه ! فما كان منه إلا أن استمرّ في طريقته حتى أتمى الكتاب والحمد لله، وقد بُدئ بالكتاب حوالي سنة ١٤٠٠ هـ وأتمها سنة ١٤١٧ هـ وذلك بعد قرابة ثمانية عشرة سنة.

هذا وقد كانت بعض دروس هذه الفترة في الآونة الأخيرة تنقل عبر الهاتف إلى بعض مدن المملكة، بل وإلى البحرين، حتى وإن الشيخ - رحمه الله - كان يقسم الأسئلة بعد نهاية الدرس بين طلابه الحاضرين، والذين في البحرين في وقت واحد.

الثانية : الدراسة الصباحية.

وهذه في الجامع الكبير في عنيزة، وكانت إلى ما قبل عام ١٤٠٠ هـ داخل مكتبة الجامع (المكتبة الوطنية) وهي مكتبة ملحقة ببناء الجامع يوم كان بناؤه من اللبن والطين، ثم لما كثرت الطلاب بعد ذلك خرج منها إلى أروقة الجامع.

والدراسة من حيث الزمان : في صيف كل عام؛ حيث إن الشيخ يقف في نهاية الإجازة، ثم يكمل في العام التالي.

أما مدة الدراسة فهي طيلة أيام الأسبوع ما عدا يومي الثلاثاء والجمعة على طريقة شيخه الشيخ عبد الرحمن السعدي، ثم لما كثر الطلاب رأى حاجتهم تقتضي الاستمرار طوال الأسبوع ما عدا الجمعة.

ولضبط الوقت، وحتى لا يطغى وقت درس على آخر جعل رحمه الله منبهاً قبل خمس دقائق من نهاية كل درس ليكون للأسئلة، ثم الانتقال إلى الدرس الذي بعده، دون فاصل بين الدروس وهو مستمر في جلسته، أما الوقت الزمني فيبدأ من الساعة الثامنة حتى العاشرة والنصف، أو الحادية عشرة أحياناً (صباحاً).

أما المنهج العلمي فهو كما يلي :

- ١- التفسير، وقد اعتمد في شرحه متناً بين يدي الطلاب وهو (تفسير الجلالين) إلا أن التسجيل الصوتي لهذه الدروس بدأ متأخراً.
 - ٢- الحديث، وقد اعتمد في شرحه (المنتقى من أحاديث الأحكام) وكان له أحياناً اختيارات لبعض الأحاديث يملئها على أحد طلابه.
 - ٣- الفقه، وقد اعتمد متن (زاد المستنقع) وهذه دراسة مستقلة عن دراسة المساء.
 - ٤- العقيدة، وقد تعددت كتبها، فمنها : السفارينية، وكتاب التوحيد والواسطية، والقواعد المثلى.
- وهذه الدروس الأربعة ثابتة كل يوم في الغالب، ويزاد أحياناً درس خامس لبعض الفنون، ومنها :
- الفرائض : (البرهانية).
 - النحو : (ألفية ابن مالك).

- القواعد الفقهية : (قواعد ابن رجب) و(مختصر التحرير) و(مصطلح الحديث) و(الأصول من علم الأصول).

هذا ومع ما نرى من كثرة الكتب المقررة في الفترة المسائية والصبحية؛ إلا أنه رحمه الله غالباً ما يكون اختياره الكتاب من حيث المتن، والوقت شورى بينه وبين طلابه.

وإن المتأمل في حاله رحمه الله يراه جامعة مستقلة؛ فتدريسه طوال العام، وفي الإجازة الصيفية في مختلف الفنون، مع ما نرى حال استعداد كثير من المدن بالدرّوس، والدورات العلمية الصيفية التي يجندون لها الأعداد الكثيرة من العلماء وطلبة العلم لتدريس سائر الفنون ربّما يجد المنظّمون لهذه الدروس والدورات، الحرج في تأمين من يقوم بها، بينما نجد مجلس شيخنا أبي عبد الله في دورة علمية متكاملة، لا في الصيف وحده، بل في سائر العام، وفي فترة واحدة وجلسة واحدة متنقلاً من فنٍّ إلى فنٍّ.

ثانياً : الدروس العامة والمحاضرات :

أ - الدروس العامة وهي على ما يلي :

١- دروس ما بعد صلاة العصر : وكان يقرأ عليه خلال هذا الوقت في كل من : رياض الصالحين، أو بلوغ المرام، أو مشكاة المصابيح، ويعلق على ذلك بما يفتح الله عليه. وكان هذا طيلة أيام الأسبوع في المسجد الكبير ما عدا يوم الجمعة. وإذا سافر إلى الرياض أو الطائف، فغالباً ما يستغل هذا الوقت.

٢- درس ما بعد أذان العشاء حتى الإقامة، وهذا كان إلى حوالي عام ١٤٠٠هـ، وكان مما يدرّس فيه : مشكاة المصابيح، أو بلوغ المرام، ثم انقطع هذا الدرس، وخصّص هذا الوقت بدرس للطلاب على ما سبق تفصيله في الدروس العلمية.

ب - دروس المسجد الحرام :

١- درس ما بعد صلاة الفجر في الحرم المكي في رمضان، وكان في عمدة الأحكام.

٢- درس ما بعد صلاة التراويح في الحرم المكي، وغالباً ما يكون تعليقاً على بعض الآيات التي تليت تلك الليلة أو كلمة مناسبة لتلك الليلة، ثم الإجابة على الأسئلة الواردة، ووقت هذا اللقاء من بعد صلاة التراويح، ويستمر قرابة ساعة ونصف في العُشْرَيْنِ الأولين من رمضان، وبعد دخول العشر الأواخر يكون الدرس ما بين التراويح والقيام في الغالب.

ج - المحاضرات :

وهذه كان له فيها نصيب أوفى في أماكن كثيرة؛ فحيثما دُعي لبي النداء رحمه الله حسبما يسمح له وقته، وهي على نوعين :

النوع الأول : محاضرات مباشرة، ومن أبرزها تنظيمه لمحاضرة في الجامع الكبير، وهو اللقاء الشهري بعد صلاة العشاء من أول ليلة أحد من كل شهر، وغيرها من المحاضرات الدورية في الجامعات والمجمعات.

النوع الثاني : محاضرات عبر الهاتف، وكانت في داخل المملكة العربية السعودية، وخارجها لبعض المراكز الإسلامية من بيته، وقد خصص رحمه الله رقماً هاتفياً لإلقاء هذه المحاضرات غير هاتف الفتوى والهاتف الخاص، وقد رتب بعض الإخوة في الآونة الأخيرة له محاضرة شهرية لمسجد التوحيد، في مدينة (ديترويت) في أمريكا، ويرتبط مع هذا المسجد - أحياناً - قرابة مائة مسجد أو مركز أو تجمع، وذلك من أمريكا وكندا وأوروبا في وقت واحد.

ثالثاً : اللقاءات :

وهي خاصة (اللقاء الأسبوعي)، وعامة (اللقاء الشهري) :

أ - الخاصة :

١- درس عقده لخاصة طلابه ليلة السبت من كل أسبوع بعد صلاة العشاء في منزل أحد الطلاب بالتناوب، وكانت القراءة في كتاب الكافي.

٢- درس للقضاة ليلة الأربعاء من كل أسبوع بعد صلاة العشاء في منزله وكان يقرأ فيها ماله علاقة بالقضاء، كالطرق الحكمية، وإعلام الموقعين لابن القيم.

ب - العامة :

١- لقاءه مع قسم العقيدة في فرع جامعة الإمام في القصيم، ليلة الأحد مرة في الشهر.

٢- لقاءه بالخطباء ليلة الثلاثاء مرة في الشهر.

٣- لقاءه بطلاب السكن لية الأحد مرة في الشهر.

٤- لقاءه بأعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليلة الأحد مرة في الشهر.

٥- لقاءه بطلاب المعهد العلمي في عنيزة أول اثنين من كل شهر.

٦- لقاءه بأعضاء جمعية تحفيظ القرآن ليلة الإثنين مرتين في الشهر، وكان

رئيساً لمجلسها طيلة حياته رحمه الله.

٧- لقاءه ببعض طلاب العلم من خارج عنيزة ليلة الخميس مرة في الشهر.

رابعاً : الفتوى :

ومع أن الشيخ - رحمه الله - قد خصص للفتوى وقتاً معيناً إلا أن المتتبع للأمر

لا يكاد يحصرها بوقت معين؛ فقد كانت في المسجد أو في طريقه إلى المنزل، أو

في سفره وتنقلاته، وحتى في حضور المناسبات وبعد دروس المسجد الحرام؛ مع أنه قد خصص وقتاً للفتوى عبر الهاتف من بعد صلاة الظهر حتى إذا جاء وقت غدائه قرّب الهاتف عنده؛ فهو وإن كان يغذي جسمه بما يحتاجه لما يقيمه إلا أنه في الوقت نفسه يغذي بل يشفي غليل سائليه بما أشكل عليهم.

وكان بعض النساء يأتين إلى الجامع ليسألن الشيخ عن بعض أمورهن.

فيخرج لمن عند باب المسجد؛ وربما أخرج الدرس أحياناً حتى تقضي المرأة مسألتها، وإذا سافر من عتيزة سحّل في هاتفه الرقم الذي سيكون عليه في البلد الآخر، حتى يسهل الاتصال به.

خامساً : ذهابه وإيابه من المسجد :

اعتاد الشيخ أن يذهب إلى المسجد، ويعود منه على قدميه - مع بُعد المسجد عن بيته - وإن كان هذا الوقت من الزمن قد لا يأبه به كثير من الناس إلا أن شيخنا رحمه الله قد رأى لهذا الوقت قيمته؛ ففي ذهابه خصصه لنفسه، وفي إياه جعله للناس؛ فكم من كتاب قد صُحح عليه وقرئ عليه، ناهيك عن أصحاب الحاجات والفتاوى الذين يرافقونه حتى يصلوا إلى بيته، بل قد يقف عند الباب أحياناً حتى ينهى حاجة سائليه.

سادساً : منبر الجمعة :

الحديث عن منبر الجمعة لا تنفي بحقّه هذه الأسطر؛ فالشيخ خلال ما يزيد على خمس وأربعين سنة ظلّ خطيباً للجمعة وخطبتي العيدين، والاستسقاء.

وقد وظّف الشيخ هذا المنبر لتعليم الناس أمور دينهم، فكانت خطبته تشتمل على معارف وفوائد علمية قلّ أن تجدها عند غيره، ناهيك عن الموعظة

وتذكير الناس. وقد عُرف عنه أنه إذا كان مسافراً للرياض أو الطائف أو غيرها أنه يعود إلى عنيزة أحياناً ليلقي خطبته ثم يعود دون أن يظهر ترمماً أو مشقة^(١).

سابعاً : التعليم النظامي :

وذلك أنه رحمه الله دَرَسَ في كُلِّ من معهد عنيزة العلمي، وفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، فكان محط أنظار الجميع، وقد استفادت منه أجيال متتابعة.

وأصعب ما واجه الشيخ في هذه الفترة هو تصحيح الإجابات، حتى إنه اشتهر عنه ذلك، سواء كانت أعمال السنة، أو في الاختبارات الفصلية لأن منها إجابات يصعب تقويمها لوجود خللٍ فيها يَحَيِّرُ الإنسان : ماذا يحسم عليها من الدرجات، فيقف متحيراً بين الأخذ بالحزم والأمانة، وبين الاحتمالات التي يحتملها الجواب المقدم إليه.

ثامناً : عبر الإذاعة :

كان للشيخ رحمه الله وجود في هذا الميدان، وقد ساهم في بعضها، واستقلَّ بشيء منها، ومن ذلك : (نور على الدرب)، (سؤال على الهاتف) و (من أحكام القرآن) و (برامج موسمية عن الحج والصوم) ونحوها..

تاسعاً : عبر بعض الصحف والمجلات :

كان له رحمه الله ركن الإفتاء في بعض الصحف والمجلات.

عاشراً : عبر الشريط : ولما للشريط من سهولة في التداول، والاستماع، فقد أولى رحمه الله الشريط عناية خاصة؛ حيث إن جميع دروسه وفتاواه السابق ذكرها

(١) انظر آخر خطبة له في الاستسقاء، عقب آخر هذا البحث.

قد سُجِّلت إلا ما ندر، حتى إنه خصَّ إحدى دور التسجيل بإخراج دروسه وفتاواه لتتَّوحد العناية بها، وهي مؤسسة الاستقامة الإسلامية بعنيزة.

الحادي عشر : الإنترنت : وهذا المجال وإن كان لم ينسَق مع الشيخ فيه إلا متأخراً إلا أنه رحمه الله قد أولى العناية بذلك كلَّ ما يتعلَّق بالإنترنت إلى لجنة خاصة تُعنى بشؤونه.

وأخيراً : فإن ما كتبه عن شيخنا رحمه الله في هذا الموضوع لا أدعي فيه الكمال، لا من حيث التقسيم، ولا الحصر، ولا الوصف؛ فقد فاتني منه ما هو من عادة البشر، والكمال لله سبحانه، والنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه، والحمد لله رب العالمين»^(١).

ومما يضاف لما ذكره الشيخ علي السلطان :

الثاني عشر : مشاركته في المؤتمرات.

فقد كان الشيخ يشارك في المؤتمرات المتنوعة، وينشر فيها علمه، سواء بالمشاركة في الأبحاث أو مناقشتها، أو الإدلاء بدلوه في القضايا الكبرى.

وقد ذكر شيخنا عبد المحسن العباد أن المترجم شارك في الجامعة الإسلامية في

مؤتمرين هما :

١- مؤتمر الدعوة والدعاة.

٢- مؤتمر مكافحة المسكرات.

(١) البيان، العدد ١٦٠.

الثالث عشر : مشاركته في لجنة توعية الحجاج.

وهي منفذ عظيم جداً للتعليم والإرشاد.

قال شيخنا العباد :

«كنت وإياه في لجنة التوعية، نجتمع وننظر في شؤون التوعية، فكان يحضر معنا ويفيد اللجنة برأيه وعلمه.

وقيل له مرة : هل ترغب في أخذ نسخة من التقرير، قال : لا، حتى لا أحتاج إلى إحراقه، يعني أنه لا يحتفظ بهذه الأوراق، ويحتاج إلى التخلص منها.

الرابع عشر : مشاركته في هيئة كبار العلماء، وقد صدر قرار تعيينه بها عام ١٤١٧هـ. ولا زال يحرص على اجتماعاتها حتى قبيل وفاته لإفادة المسلمين بما تراه الهيئة من قضايا ومسائل عظيمة همّ الأمة.

الخامس عشر : المراسلات الخاصة بما يرد عليه من الرسائل جواباً عليها، وما يرسله الشيخ لغيره من بحث مسألة، أو نصيحة، أو غيرها..

وانظر في ذلك مجموع فتاوى ورسائل الشيخ، لفهد السليمان.

السادس عشر : مؤلفاته :

وهي من المجالات التي سلكها الشيخ لنشره العلم، وقد فات الأخ علي السلطان ذكرها في بحثه، وينبغي أن تضاف برقم مستقل.

وقد سبق فيما مرّ ذكر العديد من مؤلفات الشيخ خاصة في العقيدة والفقه، بما لا يحتاج إلى إعادته، لكنني مضطراً هنا أن أسردها مسرداً واحداً لتكون في مكان واحد ليسهل الوقوف عليها لمن أراد.

وسأذكر كل ما كتب عليه اسم الشيخ سواء مما كتبه هو ابتداءً أو فرغ من الأشرطة وطبع أو جُمع من الفتاوى على حسب ما وقفت عليه، ولا شك أن ما حرره الشيخ بنفسه يختلف كثيراً عن الذي فرغ من الأشرطة لكنني قصدت هنا بمرّد الجمع للفائدة، وقد قال الشيخ عن التأليف والمؤلفات :

«مَنْ أَلَّفَ فَقَدْ اسْتَهْدَفَ، وَلَكِنِ الَّذِي شَجَعَنَا عَلَى التَّأْلِيفِ أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْمُؤَلِّفَ يَحْرَصُ غَايَةَ الْحِرْصِ عَلَى أَنْ يَتَعَمَّقَ فِي الْمَادَّةِ الَّتِي يَرِيدُ التَّأْلِيفَ فِيهَا. وَهَذِهِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ.

أضف إلى ذلك أنه إذا تعمق فيها وقيد ما تعمق به في هذه المؤلفات فستمكث في نفسه أكثر»^(١).

وقال شيخنا عبد المحسن بن حمد العباد البدر عن مؤلفات الشيخ :

«كثيرة، صغيرة الحجم، عظيمة الفائدة، أغلبها تتعلق بالعقيدة والفقهاء»^(٢).

من آثار الشيخ [مما ألفه أو جمع له] :

- ١- فتح ربّ البرية بتلخيص الحموية، (أول كتاب ألفه).
- ٢- الأصول من علم الأصول.
- ٣- مصطلح الحديث.
- ٤- رسالة في الوضوء، والغسل، والصلاة.
- ٥- تسهيل الفرائض.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط (الشيخ محمد بن عثيمين ورضي عن سيرته ودعوته) للشيخ العباد.

- ٦- المنهج لمريد الحج والعمرة.
- ٧- رسالة في كفر تارك الصلاة.
- ٨- رسالة في الأضحية والزكاة.
- ٩- مجالس شهر رمضان.
- ١٠- شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ١١- القول المفيد شرح كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب.
- ١٢- شرح بلوغ المرام (مجلّد واحد) لم يكتمل.
- ١٣- عقيدة أهل السنة والجماعة.
- ١٤- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.
- ١٥- رسالة في الحجاب.
- ١٦- رسالة في صلاة أهل الأعذار وطهارتهم.
- ١٧- رسالة في مواقيت الصلاة.
- ١٨- رسالة في المدابنة وأقسامها.
- ١٩- رسالة في وجوب زكاة الحليّ.
- ٢٠- الضياء اللامع من الخطب والجوامع.
- ٢١- رسالة في علاج الوسواس في ضوء الكتاب والسنة.
- ٢٢- رسالة في مشكلات الشباب.
- ٢٣- رسالة في المسح على الخفين.
- ٢٤- رسالة في الدّماء الطّبيعية للنساء.

- ٢٥- رسالة في زاد الدّاعية إلى الله.
- ٢٦- حقوق دعت إليها الفطرة وقرّرتها الشريعة.
- ٢٧- رسالة في الخلاف بين العلماء، أسبابه وموقفنا منه.
- ٢٨- رسالة في سجود السهو.
- ٢٩- اثنان وخمسون سؤالاً عن أحكام الحيض.
- ٣٠- مجموع فتاوى الحرم المكيّ.
- ٣١- مختارات من اقتضاء الصّراط المستقيم.
- ٣٢- مختارات من زاد المعاد لابن القيمّ.
- ٣٣- مختارات من إعلام الموقعين.
- ٣٤- رسالة في الوصول إلى القمر.
- ٣٥- نبذة في العقيدة الإسلاميّة (وهي نفيسة جداً).
- ٣٦- رسالة في أصول التفسير.
- ٣٧- كتاب الدّعوة.
- ٣٨- إزالة الستار عن الجواب المختار (فتاوى في العقيدة).
- ٣٩- فتاوى التعزية.
- ٤٠- أسئلة من بعض بائعي السيارات.
- ٤١- الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات.
- ٤٢- شرح ثلاثة الأصول.
- ٤٣- شرح كشف الشبهات.

- ٤٤ - المنتقى من فرائد الفوائد.
- ٤٥ - فتاوى نورٍ على الدُّرب.
- ٤٦ - فتاوى أركان الإسلام.
- ٤٧ - ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة.
- ٤٨ - الشرح المتمتع شرح زاد المستقنع (١-٨).
- ٤٩ - من أحكام القرآن (جزء).
- ٥٠ - فقه العبادات.
- ٥١ - فتاوى منار الإسلام.
- ٥٢ - لقاء الباب المفتوح (١-٧٠).
- ٥٣ - شرح رياض الصالحين (١-٧).
- ٥٤ - اللقاء الشهري (١-٧٤) لم يطبع كلّه.
- ٥٥ - مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، جمع وترتيب الشيخ فهد بن ناصر السليمان، وفيه أكثر الرسائل السابقة.
- ٥٦ - الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين.
- ٥٧ - فتاوى ابن عثيمين، جمع أشرف عبد المقصود.
- ٥٨ - تفسير آية الكرسي.
- ٥٩ - شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة المقدسي.
- ٦٠ - تعليق على العقيدة الواسطية (مبسّط غير الشرح الموسّع).
- ٦١ - الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع.

- ٦٢- رسالة في أحكام الميت وغسله.
- ٦٣- منظومة في أصول الفقه، وقواعد فقهية، ط: دار المحمدي بجمدة. قال في أولها:
 الحمدُ لله المعيد المبدي معطي التوال كل من يستجدي
 وهناك من هذي الأصول جُملاً أرجو بها عالِ الجنان نزلاً
 قواعدُ من قول أهل العلم وليس لي فيها سوى ذا التظم
- ٦٤- رسالة في الرِّبَا وصوره، وأقسام الناس فيه.
- ٦٥- رسالة في الحكمة من إرسال الرّسل.
- ٦٦- رسالة في شرح أصول الإيمان.
- ٦٧- رسالة في الزواج.
- ٦٨- شرح نظم الورقات للعمريطي (مكتوب على الحاسب ومصور).
- ٦٩- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (مكتوب على الحاسب ومصور).
- ٧٠- كتاب العلم.
- ٧١- فتاوى وتوجيهات في الأحجازة والرحلات.
- ٧٢- رسالة في القضاء والقدر.
- ٧٣- تفسير الفرائض (وهو غير تسهيل الفرائض).^(١)
- ٧٤- حكم الطلاق بالثلاث (مخطوط).^(٢)
- ٧٥- نيل الأرب من قواعد ابن رجب (مخطوط).

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦، (ولعله مخطوط).

(٢) المصدر السابق.

- ٧٦- تخريج أحاديث الرّوض المربع (مخطوط).
- ٧٧- شرح عمدة الأحكام (مخطوط).
- ٧٨- أحكام قصر الصلاة للمسافر (مخطوط).^(١)
- ٧٩- نبذ في الصيام.
- ٨٠- تقريب التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٨١- شرح الأصول الستة للشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- ٨٢- مجالس رمضان.
- ٨٣- جلسات الحج.
- ٨٤- فتاوى الصّيد.
- ٨٥- الاختيارات والترجيحات.
- ٨٦- فتاوى سؤال من حاج.
- ٨٧- ٧٠ سؤالاً في أحكام الجنائز.
- ٨٨- الإخلاص.
- ٨٩- الوصايا العشر.
- ٩٠- العقيدة وأثرها.
- ٩١- المتابعة وقبول العمل.
- ٩٢- بعثة الرسول ﷺ.^(٢)

(١) انظر : جملة الحكمة، العدد الثاني للأربعة الأخيرة.

(٢) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين لفهد السليمان، وهذه الخمس الأخيرة كانت محاضرات وطُبِّقَت رسائل في المجموع.

٩٣- شرح حديث جبريل.

٩٤- التوحيد ومعنى الشهادتين.

٩٥- دليل الأخطاء التي يقع فيها الحاج والمتمتع.

٩٦- رسالة في مكارم الأخلاق.

وأعيد القول هنا بأنه ينبغي التفرقة بين ما حرّره الشيخ بنفسه، وما جُمع من كلامه وفتاويه، فذاك لَوْنٌ وهذا لَوْنٌ آخر، والفرق بينهما لا يخفى، لكنني فصلت هنا التيسير والتقريب للباحثين وغيرهم ممن يرغب في عمل دراسات موسعة عن الشيخ، والله الموفق.

اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، اللهم اغثنا، اللهم اغثنا، اللهم اغثنا، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، وكان النبي ﷺ يقرب رداءه حين الخطبة، قال أهل العلم: وذلك تقاؤلاً بأن يقرب الله الخصال من الشدة إلى الرخاء والذي يقرب هو الرداء، ويكون بمنزلة المشح والعباءة.

أما الغترة والشماع فإنها لا تقلب لأنها لا تسمى رداء، وإنما تسمى عمامة، وانتقل الاسم من العمامة إلى الغترة أو الشماع، وعلى هذا فلا تقلب، وينفذ^(١) أن ينصرف الإمام في أثناء الخطبة، فيدعو الله عز وجل سراً، وكذلك المأموم يدعو الله عز وجل. قال بعض العلماء: والحكمة في ذلك أن يشملوا في الدعاء بين الإسرار وبين الجهر ليكون ذلك أقرب إلى الإجابة، ونحن إن شاء الله تعالى فاعلون.

أيها الأخوة.. إن من أسباب منع الخير أن يظلم الناس بعضهم بعضاً، فانتبهوا لأنفسكم هل أنتم ظلمتم أنفسكم، هل ظلمتم أهلكم، هل ظلمتم من تعاملونهم من العمال وغيرهم، فالنبي ﷺ يقول: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فاكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعده أجره». ولقد كان بعض الناس (أي بعض العمال) يشكون من كاذلهم تأخر أجورهم، وهذا لا يحل؛ لقول النبي ﷺ: «مطل الغني ظلم»، وقال: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه».

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهم أنيل منا يا ذا الجلال والإكرام، اللهم تقبل منا، اللهم تقبل منا. هذه كانت خطبة صلاة الاستسقاء.

(١) كنا في الأصل، ولعل الصواب (يُستحب).

أما آخر ما خطب من الجمع في الجامع : فكانت خطبته يوم الجمعة بتاريخ ١٤٢١/٧/٢٩هـ، وكانت الخطبة تحت الناس على انتهاز الأوقات بالأعمال الصالحة، والتذكير بالموت وعدم الغفلة، وانتهاز الفرصة ما دام الإنسان في الحياة، وذكر حديث النبي ﷺ حينما وعظ رجلاً فقال: «اغتنم خمساً قبل خمس» وذكر الحديث. وذكر أثر ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول : «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك» [رواه البخاري].^(١)

شيوخه وتلاميذه :

سبق في الباب الأول ذكر شيوخ الشيخ، والترجمة للعديد منهم. أما التلاميذ فهم أكثر من أن يحصروا نظراً لتعدّد الأماكن التي درّس فيها الشيخ والبلدان، فقد درّس الشيخ في الرياض والطائف ومكة والمدينة وبريدة وغيرها فضلاً عن عنيزة؛ فلذا يصعب حصر تلاميذه، لكنني سأذكر هنا من قدامى التلاميذ، وبعض من كان يرافقه في الطلب، منهم:

- ١- محمد العثمان القاضي.
- ٢- محمد عبد الله السلطان.
- ٣- سليمان بن عبد العزيز البسام.
- ٤- إبراهيم بن عبد الله المطلق.^(٢)

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧، متابعة خالد المرشد، (والبخاري ح ٦٤١٦).

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

٥- إبراهيم بن حمد الجطيلي^(١).

ومن رأته في سكن الطلاب يسكن معنا في فترة ترددي على الشيخ من
الملازمين لدروس العطلة الصيفية :

١- مصطفى بن محمد بن كامل حورية.

٢- ماهر بن فهد السابر.

٣- وليد الحسين.

٤- زيد بن ثابت.

٥- مدين بن إبراهيم.

أما في الحلقة فقد كانوا كثيرين جداً، ولا أذكر الآن أسماءهم، فمنهم من
بريدة، والزلفي، وعنيزة، وغيرهم آخرون من بلاد مختلفة يصعب حصرهم وقد تردّد
بعد ذلك على الشيخ طلاب من دول الخليج وقطنوا عنده، وبعضهم يتردد بين
الحين والآخر، وقد بلغ عدد طلاب الحلقة ٥٠٠ طالباً في بعض الأوقات.

ومن ذكّرهم هم الذين رأيتهم وعشت معهم، وقد جاء بعدنا مئات إن لم يكن
ألوف الطلاب أعني لعنيزة، أما خارجها فلا يحصيهم إلا الله عز وجل ممن يقصده
في رمضان، والحج، والعطلات الموقته، هذا غير من كان يحظى بدروس خاصة في
منزل الشيخ أو غيره من القضاة ونحوهم..

وقد ذكر الأخ وليد الحسين في ترجمته^(٢) عدداً غير قليل فليراجعه من شاء الزيادة.

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٥.

(٢) مجلة الحكمة، العدد الثاني.

رَفَع
عبد الرحمن القمزي
أسكنه الله الفردوس

الباب الثالث

وفيه فصلان:

الفصل الأول : مرضه.

الفصل الثاني : وفاته.

الفصل الأول

مرضه

حقيقته :

قال الشيخ عبد الرحمن الريس مؤذن الجامع الكبير بعنيزة :

«فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين بداية مرضه كان سرطاناً في المستقيم قبل أن ينتشر المرض.

وكان الشيخ قد عمل عملية بواسير منذ ٢١ سنة.

وقبل رمضان العام الماضي بدأ الشيخ يتألم من شدة المرض، وكثر تردده على دورة المياه، خصوصاً ليلاً.

وبعد إلحاح شديد من محبي الشيخ أقتعه أن يعمل فحص عام.

وافق الشيخ على عمل الفحص فأخبرهم الشيخ بمرضه السابق، وكان الشيخ يعتقد أن هذه الآلام هي مجرد امتداد للمرض الأول (البواسير).

فأخذ المستشفى عينه من الدم، وبعد التحاليل تبين أن الشيخ مصاب بمرض السرطان في المستقيم، وأخذوا عينه من الكبد، فوجدوا نفس المرض، ثم فحصوا الرتين فوجدوا به نفس المرض، فعلموا أن المرض قد انتشر في جميع جسم الشيخ، ولم يخبر الأطباء الشيخ بما فيه، فأحسَّ الشيخ أن الأمر فيه شيء، فألحَّ على الأطباء أن يخبروه، وبعد إلحاح شديد من الشيخ أخبره الأطباء بالمرض، فتبسَّم الشيخ عند إخباره بالمرض، وحمد الله وأثنى عليه، فتكلَّم الشيخ كلماتٍ عجيبية تكتب بماء الذهب؛ حيث قال :

«إن الإنسان المؤمن إذا قام بطاعة الله، وفعل أوامره، واجتنب نواهيه، فإنه لا يرجو بذلك إلا رحمة الله ودخوله الجنة، ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى الجنة إلا بالموت، والموت قد كتب على جميع البشرية، فمرحباً بالموت، إذا كان الموت هو الذي بيننا وبين الجنة».

وهذه الكلمات تدلُّ على قوة يقين الشيخ وحسن ظنه بالله عز وجل.^(١)

قال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«والشيخ يسميه المرض الخطير، ويرفض أن يسميه المرض الخبيث، ويقول :
ليس في أفعال الله خبيثاً».^(٢)

كذا نُقل، وفيه تأمل لإطلاق وصف الخبيث في القرآن والسنة على عدّة أصناف من المخلوقات.

ولا شك أن أفعال الله عز وجل كلها خير ليس فيها شرٌّ ولا خبيث.

حالته مع المرض.

قال الشيخ عبد الرحمن الرّيس :

«مع شدة مرض الشيخ ثقلت عليه الحركة، فكان يأخذ وقتاً طويلاً في الوضوء والأكل والصلاة.

وفي آخر الأيام عندما كان في عنيزة ويوم المصلين عندما كان نشيطاً كان يحصل معه أثناء الصلاة (السلس) وكان يشعر بخروج شيء منه، فكان يقطع الصلاة ويقدمني للإمامة مكانه.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

وقد حصل هذا من الشيخ مرتين في صلاة الفجر، وأخرى في صلاة المغرب، فيقوم الشيخ بإعادة وضوئه في غرفته الخاصة في المسجد، ويطلب من ابنه أن يصلّي معه حرصاً منه على تحصيل أجر الجماعة»^(١).

وقال أيضاً :

«رغم مرض الشيخ حرص على خطابة الجمعة في الجامع الكبير، والإمامة، ولقاء الناس للإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم، وكان الشيخ حريصاً على إمامة المسجد رغم أن المرض ينهكه، ورغم كلّ معاناته»^(٢).

تاريخ بدايته أو (اكتشافه) :

جاء في جريدة (الاقتصادية) ما يلي :

«وكان الشيخ قد دخل المستشفى للمرة الأولى في نيسان (إبريل) الماضي»^(٣).
يعني في المحرم عام ١٤٢١ هـ تقريباً.

العلاج :

بعد إجراء الفحوصات اللازمة على الشيخ في مستشفيات المملكة تبين للأطباء أن الشيخ مريض بالسرطان، وقد انتشر في جسده، وبدأت رحلة البحث عن العلاج، وجاءت رغبة أولياء الأمور، وخاصة سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز وليّ العهد بضرورة سفره إلى الخارج للعلاج وإعادة التشخيص. وتحت هذا الإلحاح وافق الشيخ على السفر إلى أمريكا، وقد رافقه في هذه الرحلة :

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

- أخوه د. عبد الله العثيمين.
- أبناؤه الأربعة : عبد الله، إبراهيم، عبد الرحيم، عبد العزيز.
- خالد المصلح، وسامي الصقير، ومنصور التركي.
- د. عبد الرحمن النعيم.
- ناصر الراجحي «استشاري الأورام في مستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض».

وبعد إجراء الفحوصات اللازمة توافق تقرير الأطباء هناك مع التقرير الذي أعد في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض.^(١)

دعوة الشيخ في أمريكا :

قال الدكتور سعود بن عبد الرحمن العجاجي :

«أمضى الشيخ ابن عثيمين في (بوسطن) عشرة أيام، تخلّلتها حلقات لتحفيظ القرآن، وجلسات دينية عقدها في مسجد الجمعية الإسلامية في (بوسطن)، تمحورت حول سبل وأوجه تقريب المسلمين فيما بينهم، وتوحيد كلمتهم، والدعوة للتعاون فيما بينهم».^(٢)

«وقد أمّ المسلمين الموجودين هناك في صلاة الجمعة مرتين :

الأولى : في مسجد (كيوزي).

والثانية : في مسجد (شارون).

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

ودعا فيهما لإصلاح ذات البين، وكيفية التعامل مع الأجنب، مذكراً المصلين بضرورة تجاوز صفائر الأمور، والدعوة إلى الله عز وجل، بـ : التسامح، والنصح، والإرشاد بالكلمة الطيبة والحسنة»^(١).

وقد «زار الشيخ نادي الطلبة السعوديين في (بوستن) وألقى محاضرة قيمة تخللتها دعوة الطلبة إلى احترام الديار التي هم فيها، ونصحهم بعدم الغش أو الكذب على الأمريكان.

وألا يستغلوا بعض نقاط الضعف الموجودة في أنظمتهم، مثل نظام التأمين وعليهم أن يمثلوا ديار المسلمين خير تمثيل»^(٢).

وقال د. صالح بن عبد العزيز النصار :

«لقد حظيت في الولايات المتحدة الأمريكية كما حظى كثير من المسلمين هناك بسماع صوت الشيخ، والاستناره بتوجيهاته، والإجابة عن الأسئلة المعقدة التي تواجه الجالية المسلمة هناك، وذلك من خلال المحاضرة الهاتفية التي نُقلت إلى أكثر من مائة مسجد، ومركز إسلامي، ومنزل»^(٣).

وقد ألقى الشيخ في (بوستن) في يوم الأربعاء ١٤٢١/٥/٢ هـ محاضرة بعنوان (وحدة المسلمين).

وخطب الجمعة في المركز الإسلامي في يوم الجمعة ١٤٢١/٥/٤ هـ.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الرياض، العدد ١١٨٩٠.

العلاج المقترح :

من المعروف عالمياً أن هذا المرض خاصة بعد انتشاره واستفحال أمره لم يهتد العلم الحديث لعلاجه، والأمر لا يتعدى تخفيف آلام المرض عن طريق : الإشعاع النووي، أو الكيماوي، أو المسكنات.

فما موقف الشيخ من كلا الأمرين ؟

١- أما الكيماوي :

فقد أوضح أخوه د. عبد الله العثيمين موقف الشيخ منه حيث قال :

«وقد اختلفت آراء الأطباء؛ سواء مَنْ كشفوا عليه أو من اطلعوا على التقارير عنه، واستشاروا حولها في طريقة علاجه، فكان منهم من رأى علاجه بالأشعة والكيماوي، ومنهم من لم ير ذلك.

وفي تلك الظروف كان الشيخ محمد متردداً لما رآه من اختلاف وجهات نظر الأطباء، ولزيد من الاطمئنان تشخيصاً وعلاجاً جاءت مشورة ولاية الأمر في هذا الوطن له كي يسافر إلى أمريكا - حفظهم الله ورعاهم وجزاهم أفضل ما يجزي به عباده الصالحين - على ما أبدوه تجاهه من عطفٍ وما قاموا به من رعاية وقد أكدت الفحوصات هناك ما توصل إليه من تشخيص في المملكة، واستقرّ الرأي الطبي على أن يعالج مدة بالأشعة مع جرعات مخففة بالكيماوي، ثم يبدأ العلاج بالكيماوي وحده.

وسرّ الشيخ محمد بذلك.

فقدم إلى الوطن ليبدأ في مستشفى الملك فيصل التخصصي ما استقرّ الرأي

الطبي عليه.

وعالج بالأشعة فعلاً على أن الأطباء رأوا أخيراً أن سليات علاجه بالكيمائي أوضح من إيجابياته، ففضّلوا عدم علاجه به، وقبل الشيخ ما فضّلوه»^(١).

هذا ما ذكره شقيق الشيخ، وقد كان مرافقاً له في رحلته، وفي علاجه بالمستشفى في المملكة. وقد ذكر غيره أن الشيخ عندما عُرض عليه العلاج بالإشعاع النووي، أو الكيمائي، ووضّحو له أن هذا الأخير يسبّب تساقط الشعر، فسأل الشيخ: حتى شعر لحيتي؟ فقالوا: نعم، قال: لا أحب أن أأتي ربّي بلا لحيتي»^(٢).

وقد تناقل الناس هذا الأخير واشتهر، فإله أعلم.

٢- أما المسكنات الأخرى:

فقد قال الشيخ محمد بن صالح المنجد:

«كان الشيخ رحمه الله يكره المسكنات كما قال لي أحد الأطباء الذين يعالجونه لأنها تنوّمة، وتعيقه عن قيام الليل والتدريس»^(٣).

٣- الرقية:

قال الشيخ عبد الرحمن الدهش:

«ومما يُذكر في صبره في مرضه أنه عُرض عليه رحمه الله أن يُسترقى، أي تطلب الرقاة له، ولكنه أبقى حرصاً على أن لا يخرج من السبعين ألفاً الذين ذكرهم النبي ﷺ، وأن من صفاتهم أنهم لا يُسترقفون، أي لا يطلبون الرقاة لهم.

لكن لما أتى الرقاة إليه يطلب أحد طلابه لم يردهم، وسمح لهم أن يرقوه»^(٤).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٢) جريدة الوطن، العدد ١٠٥.

(٣) شريط: ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٤) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

مواقف رائعة على فراش المرض

مع رحلة العلاج القاسية، وعدم تيسر دواء يعلمه البشر لهذا الداء العضال، والذي استحکم في جسد الشيخ النحيل، والذي بدأ تدريجياً في الذبول، أخذ الألم يتزايد عليه يوماً بعد يوم، ويتجلد الشيخ ويصير، حتى إنه لا يتحلى للنظر إليه أنه يشعر بشيء احتساباً وصبراً وأملاً ورجاءً في موعود الله تعالى للصابرين.

يقول الشيخ عبد الرحمن الرئس :

«يحدثني ابنه عبد الرحمن الذي لازم والده الشيخ محمد بن عثيمين طوال فترة مرضه، يقول ابنه عبد الرحمن : إني أرى الشيخ كثيراً من المرات بعض على شفتيه من آلام المرض، فيسأله ابنه : هل تتألم من شيء ؟ فإذا كان بالغرفة أحد غير ابنه يقول : لا، أبداً. أما إذا لم يوجد إلا ابنه فإنه يقول : إني أتألم، ولكن قولي هذا من باب الإخبار، ليس من باب الشكوى».^(١)

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«سألته بعد فترة بالهاتف عن الألم فقال : يأتي ويذهب إلا في موضع المرض الأصلي الذي انتشر منه فإنه مستمر».^(٢)

وقال : «لم يتمكن الشيخ رحمه الله من صيام رمضان الماضي مرضه، وقد عذره الله سبحانه وتعالى عذر المريض».^(٣)

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٣) المصدر السابق.

ومع كل هذه الآلام فإن الشيخ لم يترك الدعوة إلى الله، وتعليم العلم، والنصح والتوجيه وهو على فراشه، بل والإجابة على أسئلة المستفتين والسائلين، والمسترشدين.
من ذلك :

١- ما قاله د. حسن بن فهد الهوعلل :

«توفّي أحد جيرانه قبل أسبوع من وفاته، فهاتف أولاده من المستشفى في جدّة معزياً ومواسياً، وداعياً وناصحاً لهم، وقال لهم بالحرف الواحد : أنا مريض ولا أعلم ما يكتب الله لي، فاستوصوا بوالدكم وإخوانكم الصغار خيراً»^(١).

٢- في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر شعبان زاره فضيلة الشيخ هود الصانع، وذكر ما من الله به على الشيخ من الصبر والجلد، وذكر وصيته.
كما ذكر أن أحد الإخوة سألته عن ميراث أختين شقيقتين وأخت لهما من أب فكيف يقسم ؟

فقال رحمه الله : للأختين ثلثان، وللأخت للأب الباقي.^(٢)

٣- قال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«لما رجعت من أمريكا بعد العلاج سئلت عن حالته العلاجية والصحية، فقال الشيخ كلمة تدون بماء الذهب : اعلّموا أن المرض لا يقدم الآجال وأن العافية لا تؤخر الآمال والآجال، وأن أجلي مكتوب، وأجلكم مكتوب من قبل أن يخلق الله السموات والأرض، فأمنوا بهذا فإني آمنت به»^(٣).

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) شريط (أحب لقاء ربّه) نقلاً عن صفحات مشرقة ص ١١١.

٤- قال إبراهيم بن محمد العثيمين :

«أتذكر في اليوم التاسع والعشرين من رمضان في الصباح حصل معه بعض الأثر (التعب) وقرّر الطبيب المرافق بنقله إلى مستشفى جدّة التخصصي، وبالفعل تم نقله رحمه الله من مكانه في الحرم بسيارة الإسعاف إلى مستشفى التخصصي في جدّة، وأدخل فوراً إلى غرفة العناية المركّزة، ومكث فيها قرابة الستّ إلى السبع ساعات، ثم بعدما خرج من غرفة العناية المركّزة وأحسن بشيء بسيط من النشاط أصرّ على أن يعود إلى مكّة مرة أخرى في نفس اليوم.

وحاولنا والإخوان أن نثنيه عن هذا القرار لكنّه أصرّ إلا أن يذهب لأنها آخر ليلة من ليالي رمضان، ولا يرغب أن تفوته هذه الليلة، وأن هناك الكثير ممن ينتظرونه في الحرم وينتظرون الدّرس. فأصرّ على أن يعود مرة ثانية.

وفعلأً عدنا ووصلنا إلى مكّة في وقت صلاة العشاء، ثم أخذناه من سيارة الإسعاف محمولاً على النقالة الخاصة بالإسعاف، وكان الأوكسجين على فمه، واسطوانة الأوكسجين بين أرجله، إلى أن وصلنا به إلى الغرفة المخصصة له.

ثم أول عمل قام به أن توضأ ثم صلّى العشاء، وبعدها طلب مكبّرات الصوت، لأنهم كانوا على وشك الانتهاء من صلاة التراويح، وأرسل الأخ عبد الرحمن إلى مكان الدّرس لتلقّي الأسئلة من السائلين، وقام الطبيب بإبعاد الأوكسجين عنه، ووضع الأنبوب الذي يوضع على الأنف، ثم بدأ الدّرس وسط ذهول من الأطباء والمرافقين له.

وألقى الدّرس في موقفٍ عجيب جداً، وبعدها كان يقول : لو جلسنا في جدّة لفاتنا هذا الخير العظيم»^(١).

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

قلت : وقد قال الشيخ في هذا الدرس الأخير :

«الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

فإن هذه الليلة هي الليلة الموافية للثلاثين من شهر رمضان المبارك عام ١٤٢١ هـ
والله أعلم أنه يكون آخر لقاء في هذا الشهر المبارك في المسجد الحرام.

أيها الإخوة الكرام : لقد منَّ الله على عباده باستكمال هذا الشهر المبارك وبما
تيسر من الأعمال الصالحة المقربة من الله تعالى، أسأل الله أن يجعلها وديعة لنا عنده،
ومغفرةً للذنوب، وتكفيراً للسيئات، ورفعاً للدرجات».

ثم تكلم الشيخ على أعياد المسلمين الثلاثة : الأضحى والفطر والجمعة.

ثم ختم كلمته بقوله :

«اللهم احتم لنا شهر رمضان بغفرانك، وجُدْ علينا بفضلك وامتنانك، واجعل
مآلنا إلى جنتك، وأعد علينا شهر رمضان، والأمة الإسلامية ترفل بالعز والكرامة
والسلامة، إنك على كل شيء قدير.

وإلى الأسئلة، أسأل الله أن يوفّقني لصواب الجواب».

ثم أجاب الشيخ على سبعة عشر سؤالاً في أمورٍ مختلفة.

في الزكاة، والتذور، والاعتكاف، والصيام، وطواف الوداع، والعمرة، وسفر
المرأة بدون محرم، وغيرها..

ثم ختم هذا اللقاء وهو على فراش المرض في غرفته داخل الحرم، والناس متحلّقون حول سماعات الميكروفون في مكانه المعهود الذي كان يلتقي بمجيبه وطالبه كلّ عام عنده.

قال رحمه الله وصوته ضعيف، ولسانه ينقل :

«والى هنا يتهي هذا اللقاء المبارك أسأل الله أن يعينني وإياكم على الخير وأن يتوفانا على الإسلام، وأن يجعلنا من دعاة الخير وأنصار الحق، إنه على كلّ شيء قدير»^(١).

هذا وقد حضرتُ درسه الذي ألقاه في ليلة السابع والعشرين من رمضان من غرفته، ونحن متوزعون حول السماعات على سطح المسجد الحرام، والجميع متعجب من صبر الشيخ وجلده، وحضور ذهنه، وصحة استدلاله بالنصوص، وعدم اضطرابه؛ مع شدة المرض، ونحول الجسد، فسبحان المعطي الوهاب الذي لا إله إلا هو.

٥- وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد : قلت للشيخ مسلماً :

«يا شيخ محمد إن عشت فهو إن شاء الله خيرٌ لنا بهذه الفتاوى والدروس وما تنفع به الأمة، وإن رحلت فارجوا إن شاء الله أن ما عند الله خيرٌ لك مما عندنا، وليس في الدنيا كبير شيء يؤسف على فراقه ؟ فقال لي : أقول كما قال عمر بن عبد العزيز فيما رواه البخاري : إن للإيمان فرائض، وشرائع، وحدوداً، وسناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأيتها لكم؛ حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص، ثم أشاح بوجهه وقال لي : هين، كلُّ يريد الحياة»^(٢).

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

٦- وقال الأمير فيصل بن بندر :

« كان بكامل إدراكه للأمور وبأسلوبه نفسه وطريقته في النصح والإرشاد، لقد اتصلت به عدّة مرات في مستشفى الملك فيصل التخصصي، وظللت على اتصال به قبل أن يسافر إلى مكّة، وأقول هنا : إنه كان في كلامه وإجاباته وصوته هو نفسه الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الذي لم يتغيّر في صوته وإدراكه، وإيضاحه للأمور. لا تشعر بأن من يميّك إنسان مريض، ووصل معه المرض إلى هذا الحجم كان صوته يقول لك : هذا هو العالم الفذّ في قمة عطائه، وتواصله مع الناس». (١)

٧- قال الشيخ عبد الله الجلالي :

«أيام مرضه رحمة الله عليه في رمضان لمدة شهر كامل، قضاه داخل المسجد الحرام في الصلاة الخاصة، كان قد وضع الميكروفون بجواره، وكنت أزوره بعد التراويح وهو في شبه نوم، وفي تعبٍ شديد، فكان يتحدث إلى الجمهور داخل المسجد الحرام، ويجيب على الأسئلة، ويقول كلاماً موزوناً، ولم يؤثر فيه هذا المرض بالرغم أن هذا المرض قد أهلكه كثيراً، وكان إذا نهه أهله وقد فاتت الفرصة كان يلومهم ويقول: لماذا لم توقظوني، حيث كان لا يرغب أن تفوت فرصة إلقاء الدّرس من حرصه رحمه الله تعالى». (٢)

٨- وقال فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين :

«كان آخر لقائنا في مكّة ليلة ٢٧ من رمضان، حيث استأذنا في الوصول إليه، وجلست إلى جواره نحو خمس دقائق، فكان سؤاله عني أكثر من سؤالي عنه، لأنني

(١) الاقتصاد، العدد ٢٦٥٠.

(٢) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

كنت لا أحب أن أشقَّ عليه بتكرار السؤال لما أعلم من حالته الصحيَّة، ولكنني كلما سكتُ بادر هو بالسؤال عن أحوالي وأخباري»^(١).

وفي مقابل هذا العطاء المتواصل ومحبَّة الخير، والنصح للناس، باده طلابه ومحبَّوه هذا الشعور، فأخذت الوفود تتوافد على الشيخ في المستشفى التخصصي في الرياض لزيارته وعبادته، ولإلقاء النظرة الأخيرة عليه.

وقد يسَّر الله لي بفضلُه عيادة الشيخ في الجناح الخاص به، والذي أطلق عليه : جناح كبار الشخصيات، وقد قمت بالسلام عليه والدعاء له، ووقع نظري على عينيه نظرانٍ إليَّ في شفقة ورحمة، وكأنهما تسترجعان تاريخ بداية قدومي عليه في عزيزة وهو في كامل صحَّته ونشاطه وعافيته.

وقد وجدت أمام غرفته الوفود تلو الوفود كلُّ في انتظار الإذن له بالدخول، فبعضهم جاء من مسافات بعيدة جداً، من المنطقة الشرقية، أو الغربية، أو القصيم.

وقد يتسنى له الدخول للسلام عليه، وقد يرجع وهو حائبٌ حسير نظراً لتعب الشيخ وإرهاقه من كثرة عائديه.

«وكان الشيخ يلاحظ عليه الانخفاض الواضح في وزنه، وهو الأمر الذي يصيب أغلب من يصابون بذات مرضه»^(٢).

«هذا وقد غادر الشيخ مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض يوم الثلاثاء التاسع من رمضان متوجهاً إلى مكة المكرمة بجوار بيت الله الحرام»^(٣).

(١) البلاد، العدد ١٦٢٢٣، نقلاً عن صفحات مشرقة ص ١٠٨.

(٢) الوطن، العدد ١٠٥.

(٣) مجلة التوحيد، العدد (١١) للسنة ٢٩.

ويحكى لنا أخو الشيخ ثلاثة مواقف تبين مدى محبة الناس له، ومدى ما وضع له من القبول في الأرض.

يقول الدكتور عبد الله العثيمين :

«ذات ليلة وأنا عند باب الغرفة التي كان فيها الشيخ رحمه الله، اقترب مني طفلان في العاشرة أو التاسعة من عمريهما، وقالا : «حتنا عيال الخليوي يا عم، ودنا نشوف الشيخ محمد».

وما كان ألد علي من أن أُلبي رغبتهما، وخرجا منه والسعادة بادية على وجهيهما أبقاهما الله لأسرهما مصدر غبطة وحبور.

وفي ليلة أخرى كان الشيخ رحمه الله قد تعب بعد ساعة من رؤيته الزائرين، والدعاء المتبادل بينهم وبينه، ورغب في أن يرتاح، عند ذلك كان من بين من لم يكن هناك وقت لدخوله إليه، شاب يبدو في العشرين من عمره، فتقدم إلى الباب مصمماً على الدخول إلى الشيخ، وأخبر بأن الشيخ متعب، لكنه ازداد تصميماً على الدخول، وصاح : لا يمكن إلا أن أراه، فقد مات الشيخ ابن باز ولم أره، وانفجر باكياً، وأقنع أخيراً بأن يأتي ميكراً في مساء اليوم التالي، ففعل، وكان أول من دخل إلى الشيخ، فخرج منه سعيداً مسروراً.

أما الموقف الثالث فرمز وفاء ونبل : شيخ في التسعين من عمره، أو ينيف على ذلك، فقد بصره وخرج لتوه من المستشفى العسكري بعد إجراء عملية في قلبه، أتى به محمولاً في عربة، ودخل إلى الشيخ رحمه الله وأخذ يكي ويدعو، ذلكم هو النبيل الكريم أبو خالد، عبد الله بن عبد الرحمن القاضي، متع الله به وأتابه أحسن الجزاء»^(١).

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٢.

وقد سألت نفسي سؤالاً وطرحته على غيري بعد زيارتي للشيخ: ما الذي جعل الشيخ ابن عثيمين يُمرض في جناح كبار الشخصيات ؟

وليس هو من أصحاب الثراء أو الأرصداء والعقارات، وليس من الأمراء والملوك، وليس هو من أصحاب المناصب المشهورة كالوزراء والمدراء.

بل لم يحصل الشيخ على شهادة الماجستير ولا الدكتوراة، إذ ما الذي جعله يتبوأ هذه المكانة، ويأتيه المجتمع بكل طبقاته يعودونه.

الأمراء والوزراء والوجهاء والأثرياء والشباب والشبيه والأطفال والعوام الدهماء وغيرهم.. فكان الجواب الذي لا شك فيه :

إنه العلم، وهذه هي مكانة العلماء، وشرف أهل العلم الذي تواترت به النصوص والآثار.

ويكتفي في هذا آية واحدة وهي قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾.

فلم يقرن معهم من البشر أحداً في شهادتهم بالوحدانية، والتي هي أجل شهادة من أعظم شاهد - وهو الله عز وجل -.

فسبحان من بلغ الشيخ هذه المكانة السامقة.

مرضه بالالتهاب الرئوي :

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

«كذلك فإن الشيخ رحمه الله لما نُقل من الحرم في آخر يوم، بعدما انتهى من الدرس لشدة الالتهاب الرئوي الذي أصابه إلى جدة في العيد عولج من هذا الالتهاب

الرئوي، فقال لي الطبيب المعالج: تحسنت حالة الشيخ، وفرحنا، ولكن ما زالت آثار السرطان باقية وشديدة.

قالوا: كان طيلة الوقت يقرأ القرآن، ويذكر الله، إذا أفاق يقرأ القرآن ويذكر الله.^(١)

الأيام الأخيرة، الساعات الأخيرة :

قال الشيخ المنجد : قال الطبيب المعالج :

«وفي آخر ليلتين اشتدَّ عليه المرض جدًّا، وسمعناه يقرأ أشياء من القرآن فاستمعنا وأنصتنا.

فقال : فسمعناه يقرأ قول الله تعالى : ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾. قال : فأعجبنا ذلك، ثم في آخر يومين اشتدَّ عليه المرض جدًّا».^(٢)

وقد وصف الدكتور رضوي (الطبيب المعالج) الأيام التي قضاها بجوار الشيخ بأنه كان يحسّ بالألم لمرض الشيخ، وأنه يتعامل معه مثل ما يتعامل الابن مع أبيه، وكنت أدعو الله له بالشفاء؛ لكن قدر الله كان أسرع. وذكر الدكتور رضوي بأن الشيخ رحمه الله كان قليل الكلام كثير الحمد والاستغفار.

وقد سمعه يقرأ سورة الفاتحة، وفي مرّات أخرى كان يتمم لصعوبة حالته الصحيّة، وعندما سأل أبنائه عن ما يتمم به الشيخ ذكروا بأنه يقرأ القرآن، وهذا هو ديدن العلماء أمثال فضيلة الشيخ رحمه الله.^(٣)

(١) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٢) ١٠٠ فائدة من شريط العلامة ابن عثيمين.

(٣) الوطن، العدد ١٠٨.

شوقه للقاء الله.

قال الشيخ عبد الله بن محمد اليحيى (وكيل وزارة العدل) :

«في آخر أيامه كان الشيخ يوصي من يزوره بتقوى الله عز وجل، والدعوة إلى الله، والقيام بحقوق الناس، وكان يقول : إنه اشتاق لملاقاة ربه». (١)

وصيته.

كان الشيخ رحمه الله تعالى لا يكاد يفتر من التصحح للآخرين حتى في أشد لحظات مرضه. وكان يوصي العامة والخاصة.

وتتلخص الأمور التي أوصى بها الشيخ قبل موته في ثلاثة أشياء :

١- وصيته العامة بتقوى الله عز وجل، والاجتهاد في الدعوة إلى الله تعالى.

قال إبراهيم بن محمد بن عثيمين (ابن الشيخ) عن وصية الشيخ محمد آخر حياته وأيام المرض :

«كان يوصينا بمثل ما يوصي به الأمة الإسلامية كلها بتقوى الله عز وجل، والعلم، والحرص على الخير، وطاعة ولاة الأمر في مرضاته، والدعوة إلى الله تعالى، ومحبة الفقراء والمحتاجين». (٢)

وقال الشيخ حمود بن عبد العزيز الصائغ :

○ إنه أوصى بتقوى الله عز وجل.

○ والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٨٩.

- وعدم الاستعجال في الأمور، والرفق، والتأسي بهدي النبي ﷺ في ذلك.
- وأن على الإنسان إذا رأى منكراً ألا تحمله الغيرة على أن يتصرف من منطلقها بدون تأمل بالعواقب والنظر في الأمور.

وذكر بأن الاستعجال في الفتوى لا يحسن من الإنسان، بل عليه أن ينظر إلى العواقب قبل أن يفتي بفتوى، وأكد على موضوع الحكمة، والصبر على الدعوة إلى الله تعالى^(١).

وقال الشيخ صالح الوثيان :

- « كانت وصيته الشفهية من دون واسطة وهو ممدد على الفراش أنه يقول :
- عليكم بالجدّ في دعوة الناس إلى الله.
- عليكم بالتيشير على الناس.
- عليكم بنقد الفرقة والاختلاف والشحناء وتفهم الأمور والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى^(٢).

قلت : فرحة الله على هذا الإمام الذي نصح ووصى وهو على فراش المرض، ومشارف الموت، ولم يتحرج جهداً في بذل الوصية الجامعة النافعة لعموم الأمة، وللولاة والرعية.

٢ - وصيته بالجامع والدروس.

لم ينس شيخنا المترجم جامعته العظيمة التي كانت مصدر نور وهداية، ليس لعنيزة فقط، بل للعالم أجمع، أي الجامع الكبير الذي تعاقب عليه علماء أفاضل، كان

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) شريط (وخسف القمر، ورحل العلامة ابن عثيمين) نقلًا عن صفحات مشرقة ص ١٥٢.

شيخنا من آخرهم، فحمل همّه وحرص قبل موته على تنظيم أموره ليستمرّ هذا الخير والعطاء.

فقد : «أوصى، ووضع من يخلفه ويقوم بشؤونه - أي الجامع الكبير بعنيزة - وأن يقوم الشيخ محمد بن سليمان السلطان بصلوة وخطبة الجمعة - (وصلاة الاستسقاء والأعياد) -، وأن يقوم الشيخ سامي بن محمد الصقير بصلوة الفروض، وأن يخلفه في الدروس اليومية :

- الشيخ خالد بن عبد الله المصلح «بتدريس التوحيد والحديث».
- والشيخ عبد الرحمن بن صالح الدهش «بتدريس اللغة العربية والتفسير».
- والشيخ سامي بن محمد الصقير «بتدريس الفقه والفرائض».

وأن تقام الدروس في نفس المكان الذي كان يلقي فيه دروسه رحمه الله. وأن يقوم بشؤون الطلاب كلٌّ من الشيخ: عبد الرحمن الدهش، والشيخ خالد المصلح.^(١)

٣- وصيته الخاصة بموته ودفنه.

«وفي اللحظات الأخيرة لوفاته، والتي تجمّع فيها أبنائه حوله في تخصّصي جدة كان يذكّرهم بضرورة تعجيل دفنه بعد موته.

يقول : خالد العثيمين : لقد كانت هذه نصيحة الشيخ لذوي كلٍّ من حضرته الوفاة، يذكّرهم بسنة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.^(٢) «ويذكر أنه أوصى الأطباء بأنه إذا وافته المنية أن لا يحاولوا استخدام الصدمات الكهربائية لإنعاش قلبه».^(٣)

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٢) الوطن، العدد ١٠٥.

(٣) الوطن، العدد ١٠٨.

أمنيته :

لا شك أن أمانى الرجال تكون على قدرهم،

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مُرَادها الأجسامُ

وشبخنا من أعظم رجال هذا العصر همهً وعملاً، فبا تُرى ماذا كانت أمنيته

قبل موته !!؟

لقد تمنى الشيخ - فيما وصلنا - أمنتين عظيمتين يتمتاها كل مسلم :

الأولى : الشهادة :

قال عبد الله خان :

«لقد كانت أمنية شيخى محمد أن ينال الشهادة؛ حيث كنت أرافقه ذات يوم وحصل موقف، وقال رحمه الله : يا عبد الله أتمنى موت الشهادة.

وحقق الله ما يريد، ومات رحمه الله شهيداً؛ لأنه ورد عن النبي ﷺ أنه قال :

«المبطلون شهيد» وشيخى أصابه داء البطن»^(١).

والثانية : الموت على طاعة والدفن في الحرم.

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

«وكانت له أمنية حدث بها أحد المشايخ فقال : «أنا أريد أن أموت وأنا قريب

من الكعبة أنشر العلم» وكان الشيخ يرى نشر العلم من أعظم القربات»^(٢).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٩.

(٢) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

الساعة الأخيرة :

«تحدث الدكتور عامر رضوى (الطبيب المعالج) عن آخر ساعة في حياة الشيخ ابن عثيمين قائلاً : إنه كان يقرأ القرآن الكريم، ثم دخل في غيبوبة، وبعدها بساعة انتقل إلى جوار ربّه الكريم»^(١)

وذكر أحد طلاب الشيخ أنه كان يردّد - رحمه الله - الآية الكريمة : ﴿يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٢)

(١) الوطن، العدد ١٠٨.

(٢) المصدر السابق.

الفصل الثاني الوفاة وما بعدها

قال الله تعالى لنبية ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْحَالِدُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَيُّهَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾.

فقد كتب الله الموت على كل نفس مخلوقة طال عمرها أم قصر، فقد مات الأنبياء والمرسلون، ومات الخلفاء الراشدون، ومات الأئمة المرضيون، ومات الدعاة والمصلحون. فمن أصيب بمصيبة الموت في أحد ذويه أو محبيه فليتصبر بالمصيبة الكبرى في وفاة نبينا ﷺ.

وقد مات ابن عثيمين كما مات من قبله، ونرجو له من الأجر والثوبة وسكني الفردوس الأعلى ما نرجوه لأمثاله من العلماء الصادقين المجاهدين في الله حق جهاده.

سائلين المولى جلت قدرته أن يجعل هذا المرض تكفيراً للخطايا، ورفعاً للدرجات، وأن يكتبه في الشهداء، وأن يُجرى عليه أجر علمه وتعليمه ودعوته بعد موته إلى قيام الساعة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال الشيخ عبد الرحمن الويس :

«كانت حالة الشيخ مستقرة صباحاً يوم الأربعاء يوم وفاته - يعني ١٥/١٠/

١٤٢١هـ - حتى الساعة الواحدة ظهراً، فقد كان مستلقياً مفتحاً عينيه، وقد بدا

عليه التعب الشديد، وبدأ العرق يخرج منه، وكأنه يشعر بشيء، ولوحظ أنه يكرر ذكر الله، وتبين ذلك في حركة أصبعه وشفتيه، وقد كان القلب وجميع أجهزته طبيعية، كذلك التنفس، وكان الأوكسجين موضوعاً في فم الشيخ إلى أعلى درجته، ومع ذلك كان لدى الشيخ هبوط في الأوكسجين، حتى استدعى الأطباء، فحضروا جميعاً إلى غرفة الشيخ، فقالوا حسب حرقم : إن هذا بداية خروج الروح، فبدأ الموجودون عنده في الغرفة ومنهم : أخوه عبد الرحمن وابنه عبد الرحمن يذكرون الله، ويقرؤون عليه سورة ﴿يس﴾.

وبعدما شاهدوا رعشة خفيفة جداً لدى الشيخ، فخرجت الروح وتوقفت جميع الأجهزة، وتوفي الشيخ رحمه الله تعالى.^(١)

سنه وعمره :

«توفي الشيخ يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال لعام ١٤٢١ هـ في الساعة الخامسة وخمس وخمسين دقيقة»^(٢) قبل غروب شمس ذلك اليوم. وعليه فيكون عمره يوم الوفاة أربعة وسبعين عاماً وثمانية عشر يوماً بالسنتين القمرية.^(٣)

التفصيل والتكفين :

قال الشيخ عبد الرحمن الرئيس :

«الذين قاموا بتفصيل الشيخ وتكفينه شاهدوا نوراً وبشاشة في الوجه، وسهولة في التفصيل، حتى إن المغسلين تفاجؤوا من نظافة الشيخ عندما أتوا به، وكانوا

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٣) الوطن، العدد ١٠٥.

يعتقدون أنه قد عُسل قبل مجيئه، وبسبب ارتخاء في الفكّين كان فم الشيخ مفتوحاً ظاهرة أسنانه، وكأنه مبتسم، فحاول ابنه عبد الرحمن قفل فم الشيخ لمدة نصف ساعة، ومع ذلك لم يستطيعوا، وبعد وفاة الشيخ كان قد وُضع في ثلاجة المستشفى العسكري بمحمة، ولم يوجد غيره فيها، وُعسل في نفس المستشفى»^(١).

نقله من جدة إلى مكة، والصلاة عليه، وتشيعه :

نُقل الشيخ من جدة من المستشفى التخصصي وسط جموع المشيعين الغفيرة من طلابه ومحبيه، في سيارة الإسعاف المجهزة لذلك، ووصل إلى المسجد الحرام عند الساعة الثالثة والنصف قبل صلاة عصر يوم الخميس الموافق السادس عشر من شهر شوال ١٤٢١هـ.

وقد امتلأ المسجد الحرام بالمصلين، وأغلقت العديد من المداخل إلى المسجد الحرام نظراً لزحام السيارات الشديد، وقُدّم الشيخ للصلاة عليه أمام الكعبة المشرفة في المكان الذي صلى هو فيه على شيخه ابن باز، في يوم الجمعة ٢٨ محرم ١٤٢١هـ، أي كان بين موته وموت شيخه سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً تقريباً، وهو حقيقٌ أن يقال فيه مثل ما قيل في شيخه :

هَذَا إِمَامٌ الْجَلِيلِ فِي نَعْشِهِ قُومُوا انظُرُوا كَيْفَ تَزُولُ الْجِبَالُ^(٢)

ها هو الشيخ العالم العامل المجاهد مسجّى في مشلحه أمام بيت الله الحرام للصلاة عليه، إنها أمنية الشيخ قد تحققت، وأكرمه الله تعالى بما، وهو سبحانه وتعالى أجود الأجودين وأكرم الأكرمين.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) إمام العصر ص ٢٤٩.

تقدّم المصلين صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز.
 وصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز، أمير منطقة القصيم.
 وصاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن ماجد بن عبد العزيز، محافظ محافظة جدة.
 وعدد كبير من أصحاب الفضيلة العلماء، وأعضاء هيئة كبار العلماء والمشايخ
 وطلبة العلم، وكان إمام الصلاة فضيلة الشيخ محمد السبيل.

وقد بَسَّرَ اللهُ لي الوصول إلى المسجد الحرام، وأدركت آخر صلاة العصر،
 وانتظرت مع الجموع الحاشدة - والتي تقدر بنصف مليون - حتى كَبُرَ الإمام
 لصلاة الجنازة أربع تكبيرات، قطعت نياط القلوب وسط دموع الناس وبكائهم على
 فقيه الأمة وحرر العصر. في هذا المكان المبارك المعمور بطاعة الله، والذي طالما عمّره
 الشيخ بالدعوة إلى الله تعالى

وتعليم العلم، والصلاة فيه، والاعتماد، والنصح، وإرشاد الخلق.
 ووالله إنها لساعات رهيبة مرت على قلوب محبيه وهم يتذكرون شيخهم الذي
 كان صوته يملأ أرجاء الحرم، وفتاواه تطير هنا وهناك.

ها هو جاءه الأجل المحترم الذي كُتِبَ على كل نفس كما قال تعالى: ﴿كُلُّ
 نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
 الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

عقب الصلاة تدافع الناس لحمل الجنازة وتشيعها، وتزاحموا وتدافعوا أيهم
 يحملها، حتى كادت تسقط من أيديهم ومن على أكتافهم، لكن قوات الشرطة
 كانت أكثر تنظيمًا وحزمًا في معالجة هذا الأمر الخطير، وقد استفادت يقينًا مما
 حصل في جنازة الإمام ابن باز رحمه الله تعالى.

فكانت الشرطة تحيط بالجنائز، وتحاول دفع هذا التراحم الشديد، الذي كاد يهلك طائفة من المشيعة حتى خرجت من باب الملك عبد العزيز، ووضعت في سيارة الإسعاف متجهة إلى مقابر العدل، وحولها الناس من كل جهة.

وتدافع الناس للذهاب إلى المقابر، فمن سائر على قدميه، ومن راكب، ومن هائم على وجهه لا يدري ماذا يصنع.

حتى امتلأت شعاب مكة ووهابها بالبشر وسياراتهم، ورأى أهل مكة منظرًا لم يرونه من قبل في الأيام العادية إلا في جنازة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

ودخلت الجنائز إلى المقبرة وسط هذا الزحام، ولم يستطع الكثير الوصول إلى القبر أول الأمر، فوقفوا على المرتفعات والمضاب والأسوار المحيطة بالمقبرة يدعون لشيخهم ويودعون.

ونزل الجثمان من على الأكتف، والأيدي؛ التي كثيراً ما دعت للشيخ وصافحته. أنزلوه ليوضع في قبره ولحده قريباً من شيخه الإمام ابن باز، فليس بينه وبينه إلا خطوات معدودة.

لحده :

قال خالد بن علي الزمام (أحد طلبة الشيخ) :

«لما سافرنا للصلاة عليه، من الله عليّ بدخول المقبرة والتزول إلى قبره، وتنزيله في لحده، والدعاء له.

وكان الذي لحده ولده عبد الرحمن لرغبته بذلك، وحين التلحيد كان واقفاً على القبر صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر، أمير منطقة القصيم.

والشيخ محمد بن سيّيل، والشيخ صالح بن حميد، والأخ متعب الطيار، وزوج ابنته الأخ خالد المصلح؛ حيث قدم مع الجنازة ومعه أولاده سوى عبد الله الذي كان خارج المفرة أثناء الدفن، والأخ خالد الفضل الذي بصحبتنا في الرحلة»^(١)
 مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الثُّرَى أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي السَّمَاءِ تَمْوَرُ^(٢)

التعزية :

قال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«والشيخ رحمه الله كان في حياته لا يرى بالجلوس للعزاء، وكان يُنفذ ما يراه صواباً، فلما مات أبوه ولمّا ماتت أمّه لم يفتح بيته للعزاء، تلتى العزاء في المسجد، الطريق، وهكذا فعل أولاده من بعده - رحمه الله تعالى رحمة واسعة -»^(٣)

وقد أوضح الدكتور عبد الله العثيمين شيئاً مما أثير في مسألة التعزية فقال:

«أما بالنسبة للعزاء فقد تردّد في المجالس، وفي بعض الكتابات أنه قد أوصى بعدم الجلوس للتعزية به.

والوصية عرفاً لها مفهومها، مكتوبة أو منطوقة.

والواقع أن الشيخ رحمه الله تعالى لم يوص كتاباً أو شفهاً بعدم الجلوس للتعزية به، لكنه كان لا يرى من حيث المبدأ الجلوس للتعزية، وطبق رأيه هذا بعدم جلوسه للعزاء في المنزل عند وفاة والده ثم وفاة أمّه، رحمهما الله، ولأن عدم الجلوس للتعزية هو موقفه، رأياً وتطبيقاً؛ فإن أولاده وبقية أفراد أسرته لم يلبسوا

(١) الرياض، العدد ١١٨٨٩.

(٢) مجلة التوحيد، العدد ١١، السنة ٢٩.

(٣) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

للغزاة؛ مكتفين بما حدث من تعزية لهم في المقبرة التي دُفِن فيها، وفي مسجد الجامع بعينزة وغيره من المساجد، وبما تلقَّوه من تعزيات عبر الهاتف، أو من خلال الرقيات والكتابات»^(١).

الرؤى والبشارات.

قال الشيخ شادي السيد أحمد عبد الله تحت عنوان (بشارات للشيخ) :

«لقد رأى عدد من الناس وطلاب العلم رؤى كثيرة للشيخ رحمه الله تعالى سواء قبل موته أو بعده، وسأكتفي هاهنا بذكر بعضها :

١- جاءت امرأة إلى الشيخ تسأله عن رؤيا رآها لرجلٍ تعرفه، فأولها الشيخ بأن هذا الرجل الذي رأت له الرؤيا مغفورٌ له ومقبول حجه، فقالت المرأة: رأيتك أنت! فبكى الشيخ لذلك تواضعاً وفرحاً^(٢).

٢- حدثني أحد مشايخي أنه رأى رحمه الله تعالى - فجر يوم الخميس - بعد موته وقبل أن يدفن، وهو مسجى ليصلى عليه، فذهبت - والكلام لشيخني - وقبلت يده وجبينه، فإذا عليه هالة من نور، ووجهه أبيض من اللبن، ومعروف أن الشيخ أسمر اللون، فنصحني، فقممت من النوم وأنا مستبشر.

٣- أخبرني أخٌ لي عن زميله - وأحسبه من الصالحين - أنه رأى النبي ﷺ قد مات، فأولها بعض طلبة العلم أن سنة من السنن ستندثر، أو أن علماً من أهل السنة سيقبض، وبعد هذه الرؤيا بيومين فقط مات الشيخ ابن عثيمين^(٣).

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٢) انظر التعليق الآتي على هذه الرؤيا.

(٣) مجلة التوحيد المصرية، العدد (١١) السنة ٢٩.

٤- وقال الشيخ ناصر بن محمد بن عثمان العمري (رئيس المحكمة المستعجلة بتيوك، المساعد) :

«في إحدى ليالي رمضان لهذا العام رأيت وأنا نائم أنني في أرض فلاة واسعة ومعشبة، ومعى شخص آخر في ليلة مقمرة، وبينما نحن نتحدث وننظر إلى القمر وهو في صورة البدر التمام إذا به يسم عن ثغر، وأخذ يتدرج في الاختفاء قليلاً قليلاً، وهو يتسهم، حتى اختفى تماماً.

فأخذ كل منا ينظر إلى الآخر في ذهولٍ وتعجب، وقد حفّ بنا الظلام من كل جانب، ولم نعد نر في السماء إلا النجوم.

ثم قابلت بعد ذلك شخص آخر أعرفه أيضاً، وقلت له : ألم تر إلى القمر كيف اختفى عنا بطريقة عجيبة، فما ردّ علي سوى أن قال : إنه قدر الله.

وبعدما أفقت من نومي أحسست أن شيئاً ما سيحدث، وأصبحت قلقاً وكنت كلما تذكرت تلك الرؤيا طمعت في أن أجد لها تفسيراً، لكنني كنت أتردد في عرضها لتخوّفي من نتيجة تفسيرها، رغم إحساسي العميق أن شخصاً عظيماً سنفقده، ويودّعنا ونودّعه.

ثم صليت بعدها صلاة التراويح مع أحد أئمة المساجد، فكان يدعو في القنوت بالشفاء العاجل للشيخ محمد رحمه الله، فأحسست عند ذلك برهبة عظيمة، ودبت في جسدي القشعريرة، وسالت مني دموع غزيرة، وتذكرت عند ذلك تلك الرؤيا العجيبة، فصرّفت تفكيري عنها محاولاً إقناع نفسي بأنما مجرد أضغاث أحلام، ثم خسف القمر في اليوم الرابع عشر من شهر شوال هذا العام، فقلت : لعلّ هذا تأويل رؤيائي، لكن القمر الذي رأيته هو بدر التمام، فساورني عند ذلك الشكّ في هذا

التأويل، وما إن غربت شمس اليوم الخامس عشر من شهر شوالٍ إلّا وقد جاء الخبر الذي لم يكن بالحسبان، فنزل عليّ مثل الصاعقة المدوية، وقلت في نفسي: هذا تأويل رؤيائي..»^(١)

تعليق على رؤيا المرأة.

كما سبق في أول الرؤى أن امرأة رأت رجلاً بعدما حجّ وهو عريان، وأن الشيخ حمد أولها بأن هذا دليل على أن الرجل عُفّر له ذنبه، فقالت له: هو أنت يا شيخ.. إلخ. هذه الرؤيا قد اشتهرت وانتشرت، وذاع صيتها نظراً لأنها كانت في برنامج (سؤال على الهاتف) الذي يسمعه الناس في بيوتهم وأماكنهم عبر المذياع، ومع ذلك فقد نقل غير واحد عن الشيخ تكذيبها.

من ذلك ما رواه الشيخ فهد بن عبد الله السنيدي قال :

«فسألته رحمه الله عن ذلك فأنكرها، وقال : ما أذكر هذا، ولا أذكر أبن بكيت، وهذه المرأة مجهولة لا يؤخذ بقولها»^(٢)

وقد جاء عن الشيخ أحمد بن عبد الله القرعاري (أحد تلاميذ الشيخ) نحو من هذا الكلام، فقال :

«وقد كثر السؤال عن هذه الرؤيا من الناس من خلال الاتصالات أو المقابلات، فعرضت هذا الموضوع (الرؤيا) على فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله قبل وفاته، فأنكر صحّة هذه الرؤيا، مؤكداً أنّها غير صحيحة... إلخ»^(٣).

(١) الرياض العدد ١١٨٨٩.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٨١.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٩.

تواريخ هامة في حياة الشيخ - رحمه الله تعالى - :

- الأحد ١٣٧٦/٦/٢٦ هـ أول صلاة صلاحاً إماماً في الجامع الكبير بعنيزة صلاة الظهر.
- رمضان ١٤٠٣ هـ، أو ١٤٠٥ هـ صلى إماماً بالناس في المسجد الحرام في القيام بعض الليالي، وقيل ١٤٠٢ هـ فإله أعلم.
- عام ١٤٠٧ هـ صدر قرار تعيينه عضواً في هيئة كبار العلماء بالملكة.
- عام ١٤١٤ هـ حصل على جائزة الملك فيصل الخيرية لخدمة الإسلام.

أواخر :

- ١٤٢١/٢/١٤ هـ آخر لقاء تم في منزله.
- ١٤٢١/٣/١٥ هـ آخر دورة صيفية درسها الشيخ بعد المغرب.
- ١٤٢١/٤/١٠ هـ آخر الدروس الصباحية والمسائية.
- ١٤٢١/٤/٢٠ هـ يوم السبت : آخر اللقاءات الشهرية في الجامع الكبير.
- ١٤٢١/٥/٢ هـ يوم الأربعاء : المحاضرة التي ألقاها الشيخ في بوستن بأمريكا، بعنوان (وحدة المسلمين).
- ١٤٢١/٥/٤ هـ خطبة الجمعة التي ألقاها الشيخ في المركز الإسلامي بأمريكا، ونقلت إلى جامع الأشرفية بعنيزة.
- ١٤٢١/٧/٣٠ هـ آخر خطبة جمعة بعنيزة.

- ۸/۲ / ۱۴۲۱ھ یوم الأحد، آخر درس بعد صلاة العصر، وكان شرحاً
لكتاب الجنائز من مشكاة المصابيح.
- ۸/۳ / ۱۴۲۱ھ آخر صلاة صلاًها في عنيزة هي صلاة الاستسقاء.
- ۹/۲۹ / ۱۴۲۱ھ آخر درس ألقاه في المسجد الحرام بعد صلاة التراويح،
وهو على فراش المرض، وهو آخر دروسه رحمه الله تعالى.^(۱)



(۱) انظر فيما سبق : شريط ابن عثيمين علم وعمل، لتسجيلات الاستقامة، وجملة الدعوة، العدد
۱۷۷۷، والاقتصادية، العدد ۲۶۰.

رَفْعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عبد الرَّحْمَنِ الرَّحْمِيُّ
أُسَيْدَةُ النَّبِيِّ الرَّحْمَنِيِّ

الباب الرابع ثَنَاءُ النَّاسِ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى

الملوك، والأمراء، والعلماء، والوجهاء، والدعاة،
والمؤسسات الإسلامية في الداخل والخارج

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بعث خادام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله تعالى - برقية إلى شقيق الشيخ، جاء فيها :

«فلقد كدّرنا أشد الكدر نبأ وفاة شقيقكم فضيلة الشيخ محمد، وإنما إذ نبعث إليكم وإلى جميع أسرركم بأحر تعازينا ومواساتنا لنبتهل إلى المولى جل وعلا أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته، ويسكنه فسيح جناته، وأن يلهمكم الصبر، ويجزل لكم الأجر، ويعوّضكم والمسلمين بفقده خيراً، والحمد لله على قضائه وقدره (إنّا لله وإنا إليه راجعون)»^(١).

وبعث برقية أخرى إلى أبناء الشيخ جاء فيها :

المكرم عبد الله بن محمد بن صالح بن عثيمين وإخوانه :

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد :

فلقد كدّرنا أشد الكدر نبأ وفاة والدكم، وإنما إذ نبعث إليكم وإلى جميع أسرركم بأحر تعازينا ومواساتنا، لنسأل الله جلّت قدرته أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته، ويسكنه فسيح جناته، ويلهمكم الصبر، ويهبكم جزيل الأجر، ويعوّضكم والمسلمين بفقده خيراً، والحمد لله على قضائه وقدره، (إنّا لله وإنا إليه راجعون)»^(٢).

فهد بن عبد العزيز آل سعود

وبعث صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني، برقية عزاء إلى عبد الله بن محمد بن صالح بن عثيمين وإخوانه في وفاة والدهم فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين هذا نصّها :

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٢) حريدة المدينة، العدد ١٣٧٧٨.

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. فلقد علمنا نبأ وفاة والدكم، وكدرنا ذلك، وإننا نبعث لكم ولكافة أفراد أسرتم أحراً تعازينا وصادق مواساتنا، ونسأل الله جلت قدرته أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه، ويسكنه فسيح جناته، ويهيبكم الصبر، ويجزل لكم الأجر، ويعوضكم والمسلمين بفقده خيراً، والحمد لله على قضائه وقدره (إننا لله وإنا إليه راجعون)»^(١).

عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

وبعث صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الدفاع والطيران، والمفتش العام، برقية عزاء إلى عبد الله بن محمد بن صالح العثيمين وإخوانه في وفاة والدهم فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين هذا نصها :

المكرم عبد الله بن محمد بن صالح العثيمين وإخوانه :

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد :

فقد بلغنا نبأ وفاة والدكم، وكدرنا ذلك، وإننا إذ نبعث لكم ولأفراد أسرتم جميعاً بتعازينا ومواساتنا، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمّد الفقيد بواسع رحمته ومغفرته، ويسكنه فسيح جنّاته، وأن يجزل لكم الأجر، ويهيبكم الصبر، ويعوضكم والمسلمين بفقده خيراً، إنه سميع مجيب، والحمد لله على قضائه وقدره (إننا لله وإنا إليه راجعون)»^(٢).

سلطان بن عبد العزيز آل سعود

وقال صاحب السمو الملكي الأمير ممدوح بن عبد العزيز :

«إن وفاة الشيخ الفاضل، والعلامة البارز فضيلة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين تعتبر خسارة كبيرة للعلم وطلّابه في هذه البلاد وجميع بلاد المسلمين التي وصلت إليها

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٢) المصدر السابق.

كتب الشيخ ومؤلفاته الكبيرة، وفتاواه الكثيرة.. ولا أدل على مكانة الشيخ وفضله أكثر من هذه الجموع العظيمة التي حضرت لأداء صلاة الجنازة عليه طمعاً في الثواب، والحرص على الدعاء له مقابل ما قدمه من أعمال جليلة»^(١).

مدوح بن عبد العزيز آل سعود

وقال صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز (أمير

منطقة القصيم) :

«إن فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين يعتبر فقيداً للعلم في العالم الإسلامي، ندر حياته وسخر جهوده للبحث والتأليف والتنقيب والتحقيق في شتى المسائل العلمية، وخاصة المسائل الفقهية التي برع فيها بشكل قل أن يكون له نظير ومثيل، ولا شك أن منطقة القصيم قد فقدت أحد علمائها الأفاضل.

وكان رحمه الله باراً بأهلها، وخاصة طلاب العلم.

وكان يمتلك أسلوباً فريداً ومحبباً في بيان المسائل، وشرح الدروس بشكل علمي محبب؛ مما يجعل التفاعل معه قوياً، والاستفادة منه كبيرة.

وقد كنت أحرص على الاستشارة برأيه دائماً، وأحرص على زيارته وسماع توجيهاته الطيبة التي دائماً ما تكون في جو من لطف أخلاقه وحرصه على معاملة الجميع، مسؤولين وطلاب علم، كأنهم أحد أبنائه غفر الله للفقيد، وعوض بلاد الحرمين الشريفين عنه خيراً، وعلماء آخرين يحملون راية العلم والدعوة التي قامت عليها هذه الدولة المباركة (وإننا لله وإننا إليه راجعون)»^(٢).

فيصل بن بندر بن عبد العزيز آل سعود

(١) عكاظ، العدد ١٢٥٥٧.

(٢) المصدر السابق.

وقال صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن ماجد بن عبد العزيز (نائب أمير منطقة القصيم) :

«لقد فقدنا ب وفاة الشيخ ابن عثيمين رمزاً من رموز العلم والفقه في العالم الإسلامي، سخر جل حياته لخدمة الدين الإسلامي ونشر تعاليمه السمحة. وأضاف سموه : وإن عزاءنا في الفقيد ما تركه لنا من المؤلفات والرسائل الدينية، وما قدمه من جهود مضيئة في سبيل خدمة الدين.

ورفع سمو نائب أمير منطقة القصيم التعازي إلى مقام خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، وسمو أمير منطقة القصيم، وللشعب السعودي، ولأسرة الفقيد، داعياً المولى عز وجل أن يتغمّد الفقيد بواسع رحمته، وأن يلمهم أهله وذويه الصبر والسلوان»^(١).

عبد العزيز بن ماجد آل سعود

وقال سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ :

«الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، العزاء لأنفسنا وللمسلمين جميعاً في فقيدنا الشيخ المبارك، نرجو الله أن يغفر ذنبه، ويقبل عثرته، وأن يلحقه بال صالحين، وأن يرزق أولاده الصبر والاحتساب، وأن يخلفه عليهم بخير، إن فقدان العلماء أمرٌ عظيم، ولكن عزأؤنا أن هذا قضاء الله وقدره، والمؤمنون أمام المصائب يصيرون ويحتسبون، ويرضون عن الله ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، ونسأله أن يبارك في علمائنا وأن يوفقهم، ويجمع كلمتهم،

ويجعلهم سائرين إن شاء الله على الطريق المستقيم، إنه على كل شيء قدير، ولا بدّ للمسلمين من الصبر والدعوة للفقيد بالبركة والرّضوان، ويعلمون أن هذا قضاء الله وقدره، وللعلماء فضلهم ومكانتهم، فينبغي للمسلمين احترامهم وطاعتهم في طاعة الله، والالتفاف حولهم، لأن العلماء الراسخين المخلصين هم الذين ينبغي لهم أن يُقتدى بهم، ويُتأسى بالذين ساروا على الطريق المستقيم، بعيدين عن الإفراط والتفريط، سائرين على منهج الله.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١).

وذكر أيضاً: «أنه واحد من الرجال الأخيار وعالم كبير كانت له إسهامات واجتهادات كبيرة في خدمة الدين والدنيا، وأوضح أن المسلمين يتلقون المصائب، بالالتجاء إلى الله، وحمده على قضاائه وقدره قائلين (إنا لله وإنا إليه راجعون).

وذكر أن الشيخ ابن عثيمين لا تخفى مآثره ومكانته في التأليف، والعلم، والفتاوى، والمحاضرات، والدروس، والمقالات، والأشرطة التي تحمل في طياتها كل خير.

ووصف خطه بالاعتدال والبعد عن الإفراط والتفريط، وأنه كان على طريق مستقيم، وعدّد مآثره في تربية الطلاب، وشرح الكتب، وإفادة المستفيدين.

وأضاف مفتي المملكة أن الشيخ ابن عثيمين كان زميلاً لهم في هيئة كبار العلماء، فكان نعم الزميل؛ إذ كان ذا علم وفضل، ومناقشة، وعدم اعتداد بالرأي، فكان عالماً فاضلاً ذا علم وفضل، وتواضع، وأخلاق عالية»^(٢).

(١) الوطن، العدد ١٠٥.

(٢) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥، والتعليق للمجلة.

وقال الشيخ محمد بن جبير :

«إن الشيخ محمد بن صالح العثيمين قام على نشر الثقافة الإسلامية، وتوضيح بعض المفاهيم، كما أنه أثرى المكتبة الإسلامية برسائله ومؤلفاته وفتاواه، فجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين، والحقيقة أن وفاته خسارة كبيرة وحدث جلل، ليس لسكان المملكة العربية السعودية فحسب؛ ولكن العالم الإسلامي الذي يعرف فضله، ودائماً على صلة كبيرة به، ويستفيد من علمه ومن فتاواه»^(١).

وقال فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل (إمام وخطيب المسجد الحرام) :

«إن الشيخ ابن عثيمين من علماء الأمة الكبار، وأوضح أنه - رحمه الله - قضى وقته كله بالتعليم والإرشاد والتوجيه والفتاوى، وهو علمٌ بارز في العالم الإسلامي. نسأل الله أن يرفع درجاته في عليين، وأن يخلف على المسلمين في مصابهم الجلل، ولا نقول إلا (إنّا لله وإنا إليه راجعون)»^(٢).

وقال فضيلة الشيخ عبد الله البسام (عضو هيئة كبار العلماء) :

«أن وفاة الشيخ محمد بن عثيمين مصيبة كبيرة على المسلمين، لأن فضيلته بذل نفسه ونشر علمه بين المسلمين في شتى وسائل الإعلام المقروءة، والمسموعة، والمنظورة، وبذل ذلك في المساجد والجامعات والدوائر والمجتمعات، وكلها استفادت من علمه الغزير، وبحوثه العظيمة». وأضاف : «أنه اهتم ببذل العلم ونشر الدعوة بأيّ سبيل يرى فيه تعميم الفائدة والتفع على جميع المسلمين، ولم يصدّه ذلك عن المؤلفات المفيدة، والبحوث النافعة»^(٣).

(١) الوطن، العدد ١٠٥، الجمعة ١٧ شوال ١٤٢٢هـ.

(٢) المسار السابق.

(٣) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

وقال فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان :

«إن وفاة العلامة الكبير تعدّ خسارة عظيمة، ومصيبة كبيرة للأمة» وسأل الله أن يرفع درجاته، وأن يجزيه على ما بذل من جهد وجهاد وعمل في سبيل نشر العلم والتعليم والدعوة خير الجزاء، وأضاف : «أنه سلك طرقاً كثيرة في ذلك السبيل من خلال التأليف والتدريس والدعوة والكتابة والخطابة، وكان متواضعاً بسيطاً مع طلاب العلم، متيحاً السؤال للجميع والمناقشة بجرية»^(١).

وقال د. عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ (وزير العدل السعودي) :

«إن الشيخ ابن عثيمين كان من أكثر الناس توجيهاً بالصبر على المصائب والاستعداد للآخرة».

وأوضح : «أنه عاش حياته وجعلها طريقاً للآخرة، فأخذ منها ما يصدّ حاجته، وتخفّف من محاسنها ولذاتها».

وأضاف : «أنه كان متبسّطاً للناس وناصحاً لولاة الأمر محباً لهم، وقال :

«إنه كان حريصاً على تحمّل توجهات بعض الذين ينقصهم العلم الشرعي وكان يجمع بين التاصيل العلمي، والأسلوب الرصين».

ووصفه بأنه كان حاضر الدليل، واسع البحث، حريصاً على الاجتهاد، فحزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأسكنه فسيح جنّاته، وعوّض المسلمين عنه خيراً^(٢).

(١) المصدر السابق.

(٢) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

وقال فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري :

«إن العالم إذا مات انتلم من الإسلام ثلثة إلى يوم القيامة، وموت العالم الرباني الشيخ محمد بن عثيمين آلم الجميع، وهزّ مشاعر المسلمين في العالم». وسأل الله أن يتغمّده بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جنّاته.^(١)

وقال الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد :

«مكانته العلمية لا تخفى على أحد، وهو ممن رُزقَ القبول، وأحبّه الناس، وحرصوا على سماع دروسه وسماع فتواه، فهو عالمٌ كبير، وفقهه متمكّن وقد نفع الله به، وهو محلّ التقدير والإجلال من العلماء، ومن طلبة العلم والولادة.

حزن عليه الكثير من لهم اهتمام بالحقّ، وحرصه على معرفة السنة، وحرصه على اتباع الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، وحزنوا لفراقه».

وقال : «كانت وفاته مصيبة من أعظم المصائب التي حلّت بالمسلمين».^(٢)

وقال الشيخ عبد الله بن منيع (عضو هيئة كبار العلماء) :

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد..»

فقد فجعت الأمة الإسلامية عامة، والبلاد السعودية خاصة بوفاة عالم من أبرز علماء المسلمين، وفقهه له باع واسع في التبصير والتوجيه والتعليم والبحث والتحقيق والتحرّي وبذل الجهود من وقت وغيره في سبيل نفع المسلمين، وإشاعة المعرفة

(١) المصدر السابق.

(٢) محاضرة للشيخ بعنوان (الشيخ ابن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته).

بينهم، فضلاً عما كان يتميز به رحمه الله من الحرص على تعليم أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين، ما فيه سلامة لعقيدتهم، والحرص على توجيههم الوجهة السليمة نحو التحصيل العلمي ونحو التمسك بالمقتضيات الشرعية، والحرص على سلامة العقيدة.

فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، ولا شك أن فضيلته رحمه الله كان يتميز بالقدرة على الاجتهاد، والنظر، وبذل الجهد في سبيل التوسعة على المسلمين، وتيسير أمورهم بغير إثم ولا تأنيب، ولا خروج عن نصوص شرعية، فإنا لله وإنا إليه راجعون...»^(١)

وقال الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد (إمام وخطيب المسجد الحرام) :

«... بحياة العلماء تحيا الأمم، وموتهم يضيع الناس، وإن من الناس من لا يفقده إلا أهله، بل فيهم من منيته أمنية الأمان، فلا حول ولا قوة إلا بالله، والباعث للتقدم، بهذه الكلمات ما تعيشه الأمة في هذه الأيام من لوعة فقد إمام جهيد، وعالم علم، نحن على فراقه محزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، ذلكم هو الإمام العالم العلامة حبر العلوم، وبحر المعارف، شيخ الفقه، وإمام السنة، الشيخ : محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -، ورفع درجاته في عليين، وأسكنه فسيح جناته، وأمطر عليه من شآبيب رحمته، عظم الخطب بفقده، وجل الأسى لفراقه بعظم المكانة التي بوأها الله له في القلوب...».

وقال أيضاً : «وليعلم أنه لا يحظى بالتقدير والاحترام، ولا تعظم المكانة، ولا يكتب القبول، والإمامة بإذن الله إلا لمن جمع بين العلم والعمل، وحسن قصده، وابتغى الله والدَّار الآخرة، ذلكم هو الذي يفقد إذا غاب، ويعظم به المصاب إذا

واراه التراب، ونحسب أن الشيخ محمداً - رحمه الله - من هؤلاء العلماء العاملين، ولا نزكّي على الله أحد».

وقال : «لقد كان رحمه الله لسان صدق، صادعاً بالحق ملتزماً به، مقيماً عليه مع رعاية الحكمة، في حديثه ألفة، وفي ابتسامته مودة، وفي كلامه بيان، وجه طليق، ومجلس لا يملّ، كان محلّ الثقة والقبول، إذا فرعوا إليه فقد فزعوا إلى ركن شديد. خلف رحمه الله ثروة علمية هائلة، ينتفع بها بعده - إن شاء الله - ليمتدّ له أجرها وثوابها»^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس (إمام وخطيب المسجد الحرام):
«يُعدّ الشيخ رحمه الله من بقية السلف الصالح، وإماماً من أئمة أهل السنة والجماعة، نحسبه كذلك ولا نزكّي على الله أحداً، فهو بمن قلّ نظيره، وبمن جلّ أن ترى العيون مثله بلا مبالغة، لما جباه الله عز وجل، فهو موسوعة علمية أخلاقية، ودعوية، ومنهجية، يقلّ نظيرها، فهو أئمة في إمام، وأمة وحده، ونسيج بمفرده، وطرّاز مستقلّ طالما نفع الله به، وذاع صيته، وعلا قدره، واستفاد منه القاصي والداني.
متميّز المنهج، فذّ العبقرية، معتدل الرؤى، متماسك الشخصية، متوازن النظرة.
وعلى الرغم من حصول زواجر، وهبوب عواصف، وهيجان أمواج؛ إلا أنه ظلّ بتوفيق الله ثابت في صدق المسلك، ونفاذ البصيرة، والتصحّح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

لقد تعرضت الأمة لكثير من جوانب الخلل العقدي والفكري والمنهجي والأخلاقي، فكان الشيخ رحمه الله نعم الموجه في تماسط بنية المجتمع التحتية،

وقاعدته الصلبة، والحفاظ على أمن الأمة بصوره المتعدّدة وجوانبه المختلفة، حتى لقد كان مدرسة يصدر الدعاة وطلاب العلم عن رأيه في النوازل، وتوجيهه في المستجدّات، ونصحه في التغيّرات، تمسكاً بالتأصيل الصحيح، والمنهجية المنضبطة بالدليل والقاعدة الشرعية والمقصد الإسلامي النبيل.

لقد كان نبأ فقده هزّة عنيفة، وخسارة فادحة، شديدة الوقع، عظيمة الأثر في نفوس محبّيه محلياً وعالمياً.^(١)

وقال الدكتور علي بن عبد الرحمن الحذيفي (إمام وخطيب المسجد النبوي) :

«إن الأمة الإسلامية فقدت فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين العالم الفقيه الرباني الذي يتحلّى بالصبر والتقوى والحلم، والذي تصدى لإفادة المسلمين، فعظم مصابها بوفاته، فأحسن الله عزاء ولاة الأمر فيه، وأحسن الله عزاء أسرته، وعزاءنا والمسلمين، وإن وفاة العالم ثلثة كبيرة في الإسلام، وإنا لله وإنا إليه راجعون».^(٢)

وقال الشيخ عبد الباري الثبيتي (إمام وخطيب المسجد النبوي) :

«من العلوم أن سماحة الشيخ محمد بن عثيمين من علماء الأمة الإسلامية وقد أفنى حياته في نشر العلم، ولا يخفى على القاصي والداني أنه من العلماء العاملين، وقد فاض بخيره وعلمه حتى بلغ أرجاء المعمورة.

وكان يتسم بسمات العلماء، وقد كان صبوراً حليماً، وصاحب عبادة، لا يفتر عن ذكر ربّه في كل حال.

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٢.

(٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٦.

وقد كان متواضعاً يتحدث مع الصغير والكبير، ويفتح صدره للحوار والنقاش، ولا يكمل ولا يملّ، فقد كان العلم هو زاده وطعامه وشرابه، بل يجد اللذة والمتعة والأنس في حلق العلم، وعظات وإرشاد من خلال المحاضرات والندوات والدروس، نسأل الله تعالى أن يتغمّده برحمته، ويعظم أجر الجميع»^(١).

وقال الشيخ عبد الله بن حسن بن قعود :

«إن الشيخ محمد معروف منذ نشأته بانصرافه بالكلية للعلم للشرع، قال : وحدثني بنفسه أنه كان في بداية أمره يلقي الدروس، وأنه ألقى ذات يوم درساً لم يحضر له فيه سوى طالب واحد»^(٢).

وقال فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين (رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر):

«ونحن إذ نودع في هذه الأيام علامة العصر الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله، إنما نذكر من تاريخه الحفاوة بالعلم صغيراً وكبيراً، ونذكر جمعه بين طريق العلم على يد الشيوخ المرّين، وبين العلم في معاهد العلم الحديثة، ونذكر جمعه بين ذكر الدليل على القول الذي يرتضيه، وبين بيان التعليل لهذا الحكم ما أمكن ذلك.

ونذكر أن الشيخ جمع بين العمق في علمه والبساطة في حياته، وبين حفاوته بضيفه وزائره، ومحافظته على دقائق وقته، فلا يفوته شيء من الوقت الذي يضيع هباءً عند غيره، ويجمع بين الرضا والقناعة ببقائه في بلده، وبين أهله، وبين اتصاله بالمسلمين في كل أرجاء الأرض، وبين السهولة في حياته، وبين استخدامه لأحدث الوسائل في نشر علمه.

(١) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩١.

حتى مات وموقعه على شبكة الإنترنت تحت الإعداد»^(١).

وقال الشيخ أبو إسحاق الحويني :

«مات شيخنا والحاجة إلى مثله ماسة، فقد كان والله إماماً فقيه النفس، رجل عامة، وضع الله عز وجل له محبةً في القلوب، ولست أنسى آخر عهدي به عندما التقينا في المسجد الحرام منذ أربع سنوات.

لقد كان وجهه ينطق بالبشر، وما رأيته مرة إلا وتبادر إلى ذهني قول النبي ﷺ: «نصّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها...»؛ لما كنت أراه في وجهه من النضرة.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أنه جعل كل شيء يولد صغيراً ثم يكبر؛ إلا المصيبة، فإنها تولد كبيرة كبراً قد يهدّ الجبال الراسيات، ثم تصغر صغيراً حتى تضمحل، ولولا ذلك لمات الناس من الكمد موتاً ذريعاً، فإن نجزع فيسبب جلال المصيبة؛ لا سيما والمصيبة عظيمة»^(٢).

وقال الشيخ محمود غريب الشويبي (مدير تحرير مجلة التوحيد المصرية):

«آخر هذه المصائب هي فاجعة هذه الأيام بموت العلامة الفقيه الأصولي الذي أجاد تدريس علوم الشرع بكاملها.

فكان بارعاً بحق في تدريسه للفقهِ وأصوله، وبارعاً بحق في تدريسه لعقيدة أهل السنة والجماعة، وبارعاً بحق في تدريسه للحديث وعلومه، وبارعاً بحق في تدريسه للغة العربية وخبائرها، وبارعاً بحق في تدريسه للتفسير، وقبل ذلك كان مريباً متميزاً.

(١) مجلة التوحيد، العدد ١١، السنة : ٢٩.

(٢) مجلة التوحيد، العدد ١١، السنة : ٢٩.

ألا وهو فضيلة الشيخ الجليل : محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله رحمة واسعة، وحشرنا وإياه مع هؤلاء العلماء في جنته مع النبيين والصديقين والشهداء، آمين يا رب العالمين»^(١).

وقال فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند :

«الحقيقة أن فقد الشيخ ابن عثيمين فادحة كبيرة على المسلمين، لما له من مكانة علمية كبيرة، ولما كان له من أثر كبير في إيصاله للناس، لأنه يوجد علماء كثير، لكن الفرق بين من يستطيع أن يوصله للناس بأسلوبه الفذ الأخاذ؛ ففضيلته رحمه الله كان يمتاز بأسلوب كئيب، حتى إنه كان يتكلم العربية الفصحى بطريقة سهلة ميسرة يفهمها العامة.

وكان موهوباً وحريصاً على إيصال العلم للناس، فلا يخرج حتى يلقي بدرس في المسجد أو في الحرم، أو في الجامعة»^(٢).

وقال الشيخ وحيد عبد السلام بالي : عنه :

«فقيه الأمة، وإمام الأئمة، العالم الرباني العلامة : محمد بن صالح بن عثيمين، فاهتزت لموته المشاعر، وصاحت برثائه المناير... لقد برع الشيخ رحمه الله في علوم الدين، فما من علم إلا وشرح فيه ودرس، فقد كتب في العقيدة والأصول والفقه والحديث والتفسير والرقائق، وغيرها..

لقد كرّس حياته للتدريس والإفادة رحمه الله، وقد كان بشوش الوجه، جميل الحيا، يتواضع للخاصة والعامة رحمه الله وغفر له»^(٣).

(١) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة : ٢٩.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٣) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة : ٢٩.

وقال الشيخ مصطفى العدوي :

«لقد تصدعت قلعة من قلاع العلم العتيدة بمدينة عنيزة بالقصيم، بذهاب عالمها وفتيها، ومفسرها، ورجل الأصول فيها، وهو الشيخ الفاضل محمد بن صالح بن عثيمين، والله الأمر من قبل و من بعد.

لقد أزعج رحيل مئات الأسر، وطلاب العلم عن بلاد القصيم بفراق هذا الشيخ الجليل رحمه الله، لقد ذكرتني وفاة الشيخ رحمه الله بمقالة ابن عباس في زيد بن ثابت رضي الله عنه لما مات زيد، - وزيد بن ثابت هو الذي تتبع القرآن فجمعه، وكان أيضاً من أعلم الصحابة بالفرائض - فإذا بابن عباس يقول بعد دفنه رضي الله عنه: هكذا ذهب العلم، لقد دُفن اليوم علمٌ كثير. وحقاً فلقد دفن مع الشيخ رحمه الله علمٌ كثير، نسال الله أن يعوض المسلمين خيراً»^(١).

وقال الشيخ محمد حسين يعقوب :

«اليوم مات الإمام محمد بن صالح بن عثيمين العلامة، الرجل الأمة، فقيه عصره، المجتهد الجهد، الداعية الرباني، المربي القدوة. مات الشيخ ابن عثيمين، وكان نسيحاً وحده، خلف وراءه تركة مباركة من الكتب، والمحاضرات العلمية في كافة فروع العلم، من : فقه ومصطلح، ولغة وعقيدة، وحديث وتفسير، فكان بحق من نواذر هذا الزمان، فلا نجد من على شاكلته الآن»^(٢).

قال الشيخ مجدي عرفات : «وكبا جواد من تلك الجياد التي كانت تعادي في مضممار الدعوة والتعليم، ونشر السنة وقمع البدعة، ذلك هو شيخنا محمد بن صالح

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

بن عثيمين، ذلك العالم الفذّ، الفقيه، التّيبيل، اللغوي، المدقّق، الأصولي، المحقّق، الذي رأته فرأيت فيه علم العلماء الكبار، وزهد الزّهاد الأوائل، وتواضع العباد، جلست بين يديه في حلقات العلم بالطائف ومكة المكرمة، وبلدته عنيزة التي استنارت من علومه، فرأيت فيه المعلّم المخلص في تعليمه، الحريص على إبلاغ ما يقول لكلّ جالس، فنجدته يسأل هذا، وينبّه ذلك، ويجيب السائل على مسألته وزيادة، يجيبه بجواب الفقيه، وما أحلى مسأله، تأملّ في دقّة تعبيراته، وكثرة تفرعاته، وفوائده التي يستنبطها من كلّ ما يقرأ، وما أخلص نصيحته لطلبة العلم خاصة، وللمسلمين عامة في لزوم السنّة والجماعة، وترك البدعة والفرقة»^(١).

وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس :

«وكان من أسطع تلك النجوم في العصر الحاضر العلماء الأفاضل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - مفتي الديار السعودية سابقاً - ثم الشيخ عبد العزيز بن باز، ثم الشيخ محمد بن عثيمين رحمهم الله جميعاً، وغيرهم من أكابر العلماء المحقّقين، أما أحدث فقيده من جلة العلماء الجهابذة الذين فقدتهم الأمة الإسلامية باتساع رقعتها هو العلامة الفقيه والداعية الشهير والعفيف الزاهد المجاهد في الله حقّ جهاده الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين أحد كبار العلماء ومشاهيرهم في هذا العصر والذي لم يكن الحزن يفقده من أقلّ الحزن يفقد شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعبد العزيز بن باز من في مستواهم علماً وتقياً»^(٢).

وقد عرفت فيه كثيراً من خصال الخير والتقى والزهد والورع إلى جانب الغزارة العلمية، والدقة الفقهية، والحرص الشديد على إيصال العلم النافع

(١) المصدر السابق.

(٢) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة ٢٩.

والقدوة بالعمل الصالح إلى إخوانه المسلمين في وطنه قبل أن يتسع مجال عطائه في العالم الإسلامي»^(١).

وقال د. حسن بن فهد الهويمل :

«.. البلاد تعيش حالة من الحزن والألم على فقد علم من أعلام البلاد، وركن من أركان الدين، وهل أحد يجهل العالم الفدّ، والفقهاء المجتهدين، والعاقد الورع الزاهد: محمد بن صالح بن عثيمين»^(٢).

.. لقد عرفت فضيلته عن قرب، وكلما استمعت إليه أو اقتربت منه بحكم العمل المشترك في فرع الجامعة أحسست أنني أمام شخصيّة فذة في تواضعها وغبارة علمها، ويُعدّ نظرها وزهدا في مباحج الحياة، واشتغالها فيما يهّم الناس من أمر دينهم، وكلما استمعت إليه يتحدّث في أمر من أمور الدين، أدركت كم هو الفرق بين لغة الفقهاء، وكلام المنشئين»^(٣).

وقال عبد المحسن بن سليمان المنيع :

«الحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه، الحمد لله الحيّ الدائم الذي لا يموت، الحمد لله في السراء والضراء، الحمد لله على كلّ حال، والحمد لله الذي جعل لمن أصيب فصر خيراً، وأخلف له الأجر، والحمد لله القائل في محكم التنزيل : ﴿وَلَتَبْلُوَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوَافِ وَالْجُوعِ وَتَقْصِصَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشُّمُورِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فَإِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون.

(١) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة : ٢٩.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

اللهم أحرنا في مصيبتنا وأخلفنا خيراً منها، من مَنّا لم يصب بفقد شيخ جليل ١١٩٩؟
 شيخ أفنى عمره في خدمة الإسلام والمسلمين، شيخ يعرفه القاصي والداني، شيخ
 بسط مجلسه في التعليم والفتوى، شيخ ملأ قلبه الإيمان، وشعّ في جبينه نور الطاعة،
 شيخ : التواضع ديدنه، والحكمة منطقته، والقرآن خلقه، والوقار سمته، والعلم مجلسه،
 شيخ : إن قابله ملك قلبك، وإن سمعته أسرك بحكمته، وإن استفيته اطمانت
 لفتواه، فمن مَنّا لم يصب بفقد الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ١١٩٩؟.

إن فقد هذا العالم الجهد مصيبة عظيمة ليست على أهله وذويه فقط، بل
 مصيبة أصيبت بها الأمة الإسلامية جمعاء، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،
 رحل العلامة وترك لنا علماء كثيراً تزخر به المكتبات ودور العلم رحل العلامة وقد
 أصبح إشعاع الثور، ومصباح الهدى، رحل الشيخ والقلوب يعترضها الحزن،
 والعيون أجهدتها البكاء فحادث بالدموع، رحل من بيننا وبقي ذكره عالياً شامخاً بما
 بقي لنا من علمه في كتبه ودروسه وطلابه، رحل عتاً ونحن نثني عليه، بل إن ثناءنا
 لا يوفيه حقّه، بل ونعجز على أن نوفيه حقّه مهما قلنا ومهما ذكرنا.

فاللهم أنت ربّه وأنت خلقته، وأنت هديته للإسلام، وأنت قبضت روحه،
 وأنت أعلم بسرّه وعلايته رفعتنا أكفنا شفعاء له فاغفر له...»^(١).

قال الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي (الأستاذ المساعد بكلية الدعوة
 بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي) :

«إن الله تبارك وتعالى هو القابض الباسط، له ما أخذ وله ما أعطى، وقد تلقينا
 بالبحر الحزن نبأ وفاة شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في يوم الأربعاء

الخامس عشر من شهر شوال، ولا شك أنه حدث عظيم وخطب جسيم، بأن كل مفقود يهون مع فقد العلماء الذين ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين، وانتحال المكذبين وتأويل الجاهلين، ونحسب أن فقيدنا يرحمه الله من أولئك الأفتاد المجددين في إظهار الحق، والذائين عن السنة المجتهدين فيما يرضى الله تبارك وتعالى، والذين نفع الله بهم الإسلام والمسلمين بما خلقه من علوم نافعة ومؤلفات قيمة، ودروس جامعة»^(١)
قال مساعد بن عبد الله الحيا :

«يوم الأربعاء الماضي ودعت الأمة الإسلامية واحداً من أعلامها الأفتاد، وشمساً مشرقة في كلّ غمار، وقمرأ ساطعاً في سموات ضدّ الجهل في كثير من أنحاء عالمنا الإسلامي، فقد كان بحراً من بحور الفقه، وصخرة من صخور العقيدة الراسخة، ومدرسة من المدارس العلمية التي أسهمت بعمق في توجيه الجيل، والتهوض بالثراء ليس في منطقة واحدة، وإنما في مختلف أرجاء المملكة وخارجها.
والعالم الإسلامي بمؤسساته ومراكزه يشهد كيف امتدّ علمه، واستفاد منه المسلمون على نحو مباشر وغير مباشر.

لا أستطيع هنا وفي هذه العجالة أن أوبي الشيخ، ولو بعضاً مما يستحقّه، فالمصيبة عظيمة، وفي المصيبة لا يستطيع المرء أن يقول كلّ ما يبغش بنفسه، وما هذه إلاّ كلمات سريعة أكتبها على عجل، أودع بها شينخنا الجليل، وفاء لبعض حقه، وحباً له، ومعرفةً بقدره، وتقديراً لفضله ومكانته.

ذلك أن موت العلماء العاملين المخلصين المصلحين مصيبة، وأيّ مصيبة، فإن الأمة تفقد بفقدهم النور الذي يهدي، والمشعل الذي يضيء للناس الطريق.

(١) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

يقول علي عليه السلام : «إذا مات العالم نلم في الإسلام ثلثة لا يسدّها إلى خلف منه»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما : «ما قبض الله عالماً إلاّ كان ثغر في الإسلام ثغرة لا تسدّ».

وفي حديث عبد الله بن عمرو التّفنّ عليه : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور الناس، ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فُستلوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا واضلّوا».

وكم يصدق عليه قول الشاعر :

كذّاً فليجلّ الخطبُ وليفتح الأمرُ
فليس لعينٍ لم يفيض ماؤها غدُرُ
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللهُ وَقَسَا فإني
رَأَيْتُ الكَرِيمَ الحَرَّ لَيْسَ لَهُ عَمْرُ
نَوَى طَاهِرُ الأُردَانِ لَمْ تُبْقِ بُقْعَةٌ
غَلَدًا نَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنهَا قَبْرُ

إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراق شيخنا ووالدنا محزونون، والحمد لله على كلّ حال، وإنا لله وإنا إليه راجعون»^(١).
وقال الشيخ زيد بن هادي مدخلي :

«الحمد لله على كلّ حال، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ففي مساء الأربعاء ١٠/١٥/١٤٢١هـ توفّي الشيخ محمد بن صالح العثيمين الإمام الثاني، والمحدد الباني بعد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمهما الله ورفع قدرهما.

وقد غلّبي الحزن الشديد فذكرتهما بما لا يبغله عاقل أن الحياة لا تدوم لأحد من الخلق، وواصلت التذّكر لنفسي التي ضعفت عند سماع هذا الخطب الجسيم،

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥، الأحد ١٩/١٠/١٤٢١هـ.

والصاب الجلل، لأدخل عليها ما يخفف عنها بعضاً منه فنقلتها إلى تذكر المصيبة العظمى والفاجعة الكبرى، وهي وفاة خير الخلق أجمعين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ولا يخفى على أحد أن موت العالم ثلثة من الإسلام لا تسدّ مع تعاقب الليل والنهار، وما ذلك إلا لأن العلماء هم ورثة الأنبياء، فلا غرابة أن تحزن الأمة لموتهم، وأن تصاب بفقدهم، ورحم الله القائل: إذا مات صاحب السنة وبلغني موته فكأنما شلت بعض أعضائي.

ولقد خلف هذا العالم الجليل من العلم المسموع والمنشور والمؤلفات القيمة، الكثير. من أراد أن يتأسى بالرجال الصالحين فعليه بترائهم الثمين، نسأل الله لهم ولنا الرحمة والمغفرة، ولقد قلت في ذلك شيئاً هذا بعضه:

فَكَلُّ حَيٍّ مِنَ الْأَحْيَاءِ إِلَى أَجَلٍ وَمَالِكُ الْمَلِكِ قَيْسُومٌ وَمَقْتَدِرُ
مَاتَ الْوَقُورُ وَكَمْ فِي النَّاسِ مِنْ حُزْنٍ وَالْأَرْضُ تَبْكِي عَلَى الْأَخْيَارِ يَا بَشْرُ
فَارْحَمَهُ رَبِّي وَخَلِّدْ مِنْ مَسَائِرِهِ وَعَظِّمِ الْأَجْرَ إِنَّ الْأَجْرَ مَدْحَرٌ^(١).

وقال الدكتور عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر الجزائري (الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة):

«لقد كان لنعي العلامة الشيخ محمد الصالح العثيمين وقع تزلزلت له المشاعر، وتحركت في قلب حبيبه من العلماء وطلاب العلم وصالحى المسلمين في جزيرة العرب خاصة وبلاد المسلمين عامة عواطف الحزن، وكيف لا وقد كان صرحاً من صروح

(١) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٢، السبت ١٨/١٠/١٤٢١م.

العلم والمعرفة، وتوذكراً للعلماء والفقهاء المجتهدين ممن تحجوا منتهج السلف القديم، فكان لهم نبراساً، فنشروا تعاليمه، ودعوا إلى الله وبذلوا حياتهم في الدّود عنه»^(١).

وقال الدكتور محمد بن عبد الله المحميد (رئيس قسم الفقه في كلية الشريعة وأصول الدين في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) :

«لا يسعني وأنا أشعر بالأسى والحزن على الشيخ العلامة المجتهد محمد بن صالح العثيمين إلا أن أقول : إنا لله وإنا إليه راجعون، فقد كان رحمه الله تعالى منارةً في العلم وإماماً في التّقى والورع والصلاح، وهو إلى جانب غزارة علمه وسعة مداركه ذو منهجية علمية محكمة عزّ مثلها، وذو شمولية في العلوم والمعارف قلّ أن يوجد له نظير في هذا العصر، وإنّ من أبرز خصائص الشيخ إضافةً إلى غزارة علمه وسعة معارفه عنايته الفائقة بالدليل...»^(٢).

وأكد الشيخ عقيل بن عبد العزيز العقيل (مدير عام مؤسسة الحرمين الخيرية) :

«أن الأمة الإسلامية فقدت بوفاة الشيخ ابن عثيمين أحد قادتها في العلم والإصلاح، وأكد أنها مصيبة نقول فيها ما قال الحسن البصري: «موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدّها شيء ما اختلف الليل والنهار».

وقال : إنه عرف عنه ذكاءً، وهمةً عالية في طلب العلم وتعليمه، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن ضوابطه الشرعية، وأضاف العقيل: أنه عرف عن الشيخ الراحل حرصه الشديد على تتبّع أخبار المسلمين، والتفاعل مع قضاياهم، وحث المسلمين على الوقوف معهم»^(٣).

(١) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

(٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

(٣) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

وقال الدكتور ناصر بن عبد الله الصالح (مدير جامعة أم القرى) :

«إن الله أتى الشيخ الجليل ابن عثيمين سعة علم وكمال آداب، وفضائل مرتين، وحسن سمع وعمل، تشهد عليه سيرته بيننا، وما قدمه لدينه وأمته من نصح وإرشاد، وسعي إلى الخير، ورجى أن يكون ذلك خاصاً مقبولاً عند الله تعالى، ومضاعفاً في ميزان حسناته رحمه الله»^(١).

طفل يعزى في وفاة الشيخ الجليل

كتب مذبذب الرياض:

■ تتفاعل مشاعر الشباب المختلفة مع كل حدث في بلادنا ويوم وفاة العالم الجليل الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله وصلت لـ «الرياض» رسالة تذكيرية من طفل يدعى في الصف الثامن الابتدائي تتناول فيها كلمة البريء معبرا عن مشاعره (القطر) في هذا الشأن:

الجليل، ولد وضع والده مقدمه كبيره في الرياض سنة ١٣٤٠ هـ الموافق في يوم الـ ١٣ من شهر ربيع الثامن سنة ١٣٤٠ هـ فتفصت له مساء حضر الي ظلي، واحرمني بوفاة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله، وكأني اني شديد الحزن عليه، وأني نفس اللحظات قال في نفسي كلام عن الشيخ، فكتب، وتشجعتا مني لشعوره النبيل هذا وأنت في نشرها، ونحن نتنظر منكم دوركم في هذا من خلال النشر، خشاً بأنه يقع الثامنة من عمره، وأرجو أن تنشر في الصفحة التي ترونها مناسبة، أما الرسالة القادمة من الطفل فهي تتحدث عن حديث الشيخ الجليل ابن عثيمين الجميل وحب المسلم له في هذا الشأن، من رواه يده موهة ويقول للطفل بمذاق جرحه «أنت المحض» ومن منحه حبا كبير لانه كان يقول درسا طيبية ويندم الاسلام ويحفظ على المسلمين ويحبهم.

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
 وبعد، فقد علمت من خلال ما
 ورد في الصحف والرسائل
 من وفاة العالم الجليل
 الشيخ محمد بن عثيمين
 رحمه الله، وكأني اني
 شديد الحزن عليه، وأني
 نفس اللحظات قال في
 نفسي كلام عن الشيخ،
 فكتب، وتشجعتا مني
 لشعوره النبيل هذا وأنت
 في نشرها، ونحن نتنظر
 منكم دوركم في هذا من
 خلال النشر، خشاً بأنه
 يقع الثامنة من عمره،
 وأرجو أن تنشر في
 الصفحة التي ترونها
 مناسبة، أما الرسالة
 القادمة من الطفل فهي
 تتحدث عن حديث الشيخ
 الجليل ابن عثيمين
 الجميل وحب المسلم له
 في هذا الشأن، من رواه
 يده موهة ويقول للطفل
 بمذاق جرحه «أنت المحض»
 ومن منحه حبا كبير لانه
 كان يقول درسا طيبية
 ويندم الاسلام ويحفظ
 على المسلمين ويحبهم.

الرياض - الجمعة ١٧/ من شوال ١٤٢١هـ، العدد ١١٨٩٠.

المؤسسات والجمعيات والهيئات

مؤسسة الملك فيصل الخيرية وفوزه بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

تمّ تكريم الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين باختياره لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤ هـ الموافق ١٩٩٤ م بعد اجتماع لجنة الجائزة، والذي عُقد يومي ٢٥، ٢٦/شعبان/١٤١٤ هـ.

وذلك تقديراً لسجاياه وجهوده المتمثلة فيما يلي :

- تحليه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، والزهد، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم وعامتهم.
- انتفاع الكثيرين بعلمه، تدريساً وإفتاءً وتأليفاً، فهو يدرس العلوم الدينية عقيدة وشريعة، وعلوم اللغة العربية، وذلك في جامع عزيزة وفي المؤسسات التعليمية الحكومية، وفي طليعتها كلية الشريعة في القصيم، وهو يجمع بين غزارة العلم، وجودة أسلوب عرضه؛ مما جعل حلقات درسه تجتذب طلاب العلم من مختلف أرجاء المملكة وخارجها، ولقد بذل نفسه للإفتاء بطرق متعدّدة، من أبرزها : الكتابة، والهاتف، والمسجّل، ووسائل الإعلام كـ : الصحف، والمجلاّت، والإذاعة عبر البرنامج المشهور (نور على الدرب) الذي يستفيد منه كثير من الناس داخل المملكة وخارجها، وإلى جانب ذلك ألف حوالي أربعين كتاباً ورسالة، منها ما هو ذو مستوى يتلاءم مع قدرات طلاب العلم، ومنها ما هو ذو مستوى يناسب جمهور المسلمين لمعرفة ما هو ضروري من مبادئ الدين الحنيف والشريعة السّميحة.

- إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة في بلدان ومراكز مختلفة من مناطق المملكة بما كان له أثر كبير في توجيه الجمهور خاصة الشباب الوجهة الحسنة.
- مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كبيرة، مثل : مؤتمر رسالة المسجد، ومؤتمر الدعوة والدعاة، ومؤتمر الفقه الإسلامي، ومؤتمر مكافحة المخدرات.
- اتباعه أسلوباً متميزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حياً لمنهج السلف الصالح فكراً وسلوكاً، مما جعل كثيراً من المسلمين يطمئنون إلى ما يدعو إليه، ويستفيدون منه.^(١)

جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

قال فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين (الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر) عن الشيخ ابن عثيمين : «صاحب الباع الوافر في الفقه وأصوله، وفي الحديث رواية ودراية، من أجل ذلك كان إماماً في الدليل والتعليل، ففي المسألة الفقهية يدلي بالدليل الذي يستند عليه القول الذي يختاره، ويعلم السامع كيف يستنبط الحكم منه، ويشرح علّة الحكم، ويربط بالأشباه والنظائر، وكان في التفسير إماماً بارعاً، كيف لا ؟ !! وإن أحظى شيوخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي صاحب التفسير الجامع الممتع على اختصاره وتبسيطه.

وكان في علوم الآلة من النحو والصرف والبلاغة إماماً لا يغفلها في دروسه التي كانت تجمع بين العامة والخاصة، وكانت تأخذ بيد الحاضرين ليرتقوا إلى طلب العلم والتدرّج في الفقه، ومع ذلك كان حريصاً على تعليم تلامذته احترام العلماء، وهو

(١) الرياض، العدد ١١٨٨٩.

الخلق القويم المفقود عند الكثير من أصحاب الحلقات الواسعة اليوم التي سببت أكبر الآفات المعاصرة.

وكانت مجالس الشيخ العلميّة تجمع بين المبتدئ والمجتهد في طلب العلم، فلا يحرم المبتدئ من الفوائد المتدرّجة التي يرتقي بها مدارج العلم النافع، ويجد فيها المجتهد بغيته، ويحصل الباحث المدقّق على ضالته المنشودة، والنصوص عنده منتظمة في عقد منسّق بديع، والقواعد والضوابط والفوائد مرتّبة في مواضعها، يقنع السائل في مسألته، ويدفع الباحث ليجمع أطراف بحثه»^(١).

وقال الدكتور جمال المراكبي (رئيس تحرير مجلة التوحيد) :

«وقد رحل عن دنيانا شيخ جليل، وعلم متبحّر في علوم الكتاب والسنة ألا وهو فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، وبقدر ما أصابنا من الحزن لفقد الشيخ وانقطاع هذا المعين من العلم النافع.

فإننا لا نملك إلا الرضى والتسليم لقضاء الله وقدره، وعزاؤنا أن الشيخ تخلف لنا تراثاً عظيماً نتفجع به مقروءاً ومسموعاً، وتخلف أجيالاً من التلامذة وطلبة العلم ينهلون من معينه، ويسرون على نفس الخطى»^(٢).

جمعية أنصار السنة بالسودان

ونعت جمعية أنصار السنة المحمدية بالسودان إلى الأمة الإسلامية وفاة الشيخ

العلامة ابن عثيمين، وقال الشيخ محمد هاشم هدية (الرئيس العام للجمعية) :

(١) مجلة التوحيد المصرية، العدد ١١، للسنة : ٢٩.

(٢) المصدر السابق.

«إن سماحة الشيخ ابن عثيمين هو ذلك العالم الذي تلقاه باسمًا منشرح الصدر، تنقاد إليه منذ أن تقع عينك عليه، فقد كان قويا إذا تكلم، وقورا إذا سكت، مهابا مع أنه رقيق الحاشية، رقيقا بالناس، ولا تكاد تجده إلا نشيطا في مشيه، وفي جميع حركاته، لم يؤثر كبر السن في حيويته التي عهدناها فيه خلال الثلاثين عاما التي عرفناه فيها، وكانت مفاجأة لنا يوم بلغنا أن الشيخ قد أصيب بمرض عضال، وقد سافر إلى أمريكا للعلاج، وسررنا بعودته وهو معانٍ، وقد زال حزننا يوم عودته، وما كنا نظن أن المرض قد تمكن منه حتى حرم أحبابه من زيارته وهو في غرفة (الإنعاش)، ولا يوم أن سكن غرفة في الحرم المكي يواصل فيها درسه الذي أصر عليه من على البعد، مستفيدا من الأجهزة الحديثة التي توصل صوته إلى تلاميذه في الحرم المكي الذي صعب عليهم انقطاع صوته الواضح الفصيح، ولولا الإيمان بأن الله حد لكل حي أمدا تنقضي فيه حياته ما توقعنا وفاته المفاجئة لنا، فلا تملك إلا أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن مصيبة الموت مكتوبة على كل حي، والبصر شأن كل الأتقياء والصابرين، والعزاء لازم لطلبته الكثيرين قبل ذويه، فإنهم أصبحوا بالنسبة إليه كأعضاء جسمه، وأرى أن الصدمة عليهم قوية، وأرجو الله أن يمدّمهم بالبصر على فقده، والثقة القوية في الله عز وجل أن يهيء لهم عالما يقوم مقامه.

ونسأل الله أن ينزل شيخنا وشيخهم منازل الأبرار، وأن يوسع في مرقده، وأن يتور له في قبره مد بصره، وأن يفتح له بابا من أبواب الجنة وأن يبيح حياة الشهداء، فإننا نشهد أن وقته كله كان ملكا لطلاب العلم في جميع مواضع وجوده»^(١)

جمعية إحياء التراث الإسلامي

قالت عن الشيخ :

«إن الأمة الإسلامية فجعت بفقد رجل من بقية السلف الصالح، وإمام من الأئمة المهادين المهديين، مشيرة إلى أنه ما يزيد فاجعتنا وفاجعة الأمة الإسلامية أن يرحل هذا الإمام وليس للأمة عنه غنى»^(١).

مجلس الأمة الكويتي

وقد عبّر علماء الكويت، وأعضاء البرلمان عن ألمهم الشديد بفقدان الأمة الإسلامية فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وقالوا : إن الأمة الإسلامية فقدت عالماً جليلاً كرس حياته لخدمة الإسلام ونشر تعاليمه.

وقال عضو مجلس الأمة الكويتي الدكتور وليد الطبطبائي :

«إن ابن عثيمين عالمٌ جليل أفنى حياته لخدمة الدين الإسلامي، ووفاته خسارة كبيرة لنا نحن المسلمين؛ لأن الأمة الإسلامية لا تنهض إلا بعلمائها»^(٢).

قطر

وكالة الأنباء القطرية

وقالت وكالة الأنباء القطرية في معرض خيرها: إن فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين كان له نشاط كبير في الدعوة إلى الله عز وجل، وتبصير الدعاة في كلِّ

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

مكان، وله جهود مشكورة في هذا المجال، واستهلت الوكالة خبرها بالقول : فقدت الأمة الإسلامية الشيخ محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهبي التميمي عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية الذي انخرط منذ صغره في تعلّمه لعلوم الدين حتى أصبح عضو تدريس في كليتي الشريعة، وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم.^(١)

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر

ونعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر إلى المسلمين في كل مكان فضيلة الشيخ محمد صالح بن عثيمين عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، جاء ذلك في بيان أصدرته الوزارة في الدوحة، وأشادت فيه بمناب الفقيه الراحل في مجال الدعوة من أجل صالح الإسلام والمسلمين.^(٢)

مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية

(كبير)

نقل مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كبير) أحد أكبر المؤسسات الأمريكية، المعنية بتقديم صورة صحيحة عن الإسلام والمسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية، والدفاع عن حقوق المسلمين والعرب بأمريكا؛ خير وفاة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين العالم الجليل، والأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود إلى الصحافة الأمريكية والإسلامية والعربية بالولايات المتحدة وكندا، معبراً عن أسف المجلس، وحزن أعداد غفيرة من المسلمين والعرب، الأمريكيين لوفاة الشيخ.

(١) الساتية، العدد ٥٧١٦.

(٢) المصدر السابق.

وكان الشيخ الجليل قد توفّي بجدة مساء الأربعاء الخامس عشر من شوال لعام ١٤٢١هـ الموافق العاشر من يناير لعام ٢٠٠١ ميلادية، عن عمر يناهز الخامسة والسبعين.

وقد عُرف عن الشيخ علمه الغزير بعد أن تتلمذ على يد مجموعة من أكبر علماء الإسلام، وكثرة طلابه بتدريسه علوم الدين، بحلقاته الخاصة، وبجامعة الإمام محمد بن سعود، كما عُرف بالترامه بالقرآن والسنة عند الفتوى، وفي تعقيبه على بحر وفاة الشيخ قال نهاد عوض (المدير العام لمجلس العلاقات الأمريكية - كير - إنا لله وإنا إليه راجعون، بالنيابة عن مجلس إدارة مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية والعالمين به أعر عن خالص تعازينا لأسرة الشيخ وللأمة الإسلامية لفقدان الشيخ الكبير، نسأل الله أن يلهم أهله وطلاب علمه الصبر والسلوان.

كما عبّر عمر أحمد (رئيس مجلس إدارة مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية) عن تعازيه متذكراً حديث رسول الله ﷺ: «إذا مات أحدكم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم نافع، وولد صالح يدعو له»^(١).

مؤسسة شيخ الإسلام ابن تيمية

في الولايات المتحدة الأمريكية

أعربت مؤسسة شيخ الإسلام ابن تيمية في الولايات المتحدة الأمريكية عن حزنها لوفاة فضيلة محمد بن صالح العثيمين، العالم الفضيل، والداعية المرثي، والمعلم الصادق، والعضو بهيئة كبار العلماء رحمه الله رحمة واسعة فلقد كان رحمه الله من

(١) الرياض، العدد ١١٨٩١.

بقية السلف الصالح، ومن أواخر الأعلام للهدى والصدق والبذل والنصح للأمة في مشارق الأرض ومغاربها.

وكانت المؤسسة حريصة وما زالت على نشر كتبه وعلومه وفتاواه.^(١)

مركز الدعوة الإسلامية في البرازيل

ورفع مدير مركز الدعوة الإسلامية في البرازيل الشيخ أحمد الصيفي خالص تعازيه لقيادة المملكة العربية السعودية، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - لوفاة سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء، والأستاذ بكلية الشريعة في القصيم، وإمام الجامع الكبير في عنيزة، واصفاً فقدته بأنه خسارة عظيمة حلت بالأمة الإسلامية.

وأبدى مدير مركز الدعوة الإسلامية في البرازيل الشيخ أحمد صيفي في تصريح له (الجزيرة) عميق حزنه، وألمه لفقد سماحته الذي كان رحمه الله عالماً كبيراً نذر نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين، ونشر الدعوة إلى الله تعالى، ونصرة الدين الإسلامي الخنيف، واصفاً وفاته بأنها خسارة جسيمة على الأمة الإسلامية، وعلى أوساط العلم والعلماء، وحلقات التدريس.

ودعا الشيخ أحمد الصيفي الله جل وعلا أن يغفر له ويتقبل أعماله الجليلة وخدماته المخلصة لصالح الإسلام والمسلمين، ويجعله من عبياده المقربين، ممن أنعم الله عليهم من التبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأن يلهم أسرة الفقيد الصبر والسلون، والله ذو الفضل العظيم.^(٢)

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٢٢.

المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بالأرجنتين

وقال عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي لأمريكا اللاتينية بالأرجنتين المهندس محمد هاجر لدى سماعه نبأ وفاة سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء، والأستاذ بكلية الشريعة في القصيم، وإمام الجامع الكبير في عنيزة: أن فقدانه رحمه الله يعتبر خسارة كبيرة مُنيت بها الأمة الإسلامية، لما للفقيد الكبير من أعمال جليلة، وجهود واهتمامات عظيمة لخدمة الإسلام والمسلمين.

وأعرب عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي رئيس المنظمة الإسلامية لأمريكا اللاتينية بالأرجنتين في تصريح له - (الجزيرة) عن بالغ حزنه وأساه على وفاة سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.

وقال :

إن المصاب جلل، والحزن كبير لما يكنه كل مسلم على وجه المعمورة له طيب الله ثراه، من محبة ومودة، والاعتدال في التمسك بشريعة الله وسنة رسوله ﷺ وحمله لهموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وأبان المهندس محمد هاجر أن رحيل الشيخ العثيمين من الدنيا الفانية إلى الدار المقرّ ترك فراغاً كبيراً، داعياً الله أن يجعل في خلفه من العلماء وطلبة العلم الخير للمسلمين، معتبراً وفاته رزاً كبيراً للأمة الإسلامية جمعاء، التي فقدت فيه عالماً كبيراً، وعلماً شامخاً من أعلام الفكر والدعوة والإرشاد وفق الكتاب والسنة.

وسأل المهندس (هاجر) الله تعالى أن يشمل الفقيد العزيز برحمته الواسعة وأن يرزق أهله ومحبيه الصبر والسلوان.^(١)

(١) المصدر السابق.

المركز الثقافي الإسلامي بمديرية

وكتب د. صالح بن محمد السنيدي (مدير المركز الثقافي الإسلامي بمديرية):

«لقد كان شيخنا رحمه الله أحد البقاة المعدودين الذين أعادوا الأذهان إلى سيرة سلفنا الصالح في زهده وتقواه وتواضعه، ولنا لا نستغرب هذه الكثرة من التلاميذ والحميين والمعجبين، فقد قرن العلم بالعمل، وجعل نفسه مثلاً يحتذى، بالإضافة إلى هذا كله التمس في فتاواه وآرائه الفقهية ما يراه الأقرب إلى التطبيق، وما لا يشق به على المسلمين، معتمداً في كل ذلك على الاجتهاد المعزز بالسند والدليل من الكتاب والسنة، أو فعل سلف هذه الأمة ممن يعتدّ بفعلهم.

كما أن التغيرات الكثيرة التي طرأت على حياتنا في هذا العصر من تكنولوجيا ونفسية وغيرها مجدها حاضرة معتبرة في فتاوى شيخنا الفقيه، وهذا ما جعل آراءه الفقهية تمتدّ شرقاً وغرباً أينما يوجد المسلمون، وهذا ما يمكن أن نصفه بالتححرر من الانعزال، وعدم التقوقع في نطاق أو مجتمع معين فيما أصدره من فتاوى، فمنحه ذلك صفة العالم الفقيه.

إن سيرة هذا العالم تستحقّ الدراسة والتأمل خاصة لمن يطمح أن يتبوأ مناصب الفتوى والمسؤولية الدينية، حيث كرس نفسه للعلم وطلابه، وابتعد عن الدنيا وزخرفها، واكتفى بذلك مكانة ووقاراً حُجزاً له في قلوب الملايين من المسلمين، فشَدّت إليه الرحال من كلّ مكان، طلباً لما لديه من علم، وانتشر تلاميذه في كلّ الأصقاع، فهذا هو المكسب الذي يجب أن نبحث عنه لا عن الدنيا الفانية وحطامها الزائل.

لقد كان لحبر وفاته وقع أليم بين أبناء الجالية هنا في مدريد؛ لا سيّما وأن المركز حاول أن يستضيفه من خلال التليفون في رمضان الذي ودّعناه قبل أيام، بناءً على رغبة العديد منهم؛ لكن حالته الصحيّة حالت دون ذلك.

نسأل الله عز وجل أن يتغمّده في رحمته، وأن يفسح له في فردوسه الأعلى وأن يجزيه الجزاء الأوفى على ما قدّمه وتركه رصيماً باقياً في المكتبة الإسلامية وبالذات الفقهيّة التي ستفقد فتاواه المتفاعلة مع الزّمان والمكان، دون أن تبتعد عن المصادر الأساسيّة للفتوى.

كما نقدّم تعازينا الحارة لأسرة الفقيد وتلاميذه ومحبيه في كلّ مكان، والشعب السعودي الذي يكن لهذا العالم الفقيه مكانة خاصة^(١).

بريطانيا - كاردف

وقال د. سعيد باسماجيل :

«فقدنا عالماً جليلاً آخر في يوم الخامس عشر من شوال، فجعنا بوفاة العلامة الشيخ الفقيه الكبير محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله رحمة واسعة، نعم، ورحل عالمٌ جليل بعدما ملأ الدنيا علماً، فنرجو أن يكون شهادة له عند ربّه، فالحمد لله الحيّ الذي لا يموت، والجنّ والإنس يموتون وصلى الله على نبينا محمد الذي خاطبه ربّه بقوله : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَهُم مَّيِّتُونَ﴾.

ونقول لكلّ المسلمين عموماً ولأهله وذويه خصوصاً : الله ما أخذ وله ما أعطى، وكلّ شيء عنده بمقدار.

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

كما وأسأل الله أن يجير مصابنا في فراقه، أن يلهمنا وإياكم الصبر والإحسان على قبض علمٍ آخر من أعلام هذا العصر.
اللهم لا تفتننا بعده، واغفر لنا وله.

لقد رحل رحمه الله وقد ملأ الدنيا علماً، فلا يكاد يوجد كتاب مهمّ لطلبة العلم إلا وقد شرحه، وكان رحمه الله زاهداً قمي الدنيا كما يظهر من حاله ولباسه، حريصاً على نفع الخلق، مشتغلاً بتدريسهم حتى في فترة مرضه رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، ورفع درجته وأعظم أجره، وجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، وعوض المسلمين خيراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(١).

ألمانيا

وكالات الأنباء الألمانية

نقلت النبا وكالة الأنباء الألمانية التي أعطت نبذة عن حياة الشيخ محمد ابن صالح بن عثمين مشيرة إلى نشاطه الكبير في مجال الدعوة إلى الله والتدريس والتأليف والإفتاء وإلقاء المحاضرات في المسجد الحرام، وفي مختلف مدن المملكة بأسلوب متميز، مشيرة إلى حصول فضيلته على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٩٤م.^(٢)

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

(٢) المسانية، العدد ٥٧١٦.

نيوزيلندا

الجمعية الإسلامية الخيرية بنيوزيلندا

وقال زيدان الرمال الشمري :

«لقد بلغنا نبأ وفاة الشيخ الجليل الإمام محمد بن صالح العثيمين يرحمه الله - ويحسن إليه - وهكذا تكون قد انطفأت جذوة من منارات العلم، وكان قبله من العلماء من قضى نحبه هذا العام، ومنهم من ينتظر، فلا يزيدنا هذا الأمر حزناً فحسب، بل يزيدنا خوفاً وفرحاً، فهو الأمر الذي أحرثنا عنه الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من أو ان انتزاع العلم من هذه الحياة حتى لا يبقى عالم.. فيأتي الناس رؤوساً (ولم يقل صلى الله تعالى عليه وآله وسلم علماء) جهالاً، فيضلون الناس بما يحملون من جهل، وهكذا سينحسر العلم ومعرفة السنة المطهرة، وسينحسر التمسك بالدين حتى لا يقال على الأرض الله .. الله .. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإن كان لنا عزاء في مثل هذا الموقف فمصيبتنا بموت النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم هي أعظم وأكبر من مصيبتنا بموت من يعود لنا بقرابة ودراسة ونسب وصلة.. هذه الموتات التي تتخطف علماءنا علماء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصحيح، وترك المسلمين في حزن وأسى في مثل هذه الظروف الحرجة من الجهل والرّدة.. رغم أنّها من سنن الله تبارك وتعالى في الحياة، إلا أنّها واعظ لمن أراد أن ينفكر في الحياة الدنيا وزينتها، ولمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

فلا يأخذ الحزن مأخذه في نفوسكم أيها المسلمون، ويصيبكم اليأس والقنوط، فإن الله تبارك وتعالى قد تكفل بدينه وبالمؤمنين حماية ونصراً، وهو بالغ أمره ولو

كره الكافرون، يرحم الله تعالى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويرحم
الله تعالى المكثرين والمقلّين والمتقدمين والمتأخرين من الأبرار، ويرحم الله تعالى
المؤمنين والمسلمين خاصّتهم وعامتهم.. اللهم آمين.

فلا تمنوا أيها المسلمون، فما موت الشيخ إلّا لكم دفع للعمل في سبيل الله تعالى
أكثر وأكبر.. والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الباب الخامس

مَّا قِيكَ فِي الشَّيْخِ
وَمِنَ الشُّعْرِ

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

١- من شعر فضيلة الشيخ / سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم (إمام وخطيب الحرم المكي)^(١)

يا عبلُ لا تُلومي إن نسيْنَا
يا عبلُ لا ملام في جَفَاءِ
يا عبلُ لا وصالَ في بلاءِ
تالله ما طابَ لنا منامٌ
ورزهد الصَّفِيّ في تلاقِ
إن تسألني يا عبلُ ما ذهانا
ولتُبصرِ العيونَ شاخصاتِ
كفي تَعلمي المصابَ في جموعِ
بفقد شيخِ عالمِ جليلِ
أتاه ما يَجُوب كلَّ حي
مُحَمَّدُ الصالحُ بالقومي
لو أننا نُقرُّ في فداءِ
لكنه المَماتِ لَيْسَ يُجدي
آلِ عُثيمينِ إلا فصيراً
خَبِرٌ وعمرٌ للجَميعِ رَحْبُ
فإن تسأل في التحوِ ذاك طَوْدُ
يَقولُ بالنصوصِ في ثباتِ
يُدارسُ العِلْمَ كلَّ حينِ

هَوَاكَ حينَ كُنْتَ تَعْدِلينا
فَفيْنَا ما يُرَوِّعُ الحَينِنا
رُزينا بالخطوبِ سَادِرينا
يحقُّ للمنام أن يَينَا
نوازل تَبْلُغ اليَقينَا
فَلتَسْمعي البكاءَ والأينَا
حَسرةٌ مما به رُزينا
ولتَعذُري إن كُنْتَ تَعذُرينَا
مُوسداً بِقَبْرِهِ دَفينَا
بالموتِ حينَ يقطع الوَينَا
لَقينَا في المصابِ ما لَقينَا
فِيفتدى بالمالِ والبَينَا
فداؤنا المكفَن القطِينَا
عزاؤكم مُصائبنا عَزينَا
نراه إذ نراه مُستَينَا
والفقهُ صارَ ثوبَهُ المتِينَا
دليلُهُ ألبانَا أو رُوينَا
ويقهَرُ الباطلَ فينا حينَا

يُقيّمها الدهورَ والسنينا
يُحِبُّ بالألوفِ والمئينا
لله يقرأ قوله المَبِينا
ما آن للقلوب أن تَلِينا
ألا ترون الحطَب حلّ فينا
تناقصت بموت عالمينا
بموتهم في العلم جاهلينا
واستغنموا ذا ورم نخينا
لم يستيئروا القثّ والسَمِينا
أمثاله يُجدّدون ديننا
دواؤنا من بعد ما عيننا
عن دعوة للشيخ ما حيننا
وادعوا له يا قوم قانتينا
لا تختموا بمثل مطربينا
حياته أهواك لنّ إلينا
ويُصرّ الطريق إن عمينا
ولتجزه في العدن عليّنا
زوّجه في الجنة حوراً عينا
بالله قولوا إخوتي آمينا
على الذي تقدّبه والدينا

لم تثن قنائه اصطباراً
يُجلُّ بالعلم على افتخار
يَقُومُ إن جنّ به ظلام
كتابنا سلّت به قلوب
لله يا لقومي ما دهاكم
ألا ترون الأرض بعد هذا
ويكلم القلوب أن تلاقى
بجهلهم تساقط الأناسي
فلم يع لهاذم البرايا
أبرم لنا يا ربنا شوخاً
كي نستفيق في الوزي وهذا
لن أغفلن يا أخي حتماً
إن قائماً أو قاعداً أو راقداً
بمثلَه فلتختموا حياة
شئان بين عازف بعود
وبين من حياته جهاد
فارحم إله العالمين شيخاً
بفضلك العظيم يا إلهي
واختلف لنا في المسلمين خيراً
ثم الصلاة بعدها ختام

٢- من شعر فضيلة الشيخ / إبراهيم بن صالح الوابل^(١)

خطبُ ألم القلب أشجى المنبرا
خطبُ إذا ما الصبح أرسل ضوءه
جلل له تبكي القصيمُ وأرضها
في ذمة التاريخ حير قد هوت
شيخُ القصيمِ محمد ابن الندى
العلمُ صافحةٌ وصافحَ فضلُهُ
جفت صحائفنا وغاض يرَاعِنا
من للفتاوى بعدهُ خلا إذا
إن كان قد غابت نسامُ روحه
بحر تفيضُ به الجواهرُ حكمةً
يا نجمة برزت وكان ضياؤها
تسعى وتمشي خلقه أم تظن
يا درة الإسلام فقدك ظلمة
يا درة بخل الزمانُ بمثله
هذي الحياة وإن صفت أيامها
غفر الإله له وغلدهُ ذكره

ونفى عن العين الرقادَ وأسهرها
كتم الدجى أنفاسهُ وتبعثرا
وتبيت تنعاهما المدائنُ والقرى
أفلاكه وتناثرت خلف الشرى
ابن السماحة والكرامة والذرا
وأسال دمعا كاللآلئ قد جرى
وقد انزوت حيرى تكذب ما ترى
وقع السؤالُ بيننا متحيرا
قلنا به علم أضاء وأبهرها
كم طالب في بحره أدلى القرى
بدرًا أنار مع الدجى درب الورى
وراءهُ موج يموجُ تبخترا
كالكهف تاه بقلبه من قد سرى
لله درك عالما متبحرا
عادت شرابًا بالعناء مكذرا
وسقاهُ من نهر الجنان الكوثر

(١) الجزيرة - الأربعاء ٢٢ من شوال ١٤٢١هـ.

٢- من شعر / فهد بن عبد العزيز بن حمد آل وهيب (مدير المعهد العلمي بحوطة سدير)^(١)

كذا فليجل الخطب أو يفدح الأمر
يعزون في شيخ يعزي به العلا
كان بني الإسلام يوم وفاته
هذي المكارم لا تزويق أبنية
أهكذا البدر تحفي ضوءه الحفر
خبت مصايح كنا نستضي بها
فح على العلم نوح الناكلات وقل له

فليس لعين لم يقض ماءها عذر
ويكي عليه العلم والحلم والفكر
نجوم سماء هوى من بينها البدر
ولا الشقوق التي تطلی بها الجدر
ويفقد العلم لا عين ولا أثر
ولوح للمغيب الأنجم الزهر
والهف نفسي على أهل له قبروا

٤- رحماك ربي على شيخ نودعه^(٢)

شعر الشيخ / عبد الله المعتاز (رئيس إدارة المساجد والمشاريع الخيرية والموجه العام لمدارس بدر الأهلية).

ما بال جسمك يا المعتاز أضناه
عهدي بك الأمس مسروراً ومبتسماً
كفكفت دمعي وقلت الله يجبرنا
ألا ترى أمة الإسلام في كمد
شبابنا شدة الآلام أرقه
جاءت خطوب لعل الله يرحمنا

هم وغم ودمع العين يفشاه
لا تستكين لما يأتي به الله
هذا مصاب دهانا ما عهدناه
الشيخ في كربة والطفل أبكاه
وكاد من لوعة الأحزان يلقاه
موت المشايخ تترى لست أنساه

(١) الجزيرة - الأربعاء ٢٢ من شوال ١٤٢١ هـ.

(٢) الدعوة - العدد ١٧٧٧ - ٣٠ من شوال ١٤٢١ هـ.

وابن العثيمين بعده ما تحطاه
 وذكرهم في الورى مهما تناساه
 في جنة الخلد بشرانا وبشراه
 إلا لمن ربنا الرحمن يرضاه
 وأين قارون لا تحصى خطاياها
 في جنة البحر ملعوناً تركناه
 الكل يمقته إن حل ذكره
 أصلاه من عذاب الله أقساه
 بحر العلوم الذي قد نال أعلاه
 قد زينت برحيق العلم أصفاه
 هذي عنيزة نكلى بعد فرقاه
 شباب علم على التوحيد رباه
 الكل يبكي دماً حياً لمرآه
 دمع من العين فوق الخد مجراه
 قد انكست سرها ليلاً مطاياها
 محبة من صميم القلب
 ذكره منابر العلم للمحراب
 ممشاه يثير في القلب أشجانا
 محيآه بنى من المجد ما خطبه
 يمناه مسلماً لقضاء الله تلقاه
 على السرير وعين الله ترعاه

الباز من قبل والألبان يعقبه
 العلم والدين والإيمان يرفعهم
 سألت ربي إله الحق يجمعنا
 هذي الحياة هوم لا حبور لها
 أين الطغاة وأين العابدون لها
 وأين فرعون قد أمسى له كفنأ
 وأين من حاج إبراهيم في سفه
 أتاهم هاذم اللذات في عجل
 رحماك ربي على شيخ نودعه
 فهو الذي قد بنى في الناس أفئدة
 مجالس العلم تبكيه وتندبه
 ومسجد قد بناه الشيخ يعمره
 وفي الدنا ضجة حرى تورقه
 وفي المقابر هل شاهدت جمعهم
 جاؤوا إليه يغذون المسير له
 الله أكبر دين الله يجمعهم
 الله أكبر ذلك الشيخ تعرفه
 تبكي الأنام إذا ما الشيخ خوفها
 نبكيك يا أمة في ثوبها رجل
 تراه مبتسماً مهما ألم به
 يعلم الناس دين الله في مرض

فقال راحتي التعليم أهواه
 وكم أجاب على فتوى سألناه
 كم جاهل غارق بالجهل أرواه
 وكم عدو لدين الله عاداه
 يرجو ثواباً من الرحمن يخشاه
 بيت من الطين مأواه ومشواه
 واجبر مصيبتنا في الشيخ رباه

قال الطبيب ألا ترتاح في مرض
 كم قولة الحق قد دوت مجلجلة
 وكم محاضرة للناس علمها
 وكم صديق أتى للعلم يطلبه
 الله أكبر دين الله يرفعه
 ما هم جمع مال أو مفاخرة
 ياربنا اخلف على الإسلام في علم

٥- النَّاصِح^(١)

شعر / أحمد صالح الصالح

فأوجع القلب.. والأكبادَ والحَدَقَا
 ففرَّعَ النَبْرَ المشتاقَ والحَلَقَا
 إمامها.. وحيباً عالماً صدقاً
 بين الضلوع وأصلها النوى حُرَقَا
 بأيِّ حادثة.. هذا المسارِ طَرَقَا
 فأنكل الناسَ والداراتِ والطَّرَقَا
 وفي الشفاعة حديثٌ بالأسى شَرَقَا
 أن يهجرَ النَّبِضَ أو أن ينتهي مَرَقَا
 في موكبِ الحُبِّ.. سَدَّوْا لِلْقَا الأَفْقَا
 وأنَّ شيخَهُمْ .. في إثرهم طفقوا
 بعلمه ما اشتكى عيًّا ولا وهقوا

بآية الحُبِّ فُضَّ الحزنُ أفندةً
 ومرَّ بالمسجدِ الباكي.. إمامته
 وأجهشتُ أعينُ الفيحاءِ باكيةً
 تحاملت فوق هذا الحزنَ تحزنه
 قد أوحشَ الدورَ فالأحياءَ مُطَرَقَةً
 وأيها خبِرَ غصَّ الأثيرُ به
 في كلِّ عَينِ حكاياتٍ.. نُخبِئُها
 بين الضلوعِ بكادُ القلبُ من جزعِ
 إمام هذا الهدى الأحيابُ ما يَرُحُوا
 كأنهم في انتظارِ الدرسِ.. قد وقفوا
 وأنَّ كرسِيَّه لا زال مزدهراً

(١) الجزيرة - الأربعاء ٢٢ من شوال ١٤٢١ هـ - العدد ١٠٣٣٨.

يباشرُ الصبح.. للمحراب معتقاً
 كأنما ينفخ الأطياب.. والعَقَا
 في كل معضلة.. ما لان أو فَرَقَا
 نستقي من معين.. للهداة سقى
 وأهل العلم من وافاه مُستبقا
 فيك الأمين النقي الزاهد الخَدَقَا
 وقلْبُه.. ولسانُ بالهدى انطلقَا
 لأمة.. لم تزل في أمرها فَرَقَا
 رحيل أعلامها من للهدى استَبَقَا
 لله من رحلوا.. طوبى لهم رُقَقَا
 وكلما ألتام جرح آخر انفقا
 والغرب سن لها من كيده طرقا
 درب الهوى مسلِكًا والغي مرتفقا
 فجنّت في ليلها تستدرك الرمقا
 محصت إيمانها أخزيت من نعقا
 وتمحص النصح أدناها ومن أبقا
 واستشرفوا طالعا بالحق مؤتلقا
 وكان برأ حفيًا صيًّا غدقا
 من طاب سيرته واستكمل الخُلُقَا
 وطاب ذكرك في كل الدُنا عِبَقَا
 أحياء موات النهى واستنبت الورقا
 ومن تضرعها أن لا تدروق شقا

وأنه سوف يأتي كالندى سحرًا
 يلقي.. بيان.. الهدى في الناس محسبًا
 دروسه يِنَات يستضاء بما
 إليه.. جاءت ركابُ الناس مشفقةً
 كم غلّهم بصبوح العلم طيه
 حيننا.. هذه الأحباب قد عرفت
 إمامهم.. وحيننا لامست يَدُه
 جرحاً تَبَزَل مسنّة.. بصيرته
 حيننا.. أمة الإسلام يتّمها
 عامان.. غابت نجوم جدّ مُزهرة
 حيننا.. أمة الإسلام مشخنة
 ألقى اليهود إليها كلّ حقدهم
 وأناقلت عن جهاد النفس واتخذت
 ترجلت عن ظهور الخيل من زمن
 أيقظت في ثقة فيها حميتها
 تُقِيئُها بجنان المشفقين بما
 حتى إذا ما اجتلوا درب الهدى رَغَبَا
 ودعتهم.. يا حيننا كان يؤنسهم
 فأجفلوا كاليتامى حين ودّعهم
 حيننا طبت في أم القرى جدثا
 وطبت غيثًا به الفيحاء مُنخبة
 إليك من حبها ما أنت تعرفه

٦- نجم .. إثر نجم

من شعر / حسين بن حسن العبدلة^(١)

ألا نظّر الله العيمين رحمة
لمن بلغ الآيات من قول ربنا
تحية أنا نسير على الخطا
تحية أنا نؤدي أمانة
ونشر علماً صاغه من جهاده
لقد كان في مَحياه للناس آية
ألا هكذا أو هكذا ثم هكذا
تعرّى من الدنيا وخلّص نفسه
نجا من له يوماً من العلم ضامر
مشيت على نهج ابن باز وسَمته

ونور رمساً ضم جسمًا بسبب
ومن بلغ العلم الصحيح من النبي
ونذهب حيث الشيخ يغدو ويذهب
ونحملها دومًا على كل منكب
وأشعله من كل عضو معذب
وفي موته رمزاً جاف ومطنب
يسير إمام الناس في كل مذهب
ومن غيره عضت بناب ومخلب
وأوي في الإغراء من زُهد مُصعب
فجاورته في «العدل»^(٢) في خير غيب

٧- لحظة .. لا تغيب.

من شعر : سليمان بن زيد الجربوع^(٣)

لو رأيت القصيم في حلة العرس
وحواليه من بنيه جموع
كان يزدان للقاء بيوتاً
وحقولاً.. طفلاً غريباً وكهلاً
كثيلاً يصيح بالنعش «مهلاً»
تزرع الأفق ياسمينخاً وقللاً

(١) مجلة المعرفة - العدد ٦٩ ذو الحجة ١٤٢١ هـ.

(٢) العدل : مقبرة العدل في مكة المكرمة.

(٣) المرجع السابق .

أنت أشهى منه مرحاً وظلاً
 تملئ وخاطرًا يتسلى
 طائرات القدوم «أهلاً وسهلاً»
 يغلي حرقة ويلتاع وبلا
 وحيال القضاء تفتل فبلا
 أملاً من كوى الغيوب أطلاً
 وثماناً لسدرة الحب أصلاً
 أغلى من أن ينال وأعلى
 قبله مثله دياراً وأهلاً
 أيُّ حسن بدا ونور تجلى
 يستثير الرؤى جلالاً ونبلاً
 بثبات العلم السني مُدلاً
 يا يد الحلم ، فالجمال تدلّي
 طفت شعراً على مغانيه هلاً
 قال : وفيت حقه ، قلت : كلا
 يهجر الأنس في ذراه ويقلى
 تملأ الخافقين علماً وبذلاً
 في يد الموت قد طواها ، وولى
 كنت فيه السفر العظيم الأجلأً
 واحتوتك الدروب وعراً وسهلاً
 ينبت البؤس في شفاهك فألاً
 من يقين يفصل سقمك فألاً

وتفتت بك البطاح ربيعاً
 كلهم كان في انتظارك..عيناً
 يتنادى بك المدى فنناد
 القصيم الذي عهدت حنين
 كلنا كان بين مد وجزر
 ها هنا اصطفت القلوب تناغي
 لُقنا باليقين برداً ونوراً
 ودعانا لعالم من مجالي الخلد
 عالم مبهر ، فلم تر عين
 وتراءى لنا على البعد طيف
 إنه حسنه المهيب ووجه
 أهنا يرقد الحبيب ملماً
 أهنا يرقد الحبيب ؟ أيقني
 أهنا يرقد الحبيب..فهلاً
 قال: قد رمت وصفه، قلت: من لي
 واستفتنا ، فم الزمان رثاء
 والعشيمين رحلة ما توانت
 والعشيمين صفحة من كتاب
 والديني دمعة تعزي زماناً
 شقك السقم يا ظهور السجايا
 وتساميت راضياً مطمئناً
 ثابت القلب في يمينك سيف

٨- فقدناك يا نبع العلوم وبحرها

من شعر : صبيح صالح الصيعري^(١)

أيا حافظ القرآن فالكل محزون
 فقدناك يا نبع العلوم وبحرها
 سيبقى مع الأيام ذكرك خالدا
 إذا ما ذكرنا عالما ومحدثا
 إمام لأهل العلم والفضل والتقى
 إذا رام غيرك في الحياة مرامه
 ستحزن من فقد الفقيه دروسه
 ويحزن منه منبر بعد فقده
 إذا ما خطيب القوم قد حل بعده
 لذكرى فقيه العلم هلت دموعهم
 يا إله الكون ارحم محمدا
 وقد كان نورا للشباب ومرشدا
 على مثله تبكي شعوب لفقده
 إذا ما أردتم حفظ ود محمد
 فخفف عليه يا ألهي بقبوره
 إذا ما ادغم الليل قام مصليا
 يجافي بجنب عن مضاجع نومه
 فهل أنت من فقد الجليل حزين
 رحلت وإن الشعب فيك حزين
 تركت دروسا كلهن ثمين
 ذكرناك ما بين الجميع فطين
 وحصن لأهل الصالحات حصين
 فإنك للعلم المفيد قرين
 ويحزن منه طالب وعوين
 وتذرف منه أدمع وعيون
 تعالي لأطراف الصقوف أنين
 وجاشت صدور حزنهن دفين
 فقد كان في نشر الكتاب أمين
 يسير بدرج ثابت ويقين
 كذلك يبكي طالب ومتون
 عليكم سلوك النهج فهو قمين
 إذا العبد من بعض الذنوب رهين
 فقد تشتكيه أرجل وجفون
 يصلي إذا ما العالمين سكون

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٦ - الخميس ٢٣ من شوال ١٤٢١ هـ.

ويكتب حيناً في كتاب لنشره
 هنيئاً له إذ انفق العمر ساعياً
 عزاناً لأهل للفقيد وإخوة
 ولو عارضته عقبة وحزون
 لتحصيل علم للأنام ثمين
 وكل قريب للفقيد حزين

٩- غاب صوت الشيخ

من شعر : مبارك بن عبد الله المحيميد.^(١)

هل أتى حين من الدهر به
 لم يكن في بيته أو درسه
 صوته الخاشع يطويه أسى
 يرحل الشيخ..وما أصعب أن
 يرحل الشيخ..وما كان سوى
 يا لأطيار من العلم وقد
 لست أدري أي شيء هنسي
 سألني عن جسمه الناحل ما
 زاده «الزاد» وقد آثره
 «بابه المفتوح» لا يُغلق من
 وله «قول مفيد» قد أتى
 طفً على أسفاره وأسأل بها
 يعجز الفن !! وقد تسعفه
 يا لأيام سمان - قد خلّت -
 غاب صوت الشيخ عن طلابه ؟
 أو على الهاتف أو محرابه !
 صوت ناعي الركب في رُكابه
 يرحل الخجوب عن أحبابه
 أمة تلبس من أثوابه
 هاجرت ؛ والشيخ من أسرابه
 حين خاض الناس في أوصابه
 هدهُ ؟ أخبرك عن أسبابه
 سائغاً للناس في أكوابه
 زحمة الناس على أعتابه
 ساعياً للفهم من أبوابه
 كل فن عن مزايما ما به
 أحرف السفر إلى إيجابه
 وليال خرجت من بابيه

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٦ - الخميس ٢٣ من شوال ١٤٢١ هـ.

عجباً كيف استطاعت همة
أنت سطر في سجل الكون قد
قفل الشعر وقد أتعبه
جاء بالإيجاز منه وعسى

- فبت دهرأ - على إنجابه
عجز الأحياء عن إعرابه
ركضه للشيخ من إعجابه
ينفع الإيجاز عن إطنابه

١٠- آلام وأمل

من شعر : صالح بن مقحم المطيري^(١)

قالوا الأسي يعلو فؤادك والكدر
أترك عشت الليل بأسرك الهوى
أم أمها الأوهام سارت بالكبرى
حسام تبقى واجماً متندماً
فأجبتهم عذراً دعوني ما أنا
خاطبتهم والدمع يخفق أحرفي
أنا مؤمن لكن عيني لم تنزل
مازلت اسمع صوته يهدي لنا
مازلت أسمع صوته متألماً
يا شيخ مهلاً فالأنام بحاجة
في أرض مكة غيبوك وما دروا

ما هذه الأحزان مالك والسهرة
أم كان سهدك للحبيب ومن هجره
فمضيت ترسل ناظريك إلى القمر
هلا ذكرت لنا مصابك والخبر
إلا أسير الحزن في زمن العبر
أنا مؤمن بالله راض بالقدر
ترنو إليه محدثاً رغم الكدر
من علمه الفياض أنواع الدرر
رغم الأسي من فتكة الداء الأمر
للعلم للإيمان للذكر العطر
أن الذي قد غيبه هو القمر

(١) مجلة المعرفة - العدد ٦٩ - ذو الحجة ١٤٢١ هـ.

١١- ما أطولَ الحزن

من شعر : محمد بن عبد الرحمن المقرن^(١)

يا رب ما كان صوتُ الحق يفزعنا
لكنه العلمُ قوي منه أعمدة
من يا ترى سيسدُ الثلم إن رحلوا
ما لعلم في مثلح ضاف نبخره
العلم صبرٌ وزهدٌ في ثياب تقي
ألا سقى الله من أرسى لنا مثلاً
يا طالب العزِّ حدق في جنازته
وفي القلوب يقينٌ يشبه الجبالا
فيرجف القلبُ من توديعهم وجالا
وهل سنلقي لهم في جيلنا بدلا ؟
ولا انحناءُ رؤوس ترقب القبلا
لاخير في العلم إن لم يتبع العملا
غُليا سنجعلها في درينا مثلاً
كذلك العزُّ أما ما سواه فلا !

١٢- الرزية

من شعر / إبراهيم بن علي النفيسة^(٢)

ألم تسمع إلى ما قال يوما
تعلم ما الرزية فقد مال
ولكن الرزية فقد فذ
ألم تعلم بأنا قد فقدنا
محاسنهم تفوق ذرى الغمام
تتابع عقدهم فرايت قومي
نجوم قد تماوت من سماها
أخو الأشعار في وصف الرزية
ولا شاة تموت لا مطية
تموت بموته أمم وفيه
شيوخ العلم أصفى الناس نية
وأنفسهم إلى المولى عليه
على حزن وفي كُرب جلية
عدولٌ لم تكدرهم دنية

(١) المرجع السابق .

(٢) الجزيرة - العدد ١٠٣٤٦ - الخميس ٣٠ من شوال ١٤٢١ هـ .

أولو الألباب سهم خير البقية
 وطنطاو كذا الشيخ عطية
 رحيل الطود ذي النفس الأبية
 لأجل الله لا يرضى جزية
 وفي الخيرات ذو كف ندية
 عصامي نصوح للرعية
 ولم يفتر إذا ما الروح حية
 وفي أثوابه روح فتية
 نجوب الأرض في حكم المنية
 وبالأقدار أنفسنا رضية
 واجرنا فلأنا في بلية
 وأورثه جنانا سرمدية

جبال قد عمادت في علاها
 غصون وابن باز وابن زرقا
 وكم قد ساءني وشجى فزادي
 عثمين يقول الحق حقا
 إمام في العلوم وفي السجايا
 أصولي فقيه حبر علم
 ينافح عن حياض الدين دوما
 تناحل جسمه فعلاه شيب
 ولكننا وإن طالت خطانا
 فكأس الموت مورد كل حسي
 أيا رحمن فاخلف خلف خير
 وجاز إمامنا خيرا جزيلاً

١٣- حسرات في يوم الرحيل

من شعر : علي بن حسن الحارثي.^(١)

ومصيبة في كل عين تعظم
 سرج المكارم أم تراني أحلم
 ولئن سكت فحسرتي تتكلم
 والنار في جوف الحشا تتضرم
 بل شيخ صحتنا الذي نتأمم

خطب تكاد له الجبال تهدم
 أحقيقة مات الإمام وأطفئت
 ماذا أقول وفي الحنايا لوعة
 العين جادت بالدموع غزيرة
 شيخ القصيم بل الجزيرة قد مضى

(١) مجلة الأسرة - العدد ٩٢ - ذو القعدة ١٤٢١ هـ.

ورث الثبوة يجتسي ويعلم
خير البنين مية تتخرم
ذاك الخطيب اللوذعي الملهم
ومكان درس الشيخ قفر مظلم
والحزن في كل الديار محيم
واللوعة في خاطري لا تكتم
وفداك كل مجل يتعمم
بالله لا بخلاق تتعصم
عودقم والحرم يتكرم
فاتيت تخفي ما علمت وتكتم
بتجدد الأسقام ... لا تتالم
للسائرين على المحجة معلم
ملك الفؤاد كان ذاك الموسم
والدمع في تلك المربع يسجم
يوم نردد ذكره لا نسام
فيك البدور ثوت وغارت أنجم
هل أنت تدرك ما جرى هل تعلم؟
وثقى وزهداً منه كم نتعلم
من بعدكم ألى بعيش ناعم
بالموت للنقلين من ذا يسلم
ما دام قمري " الشفا " يترنم

تبكي غنيزة فقدت من أحيا بها
تبكيه كالأم الرؤوم إذا دهمت
ما حال جامعها الكبير وقد مضى
محرابه يبكي ويبكي منبر
جل المصاب وضاعت الدنيا بنا
واحسرة في القلب ليست تنقضي
لو جاز أن تُفدى فديتك شيخنا
لما بليت وقفت طووداً شامخاً
وأيتت مكة تلتقي بأحبة
أو كنت تشعر أن امرأ قد دنا
حتى الدروس أقمته لم تكثر
وصيرت حتى إن صيرك آية
أفقيد أمتنا مضيت بمشهد
صلت عليك جموع لم أر مثلها
وعلمت ما «يوم الجنائز» إنه
قل لي بربك يا ثرى «العدل» الذي
كيف التامت عليه كيف حويته
علماً وربك قد حويت وحكمة
أبكيه ثم أقول من حر الأسي
والله لولا أن ربي قد قضى
لبقيت أبكيه أسح مدامعاً

أني أعزي النفس أنك لم تمت
ما مات من ملأ الدنيا بعلومه
ما مات من أحيا القلوب بنصحه
يا رب فاجبر كسرنا بمُصابنا
أنت الذي ندعوه إن خطب دها
يا رب في الفردوس أسكن شيخنا

وأكاد من فرط المشاعر أقسم
والخير من كلماته لا يُعدم
يعفو وبالطلاب لا يتبرم
أنت الذي بالجمال منّا أعلم
أو أزمة حلّت فلا تتأزم
وتولّه أنت الأعز الأكرم

١٤- الدمع السخين على فراق الشيخ العثيمين

من شعر : خالد بن علي الدويغري^(١).

خبرٌ - وربي - للفؤاد يقطع
خبر - وربي - هد كل عزيمة
خبر - وربي - لا يزال مدوياً
خبر أتى من حول مكة ناعياً
خبر أتى ينعى العثيمين الذي
ينعى الإمام الفذ عالم عصرنا
عز القصيدُ وأطرت كلماته
تلك المصيبة إنها لكبيرة
ولقد فجعنا بآبن باز قبله
سنة وتسعة أشهر معدودة
فالأرض تبكي والسماء حزينة
والفقه يرثي «والصالح» عليّة

دمت العيون له وعز المضجع
يندى له الرجل الحليم ويفزع
من هوّله صم الجبال تصدّع
«الشيخ مات» ولينا لم نسمعوا
كل القلوب له تجمل وترفع
شيخ جليل زاهد متورع
ماذا يقول الشعر؟ ماذا يبدع؟
صبراً فله العظيم المرجع
إن المصاب خرقها لا يرقع
طبان من أطابها تقلع
والله يفعل ما يشاء ويصنع
«والروض» بالك والضيء اللامع

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٦ - الخميس ٢٣ من شوال ١٤٢١ هـ.

وكذا الفرائض بل علوم أجمع
الشيخ حارسها يذب ويردع
فتحدثني عن شيخنا اسمع
تالله ما ازكاه حولي يركع
والأرض غشاها بوار بلقع
فبمثله يعلو العزاء ويرفع
لمن العزاء وكلنا نقطع
إذ كَفَنُوا الشيخ الجليل وأسرعوا
إذ قدموه عليه كَبُرَ أربع
حضر الجميع وشاهدوه وودعوا
قد غُيِّت والنور باقٍ يسطع
وقلوبهم من حرقة تقطع
من ضن دمعاً خلته لا يدمع
ويظل علمك في البرايا يُطبع
عدد الحصى والساكنات الهجَّع

«والفتح» أغلق دفتيه بحيرة
ترثي إمام الحق حامي نهجها
يا كعبة الله التي شهدت له
قالت لنا والدمع زاد نشيجها
وكذا «المشاعر» أرثجت لفراقه
لك يا عقيدة قد أتيت معزياً
لك يا عقيدة قد أتيت معزياً
يوم الخميس ويا لها من لحظة
في «مكة» قد هال مقلة عينها
حملوه نحو "العدل" كان مسيرهم
يا لحد مهلا فيك شمس زماننا
عادوا جميعاً ليس فيهم شيخهم
بحر يسيل من الدموع بلوعة
ستظل يا علم المشائخ شامخاً
صلى الإله على النبي وصحبه

١٥- رَحَلَ الْإِمَامُ

من شعر عبد الله بن سليمان المزروع.^(١)

ما للحمامة لا تردُّ هديلاً
ما للفيافي قد تساقط زهرها
ما للنجوم تضاءلت أنوارها
والسعد أسمى في العراء قتيلاً
والخيل أطرق لا يجيد صهيلاً
والبحر يرقد ساجياً وثقيلاً

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٢٧ - الثلاثاء ٢١ من شوال ١٤٢١ هـ.

أحقيقة يا ليلُ ما قد قِلا ؟
 هل قامَ في محرابه ترتيلاً ؟
 فأبیت أرقبُ للإمامِ وصولاً
 والشيخُ يجلسُ بينهم فتديلاً
 تركَ الفؤادَ مزقاً وعليلاً
 والموتُ لن تلقى له تأجيلاً
 حتى توسطَ في القلوبِ نزيلاً
 كالشمسِ تُشرقُ بكرةً وأصيلاً
 وأسألهُ فينا فطابَ ميلاً
 فروى بذلك في القلوبِ غليلاً
 كذراً فيقلبُ حُجَّةً ودليلاً
 فأضاءَ فيها للنجاة سبيلاً
 أحزنَ بذلك غيبةً ورحيلاً
 من في إمامته يحلُ بديلاً
 ياربُ قيصُ للتيَمِ كفيلاً يا
 تُدثريةُ هل كفالك عويلاً ؟
 صبراً على ألمِ القرانِ جيلاً

الصبحُ يسألُ والدموغُ بعينه
 يا ليلُ أين الشيخُ ؟ قل لي أينه ؟
 أم أنه بين المشون مسافراً
 أم قد تحلَّقَ حولَه طلابه
 يا ليلُ قل لي أينه فالصمتُ قد
 يا صبحُ بل رجع الإمامُ لربه
 رَحَلُ الذي شَغَفَ الأنامُ بحبه
 رَحَلُ الذي ضاقَ الفضاءُ بعلمه
 أبقى لنا نبعَ العقيدة صافياً
 وهدى النفوسَ العاطشاتِ لنبيها
 ومضى يبارزُ من أرادَ بمائها
 ورأى البريةَ حوله في ظلمة
 رَحَلُ الإمامُ وغابَ عن أنظارنا
 رَحَلُ الإمامُ فليت شعري هل لنا
 فالعلمُ قد أمسى يتيماً بعده
 سيهلُ دمعك يا صحاحُ إلى متى ؟
 فالدمعُ لا يُجدي الحزينَ وإنما

١٦- من شعر/ فيصل بن صالح العبد المنعم.^(١)

ورحته دوماً عليك مدى الدهر
 ذكرتِ دروس العلم والفضل والبر

سلام من الرحمن يا ساكن القبر
 سلام ودمع العين ييكك كلمنا

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٣٥ - الأحد ١٩ من شوال ١٤٢١ هـ.

ذكرت شفاة لا تمّل من الذكر
 فقدنا ابن باز قبل عام من الدهر
 فقدنا طلوع البدر في ليلة البدر
 فقد كانت البلوى أشد من الجمر
 وخلفت أحزاناً سنلقها بالصبر
 ويكيك كل الناس في البدو والحضر
 تطير بها الركبان في البر والبحر
 ويكيك أهل العلم يا عالم العصر
 دليلاً إلى الجنات والفضل والخير
 تذود عن الإسلام في السر والظهر
 ترد على الضلال من ظلمة الشر
 فقد كنت للإسلام كالكوكب الدرّي
 لكل فنون العلم في ساحة الفكر
 إلى درجات العلم والخير والذكر
 بوعد إله العرش في الضيق والضّر
 إذا الناس موقوفون في الحشر والنشر
 وداعاً فلا لقياً إلى موعد الحشر
 وحبك يا شيخي لمن أفضل البر
 فهذا قضاء الله نلقاه بالصبر
 أحمله شعري ومن قبله نشري
 على المصطفى المختار من جاء بالخبر

سلام وحزن القلب يزداد كلما
 فقدناك يا فخر العثيمين مثلما
 فقدناك في شوال يا شيخ مثلما
 فجعنا جميعاً في سماع رحيلكم
 ذهبت إلى متواك يا شيخ راحلاً
 سيكيك طلاب وعلم وحلقة
 ويكيك محتاج لفتوى مضيئة
 ويكيك شرح الفقه للناس ممتع
 فقد كنت فينا مشعل العلم والتقى
 وكنت لهذا الدين حصناً مشيداً
 وسيفاً على أهل الضلالات مشرعاً
 فقدناك يا بحر العلوم وحرها
 ولكن عزائي ما نرى من شروحك
 وطلاب علم يقتفون طريقكم
 صبرت على كل الملمات وانقأ
 فصبرك يا شيخي ستلقى جزاءه
 وداعاً حبيب الكل والدمع هاطل
 فبالله أحبيناك لا شيء غيره
 فحمداً لك اللهم في كل حالة
 فهذا عزائي للمحبين جملة
 وصل إلي كلما صام صائم

١٧- الفراق المر

من شعر / عبد الله محمد باشراحيل^(١).

يا للفراق بكنك عين وفم
 ما أصعب الفقد الذي يتابنا
 يا أيها الشيخ الذي يعتادنا
 عيد الحنان هناك أعظم فرحة
 ونراك تزهّد في الحياة كأنها
 تسقي النفوس بما وعيت من الهدى
 لا زال علمك في المدى أصداءه
 فقد الرجال العاملين لربهم
 غشى البلاء وقد تعاضم حمله
 آلامه الآمال في نيل الرضا
 فضل من الديان من ضنت به
 عم بالنعيم وبالنوال محمد
 وانعم بأخراك البهجة باسماً
 يا عاشق البلد الحرام وفضله
 هذا جزاء العاملين بعلمهم
 فأنتم ضياء الحمد في جناته
 نعم المقام هناك ما بين المنى
 وله مقادير الأمور جميعها
 هو خالق الكون العظيم وكننا

وبكاك في كل البلاد المسلم
 والموت حق والقضاء محكم
 في كل عيد بالتقى يتسم
 للمؤمن الصادي لمن هو أعظم
 طيف يمر وعابر يستلهم
 علم جليل القدر وهو المغنم
 بين المهامة والربى ترنم
 فقد الضياء إذا توارت أنجم
 والصبر يسكنه فلا يتألم
 وسعوده في جنة لا تهرم
 أيدي الأنام ولا يضيق المكرم
 واشرب رحيق المسك وهو محتم
 في روضة من حسناتها تكلم
 ها قد ثويت به وطاب المقدم
 هذا الفلاح قد اجتباك المنعم
 وانهل من اللذات مالا تعلم
 والله يجزل بالشواب وينعم
 وله الذي ندرى وما لا نعلم
 رهن المنون ولن ترى من يسلم

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٣ - الاثنين ٢٠ من شوال ١٤٢١ هـ.

١٨- علم من الأعلام

من شعر / عبد الله بن جابر المحمود^(١)

نبأ سرى بين البرية مفزع
والتيجت الآذان عند سماعه
واهتز قلب بالمحبة مفعم
مات العثيمين العظيم بنفعه
دنت النية واستم نصايها
الموت حق في الخليفة نافد
شأن بين غوينا وتقينا
الناس تبني والفناء مصيره
مت أيها الشيخ التقى قريرة
ان مات شخصك حية أعماله
خلف ميراث النبوة بعدما
ويعضي همارك في العلوم وكسبها
والزهدي كل الزهد فيك سجية
ومن الأناة جعلت نهج تعامل
ونصيحة في الله الله قصدها
وملكت في حب الإله محبة
الله عدل لا ظليمة عنده

فانقض من هول لذلك مضجع
والمال من عظم المصيبة مدمع
وغشى النفوس تكدر وتوجع
علم من الأعلام بالحق يصدع
والكأس من حوض المنية مترع
لكن موت المصلحين مروّع
فالله يخفض من يشاء ويرفع
خاب الذي يبني الفناء ويجمع
عينك بالشيء الذي كنت تصنع
تبقى بما حياً وذكرك يُرفع
أفنيت عمرك في علومك مولع
وتظل في الليل البهيم تضرع
بها ارتفعت وفوق ذاك تواضع
والحلم تاج في جبينك يسطع
أسديتها من جاء في العلم يطمع
من خلقه فالكل يصغي ويسمع
اعمل تجد والله يعطي ويوسع

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٣ - الاثنيون ٢٠ من شوال ١٤٢١ هـ.

١٩- لك في رحاب الله حسن جزاء

من شعر : عبد العزيز بن محمد النقيدان^(١)

<p>يا صاحب الفضلى من العلماء ومعلم في منهج الفضلاء متسامحاً حتى مع الجهلاء جاد الكبار بمدمع وبكاء جاءت معبرة بكل وفاء وتفيض ألسنةً بخير دعاء كيف السلو عن القريب النائي؟ من سما في صحبة وإخاء قد ودعوك بدمعة وعزاء درر القوافي سياق رثائي وبنيت جيلاً نابه الآراء خلعت عليك ملابس السعداء وصبرت محتسباً لكل بلاء قد سار في طهر مع الخفاء إن الرحيل نهاية الأحياء إن المنايا قُدرت بقضاء لك في رحاب الله حسن جزاء</p>	<p>اليوم يجدر أن أقول رثائي عشنا سنين وأنت فينا رائد عشت التواضع والسماحة والندى ذهل الصغار على الشفاة تساؤل ومواكب تترى تزف عزاءها فمن القلوب تضرع وتودد يا راحلاً عنا فدتك قلوبنا قد شيعتك إلى المقابر صفوة أحبيتهم في الله والكل ابىرى لو كان لي الشعر الفداء لعانقت أمضيت عمرك داعياً ومعلماً إن المعارف وهي أعظم منة وشكرت رباً كم تلوذ بركنه إن الذي جعل العقيدة نوره ماذا تقول إذا تقدم راحل في ذمة الله الذي برأ الورى فإلى جنان الخلد يا معلماً هوى</p>
--	--

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٣٥ - الأحد ١٩ من شوال ١٤٢١ هـ.

أبيات ما قبل وبعد الممات :

٢٠- من شعر / عبد الله بن عبد الكريم الشايع^(١)

قصيدي تلك بسم الله أبدأها	مثنياً بصلاة الله فيها على
محمد وسلام الله أقرنها	بها واقرن معها الآل والملائ
يا ابن العثيمين كم يشدوا الفؤاد له	من رؤية بل ومن كأس به امتلاء
من العلوم صنوف أحتوته بها	بل احتواها فصار الكسل محتملاً
إذا أجيبت بفتوى أصبحت علماً	تضيء بين هداها العلم والأمل
نور على الدرب اضحت منك مرتحل	لكل باغ لزاد السير مرتحلاً
إذا ابتدأت بدرس كنت فيه هدى	توضح العلم مقروناً به العملاً
لا يكفي يعلم لا نتاج لها	إذا خلا العلم من أعماله ذبلاً
عيزة شرفت كذا الرياض رأت	ومكة عرفت أن المقام علا
قبيلة ذهب ^(٢) بل أمة رحلت	برية ذهلت أصابهن نلا
معيشي اندثرت حياتنا اضطربت	قلوبنا وجلت بفقد خير ملاء
لعلها أزلت أو إنها اقتربت	مصيبة وقعت عدا عليها بلاء
ألست تسعدنا..ألست ترشدنا	عند السؤال أليس الحق هذا ؟ بلا
عزاء أمتنا بفقد قدوتنا شيخاً	بدعوتنا فوق الجنان علا

(١) الرياض - العدد - ١١٨٩٤ الثلاثاء ٢١ من شوال ١٤٢١ هـ .

(٢) بعد الوفاة .

٢١- وشاب فرقد خير

من شعر / يوسف بن عبد الله.^(١)

أنتُ منابرنا حزنا وقد فجعت
 وغاب فرقد خير يستضاء به
 والله لو نطقت أحجارنا لبكت
 حُزنا على عالم سارت مراكبه
 هبت مشاعرنا تريسه عاجلة
 والحزن كالزمن ما سالت سَحَابِهِ
 لكننا بقضاء الله قَدْ رَضِيَتْ
 علامة حَذَق راجت مسائله
 وفي العقائد تبيان ومخرقة
 طارت فتاواه في أقصى الدنا وسمت
 وكم طرحتْ سُؤالات ليفتيني
 كأنه قمر جاءت مشعشة
 بل إنه الشمس في الإصباح مشرقة
 وجرأة الحق في عدل تجلله
 سهل بسيرته سمح تعامله
 كفاه بين ندى خير وقابضة
 والله أشهدنا ان شاء خالقنا

وحل فيها البكا والسهد والأرق
 وانهد ركن عليه الناس ترتفق
 ولاستدارت بما الأشجار تصطفق
 في كل ناحية بالعلم تسبق
 والشعر إن طغت الأحزان يحترق
 بالدمع تسبقه الآهات تختنق
 نفوسنا وأبت في الإثم تنزلق
 في سوق معترك الفتيا وتأتلق
 والفقه في «ممتع» قد لفه الورق
 عن الهوى وأتت بالحق ينطبق
 فينبرى واثقاً في الشرح ينطلق
 أنواره في فضاء الكون يتسق
 وقد تقدم نور الصبح ينشق
 والخصم في حكمه يرضى به يتق
 ولفظه بفصيح القول يعتق
 سيفاً على زمرة الأعداء يمتشق
 فالشيخ في نزل الفردوس يغتبق!!

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٤ - الثلاثاء ٢١ من شوال ١٤٢١ هـ.

من شعر : صالح بن عطا الله الخزيم.^(١)

تصدع القلب وأهتز الفؤاد أسي
قالوا مضى الشيخ والهفاه وانطقات
أسي فؤادي عليلاً لا يخفف من
قد كان فينا نشيطاً حازماً علماً
مصابنا اليوم في شيخ الشريعة من
قوى عزائمهم رسى عقائدهم
أراهم الصدق في قول وفي عمل
وسار نهجاً قويمياً لا تزعره
فصار فذاً وحيداً صادعاً أبداً
فكم جلسنا أمام الشيخ نرقب ما
قل للمنارة في الفيحاء وا أسفي
وعز كرسي شيخخي أنه شجن
فلتصبرن على فقد البشاشة في
ولتصبرن على فقد العلوم كذا
وجز على منبر قد كان يصعده
وقل سلام عليكم يا أحييتنا
قد كان صوتك يعو في منابرنا
وابعث جامعة الإسلام تعزية

وخيم الحزن في الدنيا عليك أبي
شمس العلوم كذالك المرء كالشهب
مصابه قول من عزوه في عتب
بالبذل يُعرف فعل السادة الثُجب
ربت مجالسه الأجيال في أدب
أجلى الغياهب كم تراح من حجب
قد اقتضى أثر الأخيار في داب
أمواج عالمتا فالناس في صخب
بالحق ينشره حتى مع النصب
يلقيه من باهر الأقوال في عجب
على فراق ليالي العلم والطلب
وقل له إن شيخخي غير منقلب
حسن الحديث بلا مين ولا كذب
فقد الرزانة والمعروف والقرب
وعز فيه أصيحابي مع الكعب
وأعظم الأجر يا ربي لمحتسب
ومن عليها فكم أقيت من خطب
من طالب من مصاب الشيخ مكتب

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٤ - الثلاثاء ٢١ من شوال ١٤٢١ هـ.

تبث في كل إقليم وفي القطب
بيت ربك ترجوه مع الرهب
واروه في تربة واجعله في رُحْب

كذا الإذاعة في ركن الفتاوي التي
جاهدت فالخطب لم يشك عن عمل
يا رب اسكنه فردوس الجنان إذا

٢٣- يا أمة تُكَلِّتُ

من شعر : سعود بن محمد السليم.^(١)

تكاد من هوله الأكباد تنفطرُ
ودمعة الحزن فوق الخد تنهمرُ
أما لك اليوم في ما فات معتبرُ
فهل يطيب سُرَى إذ يفقد القمرُ
كانها حين يملئ نظمها دُرُ
بفقدته بلدي ومثلها أحرُ
بالعلم والفهم والإدراك يشتهرُ
في كل ناحية من علمه أثرُ
في زمنٍ عمٍ فيه الجهل والخورُ
أفئيت عمرك فيه وانقضى العمرُ
وعند تلميذه ابن القيم الخبرُ
لخير من سبقوا أنعم بهم نفرُ
تعطر الكتب والألواح والسيرُ
وكم شريط به من نهجكم فكرُ

أفضّ مضجعنا وهالنا الخبرُ
يكاد فرط الأسى والحزن يخنقنا
يا أمة تُكَلِّتُ بفقد عالمها
هوى من العلم صرّح واختفى قمرُ
ذاك الذي عهدت فنراه أمتنا
محمد الصالح الفذ الذي رزنت
ابن العثيمين تاج فوق هامتنا
ابن عثيمين بحرٌ عز ساحله
يا شيخ صحتنا الكبرى ومرشدها
من ابن سعدي ورثت العلم يا علماً
ولابن تيمية في أرضكم قدمُ
وكلكم وارث للمصطفى خلفُ
يمثل منهجكم وعلمكم أبني
جاهدت في دعوة للدين في كتب

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٣٣ - الجمعة ١٧ من شوال ١٤٢١ هـ.

وكم دحرت عن الإسلام من نفرٍ
 حتى إذا ما خريف العمر حل بكم
 عانيت من مرضٍ لعل فيه غداً
 أعمارنا كبت من قبل مولدنا
 لكننا نذُرُ الأخرى ونرخصها
 في كل يوم نوارى من أحبتنا
 رؤوسهم من أباطيلٍ بما دُسرُ
 وأسقطت عنده أوراقها الشجرُ
 كفارة وجميع الذنب يغتفرُ
 وهذه سنةٌ في مثلها العبرُ
 من أجل دنيا بما الآلآم والكدرُ
 فهل ترانا من الأحداث نعتبرُ

٢٤- نور على الدرب

من شعر : ناصر بن محمد بن عثمان العمري.^(١)

«نور على الدرب» استطار فؤاده
 ففوى كور الشمس تعصف بالدجى
 ستظل تبكيك المنابر والندى
 ويظل شوقك في الحنايا دافئاً
 وتظل تلهج بالدعاء خواطر
 يا شيخ طافتنا السنون كأنها
 من ذا يعيش وفي الفؤاد توقد
 يا أمة الإسلام صبراً وإنما
 فامضي على سنن النبوة واحفظي
 إنسى لأرجو من إلهي قربةً
 قد كان صوتك فيه كالحفنان
 لتقود مركبنا لشط أمان
 ما ناح قمريّ على أغصان
 ما اشتاق إنسان إلى إنسان
 ما خر قوام إلى الأذقان
 أحلام طيف أو سباق ثواني
 أم ينام على الجوى اليقظان
 ساعات نصر المؤمنين دواني
 عهد الوفاء لكل ذي إحسان
 جبي لذلك العالم الرباني

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٤٢ - الأحد ٢٦ من شوال ١٤٢١ هـ.

٢٥- في رحاب العلم

من شعر / د . حبيب بن معل المطيري^(١)

من أين أبتدى المقال وأنطقُ ؟ وبأي حرف في القصيد أُنطقُ ؟
 أبت القوافي أن تظل حبيسة ورتت.. وقلبُ الشعر فيها يخفقُ
 طمحت إلى رحب الفضيلة ماجد النور في حرراته يترقرق
 يحدو بها الشوق العظيم لشيخها زين المناير مجده متألق
 بالعلم في حُلل المحامد رافل ولخدمة الدين العظيم مُوفق
 سارت قوافي الشعر تحدوها المنى ويحنها الحب الحفي المشفق
 ولديك يا شيخني تحط ركابها من بعد ما أضنى الدروب تشوق
 أمحمد .. يا شيخنا البحر الذي بعلومه نرفو العقول ونرثق
 المردد الزخار درسك بالتقى والعلم فيه تأله وتعلقُ
 إن ضجّ في دنيا العباد تفاخرُ فلأنت فخر الصالحين الأسبق
 ولأنت فينا قدوة محمودة فالغرس من حسن السقاية مونق
 ولأنت في نور المحبة أصله أصل به ثمرٌ وجدع مورق
 بحر من العلم الزكي يمده غيث من الهمم الشريفة مُعقدق
 يا شيخنا محبوب .. هاك قلوبنا بشذا المحبة والأخوة تعبق
 خفقت بإثرك أفوؤد ملهوفة تدعو لك الله العظيم وتشهق
 فاسلم لنا يا شيخها وضيائها ولتبق كالفجر الطهّر تشرق
 إن يذكر المفتون في أخبارهم فلأنت للناس الأبر الأرفق !!
 أو يذكر العلماء في أوصافهم فلأنت في جمع العلوم الأوثق

(١) مجلة الأسرة - العدد ٩٢ - ذو القعدة ١٤٢١ هـ.

أو يذكر العباد في إحياتهم
 بالعلم تبني في النفوس شوامخاً
 علمتنا معنى الرباط على التقى
 علمتنا بذل الشيوخ لعلمهم
 فبذلت علمك في ثبات مجاهد
 أذكرتنا البحر الإمام ساحة
 أذكرتنا السعدي في تدقيقه
 يا شيخنا المحبوب أنت منارنا
 شتان بين من ابني بيقينه
 فترى الجمع يضح .. يسأل واجماً
 وتراه قد حاز القبول فحبه
 ومن ارتضى هو الحياة فقلبه
 يا شيخنا والحب يحدو ركبنا
 ندعو الإله البرّ ذا الفضل الذي
 ندعو الرحيم بأن يتم شفاءه

٢٦- سلام عليك يا شيخ الزهد

من شعر : صالح بن علي العمري^(١).

تباركت ربي حين تعطي وتمنع
 تباركت ربي عزة وجلالة
 تباركت ربي حين تدني وترفع
 إليك إذا ما إحولك الخطب نفع

(١) كُتبت في مرض الشيخ.

(٢) مجلة الأسرة - العدد ٩٢ - ذو القعدة ١٤٢١ هـ.

وكل إلى الله المهيمن يرجع
 أيا دافع الأمر الذي ليس يدفع
 ففضلك يا منان أرضى وأوسع
 فحفظك يا رحمن أقسى وأمنع
 وقلباً على وقع الرزايا يفزع
 وآهات روجي والفؤاد المفسع
 وتصلى على نار المصيبة أضلع
 سلوا .. وهل يجديك أنك تجزع ؟
 فكل له في صولة الدهر مصرع
 وظل تولى .. والجليد يبرقع
 وقد حق أن أبكي فؤاداً يصدع !!
 يحار الفتى في أمره كيف يصنع
 فجزت .. وما زلنا نصالي ونصرع
 وللشر أنياب بما السم يلمع
 وذكرك بين الياس أبسقى وأرفع
 وخيرك للغادي مضيف ومربع
 وفتراه في العياء كالشمس تسطع
 وقلبك بالأخرى شغوف مولع
 فتثمر أغصان ويزهر بلقع
 وأنت لفعل الخير أدق وأسرع
 وذلك ثوب ليس والله يخلع
 فليس له في عيشة الزيف مطعم

لك الخلق .. تقضي حكمة وتلطفاً
 تباركت علماً.. أنت نوري وملجني
 لك الحكم إن ضاقت علينا وإن بغت
 لك الأمر إن لاحت خطوب جسيمة
 تباركت .. ثبت مهجة قد تفتطرت
 أنك لظى دمعي وهمي وغريبي
 أعالج جراً في الحشا وصباية
 وأبكي فأسعزي بذكرى حيننا لعمرى وإن
 كانت حياة طويلة
 غرور وأحلام .. وهم وحسرة
 أبكيك شيخ الزهد والعلم والتقى
 أيرثيك شعري والمصيبة هيمنت
 ذهب إلى عز ومجد ورحمة
 وتسلمنا الدنيا لبلوى ومحنة
 لنن غبت جثماناً فوالله لم تغب
 تراثك موصول ، وعلمك خالد
 وما مات من زانت بساتين فكره
 وما مات من أسدى إلى الحق عمره
 يهل كان القطر من حسن قوله
 ركبت مطايا العزم تقوى وهمة
 وأسديت ثوب الزهد.. ثوباً مسربلاً
 ومن ذاق طعم الأنس بالله حقبة

وأنت على عرش القلوب تربع
 لمن كان لله المهيمن أخشع
 وحولك أجيال وعان وموجع
 شغفت بفعل الخير والدرب مهيع
 وأنت لحصن الدين باب ممنع
 تقرها الدنيا ولا تتزعزع
 تبشُّ فلا تشكو ولا تتوجع
 لخر من البلوى طريقاً يصدع
 وفي غمرة السكرات تفتي وتنفع
 لكل جميل من محياك مطلع
 وأرواحهم تشتاق والدهر يسمع
 شمائل حبر عن قريب تشيع
 أعيذهم بالله من أن يضيعوا
 فليس لها مما سوى الله مدقع
 على هامة الأيام تاج مرصع
 ويأس على ذكراك قلب ومدمع
 ونصحك مثل الغيث والشرح تمتع
 وذكرك للصحب الخيين منبع
 فقد علموا من في ثرى الطيب ودعوا
 عسى أن يكن في جنة الخلد مجمع
 وفاء ، إذا ما زال كسرى وتبع
 وما هب نسيم وانحنى متضرع

وغيرك يستعلي عروشاً كسيحة
 تفكرت في دنياك ، والأمن سابع
 صلاة وقرآن وذكر ومسجد
 فأني لشغل النفس حظ وإنما
 وكم قمت في عين الملمات فانتنت
 تبديت كالشم الرواسي تجذرت
 وقفت بشهر الصوم طودا على الضنى
 بلاء لو استعلى على رأس شاهق
 بليت وفي البلوى ظهور ورفعة
 تجليت مثل البدر نوراً ومنزلاً
 ومن حولك الأجيال من كل بقعة
 فأنساهم خوفاً عليك من الردى
 تركتهم يتما أقاموا على الأسى
 نغالظ فيك السمع حياً.. وإذ بدت
 ستخلد يا ذكر «العثيمين» معلماً
 فوالله لا تنفك تغليك أمسي
 فتاوك أنوار وصوتك رحمة
 ونعشك أجفاني وقبرك مهجتي
 لنن أودعوك اليوم في طيب الثرى
 وجاورت قبر الباز حياً وصحبة
 تخلد أعمال الدعاة وتزدهي
 عليك سلام الله منا هل هائل

٢٧- هو البحر

من شعر / هاجد بن دميثان الحربي.^(١)

مصاب ليس يعدله مصاب
وما هذا المصاب عليّ وحدي
فيا لله من نأ أتاني
عشية قيل مات الشيخ والناس
فت الليل ما أغمضت جفنأ
كأن النفس إذ علمت عشا
يحزحز في نواحيها هيب
فنادى بالعيون الرّوع حتى
وما والله أبكي موت شخص
ولكني بكيت على إمام
فحمداً للإله على الرزايا
فما في هذه الدنيا خلود
وما الدنيا بسافرة تبدت
لقد كانت وفاة الشيخ ثلماً
فيا عجيبي لصري بعد علمي
وقد كنا نكبّيه مريضاً
فبكيه المآذن والسواري

وخطب فيه قد أعيا الخطاب
ولكن كل ذي دين يصاب
أثار الدمع واضطرب اللباب
صابهم من الخير اضطراب
كأن العين سارقتها اللعاب
بناعيه وإن طال الغياب
شراسفها بما منه التهاب
لدمعي فوق خدي انصباب
لنا في غيره يُلقى اقتراب
فريد في زمانه لا يناب
وقد فرضت على الناس الجذاب
ولكن موتنا ثم الحساب
يخفي زيفها عنا القباب
وما يدري بما إلا العياب
بموت الشيخ ذا الخير الكراب
جميع الناس شيب أو شباب
وتبكيه المشاخر والصحاب

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٦ - الخميس ٢٣ من شوال ١٤٢١ هـ.

وقد كتابه كلاً سعيداً
هو البحر الذي ما غار يوماً
محمد العثيمين الخلي
تقي الله محمود السجايا
كانه في الدنيا شمس تجلت
سهيل قد هوى السارين دوماً
حياة بوركت في كل صقع
شهود الله في الدنيا البرايا
ففي غرب البلاد وفي جنوب
فإن أفق العباد وإن دعاهم
إمام في إمامته عطاء
حياة كلها لله جمعاً
تجاني عن هوى الدنيا احتقاراً
فعاش الزهد لا يبغي كثيراً
وقد كانت علوم الشيخ فيضاً
عقول الناس أودية حوتها
علوم قد أفاد الناس منها
وأن إماننا لم يأل نصحاً
وقد شرفت عترة بابن بر
فيا ربي تغمد من تولى
ويبيض وجهه وامسحه خلدأ

وفيه اليوم قد سعد التراب
لموجه طيلة الدهر العباب
بدين الله علام مآب
فقيه الأمة الفهم الحباب
بنور ليس يحجبها ضباب
شهاب ثاقب نعم الشهاب
فسارت في معالمها الركاب
وفيه القول فصل لا يراب
وفي شرق وشمأها الجواب
أجاب الناس دعوته أجاوبوا
وخير والورى منها أصابوا
فليس بما مزاج أو قطاب
كما استعلى عن الجيف العقاب
ولا ما قل والدنيا يباب
وكان بها على الدنيا الرباب
بمجرها جرى السيل الأباب
سماعاً أو بما نسخ الكتاب
واخلاصاً وعدلاً لا يشاب
فآثرها وإن طاب اغتراب
برحمى منك والداعي يجاب
بجنات الخلود له الثواب

د . عبد الرحمن بن صالح العثماوي.

وجهك الباكي دموعَ الثائنين

أيها الشيخُ الذي ودَّعنا
نحن نلِّقُك وإن فارقنا
أنتَ كالشمسِ إذا ما غرَبتْ
أنتَ ما ودَّعنا إلا إلى
إن بكيناك فإننا لم نزل
في وفاة المصطفى سلوى لنا
ذلك الرُّزء الذي اهتزله
ماتَ خيرُ الناس ، هذا خبير
طاشت الأبوابُ حتى سمعوا
لا يعزِّبنا عن الأحباب في
إنها الروح التي تسمو بنا
يحزن القلب ولكنا على
كلنا نفنئ ويقي ربنا

عالي الهمة وضَّاح الجبين
في علومٍ بقيت للراغبين
أهدت البذرَ ضياء المدجلين
حيث تزويك قلبُ المسلمين
بقضاء الله فينا موقنين
وعزاء عن وفاة الصالحين
عمرَ الفاروقِ ذو العقل الرزين
ترك الناسَ حيارى تالهيين
ما تلا الصديقُ من قول مُبين
شدة الهول سوى موتِ الأمين
ويظلُّ الجسم من ماءٍ وطين
حُزنه كئيب شموخ الصابرين
خالق الكون ملاذ الخائفين

٢٩- عليل النسيم في رثاء علامة القصيم

من شعر / د . عبد الله بن محمد بن حسن السعدي^(١).

هل العين منها كان يُستمطر القطر
لقد نطقت سرًا وجادت بمائها
عشيّة ما قد ذاع أن خسف البذر
فلما يقينا صار سلمت للذي
وذا شأننا إن الحياة مطية
ولكن بعض الموت يحدث ثلثة
تداعى انقراط العقد في جيد أمتي
فله قورم تتقيهم ظلامي
فَقَدْنَا إماماً في الفضيلة ليتا
ولكن معاذ الحق من موقف به
فَقَدْنَا إماماً في الورى ذاع صيته
فإن شئت فمراً في عدوبة لفظه
ولست مدلاً بالمُحِبِّ وفضله
أشاح وقد كنا على وشك مفرق
لعل له في السابقين مكانة
سقى وابل من صادق الغيث قبره
ويغدق حتى يصبح القبر روضة
فيا راحلاً للبيت بلغ تحيّي

أم العين منها كان يُستطقى السر
وقد فعلت فينا كما يفعل السحر
فضاق احتمالاً في تبعه الصدر
تعالى له في كونه الخلق والأمر
يجوز بها سفر وبتركها سفر
ومن سدها في قومه فهو الصدر
فأوليه بدر وآخره بدر
صحا السكر مما حل ولكنهم سكر
فديناه فيمن سام والنعم الخمر
ترانا ننا في الصبر ما وجب الصبر
تقيا نقي القلب ظاهره بشر
وإن شئت فمراً في غزارته بحر
على الله إن الكل في جنبه صفر
تنازعه من بعده البيض والسمر
وكان له في كل شارقة عنذر
بيادره قطر ويعقبه قطر
إذا الريح راحت فاح من روضه نُشُر
لقبائه الغراء لا نالها وزر

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٣٥ - ١٩ من شوال ١٤٢١ هـ.

وبلغ سلامي للفقيد إذا التقت عليه جموع حين صُلِّت العصر
 وبلغ سلامي للجموع وقل لهم مقالة حق يستقيم بها الفكر
 لئن رحل الشيخ الجليل فإنّ ذا سبيل الورى والكل موعده الحشر
 وياكم من الأصحاب قد مات قبله ومن قبلهم مات النبي وكل ذا
 فذلك أدعى للتذكر إئما ويؤن ما تلقى إذا تبس الأمر
 وإني فتي ثهلان مثلكمو أسي يُذكر من يخشى فينفعه الذكر
 عزاء لمن يشكو من البين حرقه واشكر من رغم المصاب له الشكر
 وينسد من حر الحشى مستهامها أرى البون مثل البين وقدما حجر
 روايع شعر دونها يقصر الشعر

٢٠- ومات الفقيه .

رثاء للشيخ وحيد عبد السلام بالي (١):

هذا الإمام يوارى في مقابرها هَذَا أُمَامَ يَفَارِقُ الْإِخْوَانَ
 يدعو إلى التوحيد طول حياته وإلى اتِّبَاعِ شَرِيعَةِ الرَّحْمَنِ
 فإرفع إلهي ذكره ومقامه وارحم إلهي رُوحَهُ وَجَنَانَهُ
 سدّد إلهي قوله وجوابه في القبرِ عِنْدَ سُؤَالِهِ الْمَلَكَانَ
 والفتح إلهي بناب رحمتك التي وسعت من الأشياء كُلَّ كَيَانَ
 واجعل إلهي قبره ومقامه في روضة ورحمة وأمان
 واجمع إلهي بينه ورسولنا في جنة الفردوس كُلَّ زَمَانَ

(١) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة ٢٩.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة المباركة مع حياة شيخنا العلامة محمد ابن عثيمين رحمه الله تعالى والتي شملت العديد من الجوانب التي برز بها الشيخ أقرانه ومعاصريه ، حتى أصبح إمام هدى وهادي أمة أستطيع من خلال هذه الترجمة أن أستخلص أهم الأمور التي جعلت الشيخ يتبوأ هذه المكانة السامقة بعد توفيق الله تعالى له ؛ ألا وهو

علو همته ، ومضاء عزيمته

مما جعله يطاول همم الأوائك ويلحق بركبهم

وقد قيل : « همة المرء على قدر همّه »

وأخيراً فكل يعي طلاب العلم وحملة مشاعل الغد هذه الدروس والعبر من حياة الشيخ ! فياخذوا بمعاقد المجد ويقودوا أمتهم إلى قمم العز السامقة لتتالك السعادة والتمكين في الأرض ،

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وصلّى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنها الفردوس

الفهرست

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
١٥	الباب الأول : النشأة والتأسيس العلمي
١٧	الفصل الأول : اسمه ونسبه وكنيته وأسرته
٢١	الفصل الثاني : أحوال البلاد والنشأة وبداية
٢١	الطلب (المرحلة الأولى)
٢٥	المرحلة الثانية : بداية الطلب على الشيوخ
٢٦	ترجمة الشيخين : ١- المطوّع
٢٨	٢- الصالحى
٢٨	ترجمة الشيخ عبد الرحمن العودان
٣٠	المرحلة الثالثة : التلمذ على علامة القصيم
٣٢	بعض ما تميّز به ابن سعدي
٤٥	الكتب التي درسها ابن عثيمين على ابن سعدي
٤٦	زمن حلقات تدريس ابن سعدي
٤٨	المرحلة الرابعة : ابن عثيمين في المعهد العلمي بالرياض.
٥٠	ترجمة الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله
٥٥	ترجمة الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله
٦٨	عدد من مشايخ ابن عثيمين في المعهد العلمي [غير ما ذكر]
٧٠	ترجمة الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي رحمه الله

- ٧٤ ————— علاقة ابن عثيمين بمفتي الديار العلامة ابن إبراهيم رحمه الله
- ٨١ ————— ابن عثيمين في المعهد العلمي بعنيزة مدرساً (صور ومواقف)
- ٨٦ ————— وفاة علامة القصيم ابن سعدي، وتعيين ابن عثيمين خلفاً له.
- ٩٣ ————— الباب الثاني : علمه وعمله وبذله وعطاؤه
- ٩٥ ————— الفصل الأول : علمه وعمله وصفاته وأخلاقه
- ٩٥ ————— ١- عقيدته.
- ١١٩ ————— موقف الشيخ من القضايا العقدية المعاصرة
- ١٣٩ ————— ٢- فقهه.
- ١٤١ ————— المبحث الأول : الأسس التي تكونت عليها الملكة الفقهية
- ١٤١ ————— للشيخ
- ١٥٣ ————— المبحث الثاني : ما تميّز به فقه ابن عثيمين
- ١٩٠ ————— المبحث الثالث : الحصاد الفقهي العلمي
- ١٩٨ ————— المبحث الرابع : أثر ذلك على النهضة العلمية المعاصرة
- ٢٠٣ ————— ٣- الشيخ مفسراً.
- ٢١٦ ————— ٤- زهده.
- ٢٢١ ————— ٥- ورعه.
- ٢٣٠ ————— ٦- تواضعه.
- ٢٤١ ————— ٧- عدم محبته للثناء والمدح.
- ٢٤٤ ————— ٨- إخلاصه.
- ٢٤٦ ————— ٩- عبادته.
- ٢٤٦ ————— صلاته.
- ٢٤٧ ————— قيامه الليل.

- ٢٤٨ بكأوه من خشية الله.
- ٢٤٩ صيامه.
- ٢٤٩ حجه وعمرته وزيارته
- ٢٥٠ ورده من القرآن الكريم
- ٢٥١ ١٠- مطالعته وكتبه ومكتبته.
- ٢٥١ ١١- أعماله الخيرية.
- ٢٥١ صدقته وإنفاقه ومساعدته للمحاييج
- ٢٦٠ ١٢- كرمه وحسن ضيافته.
- ٢٦٢ ١٣- صلته للرحم.
- ٢٦٤ ١٤- ملاطفته للصبيان.
- ٢٦٩ ١٥- رفقته بالمرأة وعنايته بها.
- ٢٧٤ ١٦- مزاجه.
- ٢٨٠ ١٧- حلمه وصبره.
- ٢٨٣ ١٨- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وغيرته على حرمان الله.
- ٢٩٤ ١٩- اهتمامه بأحوال المسلمين، وفقهه بالواقع.
- ٣٠١ الشيخ ومحنة فلسطين
- ٣٠١ الشيخ ومحنة الشيشان
- ٣٠٧ ٢٠- منهجه مع ولاة الأمور.
- ٣٠٩ ٢١- أدبه.
- ٣١١ ٢٢- دقته وتثبتته في الأمور وتحققه.
- ٣١٢ ٢٣- حرصه على نشر السنة.
- ٣١٥ ٢٤- فتاواه.

- ٢٢١ - معاملته مع طلابه وحسن رعايته لهم.
- ٢٢٦ - رجوعه للصواب إذا تبين له.
- ٢٢٧ - مسائل متنوعة في حياة الشيخ.
- ٢٣٧ - رأيه في السفر للخارج للدعوة
- ٢٣٩ - الشيخ ومطالعة الصحف والمجلات
- ٢٣٩ - الشيخ والانترنت
- ٢٤٠ - ترجمة كتبه
- ٢٤١ - البرنامج اليومي
- ٢٤٣ - برنامج المشي
- ٢٤٥ - فصل : سبل دعوته وتعليمه، وجهوده في نشر العلم.
- ١- الدروس العلمية
- ٢- الدروس العامة والمحاضرات
- ٣- اللقاءات
- ٤- الفتوى
- ٥- ذهابه وإيابه من المسجد
- ٦- منبر الجمعة [آخر خطبة للشيخ]
- ٧- التعليم النظامي
- ٨- عبر الإذاعة
- ٩- عبر الصحف والمجلات
- ١٠- عبر الشريط
- ١١- الإنترنت
- ١٢- مشاركته في المؤتمرات

- ٣٥٧ - ١٣ مشاركته في لجنة توعية الحجاج
- ٣٥٧ - ١٤ مشاركته في هيئة كبار العلماء
- ٣٥٧ - ١٥ المراسلات الخاصة
- ٣٥٧ - ١٦ مؤلفاته
- ٣٦٥ - آخر خطبة للشيخ (صلاة الاستسقاء)
- ٣٦٧ - شيوخه وتلاميذه
- ٣٦٩ - الباب الثالث : المرض والوفاة
- ٣٧١ - الفصل الأول : المرض
- ٣٧١ - حقيقته
- ٣٧٢ - حالته مع المرض
- ٣٧٣ - بدايته
- ٣٧٣ - العلاج
- ٣٧٤ - دعوته في أمريكا
- ٣٧٦ - قصة الكيماوي
- ٣٧٨ - مواقف رائعة على فراش المرض
- ٣٨٦ - مرضه بالالتهاب الرئوي
- ٣٨٧ - الأيام الأخيرة
- ٣٨٧ - الساعات الأخيرة
- ٣٨٨ - شوقه للقاء الله
- ٣٨٨ - وصيته العامة
- ٣٨٩ - وصيته بالجامع والدُّروس
- ٣٩١ - أمنيته

- ٣٩٢ الساعة الأخيرة
- ٣٩٣ الفصل الثاني : الوفاة وما بعدها
- ٣٩٣ وصف الوفاة وتاريخها
- ٣٩٤ عمره عند الوفاة
- ٣٩٤ التّغسيل
- ٣٩٥ الصلاة عليه وتشيعه
- ٣٩٧ لحده
- ٣٩٨ التعزية
- ٣٩٩ الرؤى والبشارات في حياته وبعد مماته
- ٤٠٢ تواريخ هامة في حياة الشيخ رحمه الله تعالى
- ٤٠٥ الباب الرابع : ثناء الناس عليه رحمه الله تعالى
- ٤٠٧ الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله تعالى
- ٤٠٧ صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز (حفظه الله تعالى) --
- ٤٠٨ صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
- ٤٠٨ صاحب السمو الملكي الأمير ممدوح بن عبد العزيز
- ٤٠٩ صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر
- ٤١٠ صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن ماجد
- ٤١٠ سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية
- ٤١٢ فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيّل (إمام وخطيب المسجد الحرام) --
- ٤١٢ فضيلة الشيخ عبد الله البسام
- ٤١٣ فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان
- ٤١٣ د . عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

- ٤١٤ فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري
- ٤١٤ فضيلة الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد
- ٤١٤ فضيلة الشيخ عبد الله بن منيع (عضو هيئة كبار العلماء).
- ٤١٥ فضيلة الشيخ صالح بن حميد (إمام وخطيب المسجد الحرام)
- ٤١٦ فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس (إمام وخطيب المسجد الحرام)
- ٤١٧ فضيلة الشيخ علي عبد الرحمن الخديفي (إمام وخطيب المسجد النبوي) -
- ٤١٧ فضيلة الشيخ عبد الباري الثبيتي (إمام وخطيب المسجد النبوي)
- ٤١٨ فضيلة الشيخ عبد الله بن حسن بن قعود
- ٤١٨ فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين (رئيس جماعة أنصار السنة بمصر) -
- ٤١٩ فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني
- ٤١٩ فضيلة الشيخ محمود غريب الشريبي (مدير تحرير مجلة التوحيد المصرية) -
- ٤٢٠ فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند
- ٤٢٠ فضيلة الشيخ وحيد عبد السلام بالي
- ٤٢١ فضيلة الشيخ مصطفى العدوي
- ٤٢١ فضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب
- ٤٢١ فضيلة الشيخ مجدي عرفات
- ٤٢٢ فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس
- ٤٢٣ د . حسن بن فهد الهويمل
- ٤٢٣ فضيلة الشيخ عبد المحسن بن سليمان المنيع
- ٤٢٤ فضيلة الشيخ صالح بن سعد السحيمي
- ٤٢٥ د . مساعد بن عبد الله الحيا
- ٤٢٦ فضيلة الشيخ زيد بن هادي المدخلي

- ٤٢٧ فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر الجزائري.
- ٤٢٨ فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله المحميد
- ٤٢٨ فضيلة الشيخ عقيل العقيل
- ٤٢٩ فضيلة الشيخ ناصر الصالح
- ٤٣٠ المؤسسات ، والجمعيات ، والهيئات.
- ٤٣٠ مؤسسة الملك فيصل الخيرية
- ٤٣١ جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر
- ٤٣٢ جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان
- ٤٣٤ جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت
- ٤٣٤ مجلس الأمة الكويتي
- ٤٣٤ وكالة الأنباء القطرية.
- ٤٣٥ وزارة الأوقاف القطرية
- ٤٣٥ مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كبير)
- ٤٣٦ مؤسسة شيخ الإسلام ابن تيمية (بالولايات المتحدة الأمريكية)
- ٤٣٧ مركز الدعوة الإسلامية (في البرازيل)
- ٤٣٨ المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي (بالأرجنتين) .
- ٤٣٩ المركز الثقافي الإسلامي (بمدريد)
- ٤٤٠ د . سعيد باسماويل (بريطانيا)
- ٤٤١ وكالات الأنباء الألمانية
- ٤٤٢ الجمعية الإسلامية الخيرية (بنيوزيلندا)
- ٤٤٥ الباب الخامس : ما قيل في الشيخ من الشعر
- ٤٤٧ شعر الشيخ سعود الشريم

- ٤٤٩ شعر الشيخ إبراهيم بن صالح الوابل
- ٤٥٠ شعر الشيخ فهد بن عبد العزيز بن حمد آل وهيب
- ٤٥٠ شعر الشيخ عبد الله المعتاز
- ٤٥٢ شعر الشيخ أحمد صالح الصالح
- ٤٥٤ شعر الأستاذ حسين حسن العبدية
- ٤٥٤ شعر الشيخ سليمان بن زيد الجربوع
- ٤٥٦ شعر الشيخ صبيح بن صالح الصيعري
- ٤٥٧ شعر الشيخ مبارك بن عبد الله المحميد
- ٤٥٨ شعر الشيخ صالح بن مقحم المطيري
- ٤٥٩ شعر الشيخ محمد بن عبد الرحمن المقرن
- ٤٥٩ شعر الشيخ إبراهيم بن علي النفيسة
- ٤٦٠ شعر الشيخ علي بن حسن الحارثي
- ٤٦٢ شعر الشيخ خالد بن علي الدويغري
- ٤٦٣ شعر الشيخ عبد الله سليمان المزروع
- ٤٦٤ شعر الشيخ فيصل صالح العبد المنعم
- ٤٦٦ شعر الشيخ عبد الله بن محمد باشر احويل
- ٤٦٧ شعر الشيخ عبد الله جابر المحمود
- ٤٦٨ شعر الشيخ عبد العزيز محمد النقيدان
- ٤٦٩ شعر الشيخ عبد الله عبد الكريم الشايع
- ٤٧٠ شعر الشيخ يوسف عبد الله
- ٤٧١ شعر الشيخ صالح عطا الله الخزيم
- ٤٧٢ شعر الشيخ سعود محمد السليم

- ٤٧٣ شعر الشيخ ناصر محمد العمري
- ٤٧٤ شعر الشيخ حبيب بن معلا المطيري
- ٤٧٥ شعر الشيخ صالح علي العمري
- ٤٧٨ شعر الشيخ هاجد دميثان الحربي
- ٤٨٠ شعر الشيخ عبد الرحمن بن صالح العثماوي
- ٤٨١ شعر الشيخ عبد الله محمد السعدي
- ٤٨٢ شعر الشيخ وحيد عبد السلام بالي
- ٤٨٣ الخاتمة
- ٤٨٥ الفهرس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

يصدر قريباً للمؤلف

قرة العينين بادلّة الاعتقاد
من الصحيحين

جمع وإعداد

عصام بن عبد المعتمد المري

الدُّرُ الثَّمِينِيَّةُ

في ترحمة نبيه الأئمة

العلامة ابن عثيمين

رحمه الله تعالى

توزع شاملة لمدة البيع من الساعة إلى العشاء

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنم الله الفردوس

شارع ملائكة - ملاعبه الجزائر
تليفون وفاكس: ٥٩٠٦٤٨٠ - إسكندرية
رقم محطة مصر
شارع القنطرة (القاهرة) خلف مسجد الجوهري
تلفون مصر: ٥٦٦٣٨٢٤٠

دار الجبيرة

للطباعة والنشر والتوزيع